p-ISSN: 2307-1583
e-ISSN: 2789-326X

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

العدد 77 - المجلد 13 - تشرين الثاني / نوفمبر 2025
Issue 77 - Volume 13 - November 2025

دورية محكّمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية
A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

عبد الله راشد المرسل
حرب غزة 2023 والتنافس الأميركي - الصيني في البحر الأحمر ومضيق باب المندب

يارا نصّار
الشتات فضاءً سياسيًا: فهم نشأة حركة فتح في بلدان الخليج العربية

شيماء بركات
منظمات المجتمع المدني ودعم مشاركة الشباب في بناء السلام في اليمن

رئيس التحرير — **Editor-in-Chief**
محمد حمشي — Mohammed Hemchi

مدير التحرير — **Managing Editor**
أحمد قاسم حسين — Ahmed Qasem Hussein

سكرتيرا التحرير — **Editorial Secretary**
إيهاب محارمة — Ihab Maharmeh
سجى طرمان — Saja Torman

هيئة التحرير — **Editorial Board**
أدهم صولي — Adham Saouli
حارث حسن — Harith Hasan
حسن الحاج علي — Hassan El Haj Ali
سحيم آل ثاني — Suhaim Al Thani
عبد الرحيم العلّام — Abderrahim Elaallam
عمر عاشور — Omar Ashour
فيصل أبو صليب — Faisal Abu Salib
لولوة راشد الخاطر — Lolwah Rashid Al-Khater
محمد المسفر — Mohammed Al-Misfer
مروان قبلان — Marwan Kabalan
مروة فكري — Marwa Fekry
نادية نصر- نجّاب — Nadia Naser-Najjab

تصميم وإخراج — **Design and Layout**
أحمد حلمي — Ahmad Helmy
مصطفى أبوالناس — Moustafa Abuelnass

الهيئة الاستشارية — **Academic Advisory Commitee**
إبراهيم فريحات — Ibrahim Fraihat
برهان غليون — Burhan Ghalioun
ثناء فؤاد عبد الله — Than'a Fouad Abdulla
حمادي الرديسي — Hamadi Redissi
حيدر إبراهيم علي — Hayder Ibrahim Ali
سلطان بركات — Sultan Barakat
سيف الدين عبد الفتاح — Seif Al-Din Abdul Fattah
طارق متري — Tarek Mitri
عبد الله باعبود — Abdullah Baabood
عبد الوهاب الأفندي — Abdelwahab El-Affendi
العربي صدّيقي — Larbi Sidiki
غانم النجار — Ghanim Al-Najjar
غسان العزي — Ghassan Elezzi
كاظم هاشم نعمة — Kadhim Hashim Niama
محمد علوان — Mohamed Olwan
محمد مدني — Mohammed Madani
محمود محارب — Mahmoud Muhareb
مصطفى الحمارنة — Mustafa Hamarneh
مصطفى كامل السيد — Mustafa Kamel Al Sayyed
نظام عسّاف — Nizam Assaf

التدقيق — **Copy-Editing**
آمال فيّاش — Amel Fayech
عبد الوهاب سويسي — Abdelwaheb Souissi
المولدي العباسي — Mouldi Abbassi

صاحب الامتياز
المدير العام للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

The Designated Licensee
The General Director of the Arab Center for Research and Policy Studies

جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العناوين التالية

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
صندوق بريد: 10277
منطقة 70 شارع الطرفة، الدوحة، قطر
هاتف 00974 4035 6888

Arab Center For Research & Policy Studies
PO Box: 10277
Al Tarfa Street, Doha, Qatar
Phon: 00974 4035 6888

أو على البريد الإلكتروني للمجلة
siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa

صورة الغلاف

ثناء فاروق (اليمن)

مصورة وكاتبة، وُلدت في اليمن وتعيش وتعمل في هولندا. تركز في أعمالها على الذاكرة والهجرة والأرشيف العائلي وأسئلة الانتماء، وتمزج أعمالها بين الوثائقي والشاعري. هذه الصورة جزء من كتابها "كيف سنحيّي الشمس"، الذي يتتبع المشهد العاطفي للنساء المهاجرات في أوروبا، عبر مسار بصري يعيد التفكير في الذاكرة والذات والمنفى.

سياسات عربية

SIYASAT ARABIYA

العدد 77 – المجلد 13 – تشرين الثاني/ نوفمبر 2025
Issue 77 - Volume 13 - November 2025

دورية محكّمة تُعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية
A Bimonthly Peer Reviewed Journal of Political Science and International Relations

لا تعبِّر آراء الكُتَّاب بالضرورة عن اتِّجاهات يتبنَّاها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" أو "معهد الدوحة للدراسات العليا" أو دورية "سياسات عربية"

جميع الحقوق محفوظة لمعهد الدوحة للدراسات العليا
والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

DOHA INSTITUTE
FOR GRADUATE STUDIES
معهد الدوحة للدراسات العليا

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA
العدد 77 - المجلد 13 - تشرين الثاني/ نوفمبر 2025
Issue 77 - Volume 13 - November 2025

Articles 7 دراسات

Mohammad R. Kalantari
The Security Dilemma of Influence: Shi'i Transnationalism and the Limits of Iranian Foreign Policy 9
محمد كلانتاري
معضلة أمن النفوذ: العقيدة الشيعية العابرة للحدود الوطنية وحدود السياسة الخارجية الإيرانية

Abdullah Rashid Al–Mursel
The 2023 Gaza War and U.S.– China Rivalry in the Red Sea and the Bab al-Mandeb Strait 26
عبد الله راشد المرسل
حرب غزة 2023 والتنافس الأميركي - الصيني في البحر الأحمر ومضيق باب المندب

Yara Nassar
Diaspora as a Political Sphere: Understanding the Emergence of Fatah in the Arab Gulf Countries 42
يارا نصّار
الشتات فضاءً سياسيًا: فهم نشأة حركة فتح في بلدان الخليج العربية

Feras Ali Qawasmeh
Settler Colonial Strategies in the West Bank: Between Elimination and Management 66
فراس علي القواسمي
استراتيجيات نظام الاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية: بين الإزالة والإدارة

Shaimaa Barakat
The Role of Civil Society Organizations in Supporting Youth Participation in Peacebuilding in Yemen 86
شيماء بركات
منظمات المجتمع المدني ودعم مشاركة الشباب في بناء السلام في اليمن

Translation 103 دراسة مترجمة

Joris Gort
Alex Loftus
Translated by Saja Torman

An Urban Political Ecology of Populism 105

يوريس غورت
أليكس لوفتوس
ترجمة سجى طرمان

نحو إيكولوجيا سياسية حضرية للشعبوية

Documentation 133 التوثيق

Milestones in Democratic Transition in the Arab World 1/9-31/10/2025 135

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 2025/10/31-9/1

Documents of Democratic Transition in the Arab World 1/9-31/10/2025 139

وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 2025/10/31-9/1

Palestine Over Two Months 1/9-31/10/2025 148

الوقائع الفلسطينية في المدة 2025/10/31-9/1

Book Reviews 153 مراجعات الكتب

Wajd Beshara

On Hyperconnectivity and its Discontents 155

وجد بشارة

عن الترابط الرقمي المفرط وخيباته

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية فكرية مستقلة، مختصة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، في جوانبها النظرية والتطبيقية، تسعى، عبر نشاطها العلمي والبحثي، إلى خلق تواصل في ما بين المثقفين والمتخصصين العرب في هذه العلوم، وبينهم وبين قضايا مجتمعاتهم، وكذلك بينهم وبين المراكز الفكرية والبحثية العربية والعالمية، في عملية تواصل مستمرة، من البحث، والنقد، وتطوير الأدوات المعرفية.

يتبنى المركز رؤية نهضوية للمجتمعات العربية، ملتزمة بقضايا الأمة العربية، والعمل على رقيها وتطوّرها، انطلاقًا من فهم أنّ التطور لا يتناقض مع الثقافة والهوية، بل إنّ تطوّر مجتمعٍ بعينه، بفئاته جميعها، غير ممكنٍ إلا في ظروفه التاريخية، وفي سياق ثقافته، وبلغته، ومن خلال تفاعله مع الثقافات الأخرى.

ومن ثمّ، يعمل المركز على تعزيز البحث العلمي المنهجي والعقلانية في فهم قضايا المجتمع والدولة، بتحليل السياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الوطن العربي. ويتجاوز ذلك إلى دراسة علاقات الوطن العربي ومجتمعاته بمحيطه المباشر، وبالسياسات العالمية المؤثّرة فيه، بجميع أوجهها.

وفي ضوء هذه الرؤية، يعمل المركز على تحقيق أهدافه العلمية الأساسية، عن طريق نشاطاته الأكاديمية المختلفة، فهو ينتج أبحاثًا ودراسات وتقارير، ويصدر كتبًا محكّمةً ودوريات علميةً، ويبادر إلى مشاريع بحثية، ويدير عدة برامج مختصة، ويعقد مؤتمرات، وورش عمل وتدريب، وندوات أكاديمية، في مواضيع متعلقة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، وموجّهة إلى المختصين، والرأي العام العربي أيضًا، ويساهم، عبر كل ذلك، في توجيه الأجندة البحثية نحو القضايا والتحديات الرئيسة التي تواجه الوطن والمواطن العربي. وينشر المركز جميع إصداراته باللغتين العربية والإنكليزية.

تأسّس المركز في الدوحة في خريف 2010، وله فرع يعنى بإصداراته في بيروت، وافتتح ثلاثة فروع إضافية، في تونس وواشنطن وباريس. ويشرف على المركز مجلس إدارة بالتعاون مع مديره العام المؤسِّس.

أسّس المركز مشروع المعجم التاريخي للغة العربية، وما زال يشرف عليه بالتعاون مع مجلسه العلمي، كما أسّس معهد الدوحة للدراسات العليا، وهو معهد جامعي تشرف عليه إدارة أكاديمية ومجلس أمناء مستقل يرأسه المدير العام للمركز.

يعمل في المركز باحثون مقيمون، وطاقم إداري. ويستضيف باحثين زائرين للإقامة فيه فترات محددة من أجل التفرّغ العلمي، ويكلّف باحثين من خارجه للقيام بمشاريع بحثية، ضمن أهدافه ومجالات اهتمامه.

The Arab Center for Research and Policy Studies is an independent social sciences and humanities institute that conducts applied and theoretical research seeking to foster communication between Arab intellectuals and specialists and global and regional intellectual hubs. The ACRPS achieves this objective through consistent research, developing criticism and tools to advance knowledge, while establishing fruitful links with both Arab and international research centers.

The Center encourages a resurgence of intellectualism in Arab societies, committed to strengthening the Arab nation. It works towards the advancement of the latter based on the understanding that development cannot contradict a people's culture and identity, and that the development of any society remains impossible if pursued without an awareness of its historical and cultural context, reflecting its language(s) and its interactions with other cultures.

The Center works therefore to promote systematic and rational, scientific research-based approaches to understanding issues of society and state, through the analysis of social, economic, and cultural policies. In line with this vision, the Center conducts various academic activities to achieve fundamental goals. In addition to producing research papers, studies and reports, the center conducts specialized programs and convenes conferences, workshops, training sessions, and seminars oriented to specialists as well as to Arab public opinion. It publishes peer-reviewed books and journals and many publications are available in both Arabic and English to reach a wider audience.

The Arab Center, established in Doha in autumn 2010 with a publishing office in Beirut, has since opened three additional branches in Tunis, Washington and Paris, and founded both the Doha Historical Dictionary of Arabic and the Doha Institute for Graduate Studies. The ACRPS employs resident researchers and administrative staff in addition to hosting visiting researchers, and offering sabbaticals to pursue full time academic research. Additionally, it appoints external researchers to conduct research projects.

Through these endeavours the Center contributes to directing the regional research agenda towards the main concerns and challenges facing the Arab nation and citizen today.

DOHA INSTITUTE
FOR GRADUATE STUDIES

معهد الدوحة للدراسات العليا

معهد الدوحة للدراسات العليا مؤسّسة أكاديميّة مستقلّة للتعليم العالي والأبحاث في العلوم الاجتماعية والإنسانية والإدارة العامّة واقتصاديات التنمية.

يهدف المعهد من خلال برامجه الأكاديمية ونشاطات أساتذته البحثية إلى تحقيق رسالته المتمثلة في المساهمة في تكوين جيلٍ جديدٍ من الأكاديميين والباحثين المستقلين فكريًا والمتمكّنين من المعايير العلمية العالميّة والأدوات البحثية المنهجية الحديثة القائمة على مبدأ تداخل التخصصات، ومن القادة المهنيين القادرين على الدفع قُدُمًا بالمعرفة الإنسانية والاستجابة إلى حاجات المنطقة العربية في سبيل التطوّر الفكري والاجتماعي والمهني.

ويسعى المعهد لتأسيس نواة لصرح فكري يفيد العالم العربي على نحو خاص. ويدعم المعهد البحوث العلمية التي تهتم بالقضايا العربية، في جوّ من الحرية المؤسسية والفكرية.

يعمل المعهد بالتعاون مع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعجم الدوحة التاريخي للغة العربية على فتح المجال لطلبته وأعضاء هيئته التدريسية للبحث في أهم القضايا الراهنة التي تتعلق بالعالم العربي والمجتمع الدولي. ويعتبر إشراك الطلبة في أهم المشاريع البحثية في صلب اهتمامات المعهد.

يعتمد المعهد اللغة العربية أداةً للبحث العلمي، ولغةً رسمية في الخطاب العام، ولغةً أساسية للتعليم والبحث. وتُعدّ اللغة الإنكليزية لغةً مرافقة في التعلّم والبحث العلمي. وتستعمل اللغتان في طرح المواضيع المختلفة ودراستها.

The Doha Institute for Graduate Studies (DI) is an independent institute for learning and research in the fields of Social Sciences, Humanities, Public Administration and Development Economics in Doha.

Through its academic programs and the research activities of its professors, the DI aims to achieve its mission of contributing to the formation of a new generation of academics and intellectually independent researchers who are proficient in international scholarship standards and modern interdisciplinary research methodologies and tools, and leading professionals who can advance human knowledge and respond to the needs of the Arab region, resulting in social, cultural and intellectual development.

The institute seeks to establish an intellectual hub that will benefit the Arab region in particular. The Institute supports academic research that deals with Arab issues, in an atmosphere of institutional and intellectual freedom.

The Institute works in cooperation with the Arab Center for Research and Policy Studies and the Doha Historical Dictionary of Arabic Language to facilitate its students and faculty members in their research of the most important current issues related to the Arab world and the wider international community. The involvement of students in the most important research projects is at the heart of the Institute's interests.

The Institute adopts Arabic as its official and primary language for education and research. English serves as an accompaniment to Arabic, with both languages used in presenting and research.

دراسات

Articles

المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/ZKKI7012
القبول Accepted
2025-10-20
التعديل Revised
2025-06-10
التسلم Received
2025-03-12

محمد كلانتاري | Mohammad R. Kalantari*

معضلة أمن النفوذ: العقيدة الشيعية العابرة للحدود الوطنية وحدود السياسة الخارجية الإيرانية

The Security Dilemma of Influence: Shi'i Transnationalism and the Limits of Iranian Foreign Policy

ارتكزت سياسة إيران الخارجية على التزام بالثورة الإسلامية القائمة على العقيدة الشيعية العابرة للحدود الوطنية، لتشكّل آليةً مركزيةً من أجل ضمان نفوذ إيران الإقليمي والحفاظ على هويتها ما بعد الثورة. غير أنّ التطوّرات الأخيرة، لا سيّما في إثر حرب حزيران/ يونيو 2025 مع إسرائيل، تُثير تساؤلات مهمّة بشأن استدامة هذه المقاربة. صحيحٌ أنّ دراسات عديدة تناولت السياسة الخارجيةَ الإيرانية القائمة على الهوية، إلّا أنّها لم تتطرّق على نحو كاف إلى مسألة التناقضات المزمنة التي تُولّدها هذه السياسة ضمن إطار أمن إيران الأنطولوجيّ، أو كيفيّة تشكيل هذه التناقضات سلوك إيران الإقليمي وتقييده في آن معًا. تقدم هذه الدراسة مقاربة نظرية لمأزق إيران بوصفه فخًا أنطولوجيا، تُنتج فيه الممارسات الروتينية للسياسة الخارجية القائمة على الهوية حالة مزمنة من انعدام الأمن بدلاً من ترسيخ الاستقرار. وتُقدّم الدراسة مفهوم معضلة أمن النفوذ، لبيان أنّ الشبكات العابرة للحدود الوطنية صارت تثير معارضة قومية، وترهق السردية السائدة في إيران والعراق ولبنان.

كلمات مفتاحية: السياسة الخارجية الإيرانية، الأمن الأنطولوجي، العقيدة الشيعية العابرة للحدود الوطنية، القومية، معضلة أمن النفوذ.

The Islamic Republic's foreign policy, grounded in a revolutionary commitment to Shi'i transnationalism, has long been viewed as a central mechanism for securing Iran's regional influence and post-revolutionary identity. Yet recent developments, most notably the June 2025 war with Israel, raise critical questions about the sustainability of this approach. While much scholarship has explored Iran's identity-driven foreign policy, less attention has been paid to the chronic contradictions it generates within Iran's ontological security framework, or how these contradictions both shape and constrain Iran's regional conduct. This study approaches the problem by theorising Iran's predicament as an ontological trap, a condition in which identity-affirming foreign policy routines produce chronic insecurity rather than stabilisation. It introduces the concept of a security dilemma of influence to explain how transnational networks (once strategic assets) now provoke nationalist contestation and narrative fatigue in Iran, Iraq, and Lebanon.

Keywords: Iranian Foreign Policy; Ontological Security; Shi'i Transnationalism; Nationalism; Security Dilemma of Influence.

* أستاذ مشارك في العلاقات الدولية للشرق الأوسط، ومدير مركز الدراسات الإسلامية ودراسات غرب آسيا، كلية رويال هولواي، جامعة لندن.
Associate Professor in International Relations of the Middle East and Director of Centre for Islamic & West Asian Studies, Royal Holloway, University of London.
Email: mohammadreza.kalantari@rhul.ac.uk

مقدمة

على الرغم من الوضوح الأيديولوجي، أصبحت السياسة الخارجية الإيرانية بعد الثورة الاسلامية مصدرًا لانعدام الأمن الأنطولوجي، بسبب الصرامة التي اتصفت بها ممارسات تعزيز الهوية الشيعية العابرة للحدود الوطنية التي لم تعد تتماشى والشعور الوطني. فقد أصبحت هذه الممارسات، التي كانت تشكّل سابقًا ضرورةً ثوريةً، فخًا للهوية، وهي متجذرة أساسًا في الممارسات الروتينية للمؤسسات، تعزّزها الالتزامات التي يتعهّد بها أنصار النظام الرئيسون في خطاباتهم. وكلّما صوّرت جمهورية إيران الإسلامية نفسها على أنها تتزعّم مقاومةً شيعيةً عابرة للحدود الوطنية، ساهمت في إثارة حفيظة شعبها وحثّت على انـدلاع مقاومة وطنية في الساحات نفسها التي تسعى للتأثير فيها. وقد تجلّت هذه الدينامية بوضوح خلال حرب حزيران/ يونيو 2025 مع إسرائيل؛ إذ أثبتت شبكات إيران العابرة للحدود الوطنية عدم فاعليتها إلى حدّ بعيد، وأصبح التماسك الوطني، بدلًا من التحالفات الإقليمية، العامل الحاسم في إدارة الأزمات. وترى هذه الدراسة أنّ الجمهورية الإسلامية واقعة فيما يمكن تسميته الفخ الأنطولوجي، حيث إنّ الممارسات الروتينية للسياسة الخارجية المصمّمة للحفاظ على تماسك الهوية تنتج، بخلاف ذلك، حالة مزمنة من عدم الاستقرار. ومن بين النتائج الجانبية الرئيسة لهذه الحالة ما يُمكن تسميته أيضًا معضلة أمن النفوذ؛ ذلك أنّ تعزيز القوة العابرة للحدود الوطنية يساهم في تقويض المرونة الاستراتيجية وشرعية الهوية داخليًا وخارجيًا.

من الناحية التاريخية، تعود جذور هذه الإشكالية إلى السنوات الأولى التي تلت قيام الجمهورية الإسلامية. ولم يتشكّل توجّه السياسة الخارجية الإيرانية، القائم على العقيدة الشيعية العابرة للحدود الوطنية، بفعل القناعة الأيديولوجية فحسب، بل بفعل الاستجابات للتهديدات الوجودية القوية. فبعيد ثورة 1979، واجهت البلاد عزلةً فرضها الغرب، وناصبتها الدول العربية المجاورة العداء، فضلًا عن خوضها حربًا ضروسًا مع العراق (1980–1988). لم تؤدِّ الحرب الإيرانية - العراقية إلى تعزيز هوية الجمهورية الإسلامية المقاوِمة فحسب، بل جعلت أيضًا التضامن الشيعي ضرورةً استراتيجية. وقد عزّز الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982 هذا التوجّه أكثر؛ إذ انخرط مسؤولون إيرانيون، فضلًا عن وحدات الحرس الثوري الإسلامي، على نحوٍ مباشر في عملية دعم حركات المقاومة الشيعية، وأدّوا دورًا رئيسًا في ترسيخ حزب الله بوصفه فاعلًا من غير الدول، يقوم دوره على الردع[1]. وخلال هذه الفترة التأسيسية، في أوائل ثمانينيات القرن العشرين، تلاقت العقيدة الثورية مع الضرورة البراغماتية. وقد ساهمت عملية تعبئة الشبكات الشيعية العابرة للحدود الوطنية في منح إيران عمقًا استراتيجيًا، ودورًا أخلاقيًا، بوصفها المدافعة عن المظلومين.

لكنّ سياسة إيران الخارجية، حتى خلال فترة التشكّل هذه، كشفت عن خللٍ بنيوي يكمن في ميلها إلى منح الأداء المعبّر عن الهوية الأولويةَ على حساب التكيّف الاستراتيجي. وقد ظهر هذا النمط جليًا خلال الحرب الإيرانية - العراقية، حينما لم تستفد إيران دبلوماسيًا من المكاسب الرمزية التي حقّقتها ميدانيًا[2]. فبدلًا من أن يجري النظام عملية إعادة تقييم، ضاعف من تمسّكه بالمقاومة، بوصفها ممارسةً روتينيةً أساسيةً تجسّد الهوية، معززًا عقيدةً بدأت تفقد أهميتها الاستراتيجية.

وأدّى اعتماد الجمهورية الإسلامية المستمرّ على هذا البردايم إلى توسّع الفجوة بين أداء الدولة الذي يعبّر عن هويتها من ناحية، ومشاعر سكّانها من ناحية أخرى. فلا يمكن اختزال الهوية الإيرانية في القومية الفارسية أو الأممية الإسلامية الشيعية؛ إذ إنها تتشكّل بفعل توازنٍ دقيق ومشروط تاريخيًا بين هذين القطبين. وقد شهد هذا الإرث المزدوج تقلّبات في ظلّ أنظمة مختلفة، إرثٌ يمتدّ من الثورة الدستورية الفارسية إلى الثورة الإسلامية عام 1979. واعتمدت الدولة البهلوية على النزعة القومية الإيرانية القائمة على الإرث ما قبل الإسلامي والحداثة العلمانية. أمّا الجمهورية الإسلامية، فسعت للتخلّي عن هذا البردايم من خلال ترسيخ إيران ضمن الأمة الإسلامية حاضنةً لها، وإظهار التضامن مع المسلمين المضطهدين خارج حدودها. غير أنّ النظامين ساهما في زعزعة هذا التوازن، بترجيح إحدى الهويتين على الأخرى. وإذا كان المسار الأول قد ساهم في اندلاع الثورة الإسلامية نفسها، فإنّ المسار الثاني قد أفضى الآن إلى تصدّع أنطولوجي، يُقوّض قدرة الدولة على توليد الشرعية المجتمعية.

لا يتجلّى هذا التصدّع الأنطولوجي في عملية صنع القرار النخبوي فحسب، بل يظهر أيضًا في الخطاب الشعبي. فعلى مدى العقدين

1 Augustus R. Norton, *Hezbollah: A Short History* (New Jersey: Princeton University Press, 2018), p. 23.

2 من الأمثلة البارزة على ذلك إطلاق إيران عملية الفجر في 8 شباط/ فبراير 1986 التي أدّت إلى الاستيلاء على شبه جزيرة الفاو الاستراتيجية. وقد أتاح هذا النجاح الميداني فرصةً لممارسة الضغط الدبلوماسي. وفي تموز/ يوليو 1987، اعتمد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بالإجماع القرار 598، الذي دعا إلى وقف فوري لإطلاق النار. غير أنّ إيران رفضت ذلك. وبعد عام، استعاد العراق – بدعم من القوى الغربية – شبه جزيرة الفاو، واضطرت إيران إلى قبول القرار نفسه بشروط أضعف كثيرًا. ينظر:
Pierre Razoux, *The Iran-Iraq War*, Nicholas Elliott (trans.) (Cambridge: Harvard University Press, 2015), p. 354; Mohammad R. Kalantari, "The Media Contest during the Iran–Iraq War: The Failure of Mediatized Shi'ism," *Media, War & Conflict*, vol. 15 (2022), p. 391.
ويشكّل هذا الحدث مثالًا واضحًا على فشل إيران المتكرّر في تحويل الانتصارات الرمزية أو العسكرية إلى مكاسب جيوسياسية دائمة.

الماضيين، شكّكت حركات الاحتجاج في إيران، عدّة مرات، في شرعية التزامات الدولة العابرة للحدود الوطنية. ولم تنتقد شعارات، مثل "لا غزة ولا لبنان.. أضحي بحياتي من أجل إيران"، تشابكات إيران الإقليمية فحسب؛ بل أعادت أيضًا تأكيد مطالب وطنية بدولة ترتكز على السيادة والرفاه المادي والمساءلة المحلية[3]. لا ترفض هذه القومية الشعبية الناشئة العقيدة الشيعية نفسها، بل إنها تنبذ استغلال العقيدة الشيعية العابرة للحدود الوطنية مبرّرًا للمعاناة الاقتصادية والقمع السياسي أيضًا. وتطالب القومية الشعبية بهويةٍ تنافس تلك التي تعتمدها الدولة: أي هوية تصوّر إيران بوصفها دولةً قومية، بدلًا من كونها مركزًا لمشروع عالمي للمقاومة. ويعكس التنافر المتزايد بين الأداء الذي يعبّر عن هوية الجمهورية الإسلامية وتصوّر الشعب لذاته، حالة مزمنة من انعدام الأمن الأنطولوجي. ولا ينشأ هذا الوضع بسبب التهديدات الخارجية فحسب، بل أيضًا بسبب التناقضات الداخلية بين ادعاءات النظام الأيديولوجية والواقع الذي يعيشه شعب إيران.

تُقدّم هذه الدراسة مساهمةً نظرية وتشخيصية؛ فهي تساهم، من الناحية النظرية، في الأدبيات المتعلقة بالأمن الأنطولوجي من خلال توسيع إطار النقاشات بشأن الممارسات الروتينية التي تعبّر عن الهوية وانعكاساتها[4]. وقد تناولت عدّة دراسات الجهود التي تبذلها الدول للحفاظ على هويتها من خلال ممارسات السياسة الخارجية الروتينية[5]، وتطرّقت إلى تحفيز فترات الأزمات إعادةَ التشكّل الواعي للهوية[6]. ومع ذلك، فهي لم تُعِرْ أهمية إلى الحالات التي تتسبّب فيها الممارسات الهادفة إلى توفير الأمن الأنطولوجي تنافرًا مستمرًا. أُشير إلى هذه الحالة من خلال مصطلح "الفخ الأنطولوجي" Ontological Trap. في حالة إيران، لا يزال هذا الفخّ قائمًا بسبب عجز النظام عن إعادة تقييم دوره، بوصفه قوة شيعية عابرة للحدود الوطنية، حتى مع عدم توافق هذه الهوية على نحو متزايدٍ مع المشاعر الوطنية والمصالح المادية. وليست النتيجة أزمة هوية عارضة، بل حالة بنيوية تُقوّض فيها ممارساتُ السياسة الخارجية الاستقرارَ الذي يُفترض أن تضمنه.

يطرح هذا التحليل أيضًا مفهوم "معضلة أمن النفوذ" Security Dilemma of Influence؛ إذ يستعرض شكلًا جديدًا من التشابك الجيوسياسي الذي تواجهه الدول الملتزمة أيديولوجيًا. تناول مفهوم معضلة الأمن الكلاسيكية مخاطر التهديدات التي يسيء الفاعلون ذوو السيادة فهمها. أمّا هذا الشكل الجديد، فيُسلّط الضوء على مفارقة مختلفة؛ هي أنّ توسّع النفوذ العابر للحدود الوطنية من خلال الشبكات القائمة على الهوية قد يؤدي إلى حالة من انعدام الأمن، وذلك عبر تآكل الشرعية الوطنية وإثارة ردود فعل إقليمية عنيفة. وفي حالة إيران، لم يؤدّ انخراطها المتزايد في العراق ولبنان واليمن إلى تحالفات دائمة، ولم يُكسبها عمقًا استراتيجيًا. على العكس، لقد أفضى هذا الانخراط إلى قوة موازنة لدى المنافسين الإقليميين، وأشعل مقاومة وطنية داخل مناطق نفوذها. وعلى الصعيد المحلي، فشلت هذه الاستثمارات في السياسة الخارجية في تحقيق مكاسب اقتصادية أو سياسية، بل على العكس من ذلك، عزّزت تصوّرًا عامًا مفاده أنّ الدولة تعمل في خدمة مشروع أيديولوجي منفصل باطّراد عن الاحتياجات الشعبية.

تبدأ الدراسة بمراجعة نقدية لأدبيات الأمن الأنطولوجي وأهميتها في الحالة الإيرانية، متتبّعةً التشكّل التاريخي لممارسات الهوية الشيعية العابرة للحدود الوطنية في إيران خلال السنوات التأسيسية للجمهورية الإسلامية. ومن ثم، تتناول مظاهر تنافر الهوية على المستوى المحلّي، مع التركيز على نحوٍ خاص على صعود القومية الشعبية وشرعية الممارسات الروتينية للسياسة الخارجية الإيرانية المتنازع عليها. ومن هنا، تُبلور الدراسة مفهومَي الفخ الأنطولوجي ومعضلة أمن النفوذ، بوصفهما أداتين تفسيريتين لفهم حالة عدم استقرار الهوية المزمنة في إيران. وتتناول الخاتمة آثار هذا النموذج على نطاق واسع، مشيرةً إلى أنّ انعدام الأمن الأنطولوجي في إيران ليس نتيجةً لفشل المقاومة، بل هو نتيجة لعجز الدولة عن التوفيق بين تصوّرها الثوري لذاتها والمطالب القومية المستمرة.

أولًا: الأمن الأنطولوجي وتنافر الهوية وحدود الممارسات الروتينية للسياسة الخارجية

أصبح مفهوم الأمن الأنطولوجي يشكّل إطارًا محوريًا في حقل العلاقات الدولية لفهم كيف تسعى الدول للمحافظة على هويتها

3 Murat Cingöz et al., "Iran's Axis of Resistance through the Lens of Ontological Security," *Third World Quarterly*, vol. 45 (2024), pp. 1963-1980.

4 ينظر مثلًا:
Adham Saouli, "Identity, Anxiety, and War: Hezbollah and the Gaza Tragedy," *Almuntaqa*, vol. 7, no. 1 (2024), pp. 99-114.

5 Jennifer Mitzen, "Ontological Security in World Politics: State Identity and the Security Dilemma," *European Journal of International Relations*, vol. 12 (2006), pp. 341-370.

6 Catarina Kinnvall & Jennifer Mitzen, "Anxiety, Fear, and Ontological Security in World Politics: Thinking with and beyond Giddens," *International Theory*, vol. 12 (2020), pp. 240-256; Karl Gustafsson & Nina C. Krickel-Choi, "Returning to the Roots of Ontological Security: Insights from the Existentialist Anxiety Literature," *European Journal of International Relations*, vol. 26 (2020), pp. 875-895.

إلى جانب بقائها. ورأى الباحثون، استنادًا إلى أعمال عالم الاجتماع البريطاني، أنتوني غيدنز Anthony Giddens، أنّ الدول - مثلها مثل الأفراد - تعتمد على علاقات روتينية، بما فيها العلاقات العدائية، للحفاظ على شعور مستقرّ بالذات. وتوفّر هذه العلاقات الروتينية إمكانية التنبؤ وتشكّلُ حدودًا معرفيةً في عالم يسوده اللايقين. وقد شدّدت المساهمة التأسيسية لأستاذة العلوم السياسية، جينيفر ميتزن، على أنّ الدول ليست فواعل عقلانية تسعى لتحقيق منفعة مادية فحسب، بل هي أيضًا فواعل أنطولوجية تسعى لتحقيق الاتساق في فهمهم لذواتهم[7].

سلّطت ميتزن الضوء على وظيفة الممارسات الروتينية التي تحقّق الاستقرار، إلّا أنّ الدراسات أظهرت لاحقًا بعض الخصائص المهمّة. وحاجّ عدد من الباحثين بأنّ التكرار لا يبدّد دائمًا حالة انعدام الأمن الأنطولوجي، بخاصةٍ عندما تنفصل الممارسات الروتينية عن السياقات المتغيرة[8]. صحيحٌ أنّ السلوك الروتيني قد يَحدّ من الشعور بالقلق Anxiety على المدى القصير، إلا أنه قد يُرسّخ أيضًا ردود فعل متصلّبة ضدّ أي تغيير. ويُميّز هؤلاء الباحثون بين عامل الخوف المرتبط بتهديدات محدّدة، والقلق الناجم عن عدم يقينٍ أنطولوجي قد يدفع الدول إلى تبني استراتيجيات صارمة، تتعلّق بالهوية في أدائها وإن كانت فارغة في جوهرها.

لاقى هذا النقد رواجًا، وبرزت سلسلة من النقاشات على نطاقٍ أوسع. تستعرض بعض المساهمات كيف تتعامل الدول مع التناقضات ومسألة تصدّع الهوية. فبدلًا من تخلّي الدول عن سردياتها الجوهرية، قد تعيد صوغها بصفة انتقائية، من خلال قمع عناصر معيّنة وإبراز عناصر أخرى[9]. وتطرح أدبيات أخرى مفهوم التنافر الأنطولوجي Ontological Dissonance، لشرح كيفية الحفاظ على أولويات الهوية غير المتوافقة بصورةٍ متزامنة، من خلال الغموض أو عدم التماسك الاستراتيجي أو تأخّر المصالحة[10]. ومن منظور أنطولوجي، ناقش باحثون كيف تُعطّل المواقف الحرجة، مثل الصدمات الجيوسياسية أو لحظات الاضطرابات أو الخسارة الرمزية، الممارسات الروتينية التي تعبّر عن الهوية وتفرض على الدول الانخراط في التأمل الذاتي في السرديات[11]. ومن هذا المنطلق، لا يُعدّ التنافر فشلًا بالضرورة، بل قد يصبح نمطًا للوجود.

وتُوسّع الدراسات ذات الصلة نطاق الأمن الأنطولوجي ليتجاوز تماسك السرديات ويشمل الأبعاد المؤسسية والوجدانية والرمزية؛ فالدول لا تكتفي بسرد روايات عن نفسها فحسب، بل تُجسّد أيضًا سيادتها من خلال ممارسات مكانية ومادية، مثل ضبط الحدود والشعائر الاحتفالية أو الأداء الدبلوماسي[12]. ويرى البعض أنّ هذه الممارسات تُساهم في تثبيت "شخصية الدولة" عبر ترسيخ الحدود والشرعية. وفي السياق نفسه، تُسلّط أبحاث أستاذ العلوم السياسية، برنت ستيل، الضوء على كيفية تشكيل العمليات التنظيمية، بما فيها ديناميات النخبة العسكرية والخطاب الذكوري، وإنتاج الأمن الأنطولوجي[13]. ويُنظر أيضًا إلى الإنكار التاريخي والقلق الثقافي وقمع الهوية على أنها تهديدات مستمرة، بخاصةٍ في سياقات ما بعد الإمبريالية أو ما بعد الاستعمار[14].

تُعدّ العمليات الثقافية اللاواعية اليوم جزءًا لا يتجزأ من كيفية تعامل الدول مع قلق الهوية. ويشير بعض الدراسات إلى أنّ وعي الدولة ينشأ من خلال ممارسات براغماتية ومتجذرة تاريخيًا ومتعدّدة الطبقات[15]. وتتناول دراسات أخرى دور السجلات

7 Mitzen, "Ontological Security in World Politics."

8 وعلى وجه الخصوص، ينتقد كينفال وميتزن ما وصفاه بـ "تحيّز الوضع الراهن" في نظرية الأمن الأنطولوجي. ينظر:
Catarina Kinnvall, "Globalization and Religious Nationalism: Self, Identity, and the Search for Ontological Security," *Political Psychology*, vol. 25 (2004), pp. 741-767; Catarina Kinnvall & Jennifer Mitzen, "Ontological Security and Conflict: The Dynamics of Crisis and the Constitution of Community," *Journal of International Relations and Development*, vol. 21 (2018), pp. 825-835.

9 Jelena Subotić, "Narrative, Ontological Security, and Foreign Policy Change," *Foreign Policy Analysis* (2016).

10 Amir Lupovici, "Ontological Dissonance, Clashing Identities, and Israel's Unilateral Steps towards the Palestinians," *Review of International Studies*, vol. 38 (2012), pp. 809-833.

11 Filip Ejdus, "Critical Situations, Fundamental Questions and Ontological Insecurity in World Politics," *Journal of International Relations and Development*, vol. 21 (2018), pp. 883-908.

12 Brent J. Steele, *Ontological Security in International Relations: Self-Identity and the IR State* (Abingdon: Routledge, 2008); Jennifer Mitzen & Kyle Larson, "Ontological Security and Foreign Policy," in: *Oxford Research Encyclopedia of Politics* (Oxford: Oxford University Press, 2017); Linus Hagström, "Great Power Narcissism and Ontological (In)Security: The Narrative Mediation of Greatness and Weakness in International Politics," *International Studies Quarterly*, vol. 65 (2021), pp. 331-342; Nina C. Krickel-Choi, "State Personhood and Ontological Security as a Framework of Existence: Moving beyond Identity, Discovering Sovereignty," *Cambridge Review of International Affairs*, vol. 37 (2024), pp. 3-21.

13 Brent J. Steele, "Organizational Processes and Ontological (in)Security: Torture, the CIA and the United States," *Cooperation and Conflict*, vol. 52 (2017), pp. 69-89.

14 Ayşe Zarakol, "Ontological (In)Security and State Denial of Historical Crimes: Turkey and Japan," *International Relations*, vol. 24 (2010), pp. 3-23; Ayşe Zarakol & Zeynep Gülsah Çapan, "Turkey's Ambivalent Self: Ontological Insecurity in 'Kemalism' versus 'Erdoğanism'," *Cambridge Review of International Affairs*, vol. 32 (2019), pp. 263-282.

15 ينظر:
Adam B. Lerner, "What's It like to Be a State? An Argument for State Consciousness," *International Theory*, vol. 13 (2021), pp. 260-286; Subotić.

الثقافية Cultural Repertoires والتسلسل الهرمي للمكانة، وحتى آليات الدفاع النفسية في تشكيل عملية الحفاظ على الهوية[16]. ووفقًا لهذه المنظورات، لا يُعدّ انعدام الأمن الأنطولوجي استجابة للصدمات الخارجية فحسب؛ بل قد يكون أيضًا متجذّرًا ومحتَضَنًا في البنية Embadded، ونتيجة لترسبات تاريخية Sedimented، ويُعاد إنتاجه من خلال ممارسات تبدو مستقرة لكنها تخفي تنافرًا أعمق.

برزت السياسة الخارجية الإيرانية بوصفها حالة اختبار حاسمة لهذه النقاشات[17]. وفي هذا السياق، تفسّر مجموعةٌ مهمّة من الدراسات سلوكَ الجمهورية الإسلامية ما بعد الثورة على أنه ليس سلوكًا استراتيجيًا فحسب، بل تراه أيضًا سلوكًا مرتبطًا من الناحية الأدائية بالهوية الثورية. ويقوم هذا السلوك على دعم فلسطين وقيادة جبهة المقاومة ومواجهة الولايات المتحدة الأميركية. وغالبًا ما تُعدّ سياسة إيران الإقليمية من أشكال سياسة المقاومة المتجذّرة في سرديات مناهضة الإمبريالية، والتضامن الشيعي، والتحدي الأخلاقي. وقد جرى تصوير برنامجها الصاروخي ودعمها للفاعلين من غير الدول، فضلًا عن موقفها النووي، على أنها تجسيدات رمزية للاستقلالية والصمود[18].

غير أنّ اتجاهًا بحثيًا ناشئًا بدأ يشكّك في الفرضية القائلة إنّ هذه الممارسات الروتينية، التي تعبّر عن الهوية، لا تزال تُنتج حالة من الطمأنينة الأنطولوجية. ويرى بعض الباحثين أنّ خطاب الهوية الذي تعتمده إيران قد ازداد تصلّبًا، بعد الانسحاب من خطة العمل الشاملة المشتركة؛ ما أدّى إلى تضييق حيّز التعددية الداخلية، وتهميش الرؤى الوطنية البديلة[19]. ويُظهر باحثون آخرون كيف تُقوّض القيود المادية والإنهاك العام، على نحو متزايد، سردية الدولة القائمة على المقاومة، ولا سيما مع عدم تلبية المطالب الاقتصادية والسياسية[20]. وينجم عمّا سبق اتساع الفجوة بين الإسقاط الرمزي والتجربة المعيشة. ويسلط المراقبون والباحثون أيضًا الضوء على التناقضات الداخلية بين مبادئ إيران الأيديولوجية واعتمادها البراغماتي على عقيدة المصلحة (النفعية)، بخاصةٍ فيما يتعلق بالالتزامات الإقليمية مثل قضية فلسطين[21]. وتكشف هذه الدراسات عن انقسام عميق بين الهوية الأخلاقية والمصلحة الوطنية؛ ما يعرقل تحقيق التماسك في أداء الدولة.

يبرز في الأدبيات نمطٌ أوسع، يتمثّل في التنافر بين الهوية والأداء. صحيحٌ أنّ السياسة الخارجية الإيرانية كانت تستمدّ سابقًا تماسكها من أسسها الثورية، إلّا أنها لم تعد تتماشى اليوم والمشاعر المحلية في الداخل والقبول الإقليمي في المنطقة. وتشير تحليلات حديثة إلى أنّ الممارسات ذاتها التي تهدف إلى ترسيخ دور إيران الأيديولوجي قد تُساهم في عدم استقرارها الاستراتيجي والأنطولوجي. وليس التناقض، في هذا الفهم، عارضًا أو مرحليًا، بل هو متجذّر بنيويًا في نظام هوية الجمهورية الإسلامية، ويستمرّ من خلال ممارسات يصعب إزالتها من دون تقويض السرديات التأسيسية التي يقوم عليها نظام الهوية نفسه.

ومع أنّ هذه التوترات باتت أشدّ وضوحًا، فإن تفسيرها في العديد من الدراسات الأكاديمية الحالية لا يزال يستند إلى منظور الضغوط الخارجية، أو التنافس النخبوي، أو الخلل المؤقت في وظائف النظام. ولم تبحث سوى دراسات قليلة في إمكانية أن يصبح انعدام الأمن الأنطولوجي في حدّ ذاته روتينيًا، تحافظ عليه ممارسات السياسة الخارجية التي لم تعد تضمن الهوية، لكنها لا يمكن التخلّي عنها بسهولةٍ أيضًا. في هذا السياق، قد تساهم الأدوات المفهومية المتعلّقة بالفخ الأنطولوجي ومعضلة أمن النفوذ في توضيح الديناميات المؤثّرة. وذلك لأنّ الفخ الأنطولوجي يجسّد استمرارية الممارسات الروتينية التي تعبّر عن الهوية، والتي تُنتج حالة عدم استقرار أكثر مما تُحدثه من تماسك؛ أمّا معضلة أمن النفوذ، فتسلّط الضوء على المفارقة التي يُؤدي فيها نشر الهوية العابر للحدود، الذي يهدف إلى تعزيز السلطة، إلى إضعاف الشرعية في الداخل والخارج.

تطوّر الأقسام التالية هذه المفاهيم، وتبدأ بفحص السنوات المبكرة التي تشكّلت فيها الجمهورية الإسلامية. وتُظهر الدراسة كيف

16 على سبيل المثال، ينظر:
John Cash, "Psychoanalysis, Cultures of Anarchy, and Ontological Insecurity," *International Theory*, vol. 12 (2020), pp. 306-321.

17 Morgan Thomas Rees, "Ontological (in)Security and the Iran Nuclear Deal—Explaining Instability in US Foreign Policy Interests," *Foreign Policy Analysis*, vol. 19 (2023), pp. orad013.

18 Maysam Behravesh, "State Revisionism and Ontological (in)Security in International Politics: The Complicated Case of Iran and Its Nuclear Behavior," *Journal of International Relations and Development*, vol. 21 (2018), pp. 836-857.

19 Fariborz Pirsalami, Arash Moradi & Hosein Alipour, "A Crisis of Ontological Security in Foreign Policy: Iran and International Sanctions in the Post–JCPOA Era," *Third World Quarterly*, vol. 45 (2024), pp. 531-547.

20 Murat Cingöz, "Iran's Palestinian Policy after Hamas' 7 October Attack," *MANAS Sosyal Araştırmalar Dergisi*, vol. 14 (2025), pp. 862-874.

21 على سبيل المثال، ينظر:
Hamoon Khelghat-Doost, "The Foreign Policy of Post-Revolutionary Iran: Expediency at the Crossroad of Supra-Nationalism and Sovereignty," *AUSTRAL: Brazilian Journal of Strategy & International Relations*, vol. 11 (2023); Nazife Selcen Pınar Akgül, "Iran's Sacred Duty: Advocating Palestine in the Face of National Identity Challenges," *İran Çalışmaları Dergisi*, vol. 8 (2024), pp. 309-333.

أصبحت هذه الممارسات الروتينية، التي تعبّر عن الهوية، متجذّرة في ممارسات الدولة الاستراتيجية، وتبيّن كيف أثبتت قدرتها على مقاومة عملية إعادة التقييم بمرور الوقت، وذلك من خلال تتبّع نشوء الالتزامات الشيعية الإيرانية العابرة للحدود الوطنية في مواجهة التهديدات الوجودية المبكرة.

ثانيًا: تشكّل الممارسات التي تعبّر عن الهوية الشيعية العابرة للحدود الوطنية في إيران ومأسستها

لم تنشأ هوية السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية مكتملةً عند تشكلها في عام 1979؛ إذ تطوّرت عبر ثلاث فترات حرجة، اتسمت كل منها بقيودٍ تاريخية وبنيوية وإقليمية متمايزة. بدأت هوية السياسة الخارجية الإيرانية رؤيةً ثورية تعبّر عن التضامن الإسلامي، لتتصلّب تدريجيًا وتتحوّل إلى سياسة خارجية قائمة على العقيدة الشيعية العابرة للحدود الوطنية. ومن ثمّ، ترسخت مؤسّسيًا، من خلال بنى الدولة، والممارسات الروتينية الاستراتيجية. ويتتبّع هذا القسم مسار هذا التطوّر، أي من العشرية الثورية التأسيسية، مرورًا بفترة إعادةِ تقييمٍ براغماتية، وصولًا إلى مرحلة ما بعد عام 2003 التي عُرفت بترسيخ دور إيران الإقليمي وتوسّع أمني وتصاعد ردود الفعل العنيفة على كل ذلك. وتبيّن الدراسة كيف أنّ ما بدا في البداية يشكّل استجابات تكيفيّة لعزلة جيوسياسية قد تحوّل إلى ممارسات جامدة تعبّر عن الهوية، تزامنت مع عائدات متناقصة باطّراد.

1. ترسيخ الثورة والسعي لتحقيق التضامن الإسلامي (1979–1989)

تأسس النظام الإيراني الجديد، بعد الثورة الإسلامية عام 1979، على أسسٍ أيديولوجية تلتزم بمشروع الصحوة الإسلامية، ومعاداة الإمبريالية، والتعبئة العابرة للحدود الوطنية. ولم يكن مبدأ تصدير الثورة، المنصوص عليه في المادة 154 من الدستور، عبارة عن خطابٍ فحسب، بل تجسّد مؤسسيًا في تشكيل الحرس الثوري الإسلامي، وضمنه، وحدة حركات التحرّر، المكلّفة بدعم الحركات الإسلامية في الخارج[22]. ومع ذلك، سرعان ما اصطدم هذا الطموح الساعي لتحقيق التضامن والوحدة الإسلامية بالسياسة الواقعية الإقليمية Realpolitik. فدعوات إيران إلى الوحدة الإسلامية قد قابلتها بالريبة الدول العربية السنية، التي انحاز العديد منها إلى العراق خلال الحرب العراقية - الإيرانية. وقد رسّخت الحربُ نفسُها، التي وصفتها إيران بالدفاع المقدس، إحساسَ الدولة باستثنائيتها الأنطولوجية، معززةً تصوّرها لذاتها بوصفها ضحيةً وفي طليعة الدفاع المقدس في آنٍ واحد[23].

تعزّز الطابع الطائفي في التوجّه الإيراني العابر للحدود الوطنية في إطار العزلة الدولية، وضرورات زمن الحرب. وقد دفع فشل التعبئة في سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية الأوسع، فضلًا عن موقف العراق القومي العربي، الخبراءَ الاستراتيجيين الإيرانيين إلى تطوير علاقات أعمق مع الحركات الشيعية في المنطقة. ولم يكن هذا المشروع قد صُمّم صراحةً بوصفه مشروعًا طائفيًا، ولكنه كان بمنزلة تحوّل من التضامن الإسلامي العالمي إلى التركيز على الجماعات Communities التي تشارك إيران نظرتها الدينية والسياسية. وقد منح الغزوُ الإسرائيلي للبنان عام 1982 إيرانَ فرصةً حاسمة. وذلك لأنّ نشر عناصر الحرس الثوري الإيراني في لبنان ودورهم في إنشاء حزب الله شكّلا خطوة أولى نحو مأسسةٍ مستدامة للتوسّع الإيراني العابر للحدود الوطنية. وههنا تلاقت الأيديولوجيا والاستراتيجية؛ إذ تناغم الدفاع عن شيعة لبنان ضد العدوان الإسرائيلي مع الروح الثورية، وساهم، في الوقت نفسه، في إنشاء بنية موالية بالوكالة خارج حدود إيران[24].

انتهت هذه المرحلة الأولى بوفاة آية الله الخميني عام 1989، والموافقة على قرار مجلس الأمن رقم 598، فضلًا عن نهاية الحرب الباردة. غير أنّ البُنى المؤسسية التي نشأت خلال هذا العقد، بخاصةٍ قوات فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني وعقيدة المقاومة، أرست أسس هوية سياسة خارجية متجذّرة في التعبئة الشيعية العابرة للحدود الوطنية. وما بدأ بوصفه ردَّ فعلٍ على الانكشاف الجيوسياسي أصبح عنصرًا أساسيًا في سجل أمن إيران الأنطولوجي الناشئ.

2. البراغماتية والاحتواء ومنطق الهوية الثنائي (1990–2003)

اتّسمت المرحلة الثانية من هوية السياسة الخارجية الإيرانية بتراجعٍ جزئيٍ عن النزعة الحدّية الأيديولوجية Maximalism. ففي عهد الرئيس هاشمي رفسنجاني (1989–1997)، أولت إيران عمليةَ إعادة الإعمار بعد الحرب والتطبيع الإقليمي الأهميةَ. واتجهت إدارته إلى إصلاح علاقاتها بالدول العربية المجاورة، بخاصةٍ بالمملكة العربية السعودية، إضافةً إلى إعادة توجيه السياسة الخارجية نحو التعافي

22 Afshon Ostovar, *Vanguard of the Imam: Religion, Politics, and Iran's Revolutionary Guards* (Oxford: Oxford University Press, 2018), p. 43.

23 Kalantari.

24 Mohammad R. Kalantari, *The Clergy and the Modern Middle East: Shi'i Political Activism in Iran, Iraq and Lebanon* (London: Bloomsbury, 2021), p. 142.

الاقتصادي والاستقرار الداخلي[25]. صحيحٌ أنّ إيران تمسّكت بخطاب المقاومة، ولا سيما فيما يتعلّق بإسرائيل والولايات المتحدة، إلّا أنّ خطاب تصدير الثورة خفّت حدّته. واتصفت نبرتها الدبلوماسية في هذه المرحلة بالبراغماتية، لا بإبراز نزعتها التوسعية.

واستمرّت مرحلة إعادة التقييم هذه في عهد الرئيس محمد خاتمي (1997-2005)، الذي تبنّى موقفًا تصالحيًا أكثر تجاه الغرب، واعتمد لغة الحوار والتعددية الحضارية. وقد جسّدت مبادرة "الحوار بين الحضارات" محاولةً لإعادة صوغ هوية إيران، لا بوصفها دولةً ثورية معزولة، بل بوصفها فاعلًا عقلانيًا ضمن النظام الدولي، وثريًا من الناحية الحضارية. وسعت إدارة خاتمي أيضًا لتخفيف حدّة التوترات مع أوروبا، وإجراء مفاوضات بشأن القضايا النووية، فضلًا عن إعادة بناء الثقة مع الشركاء الإقليميين[26]. غير أنّ هذه الجهود لم تُحقّق سوى نجاح جزئي. فقد لاقت مبادرات خاتمي ترحيبًا في بعض الأوساط، إلّا أنّ واشنطن غالبًا ما كانت تنظر إليها بعين الريبة، بخاصةٍ بعد تصنيف إيران جزءًا من "محور الشرّ" عام 2002.

وعلى الصعيد الداخلي، شهدت هذه المرحلة ترسيخًا لمنطق مزدوج ضمن هوية السياسة الخارجية الإيرانية. فكانت ثمة قومية براغماتية متمركزة حول الدولة تنتهجها السلطة التنفيذية المنتخبة من جهة، ومؤسسة أمنية - لا سيما الحرس الثوري الإسلامي - ظلت ملتزمة بالهوية الثورية التي تشكّلت في العقد الماضي من جهةٍ أخرى. لم تكن هذه الازدواجية مؤسسية فحسب، بل أنطولوجية أيضًا؛ إذ عكست توترات لم تُحلّ بعد بشأن إن كانت إيران ستكون دولة قومية تعمل لمصلحتها الخاصة، أم محورًا لمقاومة إسلامية شيعية عابرة للحدود الوطنية. صحيحٌ أنّ نشاط فيلق القدس كان معلّقًا نسبيًا خلال هذه الفترة، إلّا أنه حافظ على الاتصالات وشبكات النفوذ الإقليمية، على نحو ممهّد للتعبئة في المستقبل[27].

شكّل الغزو الأميركي للعراق عام 2003 نهايةً لهذه المرحلة. فقد أدّى إلى انهيار خصم إقليمي رئيس، وأحدث تغييرًا جذريًا في بنية الأمن الإقليمي. ومع وقوع كل من أفغانستان (2001) والعراق (2003) تحت الاحتلال الأميركي، وجدت إيران نفسها محاصرةً، ولكن توافرت لها أيضًا فرص جديدة. ففي الوقت الذي تفككت فيه الدولة العراقية، برز فيلق القدس بوصفه أداةً رئيسة لتوسيع النفوذ الإيراني من خلال الميليشيات الشيعية والرعاية السياسية للوكلاء. ومالت الازدواجية التي ميّزت هذا العقد على نحوٍ حاسم لمصلحة العقيدة الإقليمية التي يتبنّاها الحرس الثوري الإيراني. وطغى مشروع أمني عابر للحدود الوطنية على السياسة الخارجية البراغماتية التي شهدتها تسعينيات القرن العشرين؛ وهو مشروعٌ يهدف إلى إعادة ترتيب التوازن الإقليمي.

3. ترسيخ الدور الإقليمي والتمدد الاستراتيجي المفرط وتصدّع الهوية (2003–2023)

اتّسمت المرحلة الثالثة بالصعود والتمدد المفرط. ففي أعقاب حرب العراق، وسّعت إيران حضورها الإقليمي بسرعة من خلال شبكات غير متماثلة. فقد دعمت تشكيل قوات الحشد الشعبي في العراق، ورسخت وجودها وعزّزت تحالفها مع حزب الله في لبنان، وقدّمت الدعم لجماعة أنصار الله (الحوثيون) في اليمن. وشكّل تدخل إيران في الحرب الأهلية السورية، بهدف الحفاظ على نظام بشار الأسد، التعبيرَ الأوضح عن هذه الاستراتيجية العابرة للحدود الوطنية من ناحية كثافة استخدام الموارد. وبرّرت طهران حملتها في سورية بأنها حملة ضد الإرهاب والدفاع عن محور المقاومة معًا[28]. ومع ذلك، شكّلت أيضًا نقطة تحوّل في كيفية النظر إلى إيران في المنطقة. صحيحٌ أنّ مواجهة حزب الله مع إسرائيل في حرب عام 2006 قد أثارت إعجابًا على الصعيد الإقليمي، إلّا أنّ القمع الوحشي للمتمرّدين السوريين بدعم من إيران وحزب الله أثار حفيظة العديد من الدوائر السنية، وأطلق جرس الإنذار في العواصم العربية[29].

وبمرور الوقت، أصبحت التزامات إيران العابرة للحدود الوطنية وواسعة النطاق أكثر أمنةً وشخصنة وأكثر اعتمادًا على السلطة الميدانية لفيلق القدس. وبرز الجنرال، قاسم سليماني، لا بوصفه الرأسَ المدبّر لاستراتيجية إيران الإقليمية فحسب، بل أيضًا رمزًا لعزيمتها الثورية في أعين الجمهور. أمّا حضوره الميداني وصفاته الدبلوماسية، فضلًا عن مؤهلاته القيادية، فقد منحا الجمهورية الإسلامية عمقًا استراتيجيًا لا ينافسها فيه أي فاعل إقليمي آخر. غير أنّ هذا الاعتماد على سليماني قد أضفى طابعًا شخصانيًا أيضًا على هوية السياسة الخارجية الإيرانية التي بنتها إيران؛ إذ أصبح المشروع مرتبطًا على نحوٍ متزايد بشخصيته الكاريزمية وصدقيته. لذلك، لم يكن اغتياله، في

25 Ray Takeyh & Nikolas K. Gvosdev, "Pragmatism in the Midst of Iranian Turmoil," *The Washington Quarterly*, vol. 27, no. 4 (2004), pp. 33-56.

26 Shabnam Holliday & Edward Wastnidge, "Towards a Post-Imperial and Global IR?: Revisiting Khatami's Dialogue among Civilisations," *Review of International Studies*, vol. 51 (2025), pp. 159-178.

27 Mohsen M. Milani, *Iran's Rise and Rivalry with the US in the Middle East* (London: Oneworld, 2025), p. 74.

28 Rola El Husseini, "Hezbollah and the Axis of Refusal: Hamas, Iran and Syria," *Third World Quarterly*, vol. 31 (2010), pp. 803-815.

29 Christopher Phillips, *The Battle for Syria: International Rivalry in the New Middle East* (New Haven: Yale University Press, 2020), p. 159.

كانون الثاني/ يناير 2020، بمسيّرة أميركية، ضربةً تكتيكيةً فحسب، بل كان أيضًا بمنزلة قطيعة رمزية. فقد قوّض تماسك موقف إيران الردعي، ونجم عنه شعور عميق بالانكشاف الأنطولوجي Ontological Vulnerability، ولا سيّما لدى شرائح الرأي العام الإيراني التي ربطت اعتزازها الوطني بصورة شخصيته التي لا تُقهر[30].

كشفت السنوات التي تلت ذلك حدود النموذج الإقليمي الذي تتبنّاه إيران؛ فقد أدّت العقوبات، وتدهور الوضع الاقتصادي، وتنامي السخط الداخلي، إلى تآكل شرعية تكلفة السياسة الخارجية الإيرانية[31]. وفي العراق، اتسعت ردود الفعل الوطنية العنيفة ضد قوات الحشد الشعبي؛ وفي لبنان، قوّض الانهيار الاقتصادي والشلل السياسي صورة حزب الله بوصفه قوةَ استقرار. واعتمدت القيادة الإيرانية، التي تعاني أصلًا ضغوطًا داخلية، على الأفعال الرمزية بصفة متزايدة، مثل إحياء ذكرى سليماني، للحفاظ على شعور بالاستمرارية الثورية[32]. ولم يكن هذا الاعتماد على الممارسات الروتينية العاطفية والتأبينية، التي تعبّر عن الهوية، دليلًا على القوة، بل كان دليلًا على الإنهاك. ومع تراجع قدرة إيران على الحفاظ على تحالفاتها من الناحية المادية، باتت تعتمد أكثر فأكثر على شعائر المقاومة لإخفاء هشاشة موقفها.

أصبحت هذه الهشاشة واضحةً بعد عملية طوفان الأقصى التي نفذتها حركة المقاومة الإسلامية "حماس" ضدّ إسرائيل، في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023. فقد أدّى الردّ الإسرائيلي العنيف على العملية إلى انخراط محدود لحزب الله في الحرب. وأطاح اغتيال زعيم حزب الله الذي كان يتمتع بشخصية كاريزمية في 27 أيلول/ سبتمبر 2024 - قبل وقت قصير من إحياء الذكرى السنوية للحرب - الشريك الإقليمي الأقوى لإيران. وبخلاف اغتيال سليماني، الذي جرى تفسيره داخليًا على أنه استشهاد في مواجهة مع الغرب، أظهر هذا الحدث أنّ محور المقاومة تعرّض لانتكاسة استراتيجية. ولأول مرة منذ أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، اكتفت إيران بردّ فعل هشّ وغير متماسك على هذه النكسة. وغدت سياستها الخارجية، التي عرفت مدة طويلة بكونها سياسة متماسكة وصارمة، أقرب إلى أداءٍ فَقَدَ تماسكه وانسجامه مع التوقعات الإقليمية والمحلية المتقلّبة.

أمّا حرب إيران وإسرائيل، في حزيران/ يونيو 2025، فشكّلت نقطةَ تحوّلٍ حاسمة في مسار سياسة إيران الإقليمية، وفي اعتمادها على التحالفات العابرة للحدود الوطنية. صحيحٌ أنّ المزاعم العقائدية الراسخة أكّدت أنّ انخراط إيران في نزاعات مثل الحرب في سورية كان بهدف "محاربة الأعداء في الخارج لتفادي القتال في طهران"، إلّا أنّ تجربة حرب الاثنَي عشر يومًا أماطت اللثام عن القصور العملي لهذه الاستراتيجية[33]. ففي فترات الأزمات الحادة، لم يُقدّم حزب الله ولا وحدات الحشد الشعبي في العراق دعمًا فعّالًا لإيران. واتّسم رد فعل الجمهور داخل إيران بشعورٍ ملموسٍ بالمفاجأة وخيبة الأمل؛ إذ تزايدت التساؤلات في التعليقات على منصات التواصل الاجتماعي والنقاشات الخاصة بشأن صدقية محور المقاومة وقيمته بالنسبة إلى أمن إيران. وكشفت هذه الحرب مدى تآكل البنية التحتية لعملية التعبئة الشيعية العابرة للحدود الوطنية، من الناحيتين العملياتية والرمزية؛ ما دفع إيران إلى اعتماد مواردها الوطنية بصفة أساسية في لحظة تهديد وجودي[34].

وقد أدّى الأثر التراكمي لهذه الفترات الثلاث إلى مأسسة هوية السياسة الخارجية القائمة على التعبئة الشيعية العابرة للحدود الوطنية، والردع الأمني، والمقاومة الرمزية. وما بدأ بدافع الضرورة في ثمانينيات القرن العشرين تحوّل، مع مطلع الألفية الجديدة، إلى سلوكٍ مؤسّسٍ وروتيني، واستمرّ على هذا المنوال مع بداية عشرينيات القرن الحادي والعشرين إلى حدٍّ بعيد، نتيجة حالة الجمود البنيوي التي تعرقل إعادة تعريف الذات وأولوياتها. غير أنّ هذا السلوك الروتيني لم يكن محايدًا؛ إذ تضمّن ترسيخ فرضيات أنطولوجية ضمن ممارسات الدولة: فرضيات تتعلّق بهوية إيران Who Iran Is، والقضايا التي تدافع عنها What Iran Defends، والجهات التي تتزعّمها Whom Iran Leads. ومع تآكل صلاحية هذه الفرضيات، أصبحت الممارسات الروتينية التي تعبّر عن الهوية التي تدعمها إيران غير مستقرّة على نحو متزايد.

ثالثًا: التنافر الوطني وقدرة الشعب المحدودة على التحمّل

دأبت النخب الثورية في تصوير السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية، القائمة على الهوية، بوصفها أداةً ضروريةً لتحقيق الأمن الأنطولوجي؛ أي وسيلةً لضمان تماسك هوية إيران ما بعد الثورة

30 Peyman Eshaghi, "Mourners in Common: Qassem Soleimani, Mohammad Reza Shajarian, and the 'Pattern' of Iranian Culture," *Jadaliyya*, 22/11/2020, accessed on 12/12/2025, at: https://acr.ps/1L9BOXb

31 Narges Bajoghli, Vali Naṣr, Djavad Salehi-Isfahani & Ali Vaez, *How Sanctions Work: Iran and the Impact of Economic Warfare* (Stanford: Stanford University Press, 2024), p. 13.

32 Kjetil Selvik & Banafsheh Ranji, "Messaging Soleimani's Killing: The Communication Vulnerabilities of Authoritarian States," *International Affairs*, vol. 99 (2023), pp. 2465-2484.

33 "بیانات در دیدار جمعی از خانواده‌های شهدای مدافع حرم" ["تصريحات في اجتماع مع عائلات الشهداء المدافعين عن الضريح"]، **موقع الإمام الخامنئي**، 2016/1/25، شوهد في 2025/10/24، في: https://khl.ink/f/32186

34 "Iran's Axis of Resistance Was Meant to Be the Shias' NATO," *The Economist*, 3/7/2025, accessed on 4/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BP8w

وحتميتها واستمراريتها. ومع ذلك، وعلى الرغم من ثبات هذه الممارسات والإصرار عليها، يرى الكثير من الإيرانيين بصورةٍ متزايدة أنها منفصلة عن تجربتهم التاريخية وعن واقعهم المعاصر. وبعيدًا عن توفير الأمان والطمأنينة، تثير الممارسات الشيعية العابرة للحدود الوطنية التي ترعاها الدولة تناقضات داخلية، ولا تتوافق مع الوعي الثقافي والتاريخي المركّب لدى الجمهور. ويعكس هذا التنافر، الذي يتجلّى اليوم في حلقات متكررة من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية، سوءَ فهمٍ عميق، من جانب نخب الدولة في مرحلة ما بعد الثورة، لكيفية تحقيق الأمن الأنطولوجي والمحافظة عليه على المستوى الوطني.

قدّم السيد جواد طباطبائي (1945-2023)، أحد أبرز فلاسفة التاريخ السياسي في إيران، إطارًا مفهوميًا لا يزال يتّسم بأهميةٍ كبيرةٍ، يتيح فهم معضلات السياسة الخارجية المعاصرة للجمهورية الإسلامية. صحيحٌ أنّ المقاربة التي يعتمدها بشأن الهوية الإيرانية، والمستوحاة من فريدريش هيغل، لا تركّز على تقديم حلولٍ سياسية، إلّا أنه يستعرض رؤى مهمّة عن التنافر بين أيديولوجيا الدولة والوعي الوطني[35]. ويتمحور فكر الطباطبائي حول رفض ثنائية القومية (الإيرانية) والدين (الإسلامـي)، ويصوّر الهوية الإيرانية على أنها توليفة تاريخية من الجانبين، متجذّرة في تراث حضاري تعدّدي.

رأى طباطبائي، استنادًا إلى مفهوم "الوحدة في التعددية" عند هيغل، أنّ نظام إيران السياسي يشكّل نظامًا تاريخيًا قائمًا على الإشراك Inclusive، قادرًا على دمج الاختلافات الدينية واللغوية والإثنية في إطارٍ متماسك[36]. وقد شكّلت هذه التوليفة، التي نشأت للمرّة الأولى في عهد الإمبراطورية الأخمينية Achaemenid Empire ثمّ جرى تكييفها مع السياقات الإسلامية، صورة إيران الثابتة عن ذاتها. وتُجسّد نصوصٌ تأسيسية في كتب مثل **سير الملوك** *Khodaynameh* أو **كتاب السياسة** *Siasatnameh*[37]، كيف استوعب الحُكم الإيراني التعاليم الإسلامية من دون التخلص من التقاليد ما قبل الإسلامية[38].

في هذا السياق، يعكس توجّه الجمهورية الإسلامية نحو العقيدة الشيعية العابرة للحدود الوطنية تصدّعًا أكثر مما يشكّل أيّ استمرارية لما سبقه. فمن خلال إبراز هوية ثورية، تولي التضامن الأيديولوجي الأولوية على حساب الثقافة الوطنية، تُهمّش الدولة التوليفة الإيرانية التي حدّدها طباطبائي بوصفها محوريةً للشرعية السياسية الدائمة. إنّ اقتلاع العقيدة الشيعية من جذورها الفارسية، وإعادة تشكيلها أداةً للتعبئة الإقليمية، من شأنهما أن يقوّضا التوازن الحضاري بين القومية والدين الذي حافظ تاريخيًا على الهوية الإيرانية[39].

لقد عطّل كلٌّ من النظام الملكي البهلوي والجمهورية الإسلامية التوليفة بين القومية والدين التي تشكّل، بحسب طباطبائي، محورًا للهوية التاريخية الإيرانية. ففي عهد رضا شاه ومحمد رضا شاه، عزّزت الدولة قوميةً فارسية علمانية همّشت التقاليد والمؤسسات الدينية الإيرانية. وردًّا على ذلك، أعاد مثقفون مثل جلال آل أحمد وعلي شريعتي، في ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، التشديد على الإسلام بوصفه حجر الزاوية في الأصالة السياسية، وجمعا بين مناهَضة الإمبريالية والصحوة الدينية[40]. وقد عبّرت ثورة 1979 عن هذا التغيير من خلال المؤسسات؛ إذ استبدلت القومية العلمانية بمشروع أيديولوجي شيعي عابر للحدود الوطنية، يركّز على تصدير الثورة ودعم حركات المقاومة في جميع أنحاء المنطقة. ومع ذلك، ارتكبت الجمهورية الإسلامية الخطأ نفسه الذي ارتكبه النظام السابق باختزال التعددية الحضارية الإيرانية في قطب أيديولوجي واحد.

وبمرور الوقت، أصبح التزام الجمهورية الإسلامية بالعقيدة الشيعية العابرة للحدود الوطنية، المتجذرة مؤسسيًا في الحرس الثوري الإسلامي وأذرعه الإقليميين، منفصلًا بصفة متزايدة عن تجارب الشعب المعيشة وحساسياته الثقافية. وقد صاغت النخب هذه الالتزامات في السياسة الخارجية، بوصفها ضرورية لتحقيق الأمن الأنطولوجي، إلا أنها شكّلت، بالنسبة إلى الكثير من المواطنين، مصدرًا لعدم الاستقرار والتفكك والاغتراب الثقافي[41]. ولم تعكس المظاهرات العامة المظالم المادية فحسب، بل عكست أيضًا شعورًا أعمق بسوء الاعتراف بالهوية. وقد همّشت مساعي الدولة لتحقيق التماسك، من خلال المقاومة الأيديولوجية، التوازنَ التعدّدي الذي دعم تاريخيًا فهم إيران لذاتها.

35 Mehrzad Boroujerdi & Alireza Shomali, "The Unfolding of Unreason: Javad Tabatabai's Idea of Political Decline in Iran," *Iranian Studies*, vol. 48 (2015), pp. 949-965; Mostafa Bostani, "Exceptionalism and Nationalism in Contemporary Iranian Thought: A Study of Javad Tabatabai's Scholarship," *British Journal of Middle Eastern Studies* , vol. 52, no. 5 (2025), pp. 1079–1097..

36 Javad Tabatabai, *Mellat, Dowlat, va Hokumat-e Qanun* [Nation, State, and the Rule of Law], 3rd ed. (Tehran: Minoo-ye Kherad, 2020), p. 76.

37 ينظر: نظام الملك الطوسي، **سير الملوك أو سياست نامه**، ترجمه عن الفارسية يوسف بكار (بيروت: دار المناهل، 2007).

38 Javad Tabatabai, *Dibache-Ye Bar Nazariye-Ye Enhetat-e Iran* [An Introduction to the Theory of Iranian Decadence], 4th ed. (Tehran: Minoo-ye Kherad, 2020), p. 25.

39 Tabatabai, *Mellat, Dowlat, va Hokumat-e Qanun*, p. 158.

40 Javad Tabatabai, *Nazariye-Ye Hokumat-e Qanun Dar Iran: Maktab-e Tabriz va Mabani-Ye Tajaddodkhahi* [The Theory of Rule of Law in Iran: The Tabriz School and the Foundations of Modernist Thought], 3rd ed. (Tehran: Minoo-ye Kherad, 2020), p. 119.

41 Tabatabai, *Mellat, Dowlat, va Hokumat-e Qanun*, p. 268.

وفي صميم هذا الشعور المجتمعي المتزايد بخيبة الأمل، يكمن سوء فهم جوهري من جانب نخب الدولة للطابع التعددي والمستنير تاريخيًا للهوية الإيرانية، كما وصفها طباطبائي. وقد سعت الدولة، بدلًا من بلورة توليفة دقيقة بين القومية والإسلام الشيعي، لتحقيق التماسك من خلال التبسيط الأيديولوجي، معزّزةً المقاومة والتعبئة الثورية بوصفهما المؤشرين الـدالين على الهوية. صحيحٌ أنّ هذا التأطير قد حافظ على قوةٍ بلاغيةٍ في الخطاب الثوري، إلّا أنه أغفل عملية تشكّل الهوية المعقّدة داخليًا والمتعدّدة الأبعاد تاريخيًّا، وهو ما أكّده الفكر الإيرانيشهري[42]. ويرى طباطبائي أنّ الهوية الإيرانية وجدت تقليديًا "في داخلٍ هو في ذاته خارجٌ للعالم الإسلامي"، أي إنها مندمجة في الأطر الحضارية الإسلامية الأوسع ومتميزة منها في الوقت نفسه[43]. غير أنّ تبنّي الجمهورية الإسلامية فكرة التضامن الشيعي، العابر للحدود الوطنية، يضع إيران مباشرةً في قلب مشروع ثوري عابر للعالم الإسلامي Pan-Islamic؛ ما يطمس التوليفة الإيرانية الدقيقة التي شكّلت توازنًا تاريخيًا بين العناصر الدينية والوطنية.

علاوة على ذلك، يعكس هذا الاختلال فشلًا تواصليًا واسع النطاق. وبحسب ما أكدته أدبيات الأمن الأنطولوجي الحديثة، على الدول نقل سرديات هويتها بفاعلية إلى مجتمعها في الداخل للحفاظ على شرعيتها وتماسكها[44]. وفي السياق الإيراني، واجهت نخب الدولة صعوبات في هذا المجال الحيوي. فقد أدّت استراتيجياتها القائمة على التواصل، والتي تعتمد كثيرًا على الرمزية الثورية وسرديات الشهادة، إلى نفور متزايد لدى أفراد شرائح من السكان؛ إذ يرون أنّ هذه السرديـات منفصلة عن تجربتهم المعيشة ولا علاقة لها بفهمهم التاريخي لذاتهم. نتيجةً لذلك، وبدلًا من أن تُفضي هذه الممارسات إلى بلورة حالة من الأمان والطمأنينة، أي تأكيد الهوية الثورية للدولة من خلال ممارسات روتينية موجهة للمقاومة، دفعت نحو تعميق تصوّرات التناقض وعدم التماسك وتراجع الشرعية.

تكشف فجوة الاتصال هذه عن انعدامٍ للأمن الأنطولوجي أعمق مما أقرّت به الدولة علنًا. صحيحٌ أنّ صنّاع القرار النخبويين دأبوا في صوغ خياراتهم في السياسة الخارجية بوصفها أفعالًا ضروريةً للحفاظ على الهوية والمقاومة، إلّا أنّ الإيرانيين باتوا ينظرون على نحو متزايدٍ إلى هذه الأفعال على أنها تشكّل انتهاكات للهوية لا تأكيدًا لها. وتساهم رؤية طباطبائي الدقيقة لتَشكُّل الهويةِ الإيرانية في تفسير حدوث سوء الاعتراف بها. فمن خلال تجاهل ممارسات الدولة التوليفة المتجذّرة تاريخيًا، التي تتبنى القومية الإيرانية، فشلت في تحقيق التوافق مع الفهوم المحلية لكينونة الذات Selfhood. وبدلًا من تعزيز الهوية الوطنية، أفضت هذه الممارسات الثورية إلى إضعاف الهوية وتحويلها إلى مادة مثيرة للجدل أكثر؛ ما أدّى إلى نشوء حالة مزمنة من التنافر بين الهوية والأداء المرتبط بها.

إضافة إلى ذلك، لا يقتصر هذا التنافر على الساحة المحلية، بل إنّ صداه بدأ يتردّد إقليميًا؛ ما يساهم في تعقيد نفوذ إيران على نطاقٍ أوسع. ففي العراق، حيث أصبحت النزعة القومية أشد وضوحًا ومقاومةً للتدخل الخارجي، أثار استثمار إيران الأيديولوجي في التضامن الشيعي رد فعل قوميًا عنيفًا، بدلًا من ضمان تحالف استراتيجي دائم[45]. أمّا في لبنان، وعلى الرغم من أنّ المشاعر الوطنية أقل رسوخًا، فإنّ ارتباط حزب الله القوي بالهوية الثورية الإيرانية بات يثير انتقادات متزايدة، بخاصةٍ في ظلّ الانهيار الاقتصادي المتواصل والجمود السياسي المزمن. ومن ثمّ، فإن التباين بين ممارسات الدولة الإيرانية التي تعبّر عن الهوية والوعي بالهوية القومية يُضعف التماسك الداخلي ويقوّض الصدقية الإقليمية؛ إذ تفشل السردية الأيديولوجية التي تُوجّه السياسة الخارجية الإيرانية في مراعاة تنوّع المطالب القومية داخل حدودها وخارجها.

لا تنشأ حالة انعدام الأمن الأنطولوجي المعاصرة في إيـران عن التهديدات الخارجية، بقدر ما تنشأ عن التناقضات الداخلية المتجذرة في سوء فهم الدولة للهوية القومية وفي سوء تعبيرها عنها. وفي هذا الإطار، يطرح تصوّر طباطبائي للفكر الإيرانيشهري رؤية نقدية لهذه الدينامية، من خلال وضع توليفة القومية الإيرانية والعقيدة الشيعية أساسًا للهوية الإيرانية، بدلًا من تغيير مكانتها بطريقةٍ ثورية من خلال الالتزامات الأيديولوجية العابرة للحدود الوطنية. وعندما تنتهج نخب الدولة ممارسات السياسة الخارجية الروتينية، التي تفضّل النزعة الثورية العابرة للحدود الوطنية على حساب التعدّدية التاريخية، فإنها تعمّق التنافر الأنطولوجي. وتساهم الممارسات التي تهدف إلى تأكيد الهوية القومية، بدلًا من ذلك، في بلورة شعور مزمن بانعدام الاستقرار. ويكشف هذا التحوّل من الشعور بالطمأنينة إلى حالةٍ من التناقض عن ضعفٍ بنيويٍ أعمق داخل نظام الهوية في الجمهورية الإسلامية، ويُشير إلى حدود قدرة الشعب على التحمّل.

42 الفكر الإيرانيشهري Iranshahri هو منظومة فلسفية سياسية تعود جذورها إلى العصور ما قبل الإسلامية، وتستند إلى فكرة أنّ إيران ليست كيانًا جغرافيًا فحسب؛ بل هي فضاء حضاري قائم على وحدة معنوية تجمع بين الدين والسياسة والثقافة (المترجمة).

43 *Etemād Daily*, "*Tārīkh-e Jahān bā Īrān Āghāz Mī-shavad*" [World History Begins with Iran], no. 3921, 27 September 2017, Reporting on a lecture by Javad Tabatabai.

44 Alexandria Innes, "Accounting for Inequalities: Divided Selves and Divided States in International Relations," *European Journal of International Relations*, vol. 29 (2023), pp. 651-672.

45 Chantal Berman, Killian Clarke & Rima Majed, "From Victims to Dissidents: Legacies of Violence and Popular Mobilization in Iraq (2003–2018)," *American Political Science Review*, vol. 118 (2024), pp. 213-234.

رابعًا: الفخ الأنطولوجي ومعضلة أمن النفوذ

أنتجت التزامات إيران بالهوية الشيعية العابرة للحدود الوطنية، التي كانت تهدف إلى تعزيز التماسك الوطني والمكانة الإقليمية، وعلى نحوٍ متزايد، انكشافات استراتيجية وأنطولوجية على الصعيدين المحلي والإقليمي. وبدلًا من أن تساهم هذه الممارسات المأسسة في ترسيخ هوية إيران ما بعد الثورة، تحوّلت إلى فخٍ أنطولوجي؛ وأنتجت مفارقة تقيّد فيها الجهودُ المبذولةُ لتأكيد هوية الدولة المرونةَ الاستراتيجيةَ، وتثير ردود فعل عكسية من المجتمع الإيراني والدول المجاورة. وتتفاقم هذه الأزمة الداخلية المتمثلة في التنافر بين الأداء والهوية، بسبب معضلة أمنية خارجية في مجال بسط النفوذ؛ إذ يفشل نشر الأيديولوجيا المتزايد خارجيًا في ضمان الاعتراف أو الشرعية، ويؤدي بدلًا من ذلك إلى تعزيز المقاومة. وفي حين يشدّد الفخ الأنطولوجي على التكلفة الداخلية لعملية الحفاظ المتسرّعة على الهوية، تعبّر معضلة أمن النفوذ عن التداعيات الإقليمية لهذه الممارسات نفسها. ويكشفان معًا كيف أصبحت الممارسات الروتينية التي تعبّر عن الهوية في إيران عوامل تولّد عدم الاستقرار.

ويكمن في صميم هذا الفخ الأنطولوجي توتر بنيوي بين التزامات إيران الأيديولوجية العابرة للحدود الوطنية، وصعود تيارات قومية حازمة في البلدان التي مارست فيها إيران نفوذها. ويُعدّ العراقُ، الذي يُنظر إليه منذ مدّة طويلة على أنه يشكّل حجر الزاوية في عمق إيران الاستراتيجي منذ الغزو الأميركي عام 2003، المثالَ الأوضح لهذا التناقض. فقد بات العراقيون ينظرون على نحوٍ متنام إلى عملية تشكيل قوات الحشد الشعبي ومأسستها، والتي اكتسبت الشرعية في البداية تعبيرًا عن التضامن الشيعي والتعبئة ضد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعـش"، بوصفها انتهاكًا للسيادة الوطنية وعاملًا مساهمًا في تعميق التفكك الطائفي. ومع اكتساب القومية العراقية زخمًا، بخاصةٍ في أعقاب الاحتجاجات الجماهيرية التي بدأت في عام 2019، تحوّلت الميليشيات الموالية لإيران إلى نقاطٍ محوريةٍ للمعارضة المحلية. وبدلًا من تعزيز السلطة الإقليمية، أصبح وجود إيران يرمز إلى التوسّع الأجنبي المفرط؛ إذ يرى الكثيرون في العراق أنّ دورها يقتصر على تأمين مصلحتها الذاتية، ويؤدي إلى زعزعة الاستقرار[46]. وفي هذا السياق، تحوّل ما بدأ مشروعًا يهدف إلى تحقيق الطمأنينة الأنطولوجية العابرة للحدود الوطنية إلى مصدر للانكشاف الاستراتيجي ولردود الفعل العنيفة على الهوية.

ويُوضّح لبنان، وهو من ركائز محور المقاومة الذي تقوده إيران، ديناميةً موازيةً في تشكُّل هذا الفخ الأنطولوجي. فقد باتت شرعية حزب الله، المتجذّرة تاريخيًا في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، والتي تدعمها إيران بصفة متواصلة على الصعيدين الأيديولوجي والمادي، عرضةً لمساءلة داخلية متزايدة. وقد أدّى الانهيار الاقتصادي الطويل الأمد في البلاد، المصحوب بشللٍ سياسي غالبًا ما يجري ربطه بدور حزب الله في الحكومة، إلى تراجع مكانته بين المواطنين اللبنانيين. وبات ارتباطه الوثيق بمشروع إيران العابر للحدود الوطنية، الذي كان يُعدّ في السابق رمزًا للتضامن الإقليمي، يعزّز تصوّرات وجود تدخّل خارجي. ويرى الكثيرون في لبنان أنّ حزب الله لا يؤدّي دور حامي الوطن، بقدر ما يؤدّي دور فاعل بالوكالة؛ ما يقوّض سيادة الدولة اللبنانية ويعطّل مسار الإصلاحـات[47]. وفي هذا السياق، تحوّلت العلاقة التي كان من المفترض أن تشكّل استقرارًا أنطولوجيًا إلى عبء سياسيٍ؛ ما يُضعف نفوذ إيران الاستراتيجي ويُبدد رأسمالها الرمزي.

وقد ساهم في تفاقم هذا التراجع الإقليمي للشرعية حدثان رمزيان مهمّان، هما: اغتيال سليماني، واغتيال حسن نصر الله في أيلول/سبتمبر 2024. جسّدت هاتان الشخصيتان السلطة الكاريزمية الأساسية لسردية إيران المتعلّقة بالثورة العابرة للحدود الوطنية؛ إذ أدّتا دور الوسيط بين الرؤية الأيديولوجية والاستراتيجية الميدانية. وقد شكّل اغتيال سليماني ما يفوق النكسة التكتيكية؛ إذ عطّل قدرة إيران على اعتماد السردية التي تنصّبها حاميةً ثابتة للمجتمعات الشيعية الإقليمية. أمّا اغتيال نصر الله، فقد ساهم في تقويض تماسك هذه السردية، وأماط اللثام عن انكشاف بنية إيران الرمزية[48]. وفي غياب هاتين الشخصيتين، اتخذت ممارسات إيران لهوية إيران العابرة للحدود الوطنية طابعًا روتينيًا وشعائريًا على نحوٍ متزايد، يعتمد على الطقوس التأبينية التي تسعى لإحداث التأثير نفسه في الداخل أو الخارج.

ويُقدم تدخّل إيران في سورية مثالًا آخر على العبء الذي تمثّله الالتزامات الإقليمية القائمة على الهوية، ويحدّ من أمنها الأنطولوجي بدلًا من أن يعززه. لقد أصبح الكثيرون في العالمين العربي والإسلامي ينظرون تدريجيًا إلى دعم إيران لنظام الأسد على أنه طائفي وتوسّعي، بعد أن بررت تدخلها بأنه دفاعٌ عن المقدّسات الشيعية وردٌّ على تنامي التطرّف السني. وقد وضعت الخسائرُ البشرية والاقتصادية

46 Zahra Ali, "From Recognition to Redistribution? Protest Movements in Iraq in the Age of 'New Civil Society'," *Journal of Intervention and Statebuilding*, vol. 15 (2021), pp. 528-542.

47 Lina Khatib, "Hezbollah's State Capture in Lebanon," *Small Wars & Insurgencies*, vol. 36 (2025), pp. 637-658.

48 Aurélie Daher, "Hassan Nasrallah: Impact of a Leadership on Shiite Sectarian and National Political Cultures," *Middle East Critique* , vol. 34, no. 3 (2025), pp. 369-375.

التي خلّفها النزاع، إلى جانب وحشية نظام الأسد، إيرانَ في موقع المعتدي بدلًا من المدافع؛ ما أثار حفيظة الـدول على المستوى الإقليمي[49]. ومن ثمّ، أصبحت سورية رمزًا للفخ الأنطولوجي، حيث أدّت ممارسات إيران الروتينية التي تعبّر عن الهوية وتحافظ عليها، إلى تآكل سمعتها ووضَعَها في عزلةٍ إقليمية طويلة الأمد.

وتَظهر ديناميات مشابهة في البحرين واليمن، وإن كانت أقل محورية في حسابات إيران الاستراتيجية. ففي كلتا الحالتين، كثيرًا ما أضرّ الدعم الخطابي والمادي الذي قدّمته إيران للفاعلين الشيعة بصدقيتها، على الرغم من ارتكازه على سرديات المقاومة والتضامن. وقد استغلت الأنظمة الإقليمية هذا الانخراط الإيراني لنزع الشرعية عن المظالم المحلية، وتصوير المعارضة الداخلية بوصفها أداة تتلاعب بها قوى خارجية. ونتيجةً لذلك، وبدلًا من تجاوز الانقسامات الطائفية، ساهمت تدخلات إيران العابرة للحدود الوطنية في ترسيخ هذه الانقسامات في كثير من الأحيان؛ وهو ما قيّد من فاعلية قوتها الناعمة وكشف حدود سجلها الهوياتي.

في خضمّ هذه التحديات المتراكمة، تُبيّن مبادرات طهران الدبلوماسية، وأبرزها التقارب مع السعودية الذي حصل عام 2023، عن محاولةٍ لإعادة تقييم وضعها الإقليمي. لكن ليس واضحًا بعد إن كانت هذه الخطوات تنمّ عن مراجعةٍ ذاتية أنطولوجية حقيقية. وعلى الرغم من هذه المبادرات، لا يوجد ما يشير إلى أنّ القيادة الإيرانية قد أعادت النظر جذريًا في سرديات الهوية التي تُشكّل أساس سياستها الخارجية. فالخطاب الرسمي لا يزال يُولي المقاومةَ والتحدي الأيديولوجي الأولويةَ؛ ما يدلّ على مواصلة المسار نفسه، بدلًا من السعي لإحداث تغيير. وبحسب كينفال وميتزن، قد تعكس هذه الخطوات تكيّفًا تكتيكيًا أكثر منها إعادةَ تشكّلٍ نابعةً من مراجعةٍ ذاتية أعمق[50]. وقد تعمل هذه الجهود الدبلوماسية بوصفها مُسكّنات مؤقتة بدلًا من توفير حلولٍ مستدامة للخروج من الفخ الأنطولوجي، وذلك إن لم يحصل تغيير بنيوي في التزامات إيران الأنطولوجية.

يعكس الفخّ الأنطولوجي الذي تعيشه إيران إخفاقًا أعمق، على مستوى التواصل بشأن ممارساتها الهويّاتية. فبالنسبة إلى الدول التي تسعى لتحقيق الأمن الأنطولوجي، لا تعتمد فاعلية الممارسات المتعلّقة بالهوية على الاتساق فحسب، بل تشمل القدرة على إيصال سردياتها بطريقةٍ تُحدث صدًى محليًا ودوليًا في آنٍ واحد. وفي الحالة الإيرانية، تواجه السرديات الثورية، التي كانت يومًا ما تحوز قيمة رمزية فعّالة، صعوبةً متزايدة في تبرير الكيفية التي تتوافق بها تدخّلات إيران الإقليمية مع المصالح الوطنية أو مع متطلّبات الاستقرار الإقليمي. فقد غدت هذه السرديات، على نحوٍ متزايد، شعائريّةً وتكرارية ومنفصلة عن التحوّلات في التوقّعات المحلية والسياقات الإقليمية. ومن ثمّ، باتت الممارسات التي تعبّر عن الهوية، التي وجدت أساسًا لبث الطمأنينة، مصدرًا لما يمكن وصفه بإنهاكٍ ناجم عن أزمة الهوية؛ إذ باتت الأفعال الرمزية، التي كانت في السابق تُشكّل ركيزةً للتماسك الجمعي، تثير اليوم شعورًا بالخيبة وانعدام الأمن.

تُسلّط ديناميات حـرب الاثني عشر يومًا الضوء على قصور استراتيجيات الأمن الأنطولوجية التي تعتمد على الحرب بالوكالة، والردع عن بُعد. وقد روّج القادة الإيرانيون، طوال عقودٍ، للمنطق القائل إنّ التدخل العسكري في الخارج سينأى بالوطن عن النزاع المباشر. غير أنّ الحرب مع إسرائيل، في حزيران/ يونيو 2025، لم تكتفِ بخرق هذه الدفاعات الأمامية فحسب، بل بيّنت أيضًا ضعف محور المقاومة بوصفه ضامنًا لأمن إيران. وقد أدى فشل الشركاء الإقليميين في التدخل على نحوٍ فعّال إلى عملية إعادة تقييم، سواء في التصوّر العام لدى الشعب الإيراني أو في خطاب النخبة؛ وقد شهد الإيرانيون بأنفسهم قصور الممارسات الروتينية القائمة على الهوية التي ينتهجها النظام في سياسته الخارجية. ونشأت ظاهرة "الالتفاف حول العلم" سعيًا وراء البقاء الوطني، ولم تكن ثمرة للتعبئة العابرة للحدود الوطنية. بعد ذلك، حصل تحوّلٌ في خطاب الدولة، فتناول موضوعات الصمود والسيادة الإيرانيين، ليقرّ ضمنيًا بتآكل المنطق الأيديولوجي الذي استندت إليه ممارسات السياسة الخارجية السابقة.

يُفاقم هذا التدهور في التواصل مباشرةً ما يُمكن وصفه بمعضلة أمن النفوذ العكسية. فكلّما نشرت إيران هويتها الثورية عبر الشبكات الإقليمية بقدر أكبر من الحزم، استدرجت ردود فعل مضادة في الدول المجاورة والحركات القومية الواقعة ضمن نطاق نفوذها. وبدلًا من ترسيخ السلطة الإقليمية، يزيد هذا النشر المُكثّف للهوية من حالة انعدام الأمن، داخليًا وخارجيًا. وتنتج من ذلك حلقة تعيد إنتاج نفسها بنفسها: إذ تُفضي الجهود الرامية إلى تعزيز الأمن الأنطولوجي من خلال الممارسات التي تعبّر عن الهوية إلى ردود فعلٍ عكسيةٍ، تدفع إيران إلى مزيدٍ من التصلّب والتشدد في التعبير عن تلك الهوية. وتشكّل حلقة التفاعل بين تآكل الشرعية وتضخيم التأكيد على الهوية

49 Edward Wastnidge, "Iran and Syria: An Enduring Axis," *Middle East Policy*, vol. 24 (2017), pp. 148-159; Tarik Basbugoglu, "Syria: Understanding Assad's Unexpected Fall," *Political Insight*, vol. 16 (2025), pp. 22-25; Alireza Raisi, "Alliance and Sectarian Attitudes in the MENA: The Case of Arab Opinion towards Iran," *British Journal of Middle Eastern Studies*, vol. 52 (2025), pp. 228-250.

50 Kinnvall & Mitzen, "Anxiety, Fear, and Ontological Security in World Politics."

المركز البنيوي لعدم الاستقرار الاستراتيجي والأنطولوجي الحالي في إيران اليوم.

وفي نهاية المطاف، يكشف هذا الفخ الأنطولوجي هشاشةَ السياسة الخارجية القائمة على الهوية عندما تصبح صارمة؛ إذ تخفق في الاستجابة للسياقات المحلية والإقليمية الآخذة في التطوّر، وتعتمد على الأداء الرمزي أكثر مما تعتمد على البراغماتية التكيّفية. ويوضّح سعي إيران المستمر لتحقيق النزعة الثورية العابرة للحدود الوطنية، في بيئة إقليمية تتشكّل باطّراد من خلال الإصرار على الانتماء القومي وإعادة التقييم الاستراتيجي، كيف تتحوّل الممارسات الروتينية التي تعبّر عن الهوية، والتي كانت توفر في السابق طمأنينة أنطولوجية، إلى مصادر اضطراب بصفة متواصلة.

خاتمة: سوء الاعتراف بالهوية الوطنية وإعادة إنتاج الانكشاف الأنطولوجي

بيّنت هذه الدراسة أنّ مشروع السياسة الخارجية، القائمة على العقيدة الشيعية العابرة لحدود إيران الوطنية، أدّى إلى حالةٍ مزمنةٍ من التنافر المتعلّق بالهوية، الذي يقوّض كلًّا من شرعيتها الداخلية ونفوذها الإقليمي، مع أنّ هذا المشروع كان مُعدًّا في الأصل أداةً لتحقيق الأمن الأنطولوجي. ويعود أساس هذا التوتر إلى ما قدمته هذه الدراسة بوصفه فخًّا أنطولوجيًّا. وفي هذه الحالة، تعيد الدولة إنتاج المخاوف نفسها التي تسعى لتخفيفها، وذلك بالتوازي مع سعيها لتثبيت هويتها الثورية من خلال ممارسات روتينية تتجسّد بالتدخل الخارجي. وقد تحوّلت هذه الممارسات الروتينية التي تعبّر عن الهوية، والتي أثبتت فاعليتها في تعزيز التماسك، بعد الثورة خلال الحرب الإيرانية - العراقية وبعد الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982، إلى أدوات عقائدية متصلّبة لإثبات الذات. وبمرور الوقت، أصبح انسلاخها عن فهم الذات التاريخية والثقافية التعددية لدى الأمة الإيرانية أشد وضوحًا من أي وقت مضى. فبرز أحد أشكال الممارسات التي تعبّر عن الهوية التي لم تعد مصدرًا للطمأنينة، بل باتت تثير شعورًا بالاغتراب، والتي لم تعد تعني شيئًا؛ إذ أصبحت تعزّز الشعور بالاستلاب على نحو متزايد.

ليس هذا الفخ الأنطولوجي ظرفيًا ولا عابرًا، بل هو متجذّر في سوء تقدير بنيوي للهوية الإيرانية لدى دولة ما بعد الثورة. فبدلًا من الاعتراف بالتوليفة المركّبة، الإيرانية تاريخيًا والإسلامية ثقافيًا والشيعية سياسيًا، والتي تظهر دائمًا من خلال مصطلحات وطنية محددة، تعاملت الدولة مع الهوية بوصفها عنصرًا عقائديًا ثابتًا. وفشلت في تكييف هوية سياستها الخارجية لتتناسب والفهم الذاتي الذي يكتنف مواطنيها، وذلك بتفضيلها التعبئة العابرة للحدود الوطنية على حساب المصالحة الوطنية، وبتركيزها على الولاء لبردايم المقاومة على حساب تطوير سردية وطنية مشتركة. فليس العنصر الشيعي في حد ذاته هو الذي يُولّد التوتر، بل تجريد هذا العنصر من تركيبته الإيرانية، وإعادة صوغه عقيدةً فوق وطنية منفصلة عن المكان والثقافة والذاكرة. وهكذا، فإن الممارسات التي تعبّر عن الهوية، التي تُشكّل أساس السياسة الخارجية الإيرانية، لا تُؤدي إلى تراجع على الصعيد الجيوسياسي فحسب، بل إنها تُولّد أيضًا إنهاكًا أنطولوجيا داخليًا.

على الصعيد الداخلي، لم تتجلَّ هذه الحالة في لحظات الاضطرابات فحسب، بل في شعورٍ متواصل بالاستياء أيضًا؛ فالشعارات والمشاعر التي برزت في الاحتجاجات الشعبية، ليست ردود فعل على المصاعب الاقتصادية أو القمع السياسي وحدها، بل إنها عبّرت أيضًا عن استياء أعمق من كيفية تعريف الدولة لذاتها. ويكشف الانفصام المتكرر، بين السرديات التي توظفها الدولة والسرديات التي يتبنّاها الشعب، عن فشل في تكامل السرديات. وبحسب مصطلحات الأمن الأنطولوجي، لم تعد ممارساتُ الدولة الروتينيةُ تولّد تماسكًا عبر مستويات التعبير عن الهوية. فهي، بخلاف ذلك، تعمل بوصفها سيناريوهَين متوازيَين: تنفّذ الدولة أحدهما في حين يؤدي الشعب السيناريو الآخر، مع تقارب ضئيل في الأداء. ويسلّط هذا الصدع الداخلي الضوء على مفارقة الفخ الأنطولوجي. صحيحٌ أنّ الدولة تسعى لتأكيد هويتها، غير أنّ الوسائل التي تعتمدها تعيد إنتاج ظروف انعدام أمنها.

وعلى الصعيد الإقليمي، يُفضي هذا الفخ إلى ما وصفته هذه الدراسة بـمعضلة أمن النفوذ. ففي الوقت نفسه الذي تسعى فيه إيران لترسيخ نفوذها من خلال شبكات التوافق الأيديولوجي والدعم العسكري، ولا سيما في لبنان والعراق، فإنها تثير تعارض الآراء على الصعيد الوطني، وتُضعف التوافق، وتُقوّض شرعية حلفائها. وينشأ هذا المتغيّر الأنطولوجي من الإفراط في الالتزامات القائمة على الهوية، بخلاف المعضلة الأمنية التقليدية التي تتجذّر في التصعيد المادي وسوء الفهم الاستراتيجي. فمن خلال محاولة الجمهورية الإسلامية مأسسة هويتها الثورية من خلال الآخرين، فهي تولّد مقاومة لا تقتصر على الخصوم فحسب، بل تشمل أيضًا المجتمعات المحلية التي قد تبدو متوافقة مع رؤيتها للعالم. ونتيجة ذلك نفوذ واسع النطاق ولكن تأثيره ضعيف، يجري الحفاظ عليه بالإكراه والرمزية بدلًا من التجذّر الثقافي أو الهدف المشترك.

لم يتآكل النفوذ العابر للحدود الوطنية نتيجة تقلّبات جيوسياسية؛ إذ إنه يعكس استنفاد بردايم الهوية الذي لم يتطوّر. ويرمز اغتيال

سليماني ونصر الله إلى انهيار هذا البردايـم. فقد جسّد سليماني، كونه مهندس التمدد الإيراني على الصعيد الإقليمي، تماسك المقاومة بوصفها هويةً، وقد كشف اغتياله عن انكشافاتها الكامنة. أمّا اغتيال نصر الله، الذي يُعدّ على نطاقٍ واسع الشخصية الأكثر كاريزمية وانضباطًا في التعبير عن السردية الإيرانية، فقد شكّل المثال الفعّال الأخير الذي يعبّر عن هذا البردايم خارج حدود إيران. لم يتسبّب اغتياله في نكسةٍ تكتيكية فحسب؛ إذ كشف أيضًا عن تفكك رمزي لمشروع هوية إقليمية فقدَ تلقائيًا الهالة التي كانت تحيط به. وفي كلتا الحالتين، يتزامن ضعف تأثير السرديـات وتنامي الانتقادات المحلية والقومية لدور إيران الإقليمي، سواء خلال احتجاجات العراق أو من خلال الانهيار الاقتصادي في لبنان، أو ضمن عملية إعادة تقييم دور إيران في مرحلة ما بعد النزاع في سورية. وما كان يُنظر إليه سابقًا على أنه تضامن وقائي، بات يُصوّر اليوم على نحوٍ متزايدٍ على أنه توسّعٌ إمبريالي مفرط.

إنّ هذا التآكل الذي يتكشّف بالتوازي مع سعي إيران لاعتماد سياسة التقارب ومحاولتها إجراء عمليات إعادة تقييم دبلوماسية ليس بالأمر العابر؛ إذ تشير جميع الخطوات الرامية إلى استعادة العلاقات مع السعودية وتهدئة التوترات مع دول الخليج المجاورة، فضلًا عن إدارة المواقف الإقليمية بحذر أكبر، إلى وعي كامن لدى بعض النخب السياسية بتكلفة التمدد المفرط. غير أنه في غياب تحوّل جوهري في السردية، تظل عمليات إعادة التقييم هذه ردود فعل تكتيكية، لا ترقى إلى مستوى التحوّل البنيوي. صحيح أنّ إعادة التقييم هذه قد تعكس شكلًا من إدارة الأزمات، إلا أنها لا تعبّر عن عملية حقيقية لإعادة صوغ للهوية. فالممارسات الروتينية للدولة تظل على حالها، على الرغم مما قد يطرأ من ليونةٍ على شكلها، وهو نمط يعرّفه منظّرو الأمن الأنطولوجي بوصفه ميزة تتمتّع بها الدول التي تعاني أزمة في الهوية بصورة متواصلة[51].

والأهـم من ذلـك، تشير استمرارية هذا الفخ الأنطولوجي إلى محدودية السياسة الخارجية بوصفها أداةً للتماسك الداخلي؛ إذ لم تقتصر السياسة الخارجية الثورية الإيرانية على الأعداء الخارجيين أو الطموحات الإقليمية. فقد كانت منذ بدايتها تعويضًا عن التعبير عن الهوية الذي كان يهدف إلى ترسيخ نظام جديد وإضفاء الطابع المقدّس على أسسه العقائدية، فضلًا عن مواجهة التصدّع من خلال نشر صورة الاستمرارية. وقد شكّلت دعوتها للتعبئة الشيعية العابرة للحدود الوطنية رمزًا للمقاومة واستباقًا للمعارضة الداخلية. غير أنّ هذه السياسة الخارجية على مرّ الأيّام، واتساع الفجوة الثقافية والجيلية والتاريخية مقارنةً بعام 1979، ما عادا يوفّران الطمأنينة كما في السابق. فقد تصدّع التماسك الأنطولوجي الذي كانت قد تعهّدت به سابقًا؛ صحيح أنها أبقت على منطقها في الأداء، غير أنّ أثره الوجداني قد تلاشى. ويكمن الفخ في هذا الجمود المتمثّل في العجز عن النأي عن الممارسات الروتينية الثورية من دون إحداث المزيد من التصدّع، واستحالة الحفاظ عليها من دون تسريع وتيرة التأكل.

ومن ثمّ، لم ينجم انعدام الأمن الأنطولوجي لدى إيران، بالضرورة، عن إخفاق في السياسة الخارجية، بل جاء نتيجة سوء اعتراف بالهوية على المستوى الداخلي. وقد أدّى الفشل في إدراج السياسة الخارجية ضمن الهوية المُركّبة التي تحظى بها الأمة الإيرانية تاريخيًا، لا بوصفها ثنائيةً تجمع بين الإسلام والقومية، بل بوصفها استمرارية متشابكة بينهما، إلى حالةٍ أصبحت فيها ممارسات الهوية تولّد الاغتراب بدلًا من تحقيق التماسك. ويكشف الإطار الذي قدّمه طباطبائي، وإن لم تشارك فيه الدولة مباشرةً، ضمنيًا عن البديل؛ وهو تقليد لا تكون فيه الهوية أحاديةً أو صارمةً، بل متعدّدة الأبعاد وقابلة للتفاوض، ومتموضعة تاريخيًا. وقد زعزعت سياسةُ الدولة الخارجيةُ، بانحرافها عن هذه التوليفة، الأسسَ نفسها التي سعت للحفاظ عليها. ولهذا، تكمن المفارقة في أنّ ما شكّل في السابق مصدرًا للطمأنينة بات مصدرًا للتوتر. وما كان يومًا مشروعًا لتحقيق التماسك أصبح اليوم مصدرًا للتصدّع. وما كان يومًا سرديةً شاملةً للمقاومة أصبح اليوم وعلى نحوٍ متزايد بمنزلة تكرارٍ محدود لشعارات لم تعد مصدرًا للإلهام. وهكذا، فإن أزمة هوية الجمهورية الإسلامية لا تكمن في افتقادها الهوية، بل في إعادة إنتاج الذات من دون وعيٍ بها. وقد أبرزت تداعيات حرب الاثني عشر يومًا، أكثر من أي وقت مضى، الإنهاك البنيوي لبردايم السياسة الخارجية الإيرانية. صحيح أنه كان في الإمكان مواجهة لحظات الأزمات السابقة بدعوات للتضامن ولتعزيز المقاومة العابرة للحدود الوطنية، إلا أنّ تجربة المواجهة المباشرة مع إسرائيل كشفت هشاشة هذه التحالفات، وبيّنت ضرورة إعادة تركيز النزعة القومية الإيرانية بوصفها محورًا للشرعية السياسية والأمن الأنطولوجي. وإذا كانت الاستجابة لمطلب "الالتفاف حول العلم" ظاهرة عابرة، فإن الفخ الأنطولوجي باقٍ ومستمر. ولكن إذا ساهمت تلك الظاهرة في تحفيز عملية إعادة تفكير جوهرية في تنظيم العلاقة بين الأولويات الوطنية وتلك العابرة للحدود، فقد تُشكّل هذه الحرب بداية مرحلةٍ جديدةٍ في سعي الجمهورية الإسلامية لتحقيق الأمن وإعادة تعريف ذاتها والاعتراف بها.

51 Lupovici, "Ontological Dissonance"; Ejdus, "Critical Situations, Fundamental Questions."

المراجع

Behravesh, Maysam. "State Revisionism and Ontological (In)Security in International Politics: The Complicated Case of Iran and Its Nuclear Behavior." *Journal of International Relations and Development*. vol. 21 (2018).

Behrman, Chantal, Killian Clarke & Rima Majed. "From Victims to Dissidents: Legacies of Violence and Popular Mobilization in Iraq (2003–2018)." *American Political Science Review*. vol. 118 (2024).

Boroujerdi, Mehrzad, & Alireza Shomali. "The Unfolding of Unreason: Javad Tabatabai's Idea of Political Decline in Iran." *Iranian Studies*. vol. 48 (2015).

Bostani, Mostafa. "Exceptionalism and Nationalism in Contemporary Iranian Thought: A Study of Javad Tabatabai's Scholarship." *British Journal of Middle Eastern Studies* . vol. 52, no. 5 (2025).

Cash, John. "Psychoanalysis, Cultures of Anarchy, and Ontological Insecurity." *International Theory*. vol. 12 (2020).

Cingöz, Murat. "Iran's Palestinian Policy after Hamas' 7 October Attack." *MANAS Sosyal AraŞtırmalar Dergisi*. vol. 14 (2025).

Cingöz, Murat et al. "Iran's Axis of Resistance through the Lens of Ontological Security." *Third World Quarterly*. vol. 45 (2024).

Daher, Aurélie. "Hassan Nasrallah: Impact of a Leadership on Shiite Sectarian and National Political Cultures." *Middle East Critique*. vol. 34, no. 3 (2025).

Ejdus, Filip. "Critical Situations, Fundamental Questions and Ontological Insecurity in World Politics." *Journal of International Relations and Development*. vol. 21 (2018).

El Husseini, Rola. "Hezbollah and the Axis of Refusal: Hamas, Iran and Syria." *Third World Quarterly*. vol. 31 (2010).

Gustafsson, Karl & Nina C. Krickel-Choi. "Returning to the Roots of Ontological Security: Insights from the Existentialist Anxiety Literature." *European Journal of International Relations*. vol. 26 (2020).

Innes, Alexandria. "Accounting for Inequalities: Divided Selves and Divided States in International Relations." *European Journal of International Relations*. vol. 29 (2023).

Kalantari, Mohammad R. *The Clergy and the Modern Middle East: Shiʿi Political Activism in Iran, Iraq and Lebanon*. London: Bloomsbury, 2021.

_____. "The Media Contest during the Iran–Iraq War: The Failure of Mediatized Shiʿism." *Media, War & Conflict*. vol. 15 (2022).

Khatib, Lina. "Hezbollah's State Capture in Lebanon." *Small Wars & Insurgencies*. vol. 36 (2025).

Khelghat-Doost, Hamoon. "The Foreign Policy of Post-Revolutionary Iran: Expediency at the Crossroad of Supra-Nationalism and Sovereignty." *AUSTRAL: Brazilian Journal of Strategy & International Relations*. vol. 11 (2023).

Kinnvall, Catarina & Jennifer Mitzen. "Ontological Security and Conflict: The Dynamics of Crisis and the Constitution of Community." *Journal of International Relations and Development*. vol. 21 (2018).

_____. "Anxiety, Fear, and Ontological Security in World Politics: Thinking with and beyond Giddens." *International Theory*. vol. 12 (2020).

Kinnvall, Catarina. "Globalization and Religious Nationalism: Self, Identity, and the Search for Ontological Security." *Political Psychology*. vol. 25 (2004).

Rees, Morgan Thomas. "Ontological (In)Security and the Iran Nuclear Deal—Explaining Instability in US Foreign Policy Interests." *Foreign Policy Analysis*. vol. 19 (2023).

Saouli, Adham. "Identity, Anxiety, and War: Hezbollah and the Gaza Tragedy." *Almuntaqa*. vol. 7, no. 1 (2024).

Selvik, Kjetil, & Banafsheh Ranji. "Messaging Soleimani's Killing: The Communication Vulnerabilities of Authoritarian States." *International Affairs*. vol. 99 (2023).

Steele, Brent J. *Ontological Security in International Relations: Self-Identity and the IR State*. Abingdon: Routledge, 2008.

_____. "Organizational Processes and Ontological (In)Security: Torture, the CIA and the United States." *Cooperation and Conflict*. vol. 52 (2017).

Subotić, Jelena. "Narrative, Ontological Security, and Foreign Policy Change." *Foreign Policy Analysis* (2016).

Tabatabai, Javad. *Dibache-ye Bar Nazariye-ye Enhetat-e Iran [An Introduction to the Theory of Iranian Decadence]*. 4th ed. Tehran: Minoo-ye Kherad, 2020.

_____. *Nazariye-ye Hokumat-e Qanun Dar Iran: Maktab-e Tabriz va Mabani-ye Tajaddodkhahi [The Theory of Rule of Law in Iran]*. 3rd ed. Tehran: Minoo-ye Kherad, 2020.

Takeyh, Ray, & Nikolas K. Gvosdev. "Pragmatism in the Midst of Iranian Turmoil." *The Washington Quarterly*. vol. 27, no. 4 (2004).

Wastnidge, Edward. "Iran and Syria: An Enduring Axis." *Middle East Policy*. vol. 24 (2017).

Zahra Ali. "From Recognition to Redistribution? Protest Movements in Iraq in the Age of 'New Civil

Krickel-Choi, Nina C. "State Personhood and Ontological Security as a Framework of Existence: Moving beyond Identity, Discovering Sovereignty." *Cambridge Review of International Affairs*. vol. 37 (2024).

Lerner, Adam B. "What's It Like to Be a State? An Argument for State Consciousness." *International Theory*. vol. 13 (2021).

Lupovici, Amir. "Ontological Dissonance, Clashing Identities, and Israel's Unilateral Steps towards the Palestinians." *Review of International Studies*. vol. 38 (2012).

Milani, Mohsen M. *Iran's Rise and Rivalry with the United States in the Middle East*. London: Oneworld, 2025.

Mitzen, Jennifer. "Ontological Security in World Politics: State Identity and the Security Dilemma." *European Journal of International Relations*. vol. 12 (2006).

Norton, Augustus R. *Hezbollah: A Short History*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2018.

Ostovar, Afshon. *Vanguard of the Imam: Religion, Politics, and Iran's Revolutionary Guards*. Oxford: Oxford University Press, 2018.

Phillips, Christopher. *The Battle for Syria: International Rivalry in the New Middle East*. New Haven: Yale University Press, 2020.

Pirsalami, Fariborz, Arash Moradi, & Hosein Alipour. "A Crisis of Ontological Security in Foreign Policy: Iran and International Sanctions in the Post–JCPOA Era." *Third World Quarterly*. vol. 45 (2024).

Raisi, Alireza. "Alliance and Sectarian Attitudes in the MENA: The Case of Arab Opinion towards Iran." *British Journal of Middle Eastern Studies*. vol. 52 (2025).

Razoux, Pierre. *The Iran–Iraq War*. Nicholas Elliott (trans.). Cambridge: Harvard University Press, 2015.

Society'." *Journal of Intervention and Statebuilding*. vol. 15 (2021).

Zarakol, Ayşe. "Ontological (In)Security and State Denial of Historical Crimes: Turkey and Japan." *International Relations*. vol. 24 (2010).

Zarakol, Ayşe, & Zeynep Gülsah Çapan. "Turkey's Ambivalent Self: Ontological Insecurity in 'Kemalism' versus 'Erdoğanism'." *Cambridge Review of International Affairs*. vol. 32 (2019).

Received التسلم 2025-02-03 | Revised التعديل 2025-08-12 | Accepted القبول 2025-10-20 | DOI المعرف الرقمي https://doi.org/10.31430/MNBW6210

عبد الله راشد المرسل | Abdullah Rashid Al-Mursel*

حرب غزة 2023 والتنافس الأميركي – الصيني في البحر الأحمر ومضيق باب المندب

The 2023 Gaza War and U.S.– China Rivalry in the Red Sea and the Bab al-Mandeb Strait

تناقش هذه الدراسة كيف أدت حرب غزة، التي اندلعت بعد عملية "طوفان الأقصى" في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، إلى إعادة تشكيل ديناميات الأمن البحري والتنافس الجيوسياسي في البحر الأحمر، ولا سيما في مضيق باب المندب، عبر تفاعل معقّد بين القوى الكبرى وفاعلين من غير الدول. وتبين أن هجمات جماعة أنصار الله "الحوثيون" على السفن التجارية، تحت شعار إسناد غزة، حوّلت المضيق إلى بؤرة توتر عالمية كشفت هشاشة سلاسل الإمداد الدولية. وتكشف أن كل ذلك أدى إلى إعادة تفعيل التنافس الأميركي - الصيني في البحر الأحمر؛ إذ تبنّت الولايات المتحدة الأميركية مقاربة عسكرية - أمنية دعمًا لإسرائيل في حربها على غزة، وتأكيدًا لدورها في حماية المشاعات البحرية، في حين فضّلت الصين مقاربة حذرة تعتمد على النفوذ الاقتصادي، والامتناع المحسوب عن الانخراط العسكري، وضمان مرور سفنها عبر قنوات دبلوماسية غير معلنة. وتخلص الدراسة إلى أن البحر الأحمر بات يمثل فضاءً تتقاطع فيه هيمنة القوة البحرية الأميركية مع صعود القوة الاقتصادية الصينية، وتتزايد فيه قدرة فاعلين من غير الدول على التأثير في الأمن الإقليمي والعالمي.

كلمات مفتاحية: 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، حرب غزة، مضيق باب المندب، البحر الأحمر، القرن الأفريقي، هجمات الحوثيين، التنافس الأميركي – الصيني.

This study examines how the 2023 Gaza War reshaped maritime security dynamics and geopolitical rivalry in the Red Sea, particularly in the Bab al-Mandab Strait, through a complex interplay between great powers and non-state actors. It demonstrates that the Houthi (Ansar Allah) attacks on commercial vessels –framed as support for Gaza – transformed the strait into a global flashpoint that exposed the vulnerability of international supply chains. The study also shows how these developments reactivated U.S.–China rivalry in the Red Sea: the United States adopted a military–security approach in support of Israel's war on Gaza and to reaffirm its role as guarantor of the maritime commons, while China favored a cautious strategy centered on economic influence, calculated non-involvement in military operations, and securing the passage of its vessels through discreet diplomatic channels. The study concludes that the Red Sea has become a space where U.S. naval dominance intersects with China's rising economic power, and where non-state actors increasingly shape regional and global security.

Keywords: 7 October 2023, Gaza War, Bab al-Mandab Strait, Red Sea, Horn of Africa, Houthi Attacks, U.S.–China Rivalry.

* باحث دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة سوسة، تونس.

PhD researcher in political science, University of Sousse, Tunisia.

Email: almursel_aa@yahoo.com

مقدمة

يُعدّ البحر الأحمر وباب المندب من أهم الممرات البحرية الاستراتيجية في العالم؛ إذ تعبرهما يوميًا مئات السفن التجارية وناقلات النفط والغاز القادمة من الخليج العربي والمتجهة نحو أوروبا والولايات المتحدة عبر قناة السويس. وتقدّر الإحصائيات أن ما يقارب 10-12 في المئة من حجم التجارة العالمية يمر عبر هذا الممر الحيوي[1]؛ ما يجعله يكتسي أهمية حاسمة في النظام التجاري الدولي، ويجعله كذلك أحد فضاءات (انعدام) الأمن البحري العالمي. وقد جعلت هذه الأهمية البحر الأحمر، ومنه مضيق باب المندب، فضاءً يحتدم فيه التنافس الجيوسياسي بين القوى الإقليمية والدولية، لا ممرًا مائيًا فحسب.

وفي خضم حرب 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، تحوّل المضيق إلى مجال لأزمة متصاعدة، بعدما أعلنت جماعة أنصار الله "الحوثيون" في اليمن، بدعم من إيران، عن استهداف السفن المرتبطة بالكيان الإسرائيلي أو المتجهة إلى موانئه، في إطار ما وُصف بجبهة إسناد الشعب الفلسطيني. وقد أدى هذا التصعيد إلى شلل نسبي في حركة الملاحة الدولية عبر المضيق؛ إذ اضطرت شركات شحن كبرى إلى تغيير مساراتها نحو رأس الرجاء الصالح، وهو ما انعكس سلبيًا على تكاليف النقل وأسعار السلع، ودفع الولايات المتحدة إلى التدخل عبر عملية عسكرية مشتركة، سمّتها عملية حارس الازدهار Operation Prosperity Guardian، لتأمين الملاحة الدولية عبر البحر الأحمر. ومثّل هذا التدخل تعزيزًا لوجودها العسكري في المنطقة، في وقت اكتفت فيه الصين، على الرغم من القاعدة العسكرية التي تمتلكها في جيبوتي ضمن مبادرة الحزام والطريق، بموقف حذر يقوم على الدبلوماسية من دون الانخراط في مواجهة عسكرية مباشرة. وقد كشف هذا التباين في المواقف والسلوك الفارق بين المقاربة الأميركية القائمة على عسكرة الاستجابة، والمقاربة الصينية التي تفضّل إدارة المخاطر عبر النفوذ الاقتصادي والرمزية الدبلوماسية.

لم تقتصر الحرب بعد 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2003 على قطاع غزة، بل تمددت تدريجيًا لتصبح متعددة الجبهات، تشمل جنوب لبنان، ثم اليمن، إضافة إلى الحرب الجوية التي استمرت اثني عشر يومًا ضد إيران (13-24 نيسان/ أبريل 2024)، ثم بلغت حد شن غارة جوية محدودة على مدينة الدوحة في 9 أيلول/ سبتمبر 2025.

تركز هذه الدراسة على الجبهة اليمنية، نظرًا إلى تداعياتها المباشرة على الأمن البحري في منطقة البحر الأحمر ومضيق باب المندب، بوصفهما محورين استراتيجيين في شبكات التجارة العالمية ومتغيرين رئيسين في الإمدادات العالمية بالطاقة. وتسعى لفهم الكيفية التي أعادت بها حرب غزة إبراز هذا المضيق بوصفه فضاءً لاشتغال ديناميتين متشابكتين: الأولى تتمثل في أنه ممر تجاري عالمي حيوي، والثانية أنه مجال للتنافس الجيوسياسي، تتقاطع عبره مصالح قوى كبرى، خاصة الولايات المتحدة والصين، وأدوار فاعلين ما دون الدولة، خاصة حركة أنصار الله (التي سيطرت على مفاصل الدولة منذ أيلول/ سبتمبر 2014)، والتي تزايدت قدرتها على التأثير في الملاحة الدولية عبر البحر الأحمر.

وبناء عليه، تسعى الدراسة للربط بين ثلاثة مستويات تحليلية: 1. مستوى الأمن البحري الدولي، حيث يمكن إعادة تعريف ممر باب المندب من مسلك تجاري إلى فضاء للتنافس الاستراتيجي، 2. مستوى التنافس الجيوسياسي بين القوى الكبرى، حيث يعاد تشكيل بنى النفوذ والهيمنة في البحر الأحمر من خلال صراع أميركي – صيني أوسع، 3. مستوى الفاعلين غير الدول، حيث تتحول حركة أنصار الله من مصدر تهديد تقليدي إلى فاعل Agent قادر على استغلال الفرصة التي أتاحتها حرب غزة لتطوير قدرته على التأثير في بنية نظام الأمن الإقليمي. وبناءً على ذلك، تطرح الدراسة الإشكاليّة التالية: كيف ساهمت حرب غزة في إعادة تشكيل ديناميات التنافس الأميركي – الصيني في البحر الأحمر، خاصة عبر مضيق باب المندب، بإعادة تعريف أمن الممرات البحرية وتوازن القوة الإقليمي والدولي في ظل تصاعد أدوار فاعلين من غير الدول؟

وتحاول الدراسة اختبار فرضيتين مترابطتين: أولًا، لا تقتصر تداعيات حرب غزة على محيط القطاع الجيوسياسي، بل تمتد لتشمل بنية أمن البحر الأحمر، وذلك عبر تمكين فاعلين من غير الدول (حركة أنصار الله) من فرض تكلفة استراتيجية على سلاسل التوريد العالمية. وثانيًا، تعكس استجابة الولايات المتحدة والصين تباينًا بنيويًا في المقاربة والقدرات، بين مقاربة أميركية أمنية – تدخلية تقوم على التحالفات التقليدية، وأخرى صينية حذِرة وبراغماتية تميل إلى تحييد المخاطر على تجارتها من دون الانخراط العسكري المتعدد الأطراف. وبذلك، تفترض الدراسة أن حرب غزة تشكل مختبرًا جيوسياسيًا لاختبار أنماط التنافس الأميركي – الصيني في البحر الأحمر، بما يعكس طبيعة التحولات الأوسع في بنية النظام الدولي.

وتوظف الدراسة، للإجابة عن إشكاليتها، مقاربة واقعية بنيوية لتفسير سلوك الدول في ظل نظام دولي سِمته الأساسية الفوضى Anarchy، حيث إن توزيع القدرات المادية بينها، خاصة القوى الكبرى منها، هو ما يحدد سلوكها، ويدفعها إلى السعي المستمر وراء تعظيم أمنها ومصالحها الحيوية في بيئة يسودها الصراع والتنافس. وفي سياق مثل

1 "تداعيات تصاعد التهديدات البحرية في باب المندب"، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، 2023/12/25، شوهد في 2025/8/7، في: https://acr.ps/1L9BP5Z

هذا، يصبح التعاون، من المنظور الواقعي البنيوي، ظاهرة عرضية لا تنخرط فيه الدول إلا بوصفه تكتيكًا مؤقتًا تحدده شواغل توازن القوة والاعتماد المتبادل غير المتكافئ بين الدول، في حين يظل الصراع على القوة والنفوذ هو السمة الغالبة والثابتة في السياسة الدولية[2].

ومن هذا المنظور، يمكن مقاربة البحر الأحمر بوصفه فضاءً جيوسياسيًا تشتغل فيه القوى الكبرى وتتداخل أدوارها، بما هي دول لديها مصالح استراتيجية تمتد نحو مناطق بعيدة عن حدودها الجغرافية؛ لكن ما يميز منطقة البحر الأحمر هو انخراط فاعلين من غير الدول، خاصة جماعة أنصار الله في اليمن، وقدرتهم على التأثير في مصالح القوى الكبرى وحساباتها الاستراتيجية. فالولايات المتحدة، بوصفها قوة بحرية مهيمنة في النظام الدولي، تعيد توظيف حضورها العسكري في المنطقة عبر قواعدها البحرية في جيبوتي والبحر الأحمر، ومن خلال قيادتها تحالفات عديدة في المنطقة وقريبًا منها؛ سواء لموازنة نفوذ إيران الإقليمي، أو لتأمين حرية الملاحة في الممرات الحيوية، مثل باب المندب وقناة السويس.

وفي المقابل، تعكس سياسة الصين في البحر الأحمر مزيجًا معقدًا من البراغماتية الاقتصادية والحذر الاستراتيجي؛ إذ تركّز على حماية خطوط إمدادها من التجارة والطاقة، لا سيما ضمن إطار مبادرة الحزام والطريق، ومن خلال قاعدتها العسكرية، الحديثة نسبيًا (منذ عام 2017)، في جيبوتي، لكنها في الوقت نفسه تتفادى الصدام المباشر مع الولايات المتحدة، وتفضّل التعامل مع الأمن في المنطقة بوصفه شكلًا من أشكال المشاعات، التي تتوافر بفضل الدور الأميركي المهيمن، متجنبةً بذلك تحمّل تكلفة الهيمنة البحرية بنفسها[3]. وهكذا، تتحول منطقة البحر الأحمر إلى فضاء لتنافس غير تقليدي بين قوة بحرية مهيمنة وقوة صاعدة تسعى للمحافظة على مصالحها ضمن حدود براغماتية حذرة.

من ناحية أخرى، تتصور الدراسة المضائق البحرية الحيوية، ولا سيما باب المندب، بوصفها مناطق عالية الهشاشة والانكشاف Vulnerability أمام التهديدات الأمنية غير التقليدية، خاصة تلك التي يشكّلها فاعلون من غير الدول، يمتلكون قدرة غير متناسبة مقارنة بالقوى الكبرى الفاعلة في الفضاء الجيوسياسي، لكنهم مع ذلك قادرون على تعطيل الملاحة وإرباك سلاسل الإمداد العالمية. ويبرز هنا مفهوم نقاط الاختناق البحرية Maritime Chokepoints[4] بوصفه أيضًا مدخلًا مهمًا لفهم درجة الانكشاف الأمني الذي يميز المضائق، خاصة مضيق باب المندب.

أولًا: الأهمية الجيوسياسية لمضيق باب المندب

يمثل البحر الأحمر، ومعه مضيق باب المندب، أحد أهم الممرات البحرية الاستراتيجية في العالم، نظرًا إلى موقعه الجيوسياسي المتميز؛ إذ يُعَدّ المضيق البوابة الجنوبية للبحر الأحمر، وهو يربط المحيط الهندي بالبحر الأبيض المتوسط عبر قناة السويس، ويشكّل بذلك حلقة وصل مركزية في شبكة التجارة الدولية ومنظومة أمن الطاقة العالمية[5]. وقد عُدّ، عبر التاريخ، مجالًا لتنافس القوى الكبرى والإقليمية، وساحة لتدخلات عسكرية متكررة وترتيبات أمنية متغيرة؛ ما يجعله محوريًا في الحسابات الجيوسياسية والاقتصادية. ولا تزداد خطورته بسبب عرضه الضيق فحسب، بل لأنه أحادي المسار أيضًا؛ إذ إن تعطيل الحركة أو إغلاقها كفيل بخلق أزمة عالمية في مجالَي الطاقة والتجارة.

من الناحية الاقتصادية، تشير التقديرات إلى أن قرابة 14 في المئة من حركة الشحن العالمية تمر عبر البحر الأحمر سنويًا[6]. وبهذا، يُعدّ باب المندب أيضًا ممرًا استراتيجيًا لنقل الطاقة؛ ففي عام 2018، تدفّق

---

2 ينظر تحديدًا:

Kenneth N. Waltz, *Theory of International Politics* (Reading, MA: Addison-Wesley, 1979); John J. Mearsheimer, *The Tragedy of Great Power Politics* (New York: W. W. Norton, 2001);

وينظر: كينيث والتز، **نظرية السياسة الدولية**، ترجمة سيد أحمد قوجيلي (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، [قيد النشر])؛ جون ميرشايمر، **مأساة سياسة القوى العظمى**، ترجمة مصطفى محمد قاسم (الرياض: النشر العلمي والمطابع، 2012).

3 "China's Expansion in the Red Sea: Military, Economic, and Digital Influence: By Aparna A Nair," Chennai Centre for China Studies, 11/10/2025, accessed on 31/10/2025, at: https://acr.ps/1L9BPtp; "China in the Red Sea Arena," in: *China's Impact on Conflict Dynamics in the Red Sea Arena* (Washington, DC: US Institute of Peace, 2020).

4 نقاط الاختناق البحرية هي ممرات مائية ضيقة تلتقي فيها الطرق البحرية بسبب موقعها الجغرافي. ومن الأمثلة على ذلك مضيق ملقا ومضيق هرمز ومضيق جبل طارق وقناة السويس وقناة بنما. ينظر:

Rockford Weitz, "Strategic Maritime Chokepoints: Global Shipping and Maritime Industry Perspectives," EMC Chair Conference Paper, accessed on 7/8/2025, at: https://tinyurl.com/kpx3svdk

5 بلغ متوسط تدفقات تجارة النفط العالمية عبر مضيق باب المندب قرابة 4 ملايين برميل يوميًا خلال المدة كانون الثاني/ يناير-آب/ أغسطس 2024، مقارنة بمتوسط 8.7 ملايين برميل يوميًا في عام 2023. ينظر: رجب عز الدين، "هبوط تجارة النفط العالمية عبر مضيق باب المندب 50%. قناة السويس الخاسر الأكبر"، **الطاقة**، 2024/10/11، شوهد في 2025/8/7، في: https://acr.ps/1L9BP24. وقبل عام 2023، قُدِّر عدد السفن التي تعبر المضيق بأكثر من 23 ألف ناقلة سنويًا، أو تقريبًا ما يعادل 63 سفينة يوميًا. ينظر: رجب عز الدين، "مضيق باب المندب.. لماذا يتصارعون حوله وما أهميته لتجارة النفط والغاز؟ (تقرير)"، **الطاقة**، 2024/1/23، شوهد في 2025/8/7، في: https://acr.ps/1L9BOXc

6 "The Red Sea Crisis Impacts on Global Shipping and the Case for International Co-operation," *Background Paper*, The International Transport Forum (2024), p. 5, accessed on 7/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BPLS

عبره ما يقارب 6.2 ملايين برميل يوميًا من النفط الخام والمكثفات والمنتجات البترولية في اتجاه أوروبا والولايات المتحدة وآسيا، مقارنةً بـ 5.1 ملايين برميل يوميًا في عام 2014. وبذلك شكّل النفط العابر خلاله نحو 9 في المئة من إجمالي تجارة النفط المنقولة بحرًا في عام 2017، حيث اتجه نحو 3.6 ملايين برميل يوميًا شمالًا إلى أوروبا، ونحو 2.6 مليون برميل يوميًا جنوبًا إلى الأسواق الآسيوية الرئيسة مثل الصين والهند وسنغافورة[7].

ومن الناحية الجيوسياسية، يعدّ المضيق، خاصة خلال السنوات الأخيرة، مجالًا لتشابك مصالح إقليمية ودولية عديدة؛ فقد ارتبط بالتحولات الإقليمية الكبرى التي شهدتها المنطقة، خاصة اتفاق السلام بين إثيوبيا وإرتيريا (2000)، والتوترات بين مصر وإثيوبيا بشأن سد النهضة (2011-)، والحرب الأهلية الثالثة في السودان (2023-)، فضلًا عن التوترات السعودية – الإماراتية في اليمن (خاصة منذ عام 2016[8]؛ وكلها عوامل زادت من حدة التنافس الإقليمي في منطقة البحر الأحمر. وإضافة إلى ذلك، انخرطت قوى إقليمية بعيدة أخرى، مثل تركيا وإسرائيل، إلى جانب المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، في سباق من أجل النفوذ في منطقة القرن الأفريقي، التي تُعدّ امتدادًا جيوسياسيًا للمضيق.

ولا تقل أهمية المضيق العسكرية عن أهميته الاقتصادية؛ إذ إن تعطيله يؤدي حتمًا إلى إصابة إمدادات النفط والغاز إلى أوروبا بالشلل، سواء عبر قناة السويس أو عبر خط أنابيب سوميد، ومن ثم إجبار الناقلات على الالتفاف حول رأس الرجاء الصالح، ما يضاعف تكاليف الرحلات البحرية ومدتها. وهذا ما أدّى إلى استعار سباق إقليمي ودولي لتعزيز الوجود العسكري في المنطقة؛ إذ تستضيف جيبوتي، على سبيل المثال، عددًا من القواعد العسكرية القارة، سواء التابعة للولايات المتحدة أو فرنسا أو الصين أو اليابان أو إيطاليا أو إسبانيا، إضافةً إلى القاعدة السعودية، في حين اتجهت الإمارات إلى إنشاء قواعد في بربرة في الصومال وعصب في إرتيريا، أما تركيا فأنشأت أكبر قاعدة عسكرية لها خارج حدودها في الصومال عام 2017، وتمتلك إسرائيل مواقع عسكرية على جزر إرتيرية، إلى جانب قاعدة مصرية استراتيجية في برنيس منذ عام 2020[9].

ومن الناحية التاريخية، شكّل المضيق فضاءً رئيسًا للصراعات الجيوسياسية الدولية، وذلك بسبب موقعه الاستراتيجي على مفترق طرق التجارة والطاقة العالمية؛ ففي حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973، أقدمت مصر واليمن على إغلاقه أمام الملاحة الإسرائيلية، وكان ذلك قرينة دالّة على أن المضيق يمكن أن يُستخدم أداةً استراتيجية في إدارة الصراعات الإقليمية. وتعززت أهميته عقب هجمات 11 أيلول/ سبتمبر 2001؛ إذ باتت الولايات المتحدة تدرجه ضمن أولويات الأمن القومي الأميركي في إطار الحرب العالمية على الإرهاب؛ فعززت وجودها العسكري في جيبوتي عام 2002 لتأمين الملاحة ضد الإرهاب والقرصنة وحماية مصالحها التجارية والطاقية (من خلال إنشاء أكبر قاعدة عسكرية لها في أفريقيا، هي معسكر ليمونييه Camp Lemonnier). وفي الفترة 2008-2017، تعاظمت طبيعة المضيق الأمنية، فتحوّل من مجال نفوذ أميركي إلى فضاء لتنافس متعدد الأطراف، فأنشأت أربع دول أخرى قواعد عسكرية دائمة لها في جيبوتي (إسبانيا واليابان وإيطاليا والصين). وجاء ذلك بالتوازي مع تصاعد عمليات القرصنة في خليج عدن ومضيق باب المندب[10].

وعلاوة على ذلك، يمثّل المضيق عقدة مركزية في شبكة "طريق الحرير البحري" ضمن مبادرة الحزام والطريق، التي أطلقتها الصين في عام 2013؛ فهو نقطة وصل حيوية بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط. وقد دفعت هذه الأهمية الصين إلى تبنّي استراتيجية ذات بعدين: الاستثمار الاقتصادي في مشاريع الموانئ والبنى التحتية في المنطقة (أساسًا في جيبوتي وبورتسودان، وفي نقاط متفرقة في الخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط)؛ والتموضع العسكري والأمني من خلال إنشاء أول قاعدة عسكرية لها خارج حدودها في جيبوتي عام 2017، على مسافة كيلومترات من قاعدة معسكر لومونييه الأميركية، وذلك لحماية مصالحها التجارية وتأمين سلاسل الإمداد المرتبطة بها. وهكذا، تحوّل المضيق إلى حلقة محورية مما بات يُعرف باستراتيجية سلسلة اللآلئ الصينية String of Pearls[11]، التي تشير إلى شبكة المرافق العسكرية والتجارية الصينية التي طورتها الصين في الدول الواقعة على المحيط الهندي بين البر الرئيس الصيني وبورتسودان.

7 "The Bab el-Mandeb Strait is a Strategic Route for Oil and Natural Gas Shipments," U.S. Energy Information Administration (EIA), 27/8/2019, accessed on 7/10/2025, at: https://acr.ps/1L9BPOL

8 إبراهيم جلال، "الخلافات السعودية الإماراتية تضع حضرموت على مفترق طرق"، **مقال**، مركز مالكوم كير-كارنيغي للشرق الأوسط، 2025/4/11، شوهد في 2025/8/7، في: https://acr.ps/1L9BPL2

9 أميرة محمد عبد الحليم، "القواعد العسكرية في البحر الأحمر... تغير موازين القوى"، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2024/7/24، شوهد في 2025/8/7، في: https://acr.ps/1L9BPkt؛ جمهورية مصر العربية، رئاسة الجمهورية، "إنشاء قاعدة برنيس العسكرية"، شوهد في 2025/8/7، في: https://acr.ps/1L9BPpT

10 Chris Rahman & Martin Tsamenyi, "A Strategic Perspective on Security and Naval Issues in the Red Sea and Gulf of Aden," *Ocean Development & International Law*, vol. 41, no. 4 (2010), pp. 316-333.

11 Virginia Marantidou, "Revisiting China's 'String of Pearls' Strategy: Places 'with Chinese Characteristics' and their Security Implications," *Issues & Insights*, vol. 14, no. 7 (June 2014); Junaid Ashraf, "String of Pearls and China's Emerging Strategic Culture," *Strategic Studies*, vol. 37, no. 4 (2017), pp. 166-181.

جدول توزيع القواعد العسكرية الأجنبية في محيط مضيق باب المندب

الدولة المستضيفة	عدد القواعد	نوعها	الدول المالكة
جيبوتي	6 قواعد	عسكرية	الولايات المتحدة، وألمانيا، والصين، واليابان، وإيطاليا، وإسبانيا
	3 قواعد تشمل قاعدة بحرية ومطاران	بحرية/ جوية	فرنسا
	قاعدة	عسكرية	السعودية
الصومال	قاعدة في بوساسو قاعدة في مدينة بربرة	عسكرية	الإمارات
	قاعدة في مقديشو	عسكرية	تركيا
	قاعدة في شبيلي السفلي	جوية	الولايات المتحدة
	قاعدة في بيداوا	عسكرية	بريطانيا
إرتيريا	قاعدة (موقع غير محدد)	عسكرية	إسرائيل
	قاعدة في مدينة عصب الساحلية	عسكرية	الإمارات
كينيا	قاعدة في خليج ماندا	عسكرية	الولايات المتحدة
	قاعدة في مدينة نانبوكي	عسكرية	بريطانيا

المصدر: من إعداد الباحث.

ويوفر المضيق فرصًا استراتيجية للحفاظ على المصالح الاقتصادية وتأمين خطوط التجارة الدولية، والبقاء قرب مراكز تصدير الموارد الطاقية، وترسيخ النفوذ السياسي في المنطقة؛ وهو ما يفسر حرص القوى الكبرى على تثبيت قواعد عسكرية لها في الجزر الواقعة في محيطه، وعلى شواطئ الدول المطلة عليه[12]. ومن ناحية أخرى، يوفر المضيق ميزة نسبية في الدفاع عن البوابة الجنوبية للبحر الأحمر، من نقاط استراتيجية منيعة تقع إما على الشواطئ المرتفعة المحمية طبيعيًا، وإما في جزيرة بريم (الواقعة في مدخل المضيق) التي تعترضه، ومن ثم إمكانية إقامة نقاط الرصد والمراقبة ومحطات الرادار، أو إقامة قواعد عسكرية إجمالًا[13]. ويوضح الجدول أعلاه توزيع القواعد العسكرية الأجنبية في محيط مضيق باب المندب بحسب الدول المالكة لها والدول المستضيفة.

فضلًا عما سبق، تنتشر قوات بحرية تابعة لدول أخرى قبالة سواحل البحر الأحمر، مثل: القوة البحرية المشتركة "سي تي إف 151" Combined Task Force, CTF-151 التي أُنشئت في عام 2009 تحت مظلة القوات البحرية المشتركة "سي إف إم" Combined Maritime Forces, CMF[14] لمكافحة القرصنة وتأمين الملاحة التجارية في خليج عدن وبحر العرب ومضيق باب المندب، والقوة البحرية الأوروبية لمكافحة القرصنة "إيه يو نيفور" European Union Naval Force, EU NAVFOR، التي تشكّلت عام 2008 لمكافحة أعمال القرصنة قبالة سواحل الصومال، إضافة إلى قوات بحرية هندية على مقربة من سواحل الصومال وسيشل وعمان منذ عام 2008، وتعزز حضورها بعد حرب تشرين الأول/ أكتوبر 2023[15]، ما يعكس استراتيجية هندية لأداء دور أوسع في أمن البحر

12 "مضيق باب المندب.. 'باب الدموع' وبوابة البحر الأحمر نحو خليج عدن"، **الجزيرة نت**، 2024/4/24، شوهد في 2025/8/9، في: https://acr.ps/1L9BPrT

13 المرجع نفسه.

14 شراكة بحرية دولية تضم 44 دولة تدعم النظام الدولي القائم على القواعد من خلال تعزيز الأمن والاستقرار عبر ممرات الشحن في العالم.

15 "ما دوافع تنامي دور البحرية الهندية قرب باب المندب؟"، **الجزيرة نت**، 2024/2/17، شوهد في 2025/8/7، في: https://acr.ps/1L9BPVi

الأحمر والمحيط الهندي. وتشير هذه الأمثلة إلى أن المضيق، والبحر الأحمر الأوسع، تحوّل فعليًا إلى فضاء لتنافس بحري متعدد الأطراف يتجاوز حتى الولايات المتحدة والصين ليصبح ساحة لتقاطعات استراتيجية تشمل قوى أوروبية وآسيوية صاعدة، فضلًا عن انخراط فاعلين إقليميين، وفاعلين من غير الدول (مثل الجماعات المسلحة، ومنظمات الجريمة المنظمة، والشركات الأمنية الخاصة)[16].

ثانيًا: حرب غزة وصعود دور حركة الحوثيين الإقليمي

أعادت عملية طوفان الأقصى، وحرب غزة التي تلتها، إلى القضية الفلسطينية مكانتها[17] في الوعيين الإقليمي (العربي) والدولي؛ فبرزت مجددًا بوصفها القضية المركزية في وجدان كل العرب والمسلمين، والمجتمع المدني العالمي على نطاق أوسع. وفي السياق العربي، تراجعت قضايا أخرى كانت تُعدّ مركزية، خاصة في عقد ما بعد الربيع العربي. ومع اندلاع الحرب، تلقت حركة المقاومة الإسلامية "حماس" دعمًا وإسنادًا من عدد من الفاعلين الإقليميين المحسوبين على إيران في العراق ولبنان واليمن، وهو ما يعكس تحوّلًا في طبيعة التحالفات السياسية في المنطقة وتجاوزها للانقسامات الهوياتية التقليدية. وكان قد سبق نشوبَ الحرب تقاربٌ إيراني – سعودي لم يكن متصورًا قبل عقد من الزمن، وعاد ما يُعرف بـ "محور المقاومة" إلى الواجهة بوصفه عاملًا أيديولوجيًا مؤثرًا، على غرار ما كان عليه مع مطلع الألفية، قبل انحساره مع اندلاع الثورة السورية في عام 2011. وعلى الرغم من محاولات حماس النأي بنفسها عن استقطابات الربيع العربي والثورة السورية، فإن حرب غزة دفعتها إلى أن تصبح مجددًا جزءًا من إعادة تشكيل التوازنات الإقليمية، ومن إعادة القضية الفلسطينية والصراع العربي – الإسرائيلي إلى واجهة الديناميات الإقليمية في الشرق الأوسط. وهو ما جعل مجلة **ذي إيكونوميست** تصف عام 2023 بعبارة "العام الذي تغيّر فيه كل شيء (ولم يتغير فيه شيء) في الشرق الأوسط"[18]. ولعل أحد أبرز تداعيات هذه الحرب، على المستوى الإقليمي، كان الفرصة التي أُتيحت لفاعلين من غير الدول للاضطلاع بأدوار إقليمية، والحديث هنا أساسًا عن حركة أنصار الله، وتوسيع نفوذهم الرمزي والعملياتي على مستوى إقليمي.

لذلك، يمكن القول إن عـودة القضية الفلسطينية إلى قلب الديناميات الإقليمية لم يرافقها إلقاء الضوء على محور المقاومة أو موجة التطبيع، التي أطلقتها اتفاقيات أبراهام عام 2020، فحسب، بل ساهمت أيضًا في تغيير بنية الأمن الإقليمي على نحو يعكس تزايد تأثير الفاعلين من غير الدول. وقد ظهر ذلك جليًا في انخراط حركة أنصار الله في استهداف الملاحة عبر مضيق باب المندب تحت شعار التضامن مع غزة وإسناد المقاومة الفلسطينية؛ وبرز أيضًا جليًا في تشابك متزايد بين الخطاب الرمزي (عبر توظيف القضية الفلسطينية) والسلوك الاستراتيجي (عبر تعميق تحالفات إقليمية، والسعي لتعزيز الشرعية المحلية). وقد انخرط حزب الله في لبنان وحركة أنصار الله في اليمن مبكرًا في ديناميات حرب غزة، بدعم متفاوت من إيران. وعلى الرغم من أن إسرائيل تمكنت من تقويض قدرات حزب الله، عبر تدمير بنيته التحتية واغتيال قياداته، خاصة أمينه العام حسن نصر الله، فإنها لم تتمكن من تحقيق ذلك مع حركة أنصار الله. وقد تصدّت الولايات المتحدة وحلفاؤها لهذه المهمة[19]، لكنّ الهجمات الأميركية لم تؤتِ أكلها[20]، ما يُبقي الدورَ، الذي تسعى حركة أنصار الله للقيام به إقليميًا، قائمًا، خاصة بعد أن تبدّت فاعلية قصف السفن واحتجازها.

ثمة من يحاجّ بأن تدخّل الحوثيين في الصراع، في أعقاب نشوب حرب غزة، لم يكن بدافع "نصرة الفلسطينيين"، كما يشدّد عليه خطابهم، بقدر ما يمثل محاولة لتوظيف هذا الخطاب من أجل تعزيز شرعيتهم المحلية وترسيخ سيطرتهم الهشة في اليمن؛ أي إن سلوك حركة أنصار الله لم يكن سوى استغلال براغماتي "عقلاني" للحظة إقليمية استثنائية. فاليمن يمرّ بمرحلة "لا حرب ولا سلام"، بعد هدنة خفّفت حدة القتال وفتحت المجال لمحادثات سياسية غير مريحة للحوثيين، الذين اعتادوا الحكم في زمن الحرب[21] ولم يتمكنوا من إحكام سيطرتهم على الموارد، المادية والرمزية. وعلى هذا النحو،

16 ينظر:
Dirk Siebels, "Non-State Actors, Piracy and Threats to Global Shipping," in: Julian Pawlak & Johannes Peters (eds.), *From the North Atlantic to the South China Sea* (Kiel: The Institute for Security Policy at Kiel University, 2021).

17 Brendan Ciarán Browne, Elian Weizman & Jennifer Matchain, "Unpacking the Crackdown on Palestine Solidarity Activism in the UK in a Post-7 October Reality," *Third World Quarterly* (2025).

18 "The Year Everything (and Nothing) Changed in the Middle East," *The Economist*, 29/12/2023.

19 "الضربات الجوية الأميركية على الحوثيين: الخلفيات والحسابات والهواجس"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025/3/27، شوهد في 2025/8/8، في: https://acr.ps/1L9BPiS

20 April Longley Alley, "How the Houthis Outlasted America Washington Needed an Off-Ramp, but the Group Can Still Imperil the Global Economy," *Foreign Affairs*, 9/5/2025, accessed on 8/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BP1Y

21 ينظر:
Stacey Philbrick Yadav, "Consolidation Through Crackdown: Understanding Houthi Rule in Yemen," Crown Center & Brandeis University, October 2024.

"لا يخلو انخراط الحوثيين في حرب غزّة من أهداف سياسية، بعضها متصل بعملية السلام المتعثّرة، وبعضها مرتبط بتصاعد التذمّر الشعبي من الوضع الاقتصادي المتدهور. فقد أخفقت حكومة الحوثيين، غير المعترف بها، في مواصلة دفع رواتب موظفي القطاع العام منذ أواخر عام 2016، بعد إصدار الحكومة اليمنية قرارًا بنقل البنك المركزي من صنعاء إلى عدن"[22].

وبناء عليه، شكّل استهداف السفن في البحر الأحمر، وعبر مضيق باب المندب، أداة بديلة للحوثيين لإعادة إنتاج شرعيتهم عبر توظيف رمزية القضية الفلسطينية. "وقد لقي موقف الحوثيين تجاه غزّة قبولًا شعبيًا كبيرًا، في ظل ضعف موقف الحكومة اليمنية محليًا وخارجيًا [...] وظهر الحوثيون، في هذا السياق، كأنهم الفاعل الرسمي في اليمن، إذ حققوا من خلال هذا الموقف شعارهم المعادي لأميركا وإسرائيل. وقد تحوّل كثيرون من مناوئيهم، من سياسيين وإعلاميين، إلى مناصرين لهم"[23].

من ناحية أخرى، يمكن القول إن انخراط الحوثيين في الحرب ساهم في توسيع جغرافيا الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي وجعله يتجاوز حدوده الترابية التقليدية (في إطار حلقات المواجهة التقليدية بين قوات الاحتلال الإسرائيلي وفصائل المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة)، ليشمل أحيازًا جيوسياسية خارج الأراضي المحتلة وبعيدة عنها (مثل البحر الأحمر). وقاد هذا التمدد إلى تحويل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي إلى قضية أمن دولي تتعلق بأمن حركة التجارة العالمية. وفي ظل تقاعس الولايات المتحدة في تنفيذ وعودها المتكررة بفرض حل الدولتين ودعم إقامة دولة فلسطينية مستقلة، ووقف خطط إسرائيل الاستيطانية التوسعية[24]، تمخضت حرب غزة عن إعادة فرض القضية الفلسطينية مجددًا في صلب التصورات الدولية بشأن مستقبل المنطقة، مع فرض حقائق جديدة مفادها، على سبيل المثال، أن غياب حل عادل للقضية الفلسطينية يهدد بتدويل الصراع بطرائق غير تقليدية[25]، ليس أقلها ما تمكّن الحوثيون من القيام به في منطقة البحر الأحمر.

22 Nandini Nandini et al., "The Red Sea Crisis: Implications of The Houthi Attack on Maritime Trade and Global Security," *International Journal of Humanities Education and Social Science*, vol. 4, no. 1 (2024), pp. 2-3.

23 Ibid.

24 ينظر:
Nathan Thrall, *The Only Language They Understand: Forcing Compromise in Israel and Palestine* (New York: Metropolitan Books, 2017).

25 Julien Barnes-Dacey, Cinzia Bianco & Hugh Lovatt, "The Gaza Crisis: Mapping the Middle East's Shifting Battle Lines," *Policy Brief*, European Council on Foreign Relations, 25/9/2024, accessed on 8/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BOUl

ثالثًا: حركة الحوثيين في مضيق باب المندب بوصفها مصدر تهديد لمصالح القوى الكبرى

دفعت هجمات الحوثيين في البحر الأحمر العديد من شركات الشحن إلى إعادة توجيه سفنها عبر مسالك أطول حول رأس الرجاء الصالح، من أجل تفادي المخاطر الأمنية المتنامية في مضيق باب المندب. وهو ما خلّف آثارًا سلبية واسعة في النقل البحري العالمي؛ إذ لم تكن الموانئ الواقعة على هذا المسار البديل مهيَّأة للتعامل مع الازدحام الطارئ في حركة السفن، ما أدى إلى اضطرابات في عمليات التزود بالوقود والمؤن والصيانة، فضلًا عن زيادة فترات الانتظار وتأخر عمليات التسليم. وفاقم طول المسالك البديلة وتعقيد الإجراءات البيروقراطية في بعض الموانئ، خاصة الأفريقية، مشكلة الضغوط التشغيلية على شركات الشحن. ونتيجةً لذلك، عانت شركات الشحن والصناعات اللوجستية المرتبطة بها خسائر مالية هائلة، وانعكست هذه الأزمة على التجارة البحرية العالمية عمومًا، مؤكدةً هشاشة سلاسل الإمداد أمام التهديدات الأمنية غير التقليدية، لا سيما تلك الصادرة من فاعلين من غير الدول يوظفون قدرتهم على استهداف حركة الملاحة الدولية للحصول على مكاسب سياسية محلية، وجيوسياسية إقليمية.

ولا يتوقف أثر هجمات الحوثيين في حركة التجارة العالمية عبر مضيق باب المندب، بل يمتد إلى قناة السويس الاستراتيجية، التي شهدت إيراداتها انخفاضًا بنسبة 23 في المئة (من 9.4 مليارات في عام 2022/ 2023 إلى 7.2 مليارات دولار أميركي في عام 2023/ 2024، وذلك نتيجة لتعطّل الملاحة بسبب تلك الاضطرابات الأمنية في المضيق[26]. وأبعد من ذلك، لم يكن مضيق هرمز، وهو أهم ممر للنفط في العالم ونقطة اختناق بين الخليج العربي وخليج عُمان، بمنأى عن آثار هجمات الحوثيين في البحر الأحمر؛ إذ انخفضت حركة المرور البحري هناك بنسبة 15 في المئة[27]. ويعني هذا أن الهجمات لا تؤثر في حركة التجارة الدولية فحسب، بل تؤثر أيضًا في اقتصادات قوى

26 "Suez Canal Revenue Dropped $2B Last Year Due to Red Sea Security Crisis," *The Maritime Executive*, 18/7/2024, accessed on 7/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BP6a; Rosaleen Carroll, "Houthi Attacks on Red Sea Shipping Wipe $2B off Suez Canal Annual Revenue," *Al Monitor*, 18/7/2024, accessed on 10/10/2025, at: https://acr.ps/1L9BOTI

27 "The Deepening Red Sea Shipping Crisis: Impacts and Outlook," The World Bank, February 2025, p. 1, accessed on 31/10/2025, at: https://acr.ps/1L9BPTq

دولية (مثل الصين والولايات المتحدة[28] وروسيا والهند[29]) وإقليمية (مثل مصر والسعودية وإيران، وإسرائيل بطبيعة الحال).

تكتسي منطقة البحر الأحمر بالنسبة إلى الولايات المتحدة أهمية استراتيجية متعدّدة الأبعاد، يمكن تلخيصها في ثلاث نقاط رئيسة مترابطة، هي:

أولًا، تأمين إمـدادات الطاقة وحركة التجارة العالمية؛ إذ تتعامل الولايات المتحدة مع البحر الأحمر بوصفه فضاءً يجب أن يكون آمنًا لمرور إمدادات الطاقة، وهو ما يحقق أمن الطاقة العالمي، فهو الممر البحري الذي يربط بين مضيق باب المندب شمالًا وقناة السويس وخطوط الأنابيب الإقليمية. وتشمل المصالح الأميركية في هذا السياق: ضمان العبور الآمن لناقلات النفط والغاز من الخليج العربي عبر باب المندب ثم قناة السويس إلى أوروبـا والولايات المتحدة؛ وحماية بنى الطاقة التحتية الحيوية، مثل خطوط الأنابيب الممتدة من شرق الجزيرة العربية إلى ميناء ينبع على البحر الأحمر، والتي يمكن استخدامها مسارًا بديلًا من مضيق هرمز، التي تسيطر عليها إيران؛ والمحافظة على سلاسة الملاحة عبر قناة السويس بوصفها ممرًا حيويًا للتجارة العالمية وللإمداد العسكري واللوجستي للقوات الأميركية المنتشرة في أوروبا وآسيا. وفي هذا السياق، يمكن النظر إلى هذه المصالح على أنها تندرج ضمن ما يسمّيه باري بوزن "التحكم في المشاعات" بوصفه أحد أسس الهيمنة الأميركية العالمية وأدواتها في الوقت نفسه، بمعنى حيازة القدرة على تأمين الممرات البحرية الحيوية ومنع المنافسين والخصوم من تعطيلها[30].

ثانيًا، حماية الملاحة الإسرائيلية والمرتبطة بإسرائيل وضمان تفوّقها الاستراتيجي في الشرق الأوسط، ويُعدّ هذا جزءًا من الالتزامات الأميركية غير المعلن عنها تجاه أمن إسرائيل[31].

ثالثًا، مكافحة الإرهـاب والقرصنة في خليج عدن ومضيق باب المندب؛ إذ أصبحت المنطقة جزءًا رئيسًا من الحرب على الإرهاب والاستراتيجية الأميركية لأمن الممرات البحرية. ويتجلى ذلك من خلال زيادة الوجود العسكري في المنطقة وتعزيزه، بحسب ما بيّناه سابقًا. ولا بد من أن تستخدم الولايات المتحدة خطاب مكافحة الإرهاب لتسويغ وجودها العسكري البحري المتزايد في البحر الأحمر، والمحافظة على أفضلية نسبية في مواجهة القوى الإقليمية والدولية الموجودة في المنطقة، خاصة الصين التي باتت لديها قاعدة عسكرية في جيبوتي منذ عام 2017.

ولا تقتصر المنافسة التي تواجه الولايات المتحدة في المنطقة على الصين، بل تشمل أيضًا روسيا، التي أعادت ترميم حضورها في القارة الأفريقية، لا سيما منطقة القرن الأفريقي، عبر توسيع نفوذها السياسي والعسكري هناك، من خلال عقود التسليح والتدريب واتفاقيات بناء قواعد عسكرية (إثيوبيا ونيجيريا ومدغشقر)، إضافة إلى الدور الذي تؤديه قوات فاغنر في أفريقيا الوسطى وليبيا والسودان ومالي. وتنظر روسيا إلى البحر الأحمر بوصفه بوابة إلى المحيط الهندي، ومنطقة المحيط الهندي – الهادي الأوسع. وعلى الرغم من أن صادراتها النفطية لا تمر عبر باب المندب، فإن استقرار الملاحة فيه يُعدّ ضروريًا لأسواق الطاقة العالمية، ومن ثمّ للمصالح الاقتصادية الروسية على المدى الطويل[33].

واللافت للانتباه في هذا السياق أن الولايات المتحدة لم تصدّق على اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار لعام 1982[32]، ويبدو أن أحد المسوغات الرئيسة هو رغبتها في عدم إخضاع حركة قواتها البحرية في البحار والمضائق الدولية لأيّ قيود؛ وهو ما يسمح لها بحرية استخدام البحر الأحمر وشرق البحر الأبيض المتوسط لدعم إسرائيل إذا اقتضت الحاجة ذلك، وهذا ما يبيّنه بوضوح الدور الأميركي في إسناد قوات الاحتلال الإسرائيلي خلال حرب غزة. وهكذا، يتحول أمن الملاحة الإسرائيلية في البحر الأحمر، في الاستراتيجية الأميركية، إلى جزء لا يتجزأ من أمن الملاحة الأميركية والدولية على حد سواء.

---

28 تشير تقديرات، مثلًا، إلى أن أسعار الشحن بين الصين والولايات المتحدة ارتفعت بنسبة 500 في المئة على أساس سنوي، لتصل إلى مستوياتٍ يمكن مقارنتها بما بلغته أواخر سنوات جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19)، ينظر:
"Suez Canal Revenue Dropped $2B Last Year Due to Red Sea Security Crisis."

29 لا تركز هذه الدراسة على الهند؛ وللاستفاضة حول أثر الاضطرابات الأمنية في البحر الأحمر في اقتصاد الهند، ينظر:
"Impact on India's Trade Due to Red Sea Disruptions," Research and Information System for Developing Countries (2024), accessed on 8/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BP2L; "Red Sea Crisis Threatens India's Exports," Research and Information System for Developing Countries (2024), accessed on 8/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BPfj

30 Barry R. Posen, "Command of the Commons: The Military Foundation of U.S. Hegemony," *International Security*, vol. 28, no. 1 (2003), pp. 5-46.

31 ينظر على سبيل المثال:
William B. Quandt, *Camp David: Peacemaking and Politics* (Washington, DC: The Brookings Institution, 1986).

32 John A. Duff, "The United States and the Law of the Sea Convention: Sliding Back from Accession and Ratification," *Ocean & Coastal Law Journal*, vol. 11, no. 1-2 (2005-2006).

33 حول المصالح الروسية في منطقة البحر الأحمر ومحيطها، ينظر:
Francesco Generoso, "Russian interests in the Horn of Africa: A Red Sea foothold?" *South African Journal of International Affairs*, vol. 29, no. 4 (2022), pp. 549-570; Samuel Ramani, "Russia's Growing Ambitions in the Red Sea Region," *Policy Brief*, Royal United Services Institute for Defence and Security Studies (September 2021), accessed on 8/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BPJO

أما بالنسبة إلى الصين، فتنبع أهمية البحر الأحمر من أنه حلقة محورية ضمن طريق الحرير البحري في إطار مبادرة الحزام والطريق[34]. ويشمل هذا الطريق شبكة كبيرة ومعقدة من البنى التحتية الحيوية، مثل خطوط الشحن والموانئ، خاصة في المناطق القريبة من المضائق البحرية الاستراتيجية، لا سيما مضيق باب المندب. وبناء عليه، تكمن مصالح الصين في البحر الأحمر في تأمين خطوط التجارة وحماية واردات الطاقة، وهو ما يدفعها إلى الانخراط في عمليات مكافحة القرصنة الدولية، خاصة منذ عام 2008، حيث شرعت في إرسال أساطيل دورية إلى خليج عدن ومضيق باب المندب تحت مظلة قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الخاصة بمكافحة القرصنة في المنطقة. وكان هذا أوسع انتشار بحري للصين خارج المحيط الهادي. وقد وفّر لها هذا الانخراط خبرة عملياتية وفرصة استراتيجية لربطه على نحو مباشر بأهداف مبادرتها الاقتصادية، ومهّد لإنشائها قاعدة في جيبوتي في عام 2017. وهكذا، تطورت الاستراتيجية الصينية من الانخراط الأمني المحدود إلى حضور استراتيجي دائم في البحر الأحمر.

لقد دفعت مبادرة الحزام والطريق اهتمام الصين بمنطقة البحر الأحمر نحو التحول من البعد الاقتصادي – التجاري إلى بعد أمني – استراتيجي. فأنشأت أول قاعدة عسكرية خارج حدودها في جيبوتي، عام 2017، وهي جزء من اتفاقية تعاون دفاعي، الغرض منه تأمين خطوط الملاحة، وتزويد قواتها البحرية العاملة في مهمات مكافحة القرصنة بالدعم اللوجستي، إضافة، بطبيعة الحال، إلى تأمين مصالحها المتنامية في القارة الأفريقية[35]. وتستثمر الصين بسخاء في البنى التحتية الخاصة بالنقل الإقليمي في المنطقة، مثل خط السكك الحديدية الرابط بين جيبوتي وأديس أبابا[36]، وخطوط النقل التي تربط إثيوبيا (وهي من الاقتصادات الكبرى غير الساحلية في أفريقيا) بالموانئ البحرية[37]، وهو ما يساهم في تعزيز تدفق التجارة الصينية في المنطقة. وإلى جانب ذلك، تساهم الصين في بناء مشاريع طاقية في نقاط مختلفة عبر القارة[38]، أبرزها محطة غاريسا للطاقة الكهروضوئية في كينيا بقدرة 50 ميغاواط، وهي أكبر محطة للطاقة الشمسية في القرن الأفريقي[39].

تزاوج الصين، في وجودها المتنامي في منطقة البحر الأحمر، بين أدوات القوة الاقتصادية والرمزية والعسكرية. فالمنطقة ليست ممرًا للتجارة البحرية، فحسب، بل هي محور من بين عدة محاور، وعقدة من بين عدة عقد، في شبكة نفوذها المتعاظم، الممتد من شرق آسيا، مرورًا بأفريقيا، ووصولًا إلى أوروبا. وبقدر ما تعتبر الصين المنطقة فضاءً للتنافس والصراع العالمي على النفوذ مع الولايات المتحدة، تثير استراتيجيتها المعقدة مخاوف الأخيرة التي تواجه تحدي المحافظة على هيمنتها على النظام الدولي.

رابعًا: حركة الحوثيين وإحياء التنافس الأميركي – الصيني في منطقة البحر الأحمر

بدأت الولايات المتحدة تولي منطقة القرن الأفريقي والبحر الأحمر أهميةً جيوستراتيجية جادة في أعقاب حرب الخليج الثانية؛ مع إدراج مبدأ الربط بين الأمن القومي الأميركي وأمن الطاقة ضمن العقيدة الاستراتيجية الأميركية، أو ما يسميه بوزن مبدأ "التحكم في المشاعات"، الذي أشرنا إليه آنفًا، بوصفه أساسًا من أسس الهيمنة الأميركية. ولا بد من أن أحد دوافع هذا الاهتمام هو الفراغ الأمني الذي نتج من انهيار نفوذ القوى الاستعمارية الأوروبية التقليدية في القرن

34 حكمات العبد الرحمن، **الصين والشرق الأوسط: دراسة تاريخية في تطور موقف الصين تجاه قضايا المنطقة العربية بعد الحرب الباردة** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)؛ عماد قدورة، "موقع دول الخليج العربية في مبادرة الحزام والطريق الصينية"، **سياسات عربية**، العدد 63 (تموز/ يوليو 2023)؛ محمد مطاوع، "طريق الحرير الجديد في الاستراتيجية الصينية: الأهداف الكبرى، والوزن الاستراتيجي، والتحديات"، **سياسات عربية**، العدد 46 (أيلول/ سبتمبر 2020).

35 للاطلاع أكثر حول القاعدة الصينية في جيبوتي والمصالح الصينية الأوسع في أفريقيا، ينظر: Erica Downs, Jeffrey Becker & Patrick deGategno, "China's Military Support Facility in Djibouti: The Economic and Security Dimensions of China's First Overseas Base," CAN (July 2017), accessed on 8/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BPuO; Yunnan Chen, "Railpolitik: Ethiopia's Rail Ambitions and Chinese Development Finance," *Policy Brief*, no. 52, China Africa Research Initiative (CARI), School of Advanced International Studies (SAIS), Johns Hopkins University, Washington, DC (2021), accessed on 8/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BP5k; Marcus Vinícius De Freitas, "Chinese Energy Security: Africa's Opportunity for A New Development Boost," *Policy Paper*, no. 27/25, Policy Center for the Bew South (August 2025), accessed on 8/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BPa9

36 "Enhancing Connectivity in East Africa: The Addis Ababa-Djibouti Railway," *China Today*, 28/2/2017, accessed on 7/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BPu9

37 Yunnan Chen, "China's Role in Nigerian Railway Development and Implications for Security and Development," The United States Institute of Peace, 2018 accessed on 10/10/2025, at: https://acr.ps/1L9BPqR

38 Frangton Chiyemura, "Powering Africa: China's Expanding Role in the Continent's Energy Future," *Report*, no. 6, The China-Global South Project (2025), accessed on 10/10/2025, at: https://acr.ps/1L9BOXK

39 Elena Kiryakova et al., "China's Evolving Role in Africa's Energy Transition: Overseas Trade and Investment in Kenya, Mozambique and South Africa," *Report*, ODI Global (April 2025), accessed on 8/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BPmW

الأفريقي منذ نهايات القرن العشرين (فرنسا وبريطانيا وإيطاليا)[40]، في الوقت الذي بدأت فيه الصين في التغلغل الاقتصادي والسياسي في أفريقيا. ولا شك في أن العامل الصيني شكّل دافعًا إضافيًا لدى الولايات المتحدة لتعزيز وجودها العسكري عبر إنشاء قاعدة كامب لومونييه في جيبوتي، وتوسيع التعاون الأمني والاستخباري مع دول أخرى رئيسة في المنطقة، مثل الصومال وإثيوبيا وكينيا[41].

أما الصين، التي تعود جذور علاقاتها بمنطقة البحر الأحمر إلى طريق الحرير البحري القديم، فإنّ التحوّل في اهتمامها بها لم يبدأ إلا مع صعودها الاقتصادي منذ مطلع الألفية الجديدة؛ إذ أدى اتساع اعتمادها على واردات الطاقة (جزء مهمّ من نفط الخليج المتجه إلى آسيا يمر عبر مضيق باب المندب) إلى تحوّل أمن الملاحة في البحر الأحمر إلى جزء رئيس من استراتيجيتها البحرية. وتعزّز هذا الاهتمام أكثر فأكثر مع إطلاق مبادرة الحزام والطريق، التي صنّفت البحر الأحمر عقدة لوجستية حيوية في مسار المبادرة البحري، وهو ما أسهم في توسّع الاستثمارات الصينية في موانئ جيبوتي ومصر والسودان.

وبناء عليه، تسعى استراتيجية الصين في المنطقة لبناء نفوذ معقّد ومتشابك الأدوات يقوم على القوة الناعمة[42]، وتوظيف مشاريع البنية التحتية ضمن مبادرة الحزام والطريق بوصفها مدخلًا لتعزيز شبكة العلاقات الشخصية والوظيفية مع النخب السياسية والاقتصادية الأفريقية، وهو ما من شأنه أن يضمن لها نفوذًا مستدامًا ومنخفض التكلفة السياسية والأمنية ويجنبها المواجهة المباشرة مع منافسيها، خاصة الولايات المتحدة. وفي مقابل ذلك، تتبنى الأخيرة مقاربة أمنية، تكاد تكون محضة، تركّز على مكافحة الإرهاب والقرصنة والجريمة المنظمة، وتطوير قدرات الجيوش وأجهزة الأمن المحلية؛ ما يجعل رؤيتها لأفريقيا بوصفها مصدرًا لتهديدات أمنية غير تقليدية تتفوق على رؤيتها بوصفها فرصة استراتيجية مثلما تفعل الصين.

ومن ثم، يمكن القول إن جاذبية النموذج الصيني في أفريقيا[43] تنبع أساسًا من قدرته على "المحافظة على خصائص هوياتية مختلفة عن نموذج الغرب المهيمن، سواء في نموذج التنمية الاقتصادية، أو في نموذج الحكم، أو في نمط الانخراط في النظام الدولي القائم"[44]. وتستند جاذبيته أيضًا إلى خطاب السيادة وعدم التدخل في شؤون الدول الداخلية (السياسية والسياساتية). ومن الطبيعي أن يجد هذا النموذج صدى لدى العديد من الحكومات الأفريقية التي عانت طويلًا، ولا تزال تعاني، تبعات المشروطية السياسية للمساعدات والاستثمارات الغربية. لذلك، يمكن القول إن التنافس الصيني – الأميركي في أفريقيا، ومن ثم في منطقة البحر الأحمر، هو تنافس بين نموذجين اقتصاديين، فضلًا عن أنه تنافس بين مقاربتين متباينتين للنفوذ: الصين عبر المساهمة في التنمية وتشييد البنى التحتية وعدم التدخل، والولايات المتحدة عبر فرض الأمن والردع والتدخل (المباشر وغير المباشر).

لكن استراتيجية الصين لا تتوقف عند ذلك، فقد تحولت حديثًا نحو السعي لأداء دورٍ دبلوماسي في إدارة الأزمات الإقليمية في منطقة البحر الأحمر والقرن الأفريقي، ويتضح ذلك في أزمة سد النهضة بين إثيوبيا ومصر والسودان[45]؛ إذ تسعى، بوصفها المستثمر الأكبر في البنى التحتية الإثيوبية، وممولًا رئيسًا لمشاريع الطاقة والنقل في المنطقة عمومًا، إلى تقديم نفسها وسيطًا مقبولًا وضامنًا لعمليات الربط الإقليمي بين اقتصادات المنطقة، ما يعزز بيئةً أشد استقرارًا لمصالحها التجارية والأمنية. ويطلق البعض على هذا الاتجاه الدبلوماسي لدى الصين "دبلوماسية البنى التحتية" Infrastructure Diplomacy[46]، وآخرون "دبلوماسية السكك الحديدية" Rail Diplomacy[47]؛ وهو أداة من أدوات مبادرة الحزام والطريق، التي تُستخدم لبناء نفوذ سياسي في أفريقيا عامة، وفي منطقة البحر الأحمر خاصة. ويمكن تفسير هذا التحول نحو الدبلوماسية بمخاوف الصين من عواقب عدم الاستقرار الذي قد يهدد استثماراتها في الموانئ والمعابر اللوجستية التي تتدفق عبرها وارداتها من الطاقة وصادراتها من التجارة. وسنلاحظ هذا النمط يتكرر في حالة أزمة مضيق باب المندب خلال حرب غزة.

---

40 Christopher Clapham, *Africa and the International System: The Politics of State Survival* (Cambridge: Cambridge University Press, 1996).

41 Richard McManamon, "'America First' and Implications for US Strategy in the Horn of Africa," *Small Wars Journal*, 14/12/2020, accessed on 10/10/2025, at: https://acr.ps/1L9BPvw

42 Li Wei, "The Influence of China's Global Soft Power Strategy on its Relations with African Nations," *Journal of International Relations*, vol. 4, no. 4 (2024), pp. 41-51.

43 McManamon.

44 محمد حمشي، "صعود الصين من منظور مغاير: نظرية التعقد وأوهام العقلانيين"، **مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي**، مج 6، العدد 2 (2019)، ص 14.

45 زهيرة بسطاوي، "دور الصين في أزمة سد النهضة: النفوذ الاقتصادي وحدود التأثير السياسي"، **مجلة البحوث والدراسات الإفريقية ودول حوض النيل**، مج 9، العدد 2 (2025)، ص 306-324.

46 Laurids S. Lauridsen, "Drivers of China's Regional Infrastructure Diplomacy: The Case of the Sino-Thai Railway Project," *Journal of Contemporary Asia*, vol. 50, no. 3 (2020), pp. 380-406.

47 Shang-su Wu, "China's Rail Diplomacy in Southeast Asia," *The Asia Pacific Journal*, vol. 22, no. 9 (2024).

لقد ظل التنافس الأميركي – الصيني في البحر الأحمر تنافسًا منخفض الحدة، إذ اتخذ شكل سباق صامت على النفوذ الاقتصادي واللوجستي، من دون الاندفاع إلى صدامات مباشرة. غير أنّ اندلاع حرب غزة، وما تبعها من انخراط الحوثيين من خلال هجمات ضد الملاحة التجارية في مضيق باب المندب، شكّل نقطة تحوّل مفصلية في ديناميات هذا التنافس. فقد استهدفوا في البداية السفن الإسرائيلية، ثم توسعت الهجمات لتشمل سفنًا مرتبطة بإسرائيل، مستخدمين في ذلك صواريخ مجنحة وباليستية وطائرات مسيّرة، ثم تطورت نوعية الهجمات لتتحول إلى عمليات استيلاء باستخدام الزوارق السريعة. وأثّر ذلك تأثيرًا حادًا في حركة الملاحة العالمية عبر مضيق باب المندب، على نحو ما رأينا سابقًا. وكشف ذلك عن قدرة فاعل من الفاعلين من غير الدول على التأثير المباشر في الاقتصاد العالمي ومصالح القوى الكبرى بعيدًا عن حدود الإقليم الترابي حيث ينشط الفاعل، ما يمنحه القدرة على خلق ديناميات إقليمية طالما كانت حكرًا على القوى الإقليمية الرئيسة.

وبذلك، أدت حرب غزة، وما تبعها من تصعيد بحري من الحوثيين، إلى بث الحياة في التنافس الأميركي – الصيني في البحر الأحمر، الذي ظل ساكنًا فترة طويلة، كما سبق أن رأينا. فمن جهة، دفعت هجمات الحوثيين الولايات المتحدة إلى التدخل العسكري من خلال عملية حارس الازدهار، لتأكيد دورها بوصفها ضامنًا للمشاع البحري، ومزودًا بالأمن الطاقي، وحاميًا لخطوط التجارة العالمية عبر الممرات الاستراتيجية. ولم يكن هذا التدخل من دون تكلفة سياسية ورمزية أيضًا؛ إذ إن الفشل في ردع الحوثيين وحماية السفن التجارية ينعكس سلبيًا على صورتها قوةً عالمية/ بحرية مهيمنة؛ ولم يكن أيضًا من دون تكلفة عسكرية، بالنظر إلى غياب التكافؤ Asymmetry بين تكاليف هجمات الحوثيين (المدعومين إيرانيًا) وتكاليف العمليات القتالية التي قادتها الولايات المتحدة وحلفاؤها. وعلى الرغم من ادعاءات الولايات المتحدة المتعلقة بتحقيق عملياتها العسكرية أهدافها في تحييد قدرات الحوثيين على تعطيل حركة الملاحة البحرية عبر مضيق باب المندب، فإن تقارير رجحت الفصل بين دور العمليات الأميركية وتراجع هجمات الحوثيين؛ إذ يمكن تفسير هذا التراجع في الأساس بتحويل مسارات الشحن التجاري حول رأس الرجاء الصالح، ما قلل أصلًا عدد الأهداف المتاحة لدى الحوثيين[48].

لن نناقش مسألة الجدوى والفاعلية في المقاربة الأمنية/ العسكرية التي تتبناها الولايات المتحدة، والتي تبينت حدودها في سياقات عديدة، لكن من المهم الإشارة إلى أن هذه المقاربة، في سياق التنافس الأميركي – الصيني، تواجه معضلات، ليس أقلها إمكانية أن تكون نتائج العمليات العسكرية ضد الحوثيين عكسية، مثل تجذير موقفهم وسلوكهم الذي تراه الولايات المتحدة مزعزعًا للاستقرار الإقليمي، وقد يؤدي ذلك إلى انهيار مفاوضات السلام اليمنية وتعميق التحالف الإيراني - الحوثي، ما يعني استئناف هجمات الحوثيين ضد أهداف تتبع السعودية والإمارات[49]، حليفَي الولايات المتحدة في المنطقة؛ ومن ثم عودة الصراع الإقليمي بين إيران والسعودية إلى مستويات حدّته التي سبقت اتفاق المصالحة الإيرانية – السعودية الذي جرى برعاية صينية في آذار/ مارس 2023[50]. وتكمن معضلة المقاربة الأميركية في أن ذلك قد يخدم الولايات المتحدة في سعيها للحدّ من نفوذ الصين، لأنه سيمثل انتكاسة للجهود الصينية الدبلوماسية في تعزيز الاستقرار الإقليمي. لكنّ هذه المعضلة لا تعني الولايات المتحدة فحسب، بل تعني الصين أيضًا؛ إذ إن استمرار سلوك الحوثيين المزعزع لاستقرار خطوط الملاحة الدولية لا يخدم الاقتصاد الصيني، ما يملي عليها ضرورة الضغط على إيران لكبح جماح الحوثيين، لكنها في الوقت نفسه ترى في سلوك الحوثيين عاملًا مقوضًا للاستراتيجية الأميركية وحاسمًا في ترجيح كفة التنافس الإقليمي لمصلحة الصين.

تبنّت الصين خلال أزمة البحر الأحمر، التي سببتها هجمات الحوثيين، مقاربة تقوم على الامتناع المحسوب عن التصرف Calculated Inaction، وهي تتيح لها تحقيق مكاسب من دون تحمّل تكلفة الاشتباك العسكري[51]. فمن خلال امتناعها عن الانضمام إلى العمليات العسكرية الأميركية – البريطانية، التي قادتها الولايات المتحدة، وعدم تأييدها قرار مجلس الأمن رقم 2772 (الذي طالب الحوثيين بوقف فوري للهجمات في مضيق باب المندب)، حافظت الصين على نطاق مناورة واسع بين الولايات المتحدة وإيران (الداعم الإقليمي للحوثيين)، مستفيدةً في الوقت نفسه من ضمانات خاصة حصلت عليها من الحوثيين، عبر إيران؛ منها مرور سفنها بأمان.

48 Edward Beales, "Operation Poseidon Archer: Assessing one year of strikes on Houthi targets," IISS, 18/3/2025, accessed on 8/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BPvo

49 هناك أصلًا سجل سابق من هذه الاستهدافات، ينظر مثلًا: "أبرز الهجمات الحوثية على السعودية والإمارات (إطار) "، **وكالة الأناضول**، 2022/1/19، شوهد في 2025/8/7، في: https://acr.ps/1L9BPUL

50 في تشرين الثاني/ نوفمبر 2024، عُقد الاجتماع الثاني للجنة الثلاثية السعودية - الصينية - الإيرانية المشتركة لمتابعة تنفيذ اتفاق بيجين في الرياض. ينظر: "الصين تؤكد استمرارها في دعم الاتفاق السعودي - الإيراني"، **الشرق الأوسط**، 2024/11/19، شوهد في 2025/8/7، في: https://acr.ps/1L9BPig

51 ويسميها بعض المحللين "الراكب المجاني" في موقفها من الدور الأمني للولايات المتحدة في المنطقة. ينظر مثلًا:
Léonie Allard, "China is testing its Freeriding Strategy in the Red Sea," Atlantic Council, 13/2/2024, accessed on 7/8/2025, at:https://acr.ps/1L9BPyf

وقد أدى ذلك إلى توسّع حصة السفن الصينية في الملاحة عبر البحر الأحمر، في حين تتحمل الولايات المتحدة التكلفة السياسية والعملياتية للرد على الهجمات. وتقدّم الصين هذه السياسة باعتبارها دعوة إلى "خفض التصعيد"، وهي سردية تسمح لها بتجنّب إدانة الحوثيين أو إيران، وإظهار الولايات المتحدة بوصفها طرفًا يديم التوتر ويعمق حالة اللااستقرار الإقليمي. وبذلك تحوّل موقف الصين وسلوكها خلال الأزمة إلى استراتيجية قائمة على الكسب في أيّ من الحالتين: سواء تمكنت الولايات المتحدة من ردع الحوثيين ووقف الهجمات، فتستفيد الصين من عودة التجارة الطبيعية من دون أن تتورط عسكريًا أو تتحمل أي أعباء أو تكاليف؛ أو فشلت، وفي هذه الحالة لن تتأثر الملاحة الصينية بالقدر الذي تتأثر به ملاحة بقية البلدان الغربية[52].

ترى الصين أنّ الانخراط العسكري المباشر في عمليات عسكرية تقودها الولايات المتحدة يُقحمها في مواجهة لا تخدم مصالحها، وأنّ التصعيد الناجم عنها يُسهم في تفاقم عدم الاستقرار في البحر الأحمر والقرن الأفريقي، وهي منطقة محورية في مشروع طريق الحرير البحري ضمن مبادرة الحزام والطريق. وقد أتاح اتساع نطاق حرب غزة نحو مضيق باب المندب، للصين فرصة سياسية سانحة لانتقاد السياسة الأميركية ودورها غير البنّاء في المنطقة، خاصة بسبب دعمها اللامحدود لإسرائيل وجرائمها في قطاع غزة؛ وفي الوقت نفسه، تمكنت من التعامل مع آثار هجمات الحوثيين في مصالحها التجارية في المنطقة من خلال الضغط عليهم وعلى إيران لضمان عدم استهداف السفن الصينية.

وفضلًا عن ذلك، تستند الصين أيضًا إلى حسابات اقتصادية معقّدة. فمن ناحية، لم تتأثر التجارة الصينية إلى الحد الذي يدفعها إلى تغيير جذري في موقفها؛ إذ تجنب الحوثيون استهداف السفن الصينية. ومن جهة أخرى، أدّت الأزمة إلى ارتفاع كبير في تكاليف الشحن، حيث ارتفع مؤشر شنغهاي للشحن بالحاويات بنسبة 161 في المئة منذ أواخر عام 2023، من1029 دولارًا أميركيًا إلى 2694 دولارًا، بسبب اضطرار السفن إلى الإبحار حول رأس الرجاء الصالح، وهو ما يضيف نحو 14 يومًا إلى الرحلات بين آسيا وأوروبا[53]. أما في ما يتعلق بالطاقة، فقد ظلّ تأثير هجمات الحوثيين في البحر الأحمر في أمن الطاقة الصيني محدودًا، على الرغم من ارتفاع تكاليف الشحن؛ ويرجع ذلك إلى أن معظم واردات النفط الصينية، القادمة من الشرق الأوسط، تمر عبر مضيق هرمز وليس مضيق باب المندب[54]. وبناء عليه، تشكّل اضطرابات الملاحة في البحر الأحمر ضغطًا تصاعديًا على أسعار النفط العالمية، لكنها لا تمثّل صدمة مباشرة لأمن الطاقة الصيني، إلا إذا توسّعت الاضطرابات لتمتد إلى مضيق هرمز، وهو ما تعمل الصين على تفاديه.

في سياق التنافس الأميركي – الصيني في البحر الأحمر، مثّلت هجمات الحوثيين في مضيق باب المندب فرصة استراتيجية أمام الصين لتعزيز نفوذها الدبلوماسي في منطقة تضمّ أحد أهم الممرات البحرية لاقتصادها. فقد استفادت من كونها طرفًا مقبولًا لدى الحوثيين (ولدى إيران بالتبعية)[55]، ومن تصاعد الانتقادات الدولية للموقف الأميركي المنحاز تمامًا إلى الاحتلال الإسرائيلي خلال حرب غزة، لتقدّم نفسها بوصفها قوة تنمية وسلام واستقرار في المنطقة، مقارنة بالولايات المتحدة بوصفها قوة هيمنة وغطرسة. وهكذا، عملت الصين على توظيف الأزمة لتعزيز دبلوماسيتها البحرية وترسيخ وجودها ودورها في المنطقة بوصفها فاعلًا دوليًا قادرًا على التأثير في الأمن البحري من دون أيّ انخراط عسكري مباشر؛ وهو ما يعزز خطابها المناهض للأحادية الأميركية، مستثمرةً في ذلك المناخ الأخلاقي والسياسي الذي تمخضت عنه حرب غزة، إذ شعر العديد من دول الجنوب بأن الموقف الغربي يفتقر إلى العدالة ويقوّض القانون الدولي والنظام الدولي الليبرالي الذي أسسته الولايات المتحدة وتدافع عنه.

عمومًا، يمكن القول إنّ الصين، في سياق تنافسها مع الولايات المتحدة، تسعى لاستثمار أيّ فتور في العلاقات الأميركية – العربية، مستفيدةً من تدهور صورة الولايات المتحدة لدى الرأي العام العربي، خاصة بعد حرب غزة[56]. ففي الوقت الذي انحازت فيه الولايات المتحدة إلى إسرائيل، وتبنّت على الدوام مقاربة أمنية ضيقة لا تستجيب دائمًا لأولويات شعوب المنطقة، عملت الصين على توسيع حضورها الاقتصادي وتعميقه بوصفها فاعلًا محايدًا وتنمويًا بخلاف الدور الأميركي، لكنها في الوقت نفسه تسعى لجعل قوتها الاقتصادية قابلة للتحويل Fungible.

52 David Scott, "China's Calculated Inaction in the Red Sea Crisis," CIMSEC, 6/5/2024, accessed on 8/8/2025, at: https://acr.ps/1L9BOWR

53 Cristina Galindo, "Red Sea Crisis from Houthi Attacks Hits World Trade as Cost of Shipping Soars by 170%," *El País*, 5/1/2024, accessed on 31/10/2025, at: https://acr.ps/1L9BPck

54 أسماء السعداوي، "توقعات واردات الصين من النفط الإيراني في ضوء الحرب مع إسرائيل (تقرير)"، **الطاقة**، 2025/6/22، شوهد في 2025/10/31، في: https://acr.ps/1L9BPK6

55 لا ينفي هذا تقارير عديدة اتهمت الصين بدعم حركة الحوثيين، خاصة من الناحية الاستخباراتية. ينظر مثلًا: "أميركا تتهم الصين بدعم الحوثيين استخباراتيًا.. ما التفاصيل؟"، **سكاي نيوز عربية**، 2025/4/19، شوهد في 2025/8/7، في: https://acr.ps/1L9BPg7

56 "اتجاهات الرأي العام العربي نحو الحرب الإسرائيلية على غزة"، المؤشر العربي، وحدة قياس الرأي العام العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (كانون الثاني/ يناير 2024)، شوهد في 2025/8/8، في: https://acr.ps/1L9BPHm

ويشير مفهوم عدم قابلية القوة للتحويل Nonfungibility of Power، في حقل العلاقات الدولية[57]، إلى أنّ موارد القوة التي تمتلكها الدولة ليست قابلة للتحويل تلقائيًا بين مجالات القوة المختلفة، إذ لا يمكن أن تُستبدل القوة الاقتصادية أو التجارية بسهولة بقوة سياسية أو أمنية مماثلة. وتجسّد الصين هذا القيد بوضوح، لكنها تسعى باستمرار للتغلب عليه؛ فعلى الرغم من امتلاكها موارد اقتصادية ولوجستية هائلة، من استثمارات البنية التحتية وشبكات الموانئ وتمويل مبادرة الحزام والطريق، فإنّ قدرتها على تحويل هذا النفوذ الاقتصادي إلى نفوذ أمني أو ردعي فعّال تظل محدودة، نظرًا إلى افتقارها إلى تحالفات عسكرية راسخة أو وجود بحري واسع، على غرار الوجود الأميركي، قادر على تعزيز قدرتها على حماية مصالحها في المنطقة. وإضافة إلى ذلك، فإنّ توسعها التجاري لا يترجَم بالضرورة إلى قدرة سياسية مباشرة على تشكيل مواقف الدول المضيفة أو إدارة الأزمات الإقليمية.

أخيرًا، تتبنى الصين مواقف تقوم على تأسيس علاقات متوازنة مع أطراف متعارضة، مثل السعودية وإيران، أو مصر والسودان وإثيوبيا، وهو ما جسدته في رعايتها اتفاق المصالحة السعودية - الإيرانية في عام 2023؛ إذ تمكنت من إبراز قدرتها على الاضطلاع بدور الوسيط المقبول في بيئة إقليمية شديدة الانقسام؛ وهو ما يمنحها مرونة براغماتية – استراتيجية تفتقر إليها الولايات المتحدة، التي غالبًا ما تقيّدها تحالفاتها السياسية القاطعة، سواء في ما يتعلق بالتزاماتها الأمنية تجاه إسرائيل أو شراكاتها الدفاعية التقليدية في الخليج.

خاتمة

بيّنت الدراسة أنّ حرب غزة لم تقتصر ديناميكاتها على الأراضي الفلسطينية المحتلة، بل تمددت لتشمل ساحات الجوار التقليدية (لبنان وسورية)، ووصلت إلى نطاقات أبعد (إيران واليمن – مضيق باب المندب)؛ وتحولت إلى مسرحٍ جيوسياسي أعاد ترتيب أولويات الأمن الإقليمي والدولي، وأبرز هشاشة الممرات البحرية الاستراتيجية، لا سيما مضيق باب المندب الذي تحوّل من ممر تجاري حيوي طبيعي إلى فضاء جيوسياسي تتقاطع فيه اعتبارات الأمن البحري العالمي مع حسابات التنافس بين القوى الكبرى، خاصة الولايات المتحدة والصين. وأبرزت صعود أدوار فاعلين من غير الدول، مثل جماعة أنصار الله، التي نجحت، من خلال الهجمات التي شنتها على السفن الإسرائيلية والمرتبطة بها في مضيق باب المندب، في تحويل القدرة على تعطيل الملاحة إلى مورد قوة رمزية وسياسية إقليمية غير تقليدية.

وحاجّت الدراسة بأن دور الحوثيين أعاد تفعيل التنافس الأميركي – الصيني في البحر الأحمر بوصفه تنافسًا بين نموذجين للقوة: نموذج أميركي يقوم على الوجود العسكري المكثف، والتحالفات الأمنية التقليدية، وعسكرة الاستجابة للأزمات؛ ونموذج صيني براغماتي حذر يعتمد أساسًا على أدوات الاقتصاد والتجارة والبنية التحتية والدبلوماسية غير المنحازة. وبيّنت أزمة مضيق باب المندب أن الهيمنة البحرية الأميركية تواجه حدودًا عملية، لا بفعل التكاليف المادية والسياسية للانخراط العسكري فحسب، بل أيضًا بفعل صعوبة تحويل التفوق العسكري إلى نفوذ سياسي حاسم في مواجهة فاعلين من غير الدول. وفي المقابل، تُظهِر الأزمة أن القوة الاقتصادية واللوجستية الصينية تواجه قيودًا بشأن قابليتها للتحويل آليًا إلى قوة أمنية في المنطقة، وهو ما يبرر اتجاهها نحو الوساطة وتجنّب الصدامات المباشرة.

وانطلاقًا من المنظور الواقعي البنيوي، يمكن القول إن البحر الأحمر، في ظل الدور الذي أداه الحوثيون في سياق حرب غزة، بات يشكّل مختبرًا للتنافس بين قوة مهيمنة وأخرى صاعدة، في ظل تحول نوعي في قدرات فاعلين من غير الدول يطمحون إلى أدوار إقليمية. غير أن الدراسة بيّنت أيضًا حدود هذا المنظور، الذي يحتاج إلى الانفتاح على مفاهيم وأدوات تحليلية مساعدة، مثل انكشاف نقاط الاختناق البحرية، وعدم قابلية القوة للتحويل، وتحولات أدوار الفاعلين من غير الدول، لفهم تعقيدات السياسة الدولية.

أكدت الدراسة صحة الفرضيتين اللتين انطلقت منهما. فالفرضية الأولى تشير إلى أنّ تداعيات حرب غزة تجاوزت الإطار الجغرافي التقليدي للنزاع الفلسطيني – الإسرائيلي، لتشمل بنية أمن الملاحة في البحر الأحمر وعبر مضيق باب المندب؛ إذ مكّن الفراغُ الأمني البنيوي في المضيق الحوثيين من فرض تكلفة استراتيجية غير مسبوقة على سلاسل التوريد العالمية، سواء عبر استهداف السفن أو عبر دفع شركات الشحن إلى تغيير مساراتها حول رأس الرجاء الصالح. وتظهر هذه الدينامية أن فاعلًا من غير الدول قادر، في اللحظة الإقليمية المناسبة، على أداء دور إقليمي يفوق وزنه التقليدي.

أما بالنسبة إلى الفرضية الثانية، المتعلقة بتباين المقاربتين الأميركية والصينية للاستجابة، فتؤكدها القرائن السلوكية التي كشفت عنها تطورات الأزمة. فقد اعتمدت الولايات المتحدة مقاربة أمنية – تدخلية تقليدية، في حين انتهجت الصين سياسة الامتناع المحسوب عن الانخراط، مستندة إلى نفوذها الاقتصادي والدبلوماسي للحصول

57 حول المفهوم، ينظر:
Joseph Nye, *Soft Power: The Means to Success in World Politics* (New York: Public Affairs, 2004).

على ضمانات لعبور سفنها من دون التورط عسكريًا في الاشتباكات، وهو ما ينسجم مع مقاربتها البراغماتية القائمة على تجنّب الصدام مع الولايات المتحدة والحدّ من التكلفة الاستراتيجية. وبناء عليه، وفّر سلوك الطرفين خلال الأزمة دعمًا إمبريقيًّا مناسبًا للفرضية الثانية.

وأخيرًا، يمكن المحاجة بأن الأمن الدولي في البحر الأحمر ومضيق باب المندب لا يمكن أن يتحدد، من منظور التنافس الجيوسياسي، بتوازن القوة بين الولايات المتحدة بوصفها القوة المهيمنة، والصين بوصفها القوة الصاعدة فحسب؛ بل يتوقف أيضًا على مسألتين أساسيتين: تتمثل الأولى في رغبة الفاعلين الإقليميين والدوليين في بناء منظومة أمن بحري تتجاوز المقاربات العسكرية الضيقة نحو سياسات شاملة لإدارة المخاطر وتعزيز المرونة الاستراتيجية لسلاسل الإمداد العالمية؛ إذ إن استدامة الأمن تتطلب بنية مؤسسية مشتركة قادرة على دمج أدوات الإكراه العسكري والوساطة الدبلوماسية، والتنمية الاقتصادية، خاصة في ظل تصاعد أدوار الفاعلين من غير الدول الذين باتوا قادرين على توظيف التوترات البنيوية الإقليمية والدولية واستغلال الانكشاف الذي تتسم به نقاط الاختناق الاستراتيجية على طرق الملاحة العالمية.

أما المسألة الثانية فتتمثل في أن أزمة البحر الأحمر بيّنت، بما لا يدع مجالًا للشك، أن تحقيق الأمن البحري الإقليمي في المنطقة لا يمكن فصله عن معالجة الصراعات الإقليمية فيها. وكشفت حرب غزة أنّ ترك الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي من دون حلٍّ عادل لا يهدد استقرار الإقليم فحسب، بل يفرض كذلك تكلفة عالمية متزايدة عبر تعطيل حركة التجارة والطاقة، وتوسيع دائرة التوتر إلى ممرات استراتيجية مثل مضيق باب المندب وقناة السويس ومضيق هرمز. وبناء عليه، فإن فرض تسوية عادلة ودائمة للقضية الفلسطينية، وإلزام الاحتلال الإسرائيلي بها، ليس التزامًا أخلاقيًا أو قانونيًا أو سياسيًا فحسب، بل ضرورة بنيوية لاستقرار النظامَين الإقليمي والدولي.

المراجع

العربية

"اتجاهات الرأي العام العربي نحو الحرب الإسرائيلية على غزة". **المؤشر العربي**. وحدة قياس الرأي العام العربي. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (كانون الثاني/ يناير 2024). في: https://acr.ps/1L9BPHm

بسطاوي، زهيرة. "دور الصين في أزمة سد النهضة: النفوذ الاقتصادي وحدود التأثير السياسي". **مجلة البحوث والدراسات الإفريقية ودول حوض النيل**. مج 9، العدد 2 (2025).

"جلال، إبراهيم. "الخلافات السعودية الإماراتية تضع حضرموت على مفترق طرق". **مقال**. مركز مالكوم كير-كارنيغي للشرق الأوسط. 2025/4/11. في: https://acr.ps/1L9BPL2

حمشي، محمد. "صعود الصين من منظور مغاير: نظرية التعقد وأوهـام العقلانيين". **مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي**. مج 6، العدد 2 (2019).

"الضربات الجوية الأميركية على الحوثيين: الخلفيات والحسابات والهواجس". **تقدير موقف**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2025/3/27. في: https://acr.ps/1L9BPiS

عبد الحليم، أميرة محمد. "القواعد العسكرية في البحر الأحمر... تغير موازين القوى". مركز الأهـرام للدراسات السياسية والاستراتيجية. 2024/7/24. في: https://acr.ps/1L9BPkt

العبد الرحمن، حكمات. **الصين والشرق الأوسط: دراسة تاريخية في تطور موقف الصين تجاه قضايا المنطقة العربية بعد الحرب الباردة**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

قدورة، عماد. "موقع دول الخليج العربية في مبادرة الحزام والطريق الصينية". **سياسات عربية**. العدد 63 (تموز/ يوليو 2023).

مطاوع، محمد. "طريق الحرير الجديد في الاستراتيجية الصينية: الأهداف الكبرى، والوزن الاستراتيجي، والتحديات". **سياسات عربية**. العدد 46 (أيلول/ سبتمبر 2020).

ميرشايمر، جون. **مأساة سياسة القوى العظمى**. ترجمة مصطفى محمد قاسم. الرياض: النشر العلمي والمطابع، 2012.

والتز، كينيث. **نظرية السياسة الدولية**. ترجمة سيد أحمد قوجيلي. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، [قيد النشر].

الأجنبية

Allard, Léonie. "China is testing its Freeriding Strategy in the Red Sea." Atlantic Council. 13/2/2024. at: https://acr.ps/1L9BPyf

Alley, April Longley. "How the Houthis Outlasted America Washington Needed an Off-Ramp, but the Group Can Still Imperil the Global Economy." *Foreign Affairs*. 9/5/2025. at: https://acr.ps/1L9BP1Y

Ashraf, Junaid. "String of Pearls and China's Emerging Strategic Culture." *Strategic Studies*. vol. 37, no. 4 (2017).

Barnes-Dacey, Julien, Cinzia Bianco & Hugh Lovatt. "The Gaza Crisis: Mapping the Middle East's Shifting Battle Lines." *Policy Brief*. European Council on Foreign Relations. 25/9/2024. at: https://acr.ps/1L9BOUl

Beales, Edward. "Operation Poseidon Archer: Assessing one year of strikes on Houthi targets." IISS. 18/3/2025. at: https://acr.ps/1L9BPvo

Browne, Brendan Ciarán, Elian Weizman & Jennifer Matchain. "Unpacking the Crackdown on Palestine Solidarity Activism in the UK in a Post-7 October Reality." *Third World Quarterly* (2025).

Chen, Yunnan. "China's Role in Nigerian Railway Development and Implications for Security and Development." The United States Institute of Peace. 2018. at: https://acr.ps/1L9BPqR

_____. "Railpolitik: Ethiopia's Rail Ambitions and Chinese Development Finance." *Policy Brief*. no. 52. China Africa Research Initiative (CARI). School of Advanced International Studies (SAIS). Johns Hopkins University. Washington, DC (2021). at: https://acr.ps/1L9BP5k

"China's Expansion in the Red Sea: Military, Economic, and Digital Influence: By Aparna A Nair." Chennai Centre for China Studies. 11/11/2025. at: https://acr.ps/1L9BPtp

China's Impact on Conflict Dynamics in the Red Sea Arena. Washington, DC: US Institute of Peace, 2020.

Chiyemura, Frangton. "Powering Africa: China's Expanding Role in the Continent's Energy Future." *Report*. no. 6. The China-Global South Project (2025). at: https://acr.ps/1L9BOXK

Clapham, Christopher. *Africa and the International System: The Politics of State Survival*. Cambridge: Cambridge University Press, 1996.

De Freitas, Marcus Vinícius. "Chinese Energy Security: Africa's Opportunity for A New Development Boost." *Policy Paper*. no. 27 / 25. Policy Center for the Bew South (August 2025). at: https://acr.ps/1L9BPa9

Downs, Erica, Jeffrey Becker & Patrick deGategno. "China's Military Support Facility in Djibouti: The Economic and Security Dimensions of China's First Overseas Base." CAN (July 2017). at: https://acr.ps/1L9BPuO

Duff, John A. "The United States and the Law of the Sea Convention: Sliding Back from Accession and Ratification." *Ocean & Coastal Law Journal*. vol. 11, no. 1-2 (2005-2006).

Generoso, Francesco. "Russian interests in the Horn of Africa: A Red Sea foothold?" *South African Journal of International Affairs*. vol. 29, no. 4 (2022).

"Impact on India's Trade Due to Red Sea Disruptions." Research and Information System for Developing Countries (2024). at: https://acr.ps/1L9BP2L

Kiryakova, Elena et al. "China's Evolving Role in Africa's Energy Transition: Overseas Trade and Investment in Kenya, Mozambique and South Africa." *Report*. ODI Global (April 2025). at: https://acr.ps/1L9BPmW

Lauridsen, Laurids S. "Drivers of China's Regional Infrastructure Diplomacy: The Case of the Sino-Thai Railway Project." *Journal of Contemporary Asia*. vol. 50, no. 3 (2020).

"The Bab el-Mandeb Strait is a Strategic Route for Oil and Natural Gas Shipments." U.S. Energy Information Administration (EIA). 27/8/2019. at: https://acr.ps/1L9BPOL

"The Deepening Red Sea Shipping Crisis: Impacts and Outlook." The World Bank. February 2025. at: https://acr.ps/1L9BPTq

"The Red Sea Crisis Impacts on Global Shipping and the Case for International Co-operation." *Background Paper*. The International Transport Forum (2024). at: https://acr.ps/1L9BPLS

"The Year Everything (and Nothing) Changed in the Middle East." *The Economist*. 29/12/2023.

Thrall, Nathan. *The Only Language They Understand: Forcing Compromise in Israel and Palestine*. New York: Metropolitan Books, 2017.

Waltz, Kenneth N. *Theory of International Politics*. Reading, MA: Addison-Wesley, 1979.

Wei, Li. "The Influence of China's Global Soft Power Strategy on its Relations with African Nations." *Journal of International Relations*. vol. 4, no. 4 (2024).

Weitz, Rockford. "Strategic Maritime Chokepoints: Global Shipping and Maritime Industry Perspectives." EMC Chair Conference Paper. at: https://tinyurl.com/kpx3svdk

Wu, Shang-su. "China's Rail Diplomacy in Southeast Asia." *The Asia Pacific Journal*. vol. 22, no. 9 (2024).

Yadav, Stacey Philbrick. "Consolidation Through Crackdown: Understanding Houthi Rule in Yemen." Crown Center & Brandeis University. October 2024.

Marantidou, Virginia. "Revisiting China's 'String of Pearls' Strategy: Places 'with Chinese Characteristics' and their Security Implications." *Issues & Insights*, vol. 14, no. 7 (June 2014).

McManamon, Richard. "'America First' and Implications for US Strategy in the Horn of Africa." *Small Wars Journal*. 14/12/2020. at: https://acr.ps/1L9BPvw

Mearsheimer, John J. *The Tragedy of Great Power Politics*. New York: W. W. Norton, 2001.

Nandini, Nandini et al. "The Red Sea Crisis: Implications of The Houthi Attack on Maritime Trade and Global Security." *International Journal of Humanities Education and Social Science*. vol. 4, no. 1 (2024).

Nye, Joseph. *Soft Power: The Means to Success in World Politics*. New York: Public Affairs, 2004.

Pawlak, Julian & Johannes Peters (eds.). *From the North Atlantic to the South China Sea*. Kiel: The Institute for Security Policy at Kiel University, 2021.

Posen, Barry R. "Command of the Commons: The Military Foundation of U.S. Hegemony." *International Security*. vol. 28, no. 1 (2003).

Quandt, William B. *Camp David: Peacemaking and Politics*. Washington, DC: The Brookings Institution, 1986.

Rahman, Chris & Martin Tsamenyi. "A Strategic Perspective on Security and Naval Issues in the Red Sea and Gulf of Aden." *Ocean Development & International Law*. vol. 41, no. 4 (2010).

Ramani, Samuel. "Russia's Growing Ambitions in the Red Sea Region." *Policy Brief*. Royal United Services Institute for Defence and Security Studies (September 2021). at: https://acr.ps/1L9BPJO

"Red Sea Crisis Threatens India's Exports." Research and Information System for Developing Countries (2024). at: https://acr.ps/1L9BPfj

Scott, David. "China's Calculated Inaction in the Red Sea Crisis." CIMSEC. 6/5/2024. at: https://acr.ps/1L9BOWR

المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/WVSA4137
القبول Accepted
2025-10-20
التعديل Revised
2025-05-20
التسلم Received
2024-12-10

يارا نصّار | Yara Nassar*

الشتات فضاءً سياسيًا: فهم نشأة حركة فتح في بلدان الخليج العربية

Diaspora as a Political Sphere: Understanding the Emergence of Fatah in the Arab Gulf Countries

تتناول الدراسة نشأة حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" في بلدان الخليج العربية، بالتركيز على الديناميات التي رافقتها خلال خمسينيات القرن العشرين وستينياته. انطلقت فتح من فضاء خليجي استطاعت من خلاله تأسيس شبكات استقطاب، وبناء قاعدة نخب فلسطينية نشطة، مستفيدةً من الهوامش المؤسسية التي أتاحت نوعًا من الشرعية المتفاوض عليها، والتي مكّنت الحركة من الانتشار داخل البنى الإدارية الخليجية، وتقديم خدمات اجتماعية وتعليمية للجاليات الفلسطينية هناك. استنادًا إلى بحث سير–ذاتي وأرشيفي، تقدّم الدراسة قراءة تحليلية لتشكّل الفضاء السياسي الفلسطيني في الخليج بوصفه ساحة تأسيس للمشروع التحرري الفلسطيني.

كلمات مفتاحية: فتح، بلدان الخليج العربية، الشرعية المتفاوض عليها، الحركة الوطنية الفلسطينية، الشتات.

This study examines the emergence of the Palestinian National Liberation Movement (Fatah) in the Arab Gulf countries, focusing on the dynamics that accompanied this development in the 1950s and 1960s. Fatah emerged in a Gulf context, through which it was able to establish recruitment networks and build an active Palestinian elite base, utilizing institutional margins, forming a type of negotiated legitimacy that allowed Fatah to expand within Gulf administrative structures and provide social and educational services to Palestinian communities. The study draws on a biographical and archival research to provide an analytical reading of the formation of the Palestinian political space in the Gulf as a foundational ground for the Palestinian liberation project.

Keywords: Fatah, Arab Gulf countries, Negotiated Legitimacy, Palestinian National Movement, Diaspora.

* باحثة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

Researcher, Arab Center for Research and Policy Studies.
Email: yara.nassar@dohainstitute.edu.qa

"كل ما ارتاح الإنسان الفلسطيني بفكر أكثر بالوطن، مش أنّه بنسى، يعني في ناس كانوا يفكروا أنّه خلّوه يروح على الخليج بلكي بنسوا فلسطين، راحوا على الخليج تمسكوا أكثر"[1].

مقدمة

يمثّل الشتات الفلسطيني مختبرًا لدراسة العلاقة بين النفي والهوية والعمل السياسي العابر للحدود، وتُعدّ تجربة تأسيس حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" إحدى أبرز محطات تشكُّل الهوية السياسية الفلسطينية في المنفى، حيث لم تكن ولادة تنظيم جديد فحسب، بل كانت إعادة صوغ للمخيال الوطني الفلسطيني في الشتات وخارج مؤسسات التمثيل الرسمي. في هذا السياق، مثّلت بلدان الخليج العربية بيئة بالغة الخصوصية، فلم تكن فضاءات للاستقرار الاقتصادي للفلسطينيين بعد نكبة عام 1948، بل كانت أيضًا ساحة تأسيس لحركة وطنية لا يمكن عدّها حصيلةً للتفاعل مع الأحداث السياسية والاجتماعية في داخل فلسطين المحتلة فحسب، بل نتيجة نمط فريد تُمفهمه الدراسة على أنّه شرعية متفاوض عليها Negotiated Legitimacy، أتاحت للحركة هامش ممارسة أنشطتها السياسية والتنظيمية.

شهدت دراسات الشتات تطورًا لافتًا خلال العقود الماضية، بتوسّعها من التركيز على الهوية والانتماء إلى تحليل التفاعلات السياسية والاجتماعية المعقّدة التي يُحْدِثها الشتات عبر الحدود الوطنية[2]. وبرز هنا مفهوم "عبر الحدودية" Transnationalism[3]، بما يحمله من دلالات على أنّ المهاجرين ليسوا أفرادًا منقطعين عن أوطانهم، بل إنهم فاعلون سياسيون واجتماعيون قادرون على بناء مؤسسات وشبكات عابرة للدول القومية[4]. وقد خصّت هذه الدراسات الفلسطينيين بمتنٍ واسع، نظرًا إلى تاريخهم الطويل مع النفي القسري والسياسات الاستعمارية، ما جعل من شتاتهم حالة نموذجية لفهم الديناميات المتداخلة بين المنفى والوطن[5].

تقدّم الدراسة قراءة معمّقة في نشأة حركة فتح في الخليج خلال خمسينيات القرن العشرين وستينياته، والتي جاءت نتاج مسار تراكمي من التنظيم السياسي في المنفى، قام على ضرورة الخروج من حالة التيه السياسي والشتات التنظيمي، وذلك استنادًا إلى مفهومَي السياسة العابرة للحدود Transnational Politics والشرعية المتفاوَض عليها، مع الأخذ في الحسبان حساسية السياق الخليجي، من حيث طبيعة الدولة، وعلاقتها بالتنظيمات العابرة للحدود، وما يترتب على ذلك من ضوابط للعلنية واشتراطات للنشاط السياسي.

بناءً عليه، تحاول الدراسة الإجابة عن سؤال رئيس: كيف تشكّلت الحركة بوصفها تنظيمًا سياسيًا عابرًا للحدود في الفضاء الخليجي؟ بعبارةٍ أخرى: ما الشروط السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي سمحت للشتات الفلسطيني في الخليج بأن يتحول من جالية عمّالية إلى فاعل سياسي منظّم؟ وذلك انطلاقًا من مقاربة نظرية تتأسس على الاعتراف بأنّ الشتات لا يعيش على هامش الدولة القومية فحسب، بل يُنتج ذاتيًا فضاءً سياسيًا بديلًا، تتداخل فيه الهويات والمطالب والعلاقات التنظيمية في بنية غير رسمية، لكنها فاعلة وتجادل الدراسة بأنّ تجربة فتح، التي انبثقت نواتها الأولى في مواقع متعددة ومتزامنة في الكويت والمملكة العربية السعودية وقطر، تمثل نموذجًا للسياسة العابرة للحدود، حيث تحوّل الفلسطينيون من أفراد مهاجرين إلى فاعلين منظَّمين.

منهجيًا، تعتمد الدراسة على بحث أرشيفي يستفيد من أرشيف مشروع "ذاكرة فلسطين" الذي أطلقه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وبحث سير-ذاتي Biographical قوامه تحليل شهادات قادة فتح ومؤسسيها، لا سيّما المذكرات الشخصية، التي يمكن

1 "كلما ارتاح الفلسطيني، ازداد تفكيره في وطنه لا العكس. ثمّة من كان يعتقد بأنّ ذهاب الفلسطينيين إلى الخليج سيُنسيهم فلسطين، لكن عندما ذهبوا إلى هناك تمسّكوا ببلادهم أكثر". "برنامج تاريخ الثورة الفلسطينية: مقابلة يحيى يخلف مع محمود عباس (أبو مازن) - الجزء الأول (التفريغ)"، مادة رقم PM005.225.018.0034521، **ذاكرة فلسطين**، شوهد في 2025/8/5، في: https://tinyurl.com/4bhrf6x7

2 ينظر على سبيل المثال:
Peggy Levitt & Nadya B. Jaworsky, "Transnational Migration Studies: Past Developments and Future Trends," *Annual Review of Sociology*, vol. 33 (2007), pp. 129-156.

3 يترجَم المفهوم إلى العربية بصيغ مختلفة، منها "الأنشطة العابرة للقوميات" كما ترد في معجم العلوم الاجتماعية، الذي يُعرّفها بأنّها "الأنشطة التي تتجاوز حدود الدول، مثل الهجرات البشرية وتدفق الأفكار والمعلومات وانتقال الأموال والأرصدة"، ومن بين الأمثلة التي يعدّدها على الفاعلين عبر القوميين، يذكر المعجم الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ومنظمة التحرير الفلسطينية. ينظر: كريغ كالهون، **معجم العلوم الاجتماعية**، ترجمة معين رومية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص 142. إلّا أنّني أُفضّل في هذه الدراسة ترجمة المفهوم إلى عبر الحدودية (ويعني "عبر الحدودي" حرفيًا "ما هو عابر للحدود")، لا سيّما أنّه أنسب عند الاقتران بظواهر بعينها، مثل السياسة عبر الحدودية، أو السياسة العابرة للحدود كما سأستخدمه لاحقًا.

4 Steven Vertovec, "Conceiving and Researching Transnationalism," *Ethnic and Racial Studies*, vol. 22, no. 2 (1999), pp. 347-462; Roger Waldinger & David Fitzgerald, "Transnationalism in Question," *American Journal of Sociology*, vol. 109, no. 5 (2004), pp. 1177-1195.

5 ينظر على سبيل المثال:
Elizabeth Mavroudi, "Palestinians in Diaspora, Empowerment and Informal Political Space," *Political Geography*, vol. 27, no. 1 (2008), pp. 57-73; Julie Peteet, "Problematizing a Palestinian Diaspora," *International Journal of Middle East Studies*, vol. 39, no. 4 (2007), pp. 627-646; Dan Rabinowitz, "Postnational Palestine/Israel? Globalization, Diaspora, Transnationalism, and the Israeli Palestinian Conflict," *Critical Inquiry*, vol. 26, no. 4 (2000), pp. 757-772.

عدّها مصدرًا رئيسًا لترميم سردية التأسيس وتوفير منظور جوّاني إلى الديناميات التنظيمية والوظيفية، من دون أن تُغفل الدراسة طبيعة هذه الشهادات المحكومة بالتوتر بين الذاتي والسياسي. وبتوسيع عدسة التحليل، فإنّ فهم هذه السرديات واستعادة الممارسات اليومية للفاعلين، التي تحوّلت إلى نواة حركية، يضيء لنا تاريخ فتح ويساعدنا في فهم تشكّل الشتات الفلسطيني في الخليج بوصفه فاعلًا سياسيًا.

تقع الدراسة في أربعة أقسام. يُعرّف القسم الأول المفهومَين النظريَين المؤطرَين للنقاش، السياسة العابرة للحدود والشرعية المتفاوض عليها. ثم يعرض القسم الثاني المشهد الاجتماعي والمهني للفلسطينيين في الخليج خلال الخمسينيات والستينيات بوصفه البنية التحتية للعمل السياسي. ويفكّك القسم الثالث لحظة النشأة التنظيمية للحركة، في الكويت وقطر والسعودية على وجه التحديد. أخيرًا، يحلل القسم الرابع التوترات المرتبطة بالتمثيل والشرعية مع نشأة منظمة التحرير الفلسطينية.

أولًا: الشتات فاعلًا سياسيًا

راوحت اهتمامات دراسات الشتات Diaspora Studies بين نقاشات تعريفية بالمفهوم[6]، وفهم وضعية الشتاتيين في مختلف المجالات المتعلقة بالهجرة والاندماج والعولمة والتنقل والمواطنة العابرة للحدود والتنمية[7]، ودراسة أنماط المشاركة السياسية للشتات؛ من بناء شبكات عابرة للحدود والمشاركة المدنية، بما في ذلك المظاهرات والمبادرات[8]، إلى المشاركة السياسية غير الرسمية للشتاتيين سواء في الدول المستضيفة[9]، أو في بلدانهم الأصلية وهم في الشتات[10]، وكيف يخلق الشتاتيون روابط اجتماعية وسياسية مع مواطنهم الأصلية، ويُنشِئون مؤسسات تتجاوز الحدود السياسية للدول[11]، مع عدم إغفال تأثير مختلف السياقات في الطرائق التي يتفاعل بها الشتات[12]. وقد وثّقت الدراسات أشكالًا مختلفة من الروابط والممارسات والهويات والمنظمات العابرة للحدود الوطنية بين المهاجرين وبلدانهم الأصلية، مثل الروابط الاجتماعية والتحالفات الاقتصادية والأيديولوجيات السياسية وتبادل الموارد[13].

في هذا السياق، اقترحت دراسات الشتات عددًا من المفاهيم المؤطرة لفهم التفاعلات السياسية والاجتماعية في الشتات، تعتمد هذه الدراسة على واحد منها، وهو مفيد لفهم تجربة نشأة حركة فتح في الخليج، وهو السياسة العابرة للحدود، أي تلك التفاعلات التي تُنشئ تداخلًا بين كيانات سياسية منفصلة إقليميًا، ولا تقتصر على مجموعة أنشطة ضيقة الأفق ينخرط من خلالها المهاجرون

6 Gabriel Sheffer, *Modern Diasporas in International Politics* (New York: Saint Martin Press, 1986); Rogers Brubaker, "Revisiting 'The 'Diaspora' Diaspora'," *Ethnic and Racial Studies*, vol. 40, no. 9 (2017), pp. 1556-1561; Jonathan Grossman, "Toward a Definition of Diaspora," *Ethnic and Racial Studies*, vol. 42, no. 8 (2019), pp. 1263-1282; Francesco Ragazzi, "Diaspora: The Politics of Its Meanings," *International Political Sociology*, vol. 6, no. 1 (2012), pp. 107-111.

7 Martin Sokefeld, "Mobilizing in Transnational Space: A Social Movement Approach to the Formation of Diaspora," *Global Networks*, vol. 6, no. 3 (2006), pp. 265-284; Michel S. Laguerre, *Diasporic Citizenship: Haitian Americans in Transnational America* (New York: St. Martin's Press, 1998); Yasemin Nuhoğlu Soysal, *Limits of Citizenship: Migrants and Postnational Membership in Europe* (Chicago: The University of Chicago Press, 1994).

8 Lorenzo Gabrielli, Sonia Gsir & Ricard Zapata-Barrero, "Political and Civic Participation of Immigrants in Host Countries: An Interpretative Framework from the Perspective of the Origin Countries and Societies," in: Agnieszka Weinar, Anne Unterreiner & Philippe Fargues (eds.), *Migrant Integration between Homeland and Host Society*, vol. 1 (New York: Springer, 2017), pp. 87-116.

9 Riva Kastoryano, "Citizenship, Nationhood, and Non-Territoriality: Transnational Participation in Europe," *PS: Political Science & Politics*, vol. 38, no. 4 (2005), pp. 693-696; Andrea Schlenker, "Divided Loyalty? Identification and Political Participation of Dual Citizens in Switzerland," *European Political Science Review*, vol. 8, no. 4 (2015), pp. 517-546.

10 Jennifer M. Brinkerhoff, "Creating an Enabling Environment for Diasporas' Participation in Homeland Development," *International Migration*, vol. 50, no. 1 (2012), pp. 75-95; Katrina Burgess, "Unpacking the Diaspora Channel in New Democracies: When Do Migrants Act Politically Back Home?" *Studies in Comparative International Development*, vol. 49, no. 1 (2014), pp. 13-43; Alan Gamlen, *Human Geopolitics: States, Emigrants, and the Rise of Diaspora Institutions* (Oxford: Oxford University Press, 2019).

11 José Itzigsohn, "Immigration and the Boundaries of Citizenship: The Institutions of Immigrants' Political Transnationalism," *International Migration Review*, vol. 34, no. 4 (Winter 2000), pp. 1126-1154.

12 Élise Féron & Bahar Baser, "Diasporas and Transportation of Homeland Conflicts: Inter-Group Dynamics and Host-Country Responses," *Ethnopolitics*, vol. 22, no. 4 (2023), pp. 375-383.

13 Linda Basch, Nina Glick Schiller & Cristina Szanton Blanc, *Nations Abound: Transnational Projects, Post-colonial Predicaments, and De-territorialized Nation-States* (Langhorne, PA: Gordon and Breach, 1994); Nina Glick Schiller, "Transnational Lives and National Identities: The Identity Politics of Haitian Immigrants," *Comparative Urban and Community Research*, vol. 6 (1998), pp. 130-161; Luis Eduardo Guarnizo, "The Emergence of a Transnational Social Formation and the Mirage of Return Migration among Dominican Transmigrants," *Identities*, vol. 4, no. 2 (1997), pp. 281-322; Luis Guarnizo, "The Rise of Transnational Social Formations: Mexican and Dominican State Responses to Transnational Migration," *Political Power and Social Theory*, vol. 12 (1998), pp. 45-94; David Kyle, "The Otavalo Trade Diaspora: Social Capital and Transnational Entrepreneurship," *Ethnic and Racial Studies*, vol. 22 (1999), pp. 422-446; Sarah Mahler, "Theoretical and Empirical Contributions toward a Research Agenda for Transnationalism," *Comparative Urban and Community Research*, vol. 6 (1998), pp. 64-102.

في السياسة الداخلية لبلدانهم الأصلية فحسب، بل تؤثر أيضًا في الهويات الجماعية وتصوّرات المواطنة[14].

برز في الحالة الفلسطينية عمومًا، وفي تجربة فتح في الخليج خصوصًا، نمطٌ من الممارسة السياسية شكّل مزيجًا فريدًا. فنشوء الحركة في الخليج، ومن ثمّ توسّعها، إلى جانب اعتماده على العوامل الاقتصادية السانحة وتوافر الموارد، استند أيضًا إلى ما أُمفهمه في هذه الدراسة بالشرعية المتفاوض عليها. حيث تفاعلت الأنظمة الخليجية مع فتح عبر قنوات غير رسمية وبصيغٍ تفاوضية أكسبت الحركة شرعيةً ضمنيةً من خلال السماح لها بإقامة شبكات لوجستية ومؤسسات عابرة للحدود. وتعكس هذه الظاهرة جانبًا مهمًا من السياسة غير الرسمية في الشتات الفلسطيني، والتي أدّت إلى مأسسة فتح مع منحها اعترافًا ضمنيًا؛ الأمر ذاته الذي سيتكرر لاحقًا، وإن بطريقة وفي سياق آخرَين، مع تجربة نشوء حركة المقاومة الإسلامية "حماس" ما بين فلسطين والأردن والخليج، والتي لا يتّسع متن هذه الدراسة لتناولها.

الشرعية المتفاوض عليها هي نمط من الاعتراف الضمني وغير الرسمي الذي تمنحه الدول أو السلطات لمجموعات أو تنظيمات سياسية أو اجتماعية، لا تتمتع بوضع قانوني رسمي، لكنّها تُمنَح هامشًا من العمل المشروع نتيجة لتفاهمات ضمنية، أو توافقات غير مكتوبة، تتأسس على التزام هذه المجموعات بعدم تهديد الاستقرار الداخلي، مقابل السماح لها بقدر من النشاط التنظيمي أو المؤسسي. وتُنتج هذه الشرعية عبر التفاعل المستمر بين التنظيم والدولة، وتُصاغ من خلال حصافة السلوك، وضبط الخطاب، وبناء الثقة، وليس عبر مراسيم قانونية أو اعترافات رسمية. تخلق هذه الشرعية المتفاوض عليها إطارًا سياسيًا غير رسمي يسمح للشتات بأن يصبح كيانًا سياسيًا منظمًا، قادرًا على إنتاج بنى ومؤسسات وشبكات عابرة للحدود. وتنسجم هذه الفكرة مع مفهوم السياسة العابرة للحدود، ليكوّنا معًا إطارًا نظريًا للدراسة، إذ يتجاوز الشتات الحدود السياسية للدولة المستضيفة ويُفرز مؤسسات تضمن له القدرة على التأثير السياسي والاجتماعي في الوطن الأم. لذلك، لا يمكن فهم تجربة فتح في الخليج على أنّها نتيجة لتجمّع لمهاجرين يبحثون عن مصادر دخل قادتهم المصادفة إلى العمل السياسي، بل جاءت بسبب طموح وخيال سياسيَين جمعَ النخبة الفلسطينية، والجالية الفلسطينية ككل[15]، كانت تنظر إلى مصادر الدخل وسيلةً لتمكين النشاط السياسي، ما قادهم إلى تشكيل كيان سياسي متكامل امتلك أدوات سياسية ولوجستية ومؤسسية، أثّر في مسار القضية الفلسطينية على المستويات المحلية والدولية.

تطوّر مجتمعات الشتات التي تولّدها النزاعات، بطبيعتها، شبكاتٍ قائمةً على التضامن وتأكيد الهوية، وتحاول إبقاء الآمال القومية حيّةً من الخارج[16]، ففكرة العودة المحتَمَلة إلى الوطن حاضرة دائمًا لديها، ما يتيح لهم مصلحةً مشروعةً في طريقة تدخّلهم في الشؤون السياسية للوطن الأم، وتأثيرهم في الصراعات والاضطرابات السياسية[17]، سواء بتعطيل حلّ النزاعات وبناء السلام، أو الدفع تجاههما[18]. وتكتسب مجتمعات الشتات أهميةً كبيرةً عند توظيفها أدوات سياسية واقتصادية، كالاستثمارات والتحويلات المالية والتحكّم في وسائل الإعلام، ما يجعلها قادرةً على التأثير في عمليات صنع القرار[19].

على سبيل المثال، يُعزى الارتفاع المفاجئ في قوة جيش تحرير كوسوفو خلال صيف عام 1998 جزئيًا إلى جهود جمع التبرعات التي بذلها الشتات الألباني في الغرب، كما عاد عدد كبير من ألبان كوسوفو في الشتات إليها في أواخر التسعينيات للمشاركة على نحو مباشر في الصراع[20]. ويُعدّ الشتات الإرتيري مثالًا بارزًا آخر على جماعات الشتات المؤجِّجة للصراع، فقد حافظ اقتصاد إرتيريا، خلال فترة صراعها مع إثيوبيا (1998-2000)، على استقراره بفضل تحويلات المغتربين الإرتيريين. وبعد أيار/ مايو 2000، ومع تزايد الهجمات الإثيوبية وما تلاها من انتكاسات عسكرية إرتيرية، ارتفعت تحويلات المغتربين على نحو بارز أيضًا[21]. ويساهم الشتات الكردي في أوروبا إلى حدّ بعيد في

14 Rainer Bauböck, "Towards a Political Theory of Migrant Transnationalism," *International Migration Review*, vol. 37, no. 3 (2003), pp. 700-723; Luis Eduardo Guarnizo, Alejandro Portes & William Haller, "Assimilation and Transnationalism: Determinants of Transnational Political Action among Contemporary Migrants," *American Journal of Sociology*, vol. 108, no. 6 (2003), pp. 1211-1248.

15 موسى الشيخ ومحمد البيروتي، **الشمس تولد من الجبل** (القدس: مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة في جامعة القدس، 2012)، ص 38-39.

16 Terrence Lyons "Engaging Diasporas to Promote Conflict Resolution: Transforming Hawks into Doves," *Working Paper*, Institute for Global Conflict and Cooperation, May 2004.

17 Eva Ostergaard Nielsen, "Diasporas and Conflict Resolution-Part of the Problem or Part of the Solution?" *Brief*, Danish Institute for International Studies, March 2006, p. 1; Joanna Spear, "The Potential Diaspora Groups to Contribute to Peace Building: A Scoping Paper," *Working Paper*, University of Bradford, 2006, p. 2.

18 Feargal Cochrane, "Civil Society beyond the State: The Impact of Diaspora Communities on Peace Building," *Global Media Journal: Mediterranean Edition*, vol. 2, no. 2 (2007), p. 69.

19 Bahar Baser & Ashok Swain, "Diaspora as Peacemakers: Third Party Mediation in Homeland Conflicts," *International Journal on World Peace*, vol. 25, no. 3 (September 2008), p. 13.

20 Fiona Lortan. "Africa Watch: The Ethiopia-Eritrea Conflict: A Fragile Peace," *African Security Review*, vol. 9, no. 4 (2000), p. 2.

21 Ibid.

الصراعات الكردية، من خلال تقديم الدعم المالي للجماعات المسلحة، حيث يجمع هذا الشتات مثلًا مبالغ طائلة في أوروبا لدعم الأنشطة المسلحة في تركيا ماليًا، ومعظمها مساهمات طوعية[22].

تُظهر هذه الأمثلة أن جماعات الشتات يمكن أن تتحوّل إلى موردٍ حاسم في إعادة تشكيل موازين القوى في الوطن الأم، من خلال اقتصاد الصراع العابر للحدود والبنى التمويلية للعمل السياسي. وتشير هذه الظاهرة إلى أنّ الفعل السياسي في الشتات لا يُختزَل في بُعد الهوية والانتماء فحسب، بل يمتلك بُعدًا ماديًا واستثماريًا ملموسًا، يُعبَّر عنه في شكل تحويلات مالية، ودعم تنظيمي، وبناء مؤسسات. ويمكن موقعة تجربة حركة فتح في الخليج في إطار هذه الديناميات الشتاتية، حيث وفّرت بيئات الخليج ومواردها فضاءً سياسيًا واقتصاديًا مكّن الحركة من تأسيس شبكات تمويل ذاتية وتنظيمات لوجستية واجتماعية، فوجود فتح في الخليج كان جزءًا من بنية أوسع لاقتصاد وطني موازٍ، اعتمد في مراحله الأولى، وحتى اللاحقة[23]، على دعم الشتات الفلسطيني الذي رأى في الحركة أداةً للتعبير عن تطلعاته الوطنية، وقناةً لإعادة التموقع السياسي خارج حدود السيطرة الاستعمارية.

على الرغم من شيوع نماذج في أدبيات الشتات تُبرز دور الجاليات في دعم حركات وطنية نشطت أساسًا داخل أراضيها، كما في حالات كوسوفو أو إرتيريا أو الأقاليم الكردية، فإنّ الحالة الفلسطينية تمثّل نمطًا مختلفًا بنيويًا؛ إذ نشأت الحركة بوصفها مشروعًا وطنيًا في فضاء الشتات قبل أن تُعاد موضعة فعلها داخل الإقليم. في هذا المعنى، لا يقتصر دور الشتات على الدعم أو التعبئة، بل يمتد إلى إنتاج التنظيم ذاته وصوغ خطابه وبناء أدواته المؤسسية. ولا تُعدّ هذه الحالة فريدة تمامًا، إذ يمكن مقارنتها بحذر بحركات نشأت هي الأخرى في المنفى، مثل المؤتمر الوطني الأفريقي خلال سنوات المنفى قبل عودته إلى الداخل، غير أنّ خصوصية الحالة الفلسطينية تكمن في تشتت الشعب ذاته وغياب كيان وطني سيادي عند لحظة التأسيس. وبناء عليه، تُستخدَم المقارنة هنا بوصفها أداة لإبراز الاختلاف وحدود القياس، لا للقول بتماثل تاريخي أو تنظيمي مباشر.

22 Martin Van Bruinessen, "Shifting National and Ethnic Identities: The Kurds in Turkey and the European Diaspora," *Journal of Muslim Minority Affairs*, vol. 18, no. 1 (1998), pp. 39-52.

23 مثلًا دعم أثرياء فلسطين في الكويت للمشردين من الحرب الأهلية في لبنان. ينظر: "أبو إياد في لقائه بالشخصيات الفلسطينية بالكويت: عن ثورتك ادفع بمالك، وعن وطنك ادفع بنفسك، وعن دينك ادفع بالجميع - 21 ديسمبر/ كانون الأول 1975"، مادة رقم PM005.128.003.0002685، **ذاكرة فلسطين**، شوهد في 2025/8/13، في: https://tinyurl.com/5xbd5nde؛ السياسة (الكويت)، "تجاوب أثرياء فلسطين في الكويت مع دعوة أبو إياد"، مادة رقم PM005.128.003.0002323، **ذاكرة فلسطين**، 1975/12/20، شوهد في 2025/8/7، في: https://tinyurl.com/5a8dh4fx

تتقاطع ديناميات تمويل الشتات للحركات السياسية مع شبكات الثقة العابرة للحدود Transnational Trust Networks، وهي علاقات شخصية متشعّبة وقوية، يخاطر الأفراد من خلالها بالموارد والمشاريع الطويلة الأمد ذات العواقب المهمة أمام سوء التصرف المحتمَل من الآخرين[24]. وتُبنَى هذه الشبكات على الروابط العائلية أو المناطقية أو الأيديولوجية، وتعمل خارج الأطر الرسمية، ما يمنحها مرونةً وقدرةً على التكيّف ضمن بيئات قانونية وسياسية معقدة[25]. وغياب الاعتراف الرسمي لا يعني غياب التنظيم، وغالبًا ما يؤدي إلى تطوير مؤسسات تظلّ معتمدةً على موارد الشتات وتعمل وفق منطق الشرعية الاجتماعية بدلًا من الشرعية القانونية. في حالة فتح في الخليج، ساهمت هذه الديناميات في نشوء اقتصاد سياسي غير رسمي، يقوم على التحويلات المالية التي يجمعها الشتات الفلسطيني لدعم العمل الوطني، وهو نمط غير خاضع لرقابة الدولة، مكّن الحركة من توسيع قاعدتها التنظيمية ونشاطها السياسي.

يمثّل هذا النمط من الدعم المالي والتنظيمي صورة من اقتصاد الشتات، الذي لا يقتصر على التحويلات الفردية، ويمتد ليشمل شبكات تمويل جماعية تتجاوز الأطر القانونية والرسمية، وتستند إلى رأس مال اجتماعي لا مركزي. تعيد هذه الآلية إنتاج شكل من الاقتصاد الوطني الموازي، الذي لا يُدار من المركز، بل يُفعَّل من خلال الجاليات، ويحوِّل العلاقات الاجتماعية إلى أدوات لتأمين استدامة المشروع الوطني في المنفى. على هذا الأساس، يصبح فهم نشأة فتح في الخليج وتحولاتها اللاحقة متصلًا بفهم هذه الديناميات الاقتصادية والاجتماعية التي أسّست لبنيتها الأولى، من خلال تتبّع سِيَر مؤسسي الحركة، وقراءة تموضعاتهم ضمن البنى المجتمعية والسياسية المحلية.

ثانيًا: مؤسسو فتح: الوقائع والمواقع المهنية والجغرافية

لا يمكن فصل حضور الفلسطينيين في الخليج، وهو حضور تشكّل بالأساس من خلال مسارات العمل والوظيفة، عن حدثين، هما نكبة عام 1948 بوصفها لحظة طرد قسري، ولحظة استدعاء الخليج للخبرات العربية (ومنها الفلسطينية)، مع نموّ قطاع النفط وبدء استقطاب العمالة الأجنبية في بداية الخمسينيات. على هذا النحو، تشكّل الشتات الفلسطيني في الخليج قبل أن يُنظَّم سياسيًا، ومن داخل هذا التوزّع الأولي، ستنبت نواة العمل الفتحاوي وتُشتق أدواته لاحقًا.

24 Charles Tilly, "Trust Networks in Transnational Migration," *Sociological Forum*, vol. 22, no. 1 (March 2007), p. 7.

25 Cindy Horst, "The Transnational Political Engagements of Refugees: Remittance Sending Practices amongst Somalis in Norway," *Conflict, Security & Development*, vol. 8, no. 3 (2008), pp. 317-339; Anna Lindley, *The Early-Morning Phonecall: Somali Refugees' Remittances* (New York: Berghahn Books, 2010).

على الرغم من أنّ النكبة هي الحدث المفصلي الذي دفع بهجرة جماعية فلسطينية، فإنّ وصول الفلسطينيين إلى الخليج يسبق ذلك بعقد تقريبًا. ففي عام 1936، زار المفتي العام للقدس الحاج محمد أمين الحسيني (1895-1974) الكويت في طريقه لأداء فريضة الحج، وذلك بناءً على دعوة من الكويتيين. وخلال زيارته، طلبت منه دائرة المعارف الكويتية الناشئة آنذاك، والتي كانت تؤدي دور وزارة التربية والتعليم، أن يرسل معلمين فلسطينيين إلى الكويت. نتيجةً لذلك، بدأت وفود تعليمية من معلمين فلسطينيين تصل إلى الكويت، ليساهموا في صعود النفوذ القومي العربي[26] في النظام التعليمي الكويتي الناشئ، حيث أداروا التعليم حتى عام 1942 على نحو أساسي، وطبّقوا المناهج القومية العربية العراقية في الكويت، مركّزين على أنشطة مثل التربية البدنية والأنشطة اللامنهجية والكشافة[27]. وبحلول عام 1948، بلغ عددهم نحو 24 معلمًا و4 معلمات[28]. بعد ذلك، اتّبعت الهجرة الفلسطينية إلى منطقة الخليج نمط الهجرة المتسلسلة، حيث كان القادمون الجدد يتبعون أقاربهم الذين سبقوهم في الإقامة والعمل في المنطقة. وقد بحث شفيق الغبرا هذه الديناميات في حالة الكويت، مسلطًا الضوء على دور العائلة وشبكات القرابة العابرة للحدود بوصفها الوحدة المركزية للبقاء الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للفلسطينيين[29].

صاحب ذلك، في حقبة ما بعد النكبة، حاجة دول الخليج إلى رفد أجهزتها الناشئة بالكفاءات، فتحوّل التعليم على وجه الخصوص إلى ميدان أوّل لاستيعاب الفلسطينيين[30]. لهذا، تميّزت هذه الموجة من المهاجرين بتدفّق انتقائي لأفراد متعلمين وذوي مهارات عالية وجدوا فرصًا، إلى جانب التعليم، في قطاعات ناشئة. ومن أبرز سمات هذه المرحلة هيمنة فئة الشبّان الذين هاجروا بمفردهم، تاركين أسرهم في فلسطين أو في البلدان التي لجؤوا إليها[31]، إلى أن تتوافر ظروف معيشية أكثر استقرارًا تمكّنهم من استقدامهم. ووجد العديد من الفلسطينيين في الخليج فرصةً للهروب من ظروف الحياة القاسية وانعدام فرص العمل في المخيمات، سواء

26 اندلعت شرارة النشاط القومي العربي في الكويت على وجه التحديد بتأثير من العراق، الذي شهد نشاطًا قوميًا عربيًا حازمًا في ثلاثينيات القرن العشرين. وتعود أولى بوادر وجود نشاط قومي عربي منظم في الكويت إلى عام 1931، مع مجموعة "الشبيبة" أو "حزب الشباب" في الكويت، وهي جماعة تبنّت آراء سياسية لبعض القوميين العراقيين. وسرعان ما ركز نشاط الشبيبة الكويتية على القضية الفلسطينية، التي أصبحت عاملًا مهمًا في التطور السياسي الداخلي للكويت خلال السنوات اللاحقة. في ذلك الوقت، برزت القضية الفلسطينية نقطةَ ارتكازٍ للرأي القومي العربي، حيث بدأ محمد أمين الحسيني، منذ عشرينيات القرن العشرين، في توجيه نداءات إلى الأقطار/ الشعوب العربية والإسلامية لمواجهة الدعم الدولي الذي حظيت به الحركة الصهيونية. وكان من أولى الاستجابات، إرسال المجلس الإسلامي الأعلى وفودًا لجمع التبرعات إلى دول مختلفة، من بينها الكويت عام 1924. ينظر:

Talal Al-Rashoud, "Modern Education and Arab Nationalism in Kuwait, 1911-1961," PhD thesis, SOAS University of London, 2017, pp. 103, 105, 107-108.

وفي عام 1936، هزّ اندلاع الثورة العربية في فلسطين العالم العربي، ما أدى إلى تصاعد النشاط القومي العربي المؤيد للفلسطينيين في الكويت. ينظر:

Yehoshua Porath, *In Search of Arab Unity 1930-1945* (London: Frank Cass, 1986), p. 162.

وأدّى التجار الكويتيون دورًا بارزًا في أن تصبح الكويت أكثر الأماكن نشاطًا في الخليج في دعم الثورة العربية، حيث كانت علاقاتهم بالعالم العربي وطيدة خلال عشرينيات القرن العشرين وثلاثينياته، لا سيّما مع فاعلين فلسطينيين مثل محمد أمين الحسيني، ما يدل على تداخل الشبكات القومية العربية والحداثية الإسلامية آنذاك. ينظر: Al-Rashoud, p. 109.

27 Al-Rashoud, p. 87.

أتاحت الأنشطة اللامنهجية على وجه الخصوص تفاعلًا اجتماعيًا وثيقًا بين المعلمين الفلسطينيين وطلابهم، لم تقلّ أهمية عن المنهج الدراسي الرسمي في نشر الأفكار القومية العربية. ويتجلى ذلك في حالة أحمد الخطيب (1927-2022) مثلًا، الذي شارك في تأسيس حركة القوميين العرب في بيروت خلال خمسينيات القرن العشرين، فيقول عن أيّام دراسته في الثلاثينيات "وفي المباركية بدأت أتعرف الشعور القومي الذي زرعه الأساتذة القادمون من فلسطين المهددة من الإنجليز والصهاينة، والمرشحون للكويت من قبل مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني – وقد أحسن الاختيار. وكان التصاقنا بالأستاذ فيصل رشيد الطاهر شديدًا لأنّه يبقى في الصيف بالكويت ويفتح المدرسة المباركة ناديًا للرياضة والتسلية والرحلات مشيًا على الأقدام [...] وعشنا معه مأساة الفلسطينيين خصوصًا بعد ثورة 1936 [...] كان أستاذنا فيصل الطاهر قد علّمنا كيف يُصنع البارود وهذا يعكس أثر الصراع الدائر في فلسطين". ينظر: أحمد الخطيب، **من الكويت إلى الإمارة: ذكريات العمل الوطني والقومي** (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2007)، ص 42-43.

28 خالد يوسف ربيع الشطي، **الكويت والقضية الفلسطينية: دعم ومناصرة** (الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2012)، ص 38-40، 42.

29 شفيق الغبرا، **النكبة ونشوء الشتات الفلسطيني في الكويت** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)، ص 38-42.

30 في الكويت على سبيل المثال، ومن عام 1945 إلى النكبة، أصبحت السيطرة المصرية على وزارة التربية والتعليم الكويتية شبه كاملة. فقد استُوردت المناهج والكتب المدرسية من القاهرة، وكذلك جميع الموظفين غير الكويتيين تقريبًا. ولعل من المفارقات أنّ هذا التعريب الشامل للتعليم الكويتي لم يعزز طابعه القومي العربي. فمع أنّ بعض المعلمين المصريين كانت لديهم ميول قومية عربية، فهذا لا ينطبق على المنهج المصري ذي التوجهات الأوروبية. خلال هذه المرحلة، توقف غرس القومية العربية في المدارس الكويتية على نحو هرمي، إلّا أنّ بعض أعضاء البعثات المصرية كانوا يحملون آراء قومية. ومنذ عام 1948، تزايدت أعداد الموظفين الفلسطينيين، حيث قرر المجلس التربوي في الكويت توظيف معلمين فلسطينيين مع بداية العام الدراسي 1948-1949. وتحدّى هؤلاء الموظفون الهيمنة المصرية، ما أدى إلى صراعات بينهم داخل الوزارة. علاوة على ذلك، ومع تقييد الساحة السياسية بشدة، أصبح القطاع التعليمي القاعدة الرئيسة للنشاط القومي في البلاد، ومثّل منطلقًا للعديد من المشاريع الثقافية والسياسية. وساهم الفلسطينيون في النشاط القومي العربي المحلي. وكان أحد ملامح التوتر المصري - الفلسطيني في داخل الجهاز التعليمي الكويتي هو سعي المعلمين الفلسطينيين والمعلمين الكويتيين إلى تعديل المناهج الدراسية المصرية. وبعد خفوت الهيمنة المصرية ومغادرة البعثة المصرية الكويت، وتحديدًا في الفترة 1950-1952، تولّى درويش المقدادي (1898-1961)، المفكر الفلسطيني القومي العربي، إدارة وزارة التعليم، وسعى إلى قطع الصلة نهائيًا بالإرث المصري من خلال إدخال منهج وطني قائم على الوطنية الكويتية والقومية العربية. إلّا أنّه جوبه بمعارضة عناصر محافظة داخل الوزارة، سعوا إلى إعادة بناء العلاقات التعليمية مع مصر. وأسفر ذلك عن عودة البعثة التعليمية المصرية عام 1952، كما أدى تصاعد النزعة الكويتية الانتقائية إلى تخفيض رتبة المقدادي إلى مساعد مدير التعليم في العام نفسه. ينظر: Al-Rashoud, pp. 174-175, 176, 188, 191, 198. مع ذلك، كانت الأجواء في خمسينيات القرن العشرين مواتية لتوافد الفلسطينيين، حيث أدّت المجتمعات الخليجية دورًا فاعلًا في دعم حركات التحرر العربية، تحديدًا في فلسطين، على سبيل المثال لجنة "كل مواطن خفير" لمنع دخول البضائع الإسرائيلية إلى الكويت، والتي أسّستها لجنة الأندية الكويتية، والتي ساهمت في إنشاء مكتب مقاطعة إسرائيل على نحو رسمي ملحقًا بإدارة الجمارك في الكويت، إضافةً إلى تشجيع جميع أشكال المقاطعة، لا سيما على المستوى التجاري. ينظر: الخطيب، ص 139.

31 Eric Rouleau, "The Palestinian Diaspora of the Gulf," *MERIP*, no. 132 (May/ June 1985).

تلك الواقعة تحت الإدارة المصرية في غزة أو تحت الحكم الأردني في الضفة الغربية أو في بلدان طوق فلسطين[32]. أمّا من حيث مسارات الدخول، فقد أتى معظم الفلسطينيين من خلال لجان استقدام أو بعثات تعليمية أرسلتها دول الخليج لاستقطاب الكفاءات العربية المؤهلة[33]، بينما استجاب آخرون لإعلانات توظيف نشرتها الممثليات الدبلوماسية الخليجية في الدول العربية، وتحديدًا خلال خمسينيات القرن العشرين[34].

مع نهاية الخمسينيات، لم يكن الأعضاء المؤسسون لحركة فتح بمنأى عن هذه الهجرات العمّالية، بل سعوا إليها في إطار الضرورة المالية والتنظيمية، ودفعتهم محدودية الموارد في المناطق التي أتوا منها، إضافة إلى الحاجة إلى توفير دعم مالي للحركة الناشئة. على سبيل المثال، يذكر صلاح خلف[35] أن ياسر عرفات حثّه على البحث عن وظيفة في إحدى دول الخليج، فاختار أن يتقدّم بطلب إلى وزارة المعارف القطرية، وحصل على جواب إيجابي، لكن سرعان ما سُحِب العرض بناءً على تحذير من المخابرات المصرية، التي وصفت خلف بأنّه شيوعي[36]. غير أنّ الأبواب لم تُغلق في وجهه كليًا، إذ زار عبد العزيز حسين (1920-1996)، مدير التعليم في الكويت، غزة ضمن بعثة لاستقطاب معلمين، فالتقى به، وقبل بتوظيفه[37]، لينتقل إلى الكويت عام 1959. وتلتقي هذه الرواية مع روايات أخرى، من بينها رواية محمود عباس، الذي ذكر أنّه رتّب لخلف عقدًا احتياطيًا في قطر، لكنّه التحق بالكويت بعد أن حصل على عقد رسمي هناك[38].

وصلت شخصيات فلسطينية أخرى إلى الكويت في أوائل الستينيات، منها سليم الزعنون، الذي جاء عام 1960 بتأشيرة أرسلها إليه أحد الفلسطينيين هناك وهو ظافر الشوا (1908-2003)، وعند وصوله، قابل سعد العبد الله السالم الصباح (1930-2008)، نائب رئيس دوائر الشرطة آنذاك، حاملًا رسالة توصية من مدير البنك العربي في بيروت سامي العلمي (1924-2010). وقد حصل الزعنون على وظيفة في الادعاء العام، وترقّى لاحقًا لتنظيم محكمة المرور، وهي من أبرز المحاكم حينها، ما يدل على سرعة اندماجه في الجهاز الإداري الكويتي[39]. وكانت هذه العلاقات مع مراكز النفوذ أحد عوامل نموّ النفوذ الفلسطيني هناك.

في قطر أيضًا، بدأ تزايد الوصول الفلسطيني مع تأسيس وزارة المعارف عام 1957. كانت اللجنة المكلّفة بالتوظيف تضمّ الشيخ جاسم بن حمد آل ثاني (1921-1976)، أول وزير معارف في البلاد[40]، إضافة إلى أكاديميين فلسطينيين، ما سهّل عملية الاستقطاب. من بين من وصلوا عام 1957 سليمان الشرفا، الذي استفاد من موهبته في كرة القدم للحصول على وظيفة في الوزارة، إذ كانت الرياضة جزءًا من أجندة الوزارة الجديدة[41]. ثم جاء عباس في أيلول/ سبتمبر من العام نفسه، الذي كان لا يزال في سنوات دراسته الجامعية في دمشق. وأدّت العلاقات الشخصية دورًا، حيث كان عباس على معرفة بعضو اللجنة عز الدين إبراهيم، الذي سهّل عبوره واستقطابه ضمن بعثة تعليمية قصدت دمشق[42]. وفي عام 1962، انتقل سعيد المسحال من السعودية إلى قطر، بعد أن عمل هناك منذ عام 1957، ثم التحق به كمال عدوان عام 1963، الذي كان في السعودية أيضًا منذ عام 1959، وعملوا في إدارة شؤون النفط. ما يدل على توسّع حضور الفلسطينيين إلى ما هو أبعد من قطاع التعليم. وعام 1963، وصل عبد الفتاح حمود من السعودية للعمل مع شركة "شل" Shell، ما جعل قطر لاحقًا أحد مراكز تنظيم فتح القادم من السعودية، في انعكاس للتنقّلات الحركية والتنظيمية عبر الخليج[43].

أمّا السعودية، فقد كانت منذ الخمسينيات ساحة أولى للتشكّل التنظيمي. ويروي خليل الوزير أنّه مع عدد من رفاقه، من بينهم عدوان (الذي كان بيته في وقتٍ لاحق مقرًا للقاءات وحفظ الأوراق والمجلات[44]) وحمود، كوّنوا مجموعة من الشباب تسعى

32 خير الدين أبو الجبين، **قصة حياتي في فلسطين والكويت** (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2002)، ص 100.

33 صلاح خلف، **فلسطينيّ بلا هوية** (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2020)، ص 57؛ محمود عباس، **أيام في قطر** (عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2020)، ص 23؛ الغبرا، ص 77.

34 سليمان الشرفا، **مذكرات** (رام الله: دار طِباق للنشر والتوزيع، 2021)، ص 37-39.

35 حول المعلومات البيوغرافية لأعلام فتح، ينظر الجدول.

36 معين الطاهر ومنى عوض الله، **مسارات صعبة: الحركة الوطنية الفلسطينية في سيرة صلاح خلف (أبو إياد)، 1933-1971** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025)، ص 115-116.

37 خلف، ص 57-58.

38 عباس، ص 100.

39 سليم الزعنون، **السيرة والمسيرة** (عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2013)، ص 84-86.

40 بحسب الشهادات، كان الشيخ جاسم يضمن حرية التحرك والاختيار لأعضاء الحركة في بداياتها. ينظر مثلًا شهادة رفيق النتشة: "مشروع تسجيل وتوثيق تاريخ الثورة الفلسطينية: رفيق النتشة (التفريغ)"، مادة رقم PM005.225.018.0016394، **ذاكرة فلسطين**، شوهد في 2025/8/5، في: https://tinyurl.com/54rxbhjy

41 الشرفا، ص 43-46.

42 عباس، ص 25، 100.

43 أحمد عزم، **كمال عدوان: رجل في ثورة.. وثورة في رجل** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024)، ص 214.

44 "مقابلة مع محمد علي الأعرج (أبو رائد) عن كمال عدوان"، مادة رقم PM005.132.018.0008578، **ذاكرة فلسطين**، شوهد في 2025/8/5، في: https://tinyurl.com/23waemu2

لبلورة عمل تنظيمي جديد، وهم جميعًا عملوا في التعليم في المنطقة الشرقية بالسعودية. وكان الوزير قد عمل على نطاق غير رسمي عام 1957، تقريبًا، في مكتب العمل السعودي بالقاهرة عن طريق قريب له، مكّنه من توزيع المعلمين الفلسطينيين الوافدين على مناطق مختلفة، فحرص على إرسال من تجمعهم به قرابة إلى أماكن محددة، في خطوة مهّدت لبناء علاقات تنظيمية لاحقة. ثم انتقل الوزير عام 1957 إلى منطقة القنفذة، التي كانت بدائية في تلك الفترة، حيث أسهم مع رفاقه في تطويرها. ولم تكن مساهماتهم مقتصرة على التعليم، بل شملت تأسيس فرق رياضية، وكتابة مسرحية وتمثيلها. لكنّ الظروف المعيشية الصعبة دفعته إلى مغادرة السعودية لاحقًا، ليعمل في التعليم في الكويت عام 1958[45].

تتشابه قصص أعضاء فتح الآخرين الذين قدموا إلى الخليج، في الكويت وقطر والسعودية تحديدًا، وأغلبهم استقروا في هذه البلدان منذ أواخر الخمسينيات، وجاء معظمهم عبر شبكات قرابية ومهنية، وعمل نصفهم تقريبًا في مجال التعليم، بينما عمل الآخرون في قطاعات مهنية مختلفة مثل النفط، كما يبيّن الجدول أدناه، ما أتاح لهم موارد مادية ومعرفية متباينة. وسجّل عام 1957 تحديدًا أكبر نسبة وافدين من بينهم، وكانت أعمارهم في أواخر العشرينيات، ما يشير إلى فئة شابة متعلمة ومؤهلة، عكست تطلعات جيل النكبة الباحث عن أفق جديد للاندماج الاقتصادي والاجتماعي، وفي الوقت ذاته مثّلت قاعدة اجتماعية خصبة لتبلور مشروع سياسي عابر للحدود. وتدلّ البيانات في الجدول أنّ الاستقرار الزمني وفّر للحركة حاضنة ذات ديمومة، بينما عكست الإقامات القصيرة لآخرين طبيعة السيولة الحركية التي ميّزت تكتيكات الحركة في سنواتها التأسيسية. وأسهم هذا التباين بين الاستقرار والتنقل في صقل دينامية السياسة العابرة للحدود، إذ مكّن التنظيم من بناء شبكات داخلية مستقرة، بالتوازي مع المحافظة على قدرة عالية على إعادة التموضع في فضاءات مختلفة وفقًا للظروف السياسية.

الجدول (1) قائمة أعضاء حركة فتح الواصلين إلى بلدان الخليج العربية في الخمسينيات

الاسم	اللقب	الميلاد-الوفاة	الأصل	البلد	عام الوصول	عام المغادرة	مجال الوظيفة
ياسر عرفات	أبو عمار	2004-1929	غزة	الكويت	1957	غير معروف	الأشغال العامة
خليل الوزير	أبو جهاد	1988-1935	الرملة	السعودية	1957	1958	التعليم
				الكويت	1958	1963	التعليم
كمال عدوان	أبو رامي	1973-1935	بربرة	قطر	1957	1957	التعليم
				السعودية	1959	1961	النفط
				قطر	1963	1968	
صلاح خلف	أبو إياد	1991-1933	يافا	الكويت	1959	1967	التعليم
سليم الزعنون	أبو الأديب	2022-1933	غزة	الكويت	1960	غير معروف	المرور
محمود عباس	أبو مازن	1935-	صفد	قطر	1957	1970	التعليم
سليمان الشرفا	أبو طارق	2021-1931	بئر السبع	قطر	1957	غير معروف	التعليم
سعيد المسحال	أبو أسامة	2019-1933	الجورة	السعودية	1957	1962	النفط
				قطر	1962	1974	
محمد يوسف النجار	أبو يوسف	1973-1930	يبنا	قطر	1957	1967	التعليم
رفيق النتشة	أبو شاكر	1934-	الخليل	قطر	1956	غير معروف	التعليم

45 خليل الوزير، "حركة 'فتح': البدايات"، وثيقة خاصة، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 104 (خريف 2015)، ص 93-94.

سليمان أبو كرش	أبو خالد	غير معروف	غزة	السعودية	غير معروف	غير معروف	التعليم
عبد الفتاح حمود	أبو صلاح	1933-1968	التينة	السعودية	1958	1963	النفط
				قطر	1963	1967	
فاروق القدومي	أبو اللطف	1931-2024	قلقيلية	السعودية	1950	1955	النفط
				الكويت	1960	1966	الصحة
هاني القدومي	أبو نبيل	1925-1999	يافا	الكويت	1948	غير معروف	الجوازات/ سكرتير الأمير
سعيد المزين	أبو هشام	1935-1991	أسدود	السعودية	1957	1959	التعليم
يوسف عميرة	أبو نادر	1927-1997	يافا	الكويت	1953	غير معروف	التجارة
عادل عبد الكريم	أبو أكرم	1933-2017	بلعا	الكويت	1957	1990	التعليم
عبد الله الدنان	أبو ياسر	1931-2022	صفد	قطر	1957	1958	التعليم
				الكويت	1960	1990	
توفيق شديد	غير معروف	غير معروف	علار	الكويت	1957	غير معروف	التعليم
علي الحسن	أبو أيمن	1932-2017	حيفا	الكويت	غير معروف	غير معروف	التعليم
خالد الحسن	أبو السعيد	1928-1994	حيفا	الكويت	1953	1990	البلدية
ماجد أبو شرار	غير معروف	1936-1981	دورا	السعودية	1959	1968	الإعلام
محمد عودة	أبو داوود	1937-2010	سلوان	السعودية	1960	1964	التعليم
				الكويت	1965	1967	المطاحن
فتحي البلعاوي	أبو غسان	1926-1996	بلعا	قطر	1962	1990	التعليم
محمود المغربي	غير معروف	1935-2009	حيفا	قطر	1956	غير معروف	غير معروف
محمد علي الأعرج	أبو الرائد	1935-2014	مجدل صادق	السعودية	1959	1967	النفط
معاذ عابد	أبو سامي	غير معروف	غزة	السعودية	غير معروف	غير معروف	التعليم

المصدر: من إعداد الباحثة، استنادًا إلى مدونة الدراسة من سير ومذكرات وأبحاث.

في ضوء هذه الديناميات، وبحلول منتصف الستينيات، تحوّل الشتات الفلسطيني في الخليج، إلى جانب طبيعته العمّالية، تدريجيًا إلى حقل اجتماعي سياسي خصب، نشأت فيه شبكات وعلاقات وممارسات أسهمت في بناء أرضية ممهدة للعمل التنظيمي، وأوجدت فضاءات تداخلت فيها الحاجات المعيشية مع التطلّعات الوطنية. ومن رحم هذا التشكل الاجتماعي المهني، وُلِدت الأسئلة الأولى حول التنظيم، والبحث عن أدوات فعّالة لمواجهة المنفى وعواقب النكبة، ومهّدت للانتقال من التشتت إلى التنظيم، ومن الحضور إلى الفعل السياسي المنسق.

تشير بعض الأدبيات إلى توفر أكثر من إحدى عشرة رواية عن نشأة فتح، وقد دُوّنت في كتيّب صغير أصدره جيش التحرير الفلسطيني يوثّق هذا التعدد، يتفق معظمها على أنّ مسرح النشاط الأساسي كان بلدان الخليج العربية[46]. لكن لم تنشأ الأفكار الأولى حول الحاجة إلى إيجاد إطار وطني جمعي للفلسطينيين في بلدان الخليج العربية، ما يدل على أن النشأة لم تكن محصورة في مجموعة واحدة أو حتى جغرافيا بعينها، بل جاءت نتيجة تفاعل وتراكم عدد من

46 **فتح في مرحلة التأسيس** (دمشق: جيش التحرير الفلسطيني؛ رئاسة هيئة الأركان؛ إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي، 1977).

الأفراد والمجموعات التي بدأت تفكر، كلٌّ في موقعه، في ضرورة تشكيل كيان فلسطيني مقاوم جديد. فمنها ما يوثق النشأة عام 1954، ومنها ما يذكر عام 1956 في غزة والقاهرة ودمشق بعد الاحتلال الإسرائيلي لقطاع غزة عام 1956، لا سيما في أوساط الطلبة الفلسطينيين[47]. غير أن المؤكّد أنّ بعض الأشخاص الذين تواردت فيما بينهم أفكار التنظيم الأولى انتقلوا بعدها إلى بلدان متفرقة، بما في ذلك البلدان الخليجية، حاملين معهم الأفكار نفسها.

قبل الشروع في تناول تفاصيل نشأة فتح في منطقة الخليج، تجدر الإشارة إلى أنّ المذكرات التي دوّنها مؤسسو الحركة قد تباينت في عرض بعض الوقائع وتحديد التواريخ، وهو تباين قد يُعزى إلى عوامل متعددة، من بينها محدودية القدرة على استحضار التفاصيل بدقة بعد مرور الزمن، أو تقديم روايات ذات طابع انتقائي تعكس منظور الكاتب وتجربته الشخصية، من دون الإلمام الشامل بالأحداث المتزامنة في السياقات الأخرى. وعلى الرغم من هذا التباين، يتقاطع معظم هذه الشهادات في الخطوط العريضة لمسار التأسيس. يسعى القسم التالي من الدراسة إلى ردم هذه الفجوات السردية من خلال المقارنة النقدية بين مختلف الروايات، محاوِلًا الوصول إلى صيغة سردية أقرب ما تكون إلى وقائع النشأة الفعلية للحركة في الخليج.

ثالثًا: لبنات التأسيس: من السرّية إلى العلنية

بحسب روايـة الوزير، بدأ التفكير الفعلي في بناء حركة وطنية فلسطينية في منتصف الخمسينيات، حيث ظهرت نوى تنظيمية في غزة والقاهرة والسعودية والكويت وقطر، وغيرها[48]. وتروي زوجته انتصار (1941-) أنّه شكّل مع عرفات في الكويت خليةً ضمّت لاحقًا عادل عبد الكريم ويوسف عميرة وتوفيق شديد[49]، وكان اجتماعهم التأسيسي الأول في بيت عبد الكريم في الكويت، حيث جرى الاتفاق على الخطوط العامة لبنية تنظيمية جديدة، لم تكن تحمل اسمًا بعد[50]. وانسحب شديد لاحقًا، لتنشأ اللجنة المركزية لحركة فتح مكوَّنةً من الوزير وعرفات وعبد الكريم وعميرة، وانضم إليهم في اللجنة عبد الله الدنان عام 1960[51].

يذكر الدنان أنّ عرفات وعبد الكريم كانا أوّل من بدأ التحرك لتشكيل النواة الأولى للثورة الفلسطينية في الكويت، ثم اجتمعا في كانون الأول/ ديسمبر 1958 ليعرض كل منهما ترشيحاته لأشخاصٍ ملائمين ليكونوا جزءًا من النواة الثورية المطلوبة. ورشّح عبد الكريم خمسة أسماء، ثلاثة منهم كانوا يقيمون في الكويت (شديد وعمر حسني عمر ومحمود حنونة)، واثنان كانا يقيمان في سورية لكنهما انتقلا لاحقًا إلى الكويت (الدنان وعبد الكريم عبد الرحيم). أمّا عرفات فرشّح اسمين فقط، عميرة والوزير. وبحسب رواية الدنان، وقع اللقاء الأول للمرشحين لتشكيل النواة الأولى للثورة الفلسطينية في الكويت في منزل شديد بمدينة الفحيحيل بالكويت، في أواخر كانون الأول/ ديسمبر 1958، وحضره شديد وعبد الكريم وعرفات وحنونة والوزير وعميرة وعمر. وبعد ذلك، كانت معظم اللقاءات تُعقَد في بيت عبد الكريم في الكلية الصناعية بالكويت[52].

استمرت اللقاءات بين أعضاء الخلية الأولى فترة من الزمن، مع حرص صارم على السرّية[53]. وبموازاة هذا المسار، كانت جهود موازية، أو سابقة، تنشط في مناطق أخرى، أبرزها السعودية. يروي الوزير أنّ التنظيم تأسس في القنفذة بالسعودية من مجموع المدرسين العاملين هناك، إذ وُجدت طليعة نشطة في المنطقة الشرقية يقودها حمود وعدوان وغيرهما، وكذلك طلائع في الدمام وقطر[54].

في حزيران/ يونيو 1958، طلب الوزير وعرفات، بحسب رواية الدنان، من عبد الكريم كتابة البيان الأول للحركة بعنوان "بيان حركتنا"، حيث كان الوزير سيزور غزة لدعوة الناس إلى الحركة مستندًا إلى نص مكتوب[55]. لكن لا يوجد دليل حتى الآن يؤكد من كتبه، فالمسحال في قطر أكّد أنّه كاتب البيان الأول، وسلّمه هناك إلى حمود الذي نقله إلى عرفات والوزير في مجموعة الكويت، ثم صدر من الكويت بعد إجراء التعديلات عليه. ويروي الوزير أنّ مجموعات قطر والسعودية طلبت الانضمام إلى قيادة الحركة التي شُكّلت في الكويت، بينما يقول المسحال إنّ عضوية اللجنة المركزية لم تكن عضوية فردية، بل عضوية أقاليم، في اختلاف مع روايات أخرى تقول إنّ خمسة مؤسسين هم من أصبحوا أعضاء اللجنة، فكان يُدعى إلى الكويت الأعضاء من قطر والسعودية والأقاليم الأخرى لحضور اجتماع قيادة الحركة، فيرسل كل إقليم من يكون قادرًا من أعضائه على السفر كي

47 عصام عدوان، **حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، 1958-1968** (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2001)، ص 28-31.

48 الوزير، ص 62.

49 انتصار الوزير، **رفقة عمر: مذكرات انتصار الوزير (أم جهاد)** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 69-70.

50 خليل الوزير، ص 62-64.

51 عدوان، ص 45.

52 عبد الله مصطفى الدنان، **المناضل الكبير الدكتور عادل عبد الكريم ياسين: حياته ونضالاته** (عمّان: دار البيروني للنشر والتوزيع، 2021)، ص 15-18.

53 انتصار الوزير، ص 69-70.

54 خليل الوزير، ص 94-95.

55 الدنان، ص 19.

يمثّله[56]. يتكشّف من ذلك أنّ نشأة فتح لم تكن نتاج قرار مركزي أو فعل تنظيمي مكتمل، بل حصيلة تفاعلات شبكية عابرة للحدود داخل فضاء الشتات الخليجي. فالجدل حول كتابة البيان الأول ومسار تداوله بين قطر والكويت، كما الخلاف بشأن طبيعة العضوية في القيادة الأولى، يبرزان هشاشة البنى التنظيمية المبكرة ومرونتها في آن واحد، ويعكسان تصورًا للشرعية قائمًا على التمثيل الإقليمي لا الفردي. من هذا المنظور، لا تبدو فتح في لحظتها التأسيسية حركة ذات مركز واحد، بل مشروعًا سياسيًا تشكّل عبر التداول بين جماعات فلسطينية متفرقة، أسهم الخليج في ربطها وتنظيمها.

في العام نفسه، حمل حمود، الذي كان يعمل في وزارة البترول السعودية، نسخة أولية من البرنامج السياسي للحركة، حين سافر إلى المنطقة المحايدة الواقعة بين الكويت والسعودية، حيث كان مبعوثًا في حملة تفتيشية في هذه المنطقة من وزارة البترول السعودية. والتقى عرفات والوزير وعبد الكريم، وعرض عليهم الانضمام إلى عمل تنظيمي، وكانوا يفكرون في الاتجاه نفسه، فجرى نقاش حول المبادئ، نتج منه تعديل على النص الأصلي، قبل أن تُعاد طباعته بالحبر الأحمر، ويُوزَّع بوصفه أوّل منشور رسمي لحركة فتح. وقد استخدمت في طباعة هذه المنشورات ماكينات الرونيو الخاصة بشركة أرامكو، في عملية سرية كان اكتشافها سيؤدي إلى فصل القائمين عليها من عملهم، في حين لم تكن هذه الإمكانية متوفرة لدى المؤسسين في الكويت[57].

هكذا، بدأ حمود وعدوان معًا في توسيع النواة الأولى في السعودية، مستندَين إلى مجلة **فلسطيننا**[58]، التي كانت تصدر في بيروت وتبشّر بأفكار الحركة، فكانا يوزّعان المنشورات على صناديق بريد الفلسطينيين العاملين هناك، بمساعدة المسحال الذي انضم إليهما لاحقًا، وكان يعمل في مؤسسة البترول والثروة المعدنية السعودية. سرعان ما تشكّلت حلقات أوسع ضمّت شخصيات أخرى[59]. غير أنّ هذا التوسع لم يكن تجنيدًا عشوائيًا، بل وفق خطة تستند إلى قاعدة النوع لا الكمّ، كما في المثال الذي أشار إليه الزعنون، حين قال إنّ من بين خمسين عاملًا في كراج الأشغال بالكويت، سعت الحركة لاستقطاب اثنين فقط، يكونان قادرَين على توجيه البقية. إذ كانت قيادة الحركة تسعى لاستقطاب النخب والكوادر القادرة على التأثير، وتراقب الأفراد، وتختبر ولاءهم في لقاءات وجلسات أولية، ثم تتولى ترقيتهم إلى مواقع الثقة بحسب الالتزام والتضحية. وكانت اللقاءات التنظيمية أشبه بجلسات تكوين وطني، يُزرَع فيها الوعي السياسي، والانتماء، والحذر[60].

أدّى الاتصال الشخصي والعلاقات المباشرة دورًا حاسمًا في الاستقطاب، حيث نشأت الحركة ضمن شبكات تقوم على الثقة والتجربة النضالية المشتركة، أكثر من اعتمادها على حملات استقطاب أيديولوجية أو حزبية. يروي المسحال مثلًا طريقة انضمام خلف، فيقول إنّ حمود، الذي كان في السعودية، ذهب إلى خلف في الكويت طالبًا منه الانخراط في العمل، فاقتنع الأخير بذلك عام 1960[61]. وتصف انتصار الوزير استقطاب الأعضاء في التنظيم الناشئ، حيث كان يجري تباحث ترشيحات يقدّمها الأعضاء لعضوية الحركة في اجتماعات اللجنة المركزية. واتُّفق على أن يتواصل مع المرشح العضو الأقرب إليه، بحيث يتصل به ويُجري معه حوارًا سياسيًا طويلًا يمتد عدة جلسات، وإذا قُبِل المرشح، ينخرط بوصفه عضوًا نصيرًا، بعد أن يؤدي قَسَم الولاء لفلسطين أمام أحد أعضاء اللجنة المركزية[62]. وكانت اللقاءات تجري بين أعضاء مختلف المناطق من أجل العمل التنظيمي في مناطق حدودية[63]، وفي ظروف بالغة الدقة. فقد كان المؤسسون الأوائل يعملون في دول متفرقة، ويتنقلون وفق إجازاتهم السنوية، بينما لم تكن وسائل الاتصال قد تطورت بعد. لذلك، كان الاعتماد على اللقاءات الوجاهية المحددة مسبقًا غالبًا في المناطق الحدودية، مثل منطقة سلوى على الحدود السعودية - القطرية[64]، أو المنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية[65]. هذه البنية الأفقية، التي

56 معين الطاهر، "'فتح': البدايات والمنطلقات والمعنى"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 110 (ربيع 2017)، ص 90.

57 محمد حمزة، **أبو جهاد: أسرار بداياته وأسباب اغتياله**، تقديم سمير يوسف (القاهرة: المركز المصري العربي، 1989)، ص 250.

58 مجلة سياسية، كانت تصدر في بيروت بلبنان، وهي أول مطبوعة لحركة فتح. كانت متداولة في الفترة 1959-1968. وكان يكتب فيها أعضاء الحركة المقيمون في الخليج، كما كانت تنشر رسائل القرّاء الفلسطينيين في بلدان الخليج. ينظر مثلًا: "مجلة فلسطيننا - العدد 3 كاملًا"، مادة رقم PM002.083.007.0017096، **ذاكرة فلسطين**، كانون الأول/ ديسمبر 1959، ص 30-31، شوهد في 2025/8/7، في: https://tinyurl.com/yd85nyn3؛ "مجلة فلسطيننا - العدد 5 كاملًا"، مادة رقم PM002.083.007.0017098، **ذاكرة فلسطين**، شباط/ فبراير 1960، ص 29، شوهد في 2025/8/7، في: https://tinyurl.com/mwaku8xv؛ "مجلة فلسطيننا - العدد 6 كاملًا"، مادة رقم PM002.083.007.0017099، **ذاكرة فلسطين**، آذار/ مارس 1960، ص 29، شوهد في 2025/8/7، في: https://tinyurl.com/4246cbvy

59 حمزة، ص 250.

60 الزعنون، ص 97.

61 سعيد خليل المسحال، **ضياع أمة** (القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات، 2004)، ص 24-25.

62 انتصار الوزير، ص 66-68. استمرّ هذا النمط من الاستقطاب حتى في وقتٍ لاحق بعد إعلان التنظيم، حيث يذكر شفيق الغبرا، بوصفه فلسطينيًا كويتيًا، كيفية استقطابه في فتح ثم انضوائه في صفوفها للقتال. حيث يقول إنّه في خريف عام 1968، عندما كان إلى ثانوية الدعية في الكويت، التقى مجموعةً من الطلبة الفلسطينيين الناشطين في السياسة، فجاءته دعوة لقاء في منزل حسني زعرب، وهو مدرس أول للغة العربية في المدرسة، ويعمل مع فتح في الكويت. وكان لقاءً سريًا أصبح بمنزلة الاجتماع السياسي الأول للغبرا آنذاك، أدى خلاله قَسَم المحافظة على سرّية المناقشات، وعلى خدمة القضية. وأوصاه زعرب بضرورة أن يصبح مثالًا للطلبة الآخرين، فلا يجلب سمعة سيئة لأبناء فتح. ينظر: شفيق الغبرا، **حياة غير آمنة: جيل الأحلام والإخفاقات** (بيروت: دار الساقي، 2012)، ص 42-44.

63 حمزة، ص 250.

64 "مقابلة مع محمد علي الأعرج (أبو رائد) عن كمال عدوان"، مادة رقم PM005.132.018.0008578، **ذاكرة فلسطين**، شوهد في 2025/8/5، في: https://tinyurl.com/23waemu2

65 المسحال، ص 27؛ "المحطة الثالثة: ياسر عرفات اللقاء الأول - أبو رائد الأعرج"، مادة رقم PM005.229.013.0016391، **ذاكرة فلسطين**، شوهد في 2025/8/5، في: https://tinyurl.com/3ujmwp3m

قامت على مبادئ العمل السرّي وشبكة العلاقات غير الرسمية، أظهرت قدرة فتح على الانخراط مع الشتات الفلسطيني، لتخلق مجتمعًا سياسيًا غير مرئي، لكنه نشِط ومتحرك[66].

استخدمت الحركة في هذه اللقاءات إشاراتٍ للتعارف، مثل ولّاعة، أو مكانٍ داخل دورات المياه لتخبئة المنشورات، أو لفّ الرسائل داخل ورق شطائر. ومن أجل تعزيز التواري، كان يحبّذ أن يرافق كل وفد أحد العاملين في قطاع النفط أو الجيولوجيا، باعتبار أنّ وجودهم في الصحراء مبرَّر أمام السلطات. ولعلّ هذا ما جعل شخصيات مثل المسحال وحمود محورية في عمليات التنسيق، نظرًا إلى عملهما مهندسَين في قطاع البترول، ما أتاح لهما هامش حركة يصعب تعقّبه[67].

وفي قطر، تُقدِّم شهادة الشرفا رواية موازية للتأسيس، إذ يذكر أنّ بعد لقائه بمحمد يوسف النجار وعباس عام 1957 في الدوحة، قرّروا تشكيل خلية فتحاوية هناك، في إطار ما سمّاه "سنوات التحضير". ويؤكد أنّ الاتصالات بينهم كانت متزامنة مع حراك مشابه في السعودية والكويت ومصر ولبنان والأردن وشمال أفريقيا[68]، ما يشير إلى أنّ فتح كانت تتبلور فكرةً وتنظيمًا في وقتٍ متقارب في عدة بلدان عربية. وأدّى اتساع دوائر الاتصالات وعقد الاجتماعات بين هذه المجموعات إلى تشكيل بنية أولية لحركة وطنية فلسطينية، تجاوزت الحدود القُطرية، وتوحّدت رؤيتها حول المقاومة. وهذا ما أكّده عباس، حيث قال إنّه جرى تواصل مع التنظيم في الكويت، وفي الأيام الأولى من التعارف، كان يذهب هو ومحمد يوسف النجار يوم الخميس بعد الظهيرة في عطلة نهاية الأسبوع، ويعودان يوم السبت قبل بدء وقت وظيفتهم[69].

كانت البداية في قطر تتركز داخل وزارة المعارف حيث استقطبت فتح كوادرها الأولى، إلّا أنّها سرعان ما أدركت أنّ انغلاق التنظيم في قطاع تعليمي واحد يعرّضه للانكشاف، فبدأت توسّع شبكتها لتشمل العاملين في الشركات والمصانع، لتبني قاعدة أكثر تنوّعًا[70]. ويذكر الدنان أنّ عبد الكريم سافر من الكويت إلى قطر لشرح فكرة الحركة وتنظيم أعضاء جدد بعد لقائه بمحمود المغربي ويوسف النجار، اللذين أكّدا لعبد الكريم أنّهما يتبنّيان الأفكار نفسها ويشكّلان حركة متطابقة الأهداف مع تلك التي تنادي بها فتح[71].

66 المسحال، ص 28-29.

67 المرجع نفسه، ص 27-28؛ محمد علي الأعرج أبو الرائد، "أبو يوسف النجار"، مادة رقم PM005.229.013.0016152، **ذاكرة فلسطين**، 2022، شوهد في: https://tinyurl.com/m95kwxff

68 الشرفا، ص 50-54.

69 "برنامج تاريخ الثورة الفلسطينية: مقابلة يحيى يخلف مع محمود عباس (أبو مازن) - الجزء الأول (التفريغ)"، مادة رقم PM005.225.018.0034521، **ذاكرة فلسطين**، شوهد في 2025/8/5، في: https://tinyurl.com/4bhrf6x7

70 الشرفا، ص 55-56.

71 الدنان، ص 44.

لم يكن توحيد هذه الجهود عفويًا، بل جاء بعد سلسلة من اللقاءات والاجتماعات، كما يوضح الزعنون، الذي التحق بالحركة في الكويت بعد لقاء خليل الوزير. وسرعان ما أصبح عضوًا في اللجنة المركزية وأمين صندوق للحركة، وبات منزله في شارع السور بالكويت مركزًا للاجتماعات. وقد كُلّف الزعنون بإجراء دراسة عن التنظيمات السرّية الفلسطينية، ووجد أنّ عددها يتجاوز 25 تنظيمًا، فكانت الدعوة إلى التنسيق مع هذه المجموعات. وتمثّلت الخلاصة في أنّ "توارد الخواطر" بين الجاليات الفلسطينية هو ما جعلها تتحرك في الاتجاه نفسه، خصوصًا أن كثيرًا من الناشطين الذين شاركوا في المقاومة الشعبية في أماكن وجودهم الأصلية حملوا معهم أفكارهم إلى الخليج بعد الهجرة إليه[72]. وجرى بالفعل في هذه الفترة، بحسب خلف، دمج عدد من التنظيمات الصغيرة، حيث دخلت نحو 35 أو 40 منظمة كانت نشأت عفويًا في الكويت ضمن جسم التنظيم، ما عزز القاعدة التنظيمية وأكسبها تنوّعًا[73].

إلى جانب الحاجة إلى عمل وطني فلسطيني موحّد، تُرجِع بعض التفسيرات سرعة انتشار حركة فتح في بدايات تشكّلها في الكويت إلى حضور شخصية من جماعة الإخوان المسلمين، وهو عميرة، الذي مهّد الأرضية لظهور الحركة داخل الأوساط الفلسطينية ذات التوجه الإخواني، واستقطاب الكثير ممّن انتموا إلى الإخوان المسلمين في الحركة الناشئة، بحيث رأى من ذهب إلى الكويت في تلك المرحلة في فتح امتدادًا طبيعيًا لانخراطهم السياسي، إضافةً إلى أنّ بعض مؤسسي الحركة كانوا أعضاء سابقين في الإخوان، مثل عبد الكريم وعدوان وسعيد المزين والوزير ومحمد يوسف النجار وخلف، وهو ما ساهم في تمهيد نشأة فتح في الوسط الإخواني الفلسطيني في الكويت[74].

72 الزعنون، ص 96.

73 خلف، ص 64.

74 سعود المولى، "فلسطين بين الإخوان و'فتح'"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 93 (شتاء 2013)، ص 154؛ محسن محمد صالح، "الإخوان المسلمون الفلسطينيون ونشأة فتح (1)"، **مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات**، 2020/3/15، شوهد في 2025/8/5، في: https://tinyurl.com/mscf5dvm. يجدر وضع هذا الحضور في سياقه الكويتي الأوسع، إذ إنّ جماعة الإخوان المسلمين في الكويت خلال الخمسينيات والستينيات، كانت تنشط أساسًا في المجالين الاجتماعي والتربوي، لا بوصفها تنظيمًا سياسيًا صداميًا، بل شبكة دعوية حذرة تتجنب العلنية. وفي هذا الإطار، يُفهَم تَماسّ بعض الفاعلين الفلسطينيين، ومنهم يوسف عميرة، مع هذا المناخ بوصفه احتكاكًا فكريًا ضمن فضاء إسلامي عام كان جزءًا من البنية الاجتماعية للكويت آنذاك. ينظر:
Ali A. Alkandari, "The Muslim Brotherhood in Kuwait, 1941-2000: A Social Movement within the Social Domain," PhD thesis, University of Exeter, 2014.
ومن المهم التوضيح أيضًا، في هذا السياق، أنّ الانفتاح على الفلسطينيين في مؤسسات الدولة المختلفة، ولا سيما في الكويت وقطر، يجب ألّا يُعزَل عن السياقين السياسي والفكري الأوسع اللذين حكما تلك المرحلة، فقبول الفلسطينيين واستيعابهم في قطاعات حساسة، كالتعليم والإدارة، لم يكونا نابعَين من التعاطف مع القضية الفلسطينية فحسب، بل ارتبطا أيضًا بتأثير التيارات القومية العربية والإسلامية التي كانت فاعلة في المجال العام، وتمتلك حضورًا اجتماعيًا وسياسيًا مؤثّرًا في صوغ القرار، لا سيما في الكويت. فقد مثّلت النخب القومية، إلى جانب شبكات الإخوان المسلمين، جزءًا من البيئة الحاضنة التي نظرت إلى الفلسطينيين بوصفهم موردًا معرفيًا ورأسَ مال سياسيًا عربيًا، وليس عمالة وافدة فحسب. وأسهم هذا المناخ الأيديولوجي في تهيئة شروط مؤسسية سمحت باندماج الفلسطينيين داخل أجهزة الدولة، وهو ما أتاح لاحقًا هامشًا حاسمًا لتحوّل هذا الاندماج الوظيفي إلى مورد سياسي وتنظيمي لحركة فتح الناشئة.

استنادًا إلى هذه الروايات، تقترحُ الدراسة الشكل (1) لفهم نشأة فتح في الخليج، والذي يُظهر أنّ تأسيس الحركة لم يكن نتيجة مركزية قرارٍ واحد أو مكان محدّد، بل جاء عبر شبكة متداخلة من العلاقات الشخصية، ومسارات الانتقال، والزيارات المتكرّرة بين بلدان متعددة، وتحديدًا الكويت وقطر والسعودية. وتعبّر الطبيعة الأفقية عن غياب الهيكل الهرمي الصارم في البدايات، وعن اعتماد الحركة على الروابط الشخصية والثقة المتبادلة أكثر من المؤسسات الرسمية، ودور رأس المال الاجتماعي في بناء الحركات التحررية في المنفى. ويؤكّد الشكل (1) مركزية خليل الوزير في مرحلة البدايات، حيث وُجِد في أربع بؤر مركزية (غزة، والقاهرة، والسعودية، والكويت)، في حين كانت شخصيات، مثل عدوان وحمود، مركزيةً في مسألة التنقلات والتواصل بين مختلف المجموعات، فاستمرار الحركة لم يكن ممكنًا لولا التوزيع الأفقي للأدوار بين ناشطين كثر، بما حوّل الشتات الفلسطيني في الخليج إلى بيئة إنتاج سياسي متعدّد المراكز. ويُبرز الشكل (1) أنّ التنقلات العابرة للحدود لم تكن هجرات عمل، بل مثّلت قناةً لانتقال الأفكار والموارد التنظيمية، كما يُظهر أنّ الأفقية جرت هندستها جزئيًا عبر تكرار الزيارات واللقاءات، ما جعل الشبكة قادرة على مقاومة الانقطاع. منحت هذه البنية الشبكية الحركة مرونة في مواجهة التعدد الجغرافي، وأسست لاحقًا لشرعية فتح في أوساط الشتات.

تكشف هذه الشبكة الأفقية غير الرسمية عن بنية تنظيمية تتوافق مع نموذج تنظيمات الشتات التي تتشكّل بعيدًا عن البنى الحزبية الصلبة، وتُبنى على الثقة والانتماء والذاكرة السياسية المشتركة. وقد أتاح غياب بنية رسمية للدولة في تلك الفترة مساحةً للمناورة، سمحت لفتح بالتحرك بوصفها تنظيمًا سياسيًا يربط الشتات بالمركز، من دون أن يكون هذا المركز محددًا جغرافيًا. وعلى هذا النحو، تمثّل تجربة الحركة في الخليج مثالًا نموذجيًا على الكيفية التي يتحول بها الشتات من مواقع متفرقة إلى بنية سياسية فاعلة عبر أدوات غير تقليدية.

الشكل (1)
الشبكة الأفقية لتشكّل فتح في الخليج

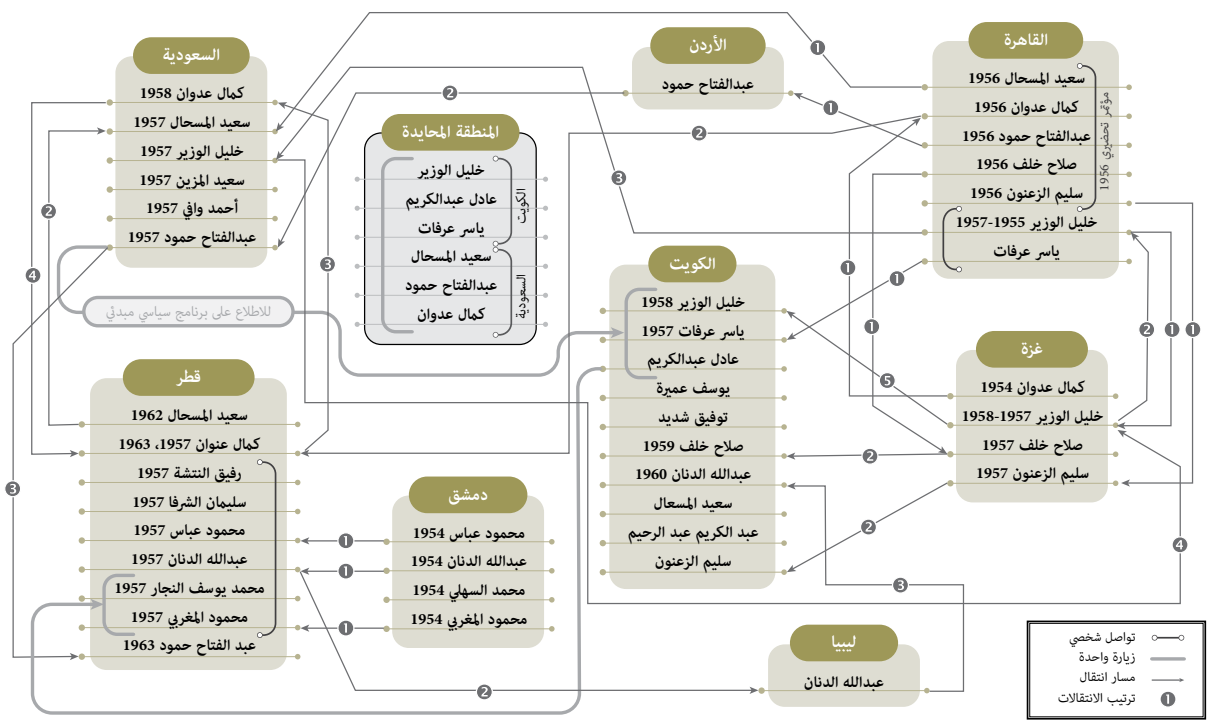

المصدر: من إعداد الباحثة.

هكذا، تشكّلت فتح من مجموعات فلسطينية[75]، في البلدان الثلاثة، تسعى إلى هدف وطني، فكان أبرز الشخصيات في مجموعة الكويت الوزير وعميرة وعبد الكريم وعرفات وشديد والدنان والزعنون. وضمّت مجموعة قطر فتحي البلعاوي ورفيق النتشة وعباس وعدوان والمسحال[76] ومحمد يوسف النجار والشرفا[77] والمغربي. أمّا مجموعة السعودية فشملت حمود ومحمد علي الأعرج وسليمان أبو كرش[78] ومعاذ عابد والمزين وأحمد وافي.

يمكن القول إنّ تجربة تأسيس فتح في الخليج لم تكن فصلًا هامشيًا في تاريخ الحركة، بل كانت الفضاء الجغرافي والاجتماعي الذي احتضن اللبنات الأولى للتنظيم، ووفّر له شروط النشوء من حرية نسبية في الحركة والعمل، إلى كثافة الجاليات، وانخراط النخب الفلسطينية التعليمية والمهنية في المشروع الوطني. تقدّم هذه التجربة نموذجًا مركّبًا لما يمكن تسميته الكيانية السياسية من الخارج (الشتات)، أي إنتاج كيان تنظيمي سياسي فاعل لا في قلب الدولة، بل على هوامشها، وبوسائل غير رسمية، لكنّه يمتلك القدرة على التأثير والتعبئة وإعادة تشكيل الفضاء العام من الخارج. فالحركة التي انطلقت من قلب الشتات استطاعت، عبر أدواتها الخاصة، أن تشكّل تمثيلًا سياسيًا بديلًا، يمارس السياسة من دون سلطة، ويؤسس سلطة من دون اعتراف رسمي.

رابعًا: شرعية متفاوض عليها: إدارة التنظيم السياسي الفلسطيني في الخليج

بعد أن تشكّلت البذور الأولى لتنظيم فتح في الخليج من خلال شبكات الشتات الفلسطيني ومساحات العمل والوظيفة، انتقلت الحركة تدريجيًا من طور التشكّل غير الرسمي إلى مستوى أكثر تنظيمًا. غير أنّ هذا الانتقال لم يكن ممكنًا من دون نوع خاص من الاعتراف السياسي الضمني الذي حازته فتح في بعض دول الخليج، لا سيّما في قطر والكويت. فقد تأسّست العلاقة بين التنظيم والحكومات الخليجية على نوع من التفاوض غير المعلَن، الذي أتاح لفتح بناء وجود مؤسسي من دون صدام مباشر مع الدولة المستضيفة، مع التزامها بضبط النفس السياسي والاحترام الصارم للنظام الرسمي.

قدّمت قطر دعمًا رمزيًا ومؤسسيًا وماديًا، حيث استوعبت كوادر فتح داخل كثير من المؤسسات، لا سيما المعارف، ما وفّر لهم غطاءً سياسيًا، مكّنهم من التفرّغ للعمل الوطني الفلسطيني من دون خطر فقدان وظائفهم أو رواتبهم[79]. مثّل هذا الشكل من الشرعية الضمنية، التي تتغاضى عن الطابع غير القانوني للتنظيم، وتوفّر له في الوقت ذاته تسهيلات مادية ولوجستية، نموذجًا فريدًا في السياق الخليجي. ففي قطاع التعليم مثلًا، بحسب رواية عباس، كان يُغضّ الطرف عن سفر أعضاء التنظيم المتكرر خارج البلاد لأغراض العمل الفدائي، وكان بعضهم يستمر على رأس عمله على الرغم من غيابه الطويل[80]. تتجلى هنا بوضوح فكرة الشرعية المتفاوض عليها، إذ سمحت السلطات الخليجية، ضمنيًا، بوجود تنظيمات غير معترَف بها قانونيًا، لكنّها فاعلة اجتماعيًا ومقبولة سياسيًا شرط التزامها بعدم المساس بالأمن الداخلي. لا يُمنح هذا النوع من الشرعية بمراسيم رسمية، بل ينتج عبر التفاهمات الضمنية والحياد السياسي والحصافة التنظيمية، من دون تهديد مباشر لسيادة الدول المستضيفة.

لم يكن هذا الغطاء محصورًا في وزارة التربية، بل تمدد إلى عموم الجالية الفلسطينية في قطر، التي منحت فتح ثقتها المبكرة، وبادرت إلى دعمها بالتموين والمساعدات المادية، كما توسّعت علاقات التنظيم مع شخصيات قطرية نافذة، رحّبت بالحراك الفلسطيني واعتبرته مشروعًا عربيًا لا شأن له بالتدخّل في الشأن الداخلي القطري[81]. وقد حرصت فتح في المقابل على ترسيخ هذا التصور، فأوصت كوادرها بضبط السلوك، والابتعاد عن الصدام وعدم الانجرار إلى أيّ صراعات سياسية داخلية، لا سيما بعد دخول فصائل فلسطينية أخرى إلى الساحة. وحرص أعضاء فتح على السلوك الوطني والأخلاقي واحترام القانون، وعدم الإساءة إلى شيخ[82] أو أيّ جهة حكومية أو غير حكومية[83].

كان هذا النموذج من الدعم السياسي والمؤسسي واضحًا أيضًا خلال حرب حزيران/ يونيو 1967، حين نسّقت فتح نقل مئة متطوع فلسطيني من قطر إلى جبهة القتال في سورية، وبموافقة رسمية من

75 نبيل شعث، **حياتي.. من النكبة إلى الثورة: سيرة ذاتية** (القاهرة: دار الشروق، 2016)، ص 156.

76 معين الطاهر، "بين تأسيس رابطة طلاب فلسطين ومقاومة الإسكان والتوطين: من أوراق فتحي البلعاوي"، **أسطور**، العدد 5 (كانون الثاني/ يناير 2017)، ص 271-288.

77 عدوان، ص 34.

78 "المحطة السابعة عشر: عبد الفتاح حمود - أبو رائد الأعرج"، مادة رقم PM005.229.013.0016170، **ذاكرة فلسطين**، شوهد في 2025/8/5، في: https://tinyurl.com/2n7krv8w

79 عباس، ص 131-132.

80 المرجع نفسه، ص 162-163.

81 "مشروع تسجيل وتوثيق تاريخ الثورة الفلسطينية: رفيق النتشة (التفريغ)".

82 الشيخ لقب تشريفي في الخليج يشير عادة إلى أمير قبيلة أو عضو من العائلة الحاكمة.

83 الشرفا، ص 57-58.

أعلى المستويات. وتولّى عدوان والشرفا مهمة نقل المتطوعين بطائرة من نوع كرفيل Caravelle إلى الكويت، ومنها إلى دمشق، لكن الحرب كانت قد انتهت عند وصولهم، فعادوا إلى الدوحة. على الرغم من ذلك، تظلّ الواقعة دليلًا على مستوى التنسيق الرسمي الذي حظيت به فتح في قطر، وعلى الثقة المتبادلة التي سمحت بهذا النوع من العمليات العلنية[84].

في هذا السياق، يذكر النتشة في شهادته أنّه كان أمين سر لجنة الكشافة العليا وأمين سر الاتحاد الرياضي في قطر، حيث كانا تابعين لوزارة المعارف آنذاك، فأعلن عن مؤتمر الكشافة العربي في قطر عام 1967، ودعا الأشبال والكشافة الفلسطينيين، وطلبوا من الشيخ جاسم إدخال أسلحة لغرض إجراء تجربة عملية برصاص غير حقيقي، فوافق الشيخ، ودعا أعضاء فتح الآخرين، ودخل أعضاء الكشافة من المطار حاملين صناديق الذخيرة غير الحقيقية وأسلحة "الأر بي جي" و"الدكتريوف" و"الكلاشنكوف"، وجرّبوا محاكاة إطلاق رصاص على موقع شكلي لاقتحام مستعمرة إسرائيلية[85].

كانت الظروف في الكويت مشابهة إلى حدٍ بعيد، وكان الدعم أكثر مؤسسيةً. فقد سمحت الحكومة الكويتية بإقامة معسكرات تدريب للفلسطينيين على أراضيها منذ عام 1964، خرّجت قرابة 500 شاب فلسطيني حتى عام 1980، تلقّوا تدريبات عسكرية وتثقيفًا سياسيًا. كما سمحت الكويت لفتح بالتنقّل عبر البلاد، على الرغم من التعقيدات البيروقراطية التي كانت تصعّب دخول الفلسطينيين، خاصة مع تشديد قيود التأشيرات[86]. لكن كوادر فتح تجاوزوا هذه العقبات بفضل مواقعهم الوظيفية النافذة. فقد كان هاني القدومي، مثلًا، السكرتير الأول لأمير الكويت، وقبلها مدير إدارة الجوازات والإقامة والسفر، وكان سهلًا عليه أن يُدرج اسم من يريد على لوائح المطار ليدخل الكويت من دون عناء. كان هذا التداخل بين الوظيفة والالتزام الوطني جزءًا من استراتيجية فتح الرامية إلى الانتشار داخل البنية الإدارية واستثمار الهامش المتاح لتعزيز شبكتها التنظيمية[87].

تعزّز هذا الحضور المؤسسي أكثر عبر المواقع الوظيفية العليا التي شغلها مؤسسو فتح في الخليج، في قطاعات الصحة والتعليم والأشغال العامة والحكومة، ما منحهم وضعًا اجتماعيًا واقتصاديًا أفضل من نظرائهم في أقطار عربية أخرى، ومكّنهم من بناء شبكات علاقات محلية عميقة، سواء مع المواطنين أو مع الجاليات الفلسطينية والعربية الأخرى. يؤكد ذلك خلف في شهادته:

> حين غادر الفلسطينيون فلسطين عام 1948، ظنوا أنّهم سيلقون في البلاد العربية عطف الأشقاء. وكم كان ذهولهم عظيمًا حين لاحظوا أنّهم يعامَلون كأجانب في أفضل الأحوال، أو كأشخاص غير مرغوب فيهم في غالبية الدول [...] كانت الكويت أحد الاستثناءات القليلة على القاعدة. فطالما أبدى شعب وحكومة هذه الدولة الصغيرة تعاطفًا ودعمًا إزاء الفلسطينيين الذين ساهموا، والحق يقال، في نمو ورفاهية هذه الإمارة، سواء بأعدادهم أو بنوعيتهم، وذلك قبل أن تغرقها مداخيل النفط[88].

يؤكد هذا الاستثناء أنّ فتح لم تنشأ في بيئة عدائية في الخليج، بل في فضاء سمح لها بالتحرك التدريجي من السرّية إلى العلنية، ومن الاستقطاب التنظيمي إلى الترسّخ المؤسسي. ووصف الشرفا علاقة الفلسطينيين بالشعب القطري بأنّها كانت في "أفضل حالاتها"[89]. واعتبر المسحال أنّ تنظيم فتح في قطر استثمر محدودية الرقعة الجغرافية لفائدة تماسكه الداخلي، مقارنةً بتنظيم السعودية حيث كانت المسافات الواسعة بين المدن تعوق التواصل[90].

وقد عملت مجموعة فتح في قطر على توسيع التنظيم في اتجاه البحرين والإمارات العربية المتحدة، فأُنشئت لكل من هذه الدول لجان إقليمية مستقلة، وكانت اللجنة القطرية لا تقل أهمية عن نظيرتها في الكويت، التي غالبًا ما تُسنَد إليها المركزية التنظيمية، وتفوّقت عليها في بعض الأحيان بفعل ما شغله أعضاؤها من مناصب في الإدارة القطرية[91]. أمّا في البحرين، فواجهت محاولة مبكرة لبناء التنظيم في الفترة 1965-1966 تحديات مع المخابرات البريطانية، التي كانت لا تزال مسؤولة عن الأمن. وضمّ التنظيم هناك شخصيات مثل عبد الله عبد الله (1939-2025) المنتمي سابقًا إلى حزب البعث، وفواز ياسين (1937-2022). وقد كانت زيارات المسحال والشرفا وعباس والبلعاوي دورية لمتابعة التنظيم هناك، غير أنّ السلطات البريطانية لم ترض عن هذا النشاط، وأبلغت الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة (1933-1999) بأنّهم شيوعيون. ولما بدأت إجراءات إبعاد هؤلاء الفلسطينيين، ذهب المسحال إلى البحرين والتقى الأمير، ونجح

84 المرجع نفسه، ص 68-69.
85 "مشروع تسجيل وتوثيق تاريخ الثورة الفلسطينية: رفيق النتشة (التفريغ)".
86 الشطي، ص 73-74.
87 خليل الوزير، ص 96.
88 خلف، ص 72-73.
89 الشرفا، ص 49.
90 عزم، ص 239-240.
91 حمزة، ص 255.

في إقناعه بأنّ هؤلاء لا علاقة لهم بالشيوعية، وأنّهم من كوادر فتح، فغضّ الشيخ الطرف عن قرار الإبعاد[92].

بعد أن نجحت فتح في تأسيس شبكة تنظيمية نشطة ومتنامية في منطقة الخليج، باتت الديناميات الفلسطينية في المنفى تنتقل تدريجيًا من مرحلة التأسيس الخفيّ إلى طور التمثيل العلني والبحث عن شرعية وطنية أوسع. فالحركة التي نشأت من رحم الشتات، والتي وضعت الكفاح المسلح على رأس أولوياتها، بدأت تواجه متغيرًا جديدًا مع إعلان القمة العربية في القاهرة عن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية مطلع عام 1964، وتكليف أحمد الشقيري (1908-1980)[93] بمهمات تمثيلية وتحضيرية لتشكيل أول مجلس وطني فلسطيني. لم يكن هذا الإعلان إجراءً بيروقراطيًا عابرًا فحسب، بل كان حدثًا فرض على مختلف الفصائل، بما فيها فتح، أن تعيد تقييم موقعها في معادلة التمثيل الفلسطيني والتسريع بانتقالها إلى مرحلة العمل العسكري، وهو الإعلان الرسمي ولحظة الانطلاقة الرسمية للحركة، فاتفق تنظيمًا قطر والسعودية على تنفيذ أول عملية فدائية، وهي "عملية عيلبون"، التي فجّرت منشأة مائية في منطقة عيلبون شمال فلسطين، وأُبلغ تنظيم الكويت الذي وافق على ذلك. وأُعلن عن العملية يوم 1 كانون الثاني/ يناير 1965[94].

قبل الإعلان عن منظمة التحرير الفلسطينية رسميًا، بدأ الشقيري، مبعوث القمة العربية، جولة في البلدان العربية كان هدفها التباحث مع الجاليات الفلسطينية حول مستقبل الكيان التمثيلي الفلسطيني. والتقى خلال جولاته بعدد من الشخصيات الفلسطينية، مثل هاني القدومي وخالد الحسن في الكويت، اللذَين كانا في الواقع من كوادر الحركة، لكنهما قُدّما له بصفتهما شخصيتين مستقلتين[95]. وفي قطر، زار الشقيري الدوحة قبل تأسيس المنظمة، بدعوة من الحكومة القطرية، وأُتيح له حينها لقاء الجالية الفلسطينية في أحد الملاعب، حيث ألقى خطابًا دعا فيه إلى وحدة الصف الفلسطيني ودعم المشروع الناشئ للمنظمة. وقد سمحت الحكومة القطرية للفلسطينيين، بعد هذه الزيارة، بإجراء أول انتخابات لاختيار ممثليهم للمجلس الوطني الفلسطيني، والتي جرت عام 1964، في قسم التغذية التابع لوزارة المعارف (حيث كانت تجري أول اجتماعات لمنظمة التحرير لاحقًا). وبحسب عباس، جرى انتخاب تسعة فلسطينيين من قطر للمشاركة في المجلس الوطني الفلسطيني الأول، وبهذا مارست الجالية الفلسطينية في قطر، أول مرة، حق الانتخاب السياسي خارج أرض الوطن[96].

الصورة (1)
قسم التغذية التابع لوزارة المعارف في قطر

المصدر: مال أول، إنستغرام، شوهد في 2025/8/5، في:
https://tinyurl.com/cvfd5n46

تولّت لجنة شؤون الفلسطينيين، في قطر، التي شكّلتها فتح لتكون ذراعها العلنية في أماكن الشتات، تنظيم زيارة الشقيري وبرنامجه الرسمي في البلاد، ونسّقت لقاءاته بالجالية والمسؤولين. وأصدر الشقيري، بعد مغادرته، قرارًا بحلّ اللجنة بدعوى أنّ المنظمة هي التي يجب أن تتولى هذه المهمات، الأمر الذي رفضته اللجنة وقيادة فتح، وواصلت عملها بالتنسيق غير المباشر مع مؤسسات الدولة القطرية، وسعت لتسهيل فتح مكتب للمنظمة في الدوحة لاحقًا، وقدّمت الدعم اللوجستي، بتوفير منزل وسيارة للمندوب المعتمد للمنظمة في قطر، عبد الله أبو ستة (1914-1970). ويذكر المسحال أنّه ساهم في صوغ رسالة الرد الرسمي لأمير قطر بالموافقة على افتتاح المكتب[97].

92 عزم، ص 241-242.

93 قبل تأسيس المنظمة، شغل الشقيري منصب وزير الدولة لشؤون الأمم المتحدة في السعودية ورئيس وفد السعودية في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة (1957-1962)، لكن بسبب أزمة اليمن بين مصر والسعودية عام 1962، ولأن الشقيري لم يبلغ مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة باعتداءات القوات المصرية على حدود السعودية، وفضّل أن تُعرض على جامعة الدول العربية، نشأت خلافات بينه وبين السعودية التي قرّرت إنهاء عملها معه في آب/ أغسطس 1963. لاحقًا، في العام نفسه، وبدعم من مصر، أصبح ممثل فلسطين في جامعة الدول العربية. وعام 1964، صاغ النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية. وقد التزمت السعودية بدفع تعهدات مالية للمنظمة، في حين وافقت الكويت على دفع التزاماتها واقتطاع ضريبة تحرير من رواتب الموظفين الفلسطينيين العاملين هناك لفائدة الصندوق القومي الفلسطيني. لكن السعودية أوقفت التزامها عام 1965 بعد اتهام الشقيري بالعمالة لمصر والشيوعية العالمية. ينظر: خيرية قاسمية، **أحمد الشقيري: زعيمًا فلسطينيًا ورائدًا عربيًا** (الكويت: لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري، 1987)، ص 68-69، 74، 81، 93.

94 المسحال، ص 14-16.

95 الزعنون، ص 121.

96 عباس، ص 157-158.

97 عزم، ص 228.

لم تشهد قطر وحدها مثل هذا النشاط، فقد كانت الكويت الساحة الأهم والأكثر تنظيمًا. إذ تحوّل الحديث عن "الكيان الفلسطيني" إلى الهمّ المركزي للجالية الفلسطينية هناك، لا سيما في الربع الأول من عام 1964. وأفسحت الحكومة الكويتية المجال للفلسطينيين لعقد الاجتماعات وتشكيل اللجان، ووجد الفلسطينيون العاملون في الـوزارات الكويتية، من معلمين وموظفين ومهندسين وعمال، أنفسهم في موقع مؤهّل للتفاعل مع هذا التحول التاريخي[98].

دعمت الكويت المنظمة ماليًا، وكانت من أوائل الدول التي التزمت بقرارات قمة أيلول/ سبتمبر 1964، وقدّمت مساهمة مالية بلغت مليونَي جنيه إسترليني. وعندما زارها الشقيري في كانون الأول/ ديسمبر من العام نفسه، كان يتبنّى هدفًا مزدوجًا يتمثل في إقناع الحكومة الكويتية باقتطاع 5 في المئة من رواتب الفلسطينيين العاملين لفائدة الصندوق القومي الفلسطيني، وتعيين مدير لمكتب المنظمة في البلاد. فعُيِّن خيري أبو الجبين لهذا المنصب، وأعلنت الإذاعة الكويتية الخبر رسميًا، ليكون أول ممثّل رسمي للمنظمة في الكويت، وقد جرت ترتيبات إعارته من وزارة الكهرباء براتب كامل بعد موافقة مجلس الوزراء[99]. ولم يكن المكتب بمنأى عن التجاذبات السياسية. فالحركة، على الرغم من مشاركتها في تأسيس المنظمة، عبّرت عن تحفظاتها على العلاقة بجامعة الدول العربية، وطلبت من أبو الجبين الاستقالة باعتباره "شخصًا وطنيًا" لا ينبغي له أن يعمل في مؤسسة "وُلدت في حضن الجامعة". ودعت فتح إلى مقاطعة "ضريبة التحرير" التي فُرضت على رواتب الفلسطينيين، حيث أصدرت الحركة، عام 1965، بيانًا نُشر في مجلة **الهدف** الكويتية، طالبت فيه الفلسطينيين بأن يمتنعوا عن أداء ضريبة التحرير للصندوق القومي الفلسطيني[100]. ففي حين كانت تُجبى ضريبة التحرير من الفلسطينيين العاملين في القطاع الحكومي، فإنّ المنظمة لم تستطع استيفاءها من العاملين في القطاع الأهلي لأنّ مختلف التنظيمات الفلسطينية، لا سيما فتح، كانت تنافس مكتب المنظمة في استيفاء الضريبة في ذلك القطاع[101].

تُبرِز هذه التوترات بين فتح ومنظمة التحرير ديناميات ما يمكن وصفه باللايقين المؤسسي في سياق الشتات، حيث تتوزع الشرعية بين جهات متعددة تدّعي التمثيل، بينما تبقى معايير الاعتراف الرسمي وغير الرسمي متحولة ومرتبطة بالموقع الجغرافي واللحظة السياسية. وفي سياق غياب مركز وطني مستقر، غالبًا ما يصبح الشتات ساحة تنازع على الشرعية، ما يخلق تعددية في مراكز القرار، ويُضعف الانضباط التنظيمي التقليدي.

تعبّر هذه اللحظة عن تعارض جوهري بين منطق التنظيم العابر للحدود ومنطق التمثيل الرسمي. فبينما تعمل فتح بوصفها جهازًا أفقيًا مرنًا، يعتمد على الثقة والشبكات غير الرسمية، تميل المنظمة إلى إنتاج هرمية سياسية بيروقراطية تسعى لتكريس التمثيل الحصري وفق منطق "الدولة". ويفسّر هذا التعارض البنيوي هشاشة العلاقة بين الطرفين، كما يوضح أن أطر الشتات يمكن أن تتحول إلى فضاء مزدوج للتمكين والصراع في آن.

هكذا، مثّلت منطقة الخليج، لا سيما الكويت، إحدى أهم ساحات تموضع منظمة التحرير، سواء من حيث الدعم الشعبي والرسمي، أو من حيث كونها ساحة اشتباك سياسي وتنظيمي[102] بينها وبين فتح وبقية الفصائل[103]. ومنذ عام 1968، ومع هيمنة فتح على مؤسسات المنظمة[104]، أصبحت العلاقة بين مكتب المنظمة في الكويت والسلطات الكويتية أكثر انفتاحًا، واستُثمِرت البنية الإعلامية والاقتصادية في دعم العمل الفدائي، في لحظة فارقة في تشكّل التمثيل الفلسطيني على أرضٍ عربية.

---

98 أبو الجبين، ص 271-272.

99 فلاح المديرس، "تطور العلاقات الكويتية - الفلسطينية (1921-2004)"، **القبس**، 2004/11/13، شوهد في 2025/1/18، في: https://tinyurl.com/4tkdwmks؛ أبو الجبين، ص 325-327.

100 أبو الجبين، ص 329-331.

101 المرجع نفسه، ص 335-339.

102 لوري أ. براند، **الفلسطينيون في العالم: بناء المؤسسات والبحث عن الدولة** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1991)، ص 137-139.

103 حصلت المنظمة على دعم كبير، لا سيما في الكويت، فبعد افتتاح مكتب لها هناك، وتعيين خير الدين أبو الجبين مديرًا له، منحته وزارة الخارجية الحصانة الدبلوماسية، وصار يرفع علم فلسطين على سيارته الخاصة وعلى مقر مكتب المنظمة، وبدأ يعيّن الموظفين اللازمين للعمل في المكتب، وكان يعقد الاجتماعات للتعريف بالمنظمة في المدارس في المناطق حيث يوجد الفلسطينيون، وبدأ في إصدار نشرة نصف أسبوعية اسمها "أخبار المنظمة" تتضمن كل أخبار المنظمة ونشاطاتها. ينظر: أبو الجبين، ص 329-331؛ لاحقًا، كان أحد الجوانب البارزة في هذه التجربة هو ظهور المدارس التي تديرها منظمة التحرير بعد عام 1967. فمنذ عام 1948، سمحت الحكومة الكويتية لجميع الطلاب الفلسطينيين بالالتحاق بالمدارس الحكومية. لكن المنظمة، بعد حرب عام 1967، بادرت إلى إنشاء مدارسها الخاصة لاستيعاب أطفال الفلسطينيين الذين وصلوا إلى الكويت بعد الحرب. ووافقت وزارة التربية والتعليم على استخدام بعض مباني المدارس الحكومية خلال فترة ما بعد الظهر، بشرط أن تدير المنظمة المشروع وتوظف المعلمين وتدفع رواتبهم. كما كان المنهج الدراسي مطالَبًا أيضًا باتباع المعايير واللوائح التعليمية التي وضعتها الوزارة. وقد استمرت مدارس المنظمة حتى عام 1976. ينظر: بلال الحسن، **الفلسطينيون في الكويت**، دراسات فلسطينية 97 (بيروت: مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، 1974)، ص 84-85، 96.

104 عن تفاصيل ذلك، يروي خيري أبو الجبين أنّه بعد صدور قرار مجلس الأمن رقم 242 في 22 تشرين الثاني/ نوفمبر 1967، قبلته مصر بتحفظ نظرًا إلى وضعها الخاص بعد نكسة عام 1967، لكن منظمة التحرير رفضته. وعندما أرادت المنظمة إذاعة قرار الرفض من إذاعة صوت فلسطين في القاهرة، رفضت مصر ذلك، فأذاعته المنظمة في الصحف اللبنانية بدلًا من ذلك. بدأت بعدها الخلافات تظهر بين أحمد الشقيري وجمال عبد الناصر، وبدأت الصحف المصرية في مهاجمة الشقيري والإشادة بالعمل الفدائي لمنظمة فتح في الأراضي المحتلة. وبدأ أيضًا أعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة نفسها في الإشادة بالعمل الفدائي واتهامه بالتفرد. وبفعل الضغط، قدّم استقالته يوم 24 كانون الأول/ ديسمبر 1967، ثُم بدأ عهد سيطرة فتح على المنظمة. ينظر: أبو الجبين، ص 374، 378-380.

الصورة (2)
بيان الجالية الفلسطينية في قطر حول الانتخابات (1964)

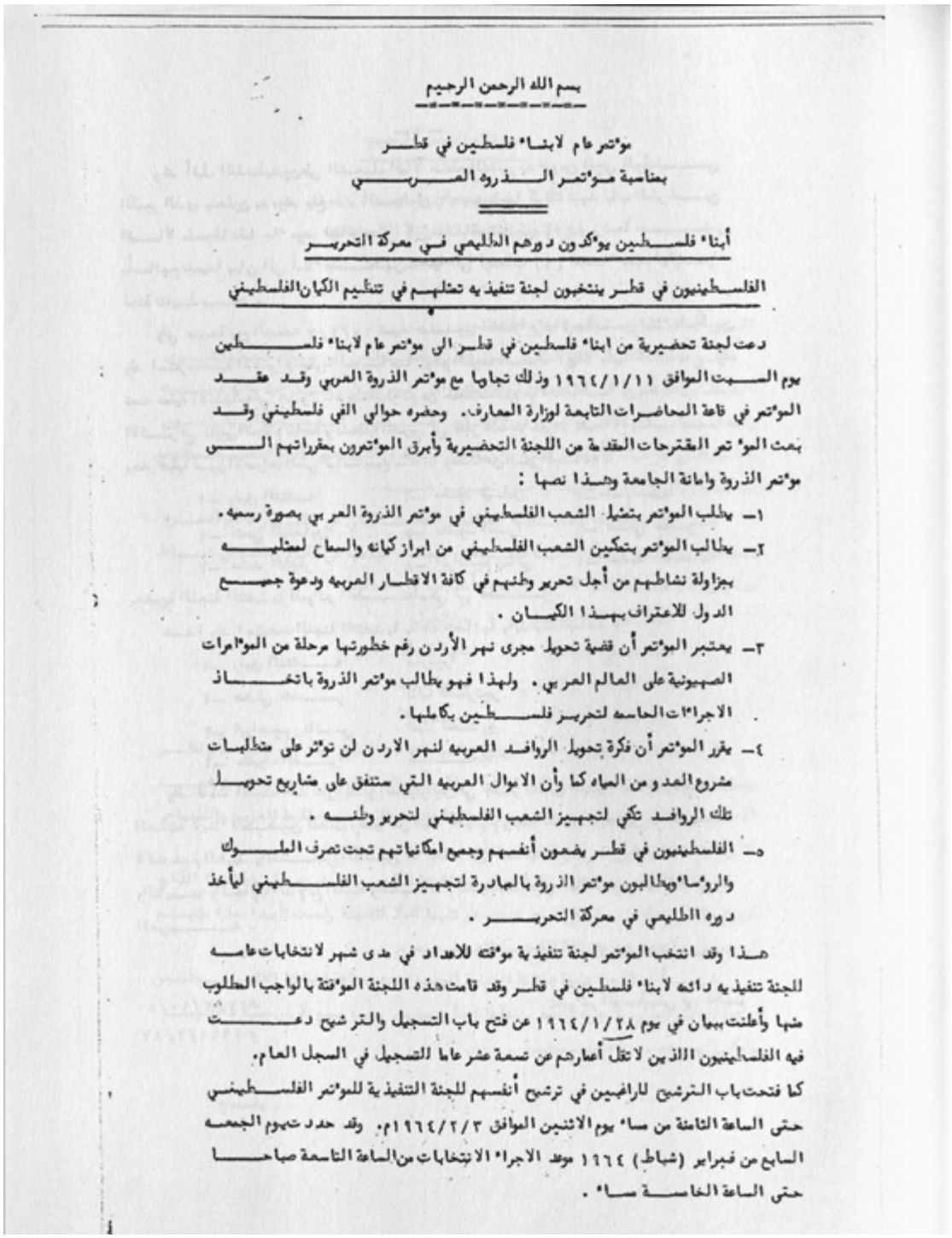

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤتمر عام لابناء فلسطين في قطر
بمناسبة مؤتمر الذروه العربي

أبناء فلسطين يؤكدون دورهم الطليعي في معركة التحرير

الفلسطينيون في قطر ينتخبون لجنة تنفيذيه تمثلهم في تنظيم الكيان الفلسطيني

دعت لجنة تحضيرية من ابناء فلسطين في قطر الى مؤتمر عام لابناء فلسطين يوم السبت الموافق ١٩٦٤/١/١١ وذلك تجاوبا مع مؤتمر الذروة العربي وقد عقد المؤتمر في قاعة المحاضرات التابعة لوزارة المعارف. وحضره حوالي الفي فلسطيني وقد بحث المؤتمر المقترحات المقدمة من اللجنة التحضيرية وأبرق المؤتمرون بمقرراتهم الى مؤتمر الذروة وامانة الجامعة وهذا نصها :

١- يطلب المؤتمر بتمثيل الشعب الفلسطيني في مؤتمر الذروة العربي بصورة رسميه.
٢- يطالب المؤتمر بتمكين الشعب الفلسطيني من ابراز كيانه والسماح لممثليه بمزاولة نشاطهم من أجل تحرير وطنهم في كافة الاقطار العربيه ودعوة جميع الدول للاعتراف بهذا الكيان .
٣- يعتبر المؤتمر أن قضية تحويل مجرى نهر الأردن رغم خطورتها مرحلة من المؤامرات الصهيونية على العالم العربي . ولهذا فهو يطالب مؤتمر الذروة باتخاذ الاجراءات الحاسمه لتحرير فلسطين بكاملها .
٤- يقرر المؤتمر أن فكرة تحويل الروافد العربيه لنهر الاردن لن تؤثر على متطلبات مشروع المدو من المياه كما وأن الاموال العربيه التي ستنفق على مشاريع تحويل تلك الروافد تكفي لتجهيز الشعب الفلسطيني لتحرير وطنه .
٥- الفلسطينيون في قطر يضعون أنفسهم وجميع امكانياتهم تحت تصرف الملوك والرؤساء ويطالبون مؤتمر الذروة بالمبادرة لتجهيز الشعب الفلسطيني ليأخذ دوره الطليعي في معركة التحرير .

هذا وقد انتخب المؤتمر لجنة تنفيذية مؤقته للاعداد في مدى شهر لانتخابات عامه للجنة تنفيذيه دائمه لابناء فلسطين في قطر وقد قامت هذه اللجنة المؤقتة بالواجب المطلوب منها وأعلنت ببيان في يوم ١٩٦٤/١/٢٨ عن فتح باب التسجيل والترشيح دعت فيه الفلسطينيون الذين لا تقل أعمارهم عن تسعة عشر عاما التسجيل في السجل العام.
كما فتحت باب الترشيح للراغبين في ترشيح أنفسهم للجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني حتى الساعة الثامنة من مساء يوم الاثنين الموافق ١٩٦٤/٢/٣م. وقد حددت يوم الجمعه السابع من فبراير (شباط) ١٩٦٤ موعد الاجراء الانتخابات من الساعة التاسعة صباحا حتى الساعة الخامسة مساء .

المصدر: "مؤتمر عام لأبناء فلسطين في قطر"، مادة رقم PM005.201.009.0001465، ذاكرة فلسطين، 1964، شوهد في 2025/8/5، في: https://tinyurl.com/27yuhk5z

الصورة (3)
مكتب منظمة التحرير في شارع الخليج بقطر في أواخر الستينيات

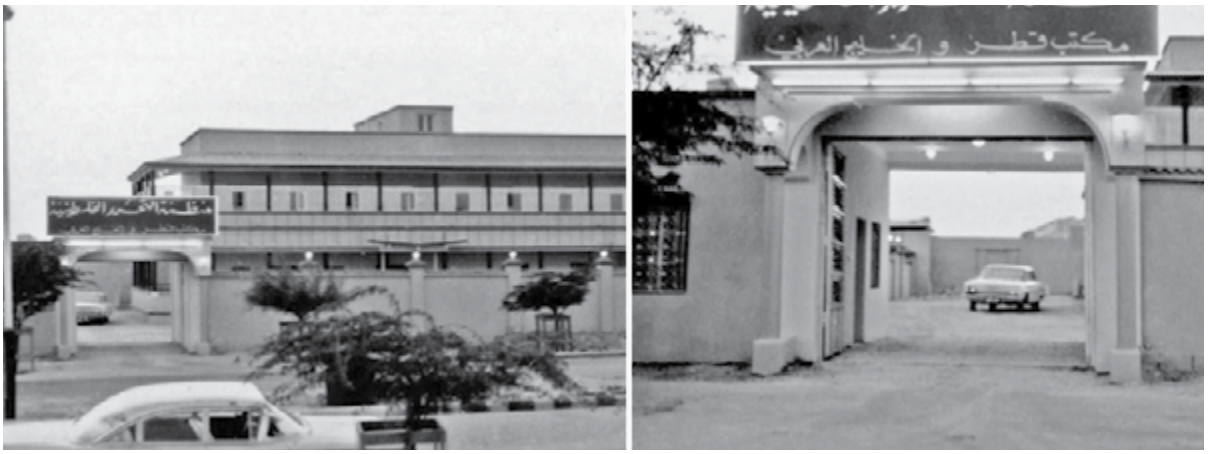

المصدر: مال أول، إنستغرام، شوهد في 2025/8/5، في: https://tinyurl.com/25zt39ne

الصورة (4)
داخل مكتب منظمة التحرير في الكويت (1965)

المصدر: "الأستاذ خير الدين أبو الجبين"، يافا نت، 2020/10/27، شوهد في 2025/8/5، في: https://tinyurl.com/5chccbvw. ويظهر في الصورة مدير المنظمة خير الدين أبو الجبين (الثالث على اليمين في الصف الأمامي).

لا يمكن فهم انتقال فتح من شبكة شتات ناشئة إلى القوة القائدة لمنظمة التحرير بوصفها فاعلًا ما هو بدولة، من دون العودة إلى أنماط الشرعية التي راكمتها الحركة في مرحلة التأسيس. فقد استندت فتح، في بداياتها الخليجية، إلى شرعية اجتماعية - شبكية تشكّلت عبر الروابط المهنية والعائلية والتنظيمية داخل الجاليات الفلسطينية، وتجلّت في قدرتها على التعبئة الذاتية، وجمع الموارد، وبناء بنى تنظيمية غير رسمية. هذه الشرعية المتفاوض عليها، التي نشأت خارج إطار الدولة ومن دون اعتراف قانوني، أتاحت لاحقًا لفتح أن تفرض نفسها داخل منظمة التحرير الفلسطينية، لا باعتبارها تنظيمًا ممثّلًا فقط، بل أيضًا الفاعل القادر على إدارة التمثيل الوطني ذاته. ومع أنّ مرحلة ما بعد التأسيس شهدت تحوّلًا تدريجيًا في مصادر التمويل، من الاعتماد على الشبكات الاجتماعية والاشتراكات الطوعية إلى أشكال أكثر رسمية من الدعم الحكومي أو شبه الحكومي، فإنّ هذا التحول لم يُلغِ منطق الشرعية الشبكية، بل أعاد صوغه ضمن بنية مؤسسية أوسع.

لم يكن التحوّل في العلاقة بين الفلسطينيين والخليج مباغتًا مع الغزو العراقي للكويت عام 1990[105]، بل نتيجة تراكمات بدأت في التشكّل تدريجيًا منذ أواخر الستينيات، حين بدأت التحولات الإقليمية تلقي بظلالها على بيئة الخليج، مثل الاشتباكات بين المقاتلين الفلسطينيين وبعض الجماعات اللبنانية المسيحية التي امتدت إلى الصحافة الكويتية وأوساط الجاليات الفلسطينية واللبنانية في الكويت[106]، وأحداث أيلول الأسود عام 1970 في الأردن، وضبط السلطات الكويتية عام 1972 سلاحًا أرسله أحد عناصر صبري البنا (أبو نضال) (1937-2002)، ممثل فتح في العراق آنذاك، إلى أحد كوادر الحركة في منطقة الفروانية[107]، واغتيال أبو نضال لعلي ناصر ياسين، أحد أبرز كوادر فتح في الكويت ومدير مكتب منظمة التحرير هناك آنذاك[108]. ومنذ ذلك الحين، بدأ قلق خليجي ينمو تجاه الوجود (السياسي) الفلسطيني، وبات يُنظَر إليهم على أنهم مصدر للقلاقل. وأصدرت وكالة المخابرات المركزية الأميركية، عام 1983، تقريرًا سرّيًا بعنوان "الوجود الفلسطيني في الخليج الفارسي"، رُفعت عنه السرّية لاحقًا عام 2008، يؤكد أنّ الفلسطينيين في الخليج آنذاك، وعددهم 550 ألفًا (بحسب تقديرها)

> لا يشكّلون تهديدًا مباشرًا يُذكَر لأمن حكوماتهم المستضيفة، فهم يعملون مستشارين للعائلات الحاكمة في العديد من بلدان الخليج، أو معلمين وبيروقراطيين وصحافيين وأطباء وتجارًا في جميع هذه البلدان. معظمهم مجتهدون، ذوو توجه عائلي، ومحافظون سياسيًا. وساهموا إلى حد بعيد في الاستقرار المؤسسي والنماء الاقتصادي لبلدانهم المستضيفة، ولديهم مصلحة اقتصادية كبيرة في استقرار الدول المستضيفة. يتردد معظم الفلسطينيين في المخاطرة بإقاماتهم بانتهاك التفاهم الضمني الذي يوفر لهم ملاذًا آمنًا مقابل ضمانات بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول المستضيفة [...] يشعر قادة الخليج بتعاطف حقيقي مع محنة اللاجئين الفلسطينيين، ويدعمون القضية الفلسطينية بسخاء [...] وقد بدأت دول الخليج، على نحو فردي وتحت مظلة مجلس التعاون لدول الخليج العربي، في تطبيق تدابير قانونية وإدارية لحماية نفسها والحد من اعتمادها على العمالة الفلسطينية. وتشمل هذه التدابير رفض منح تأشيرات لأفراد عائلات الفلسطينيين العاملين أصلًا في الخليج، والتوظيف الانتقائي لتجنب توظيف الفلسطينيين، وعدم تجديد تصاريح العمل للفلسطينيين الذين لا تُعدّ مهاراتهم أساسية[109].

ومع الغزو العراقي، ومبادرة معظم فصائل المقاومة الفلسطينية، وبالتحديد منظمة التحرير، إلى اتخاذ موقف مؤيّد لما سُمّي آنذاك "مبادرة صدام حسين"، التي ربط فيها الانسحاب من الكويت بانسحاب إسرائيل من الأراضي الفلسطينية المحتلة[110]، تحوّلت الكويت، التي كانت على مدى ثلاثة عقود ساحة احتضان أساسية للفعل الفلسطيني في المنفى، ومصدرًا للدعم السياسي والمالي والتنظيمي المتواصل، إلى مسرح صدام أخلاقي وسياسي. لم يعد ممكنًا بعد هذه الحادثة استعادة حالة الثقة التي ميّزت العلاقة منذ الستينيات، وانهارت فجأة الرمزية التي بنتها فتح والمنظمة في أذهان الكويتيين. وكان لهذا الانهيار عواقب مباشرة وخيمة على الفلسطينيين،

105 للمزيد عن موقف الفلسطينيين في الكويت من غزو الكويت وأوضاعهم فيها أيّامها، ينظر: إسماعيل شمّوط، **أيام الغزو: يوميات إسماعيل شمّوط أثناء احتلال الكويت** (الكويت: منشورات تكوين، 2022).

106 مروان إسكندر، **غيوم فوق الكويت**، ترجمة محمود زايد (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1991)، ص 59-60.

107 اعتُقل الكادر، وبدأت الاتهامات تُوجَّه إلى التنظيم. استدعى الشيخ سعد العبد الله عددًا من قيادات فتح، واتهمهم ببدء "التخريب في الكويت"، ما اضطر لجنة الإقليم إلى إيفاد الزعنون وعلي الحسن إلى بيروت من أجل رفع القضية إلى اللجنة المركزية. على إثر ذلك، تولى كمال عدوان صوغ اتفاق يمنع تدخّل أبي نضال في الكويت، ويمنع قيادات فتح من التدخّل في شؤون تنظيمه داخل العراق، في محاولة لاحتواء التداخل الأمني بين الأجنحة الفتحاوية. ينظر: الزعنون، ص 155.

108 "9 رصاصات اغتالت مدير منظمة التحرير بالكويت"، مادة رقم PM005.132.003.0008703، **ذاكرة فلسطين**، الرأي العام (الكويت)، السنة 18، العدد 5347، 1978/6/16، ص 23، شوهد في 2025/8/7، في: https://tinyurl.com/453a5ds6

109 "Palestinian Presence in the Persian Gulf," *Intelligence Assessment*, CIA, July 1983, accessed on 18/1/2025, at: https://tinyurl.com/bdfrmw5d

110 "مبادرة الرئيس صدام حسين من أجل حل الأزمة في الخليج"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، مج 1، العدد 4 (خريف 1990).

سواء في علاقتهم بالسلطات الكويتية أو في تموضعهم داخل المشروع الوطني. فقد طُرد حوالى 370 ألف فلسطيني من الكويت[111]، ما مثّل أكبر حركة نزوح فلسطيني منذ نكبة عام 1948، وتعرّضت البنية المؤسسية هناك إلى التفكيك الكامل. كما خسر الفلسطينيون موقعًا محوريًا في الخليج، فقد امتد تأثير الأزمة إلى ما هو أبعد من الكويت، وفي حين لم تنفّذ أي دولة خليجية أخرى عمليات طرد على نطاق مماثل، شهدت الجاليات الفلسطينية في جميع أنحاء المنطقة تدقيقًا متزايدًا في وضعيتهم[112]، بعدما كانت منطقة الخليج تمثل لهم رئة اقتصادية، ومنصة إدارية، وملاذًا تنظيميًا.

خاتمة

يمكّننا تتبّع نشأة حركة فتح بوصفها تنظيمًا تَشكّل على تخوم الجغرافيا الوطنية من فهم العلاقة المركّبة بين الشتات الفلسطيني في الخليج وتشكّل العمل السياسي العابر للحدود. أظهرت الدراسة تعددية مواقع التأسيس وديناميات التكوين المتزامن التي ساهمت فيها بلدان الخليج العربية عبر شبكات تعليمية ومهنية غير رسمية، وتفاعلات شخصية تطوّرت لاحقًا إلى بنى تنظيمية. بهذا المعنى، لم يكن الشتات فضاء احتياطيًا أو ساحة دعم خلفية فحسب، بل كان مركزًا سياسيًا مؤسسًا، أدّى دورًا محوريًا في بلورة الهوية الوطنية الفلسطينية بعد النكبة.

تكشف الشرعية المتفاوَض عليها والسياسة العابرة للحدود عن آليات معقّدة للتفاعل، بين تنظيم ناشئ وسياقات سياسية في بلدان لا يترقّى فيها المهاجرون إلى مواطنين. فبدلًا من الصدام مع الأنظمة الخليجية، طوّرت فتح استراتيجيات للتكيّف داخل الهامش، مستفيدةً من تغاضٍ وعلاقات مع شخصيات نافذة لتأسيس شرعيتها في الفضاء العام. وأنتج هذا الشكل من الشرعية غير المعلَنة فضاءً بديلًا يركّب فيه التنظيم السياسي على بنية اجتماعية وعمّالية/ مهنية موجودة أصلًا. في حين كانت فتح نموذجًا لسياسة عبر حدودية، حيث حوّلت الفلسطينيين من أفراد مهاجرين إلى فاعلين منظّمين. ومثّل اقتصاد الشتات أداةً استراتيجية لتغذية المشروع الوطني، فالتحويلات المالية والضرائب والدعم اللوجستي الذي قدّمه الفلسطينيون في الخليج، شكّلت كلها موارد مركزية لاستدامة التنظيم ومَأسسته. ومع توسّع الحضور الفلسطيني، تطوّرت الحركة من شبكة سرّية إلى تنظيم اجتماعي وسياسي شبه علني، مدعوم من الدولة أحيانًا، ما يعكس بُعدًا تكتيكيًا في إدارة العلاقة مع الدولة من دون الوقوع في مواجهة مباشرة.

إنّ العودة إلى تأسيس فتح في الخليج تكشف عن بعدٍ مغاير يُبرِز الشبكة الاجتماعية والمهنية التي تحولت تدريجيًا إلى بنية سياسية منظمة، ما يمهّد لأفقٍ إمبريقي جديد لفهم الشتات الفلسطيني بوصفه فضاءً منتجًا للسياسة. منهجيًا، تساهم العودة إلى الأرشيف والمذكرات الشخصية في توثيق التجربة الفلسطينية في الخليج عبر عدسة اليومي وغير الرسمي، أي من خلال تفاصيل ممارسات العمل والتنقّل واللقاءات التي عادةً ما تهمَّش في الروايات الرسمية. بهذا المعنى، تُظهر الدراسة أنّ الأرشيف الشخصي، إلى جانب كونه مصدرًا تكميليًا، هو مفتاح لفهم كيفية تشكّل السياسة الفلسطينية من الهامش، وكيفية تحوّل الشتات نفسه إلى أرشيف حيّ يحمل ذاكرة بديلة ويفتح مسارًا نقديًا لمراجعة الأدبيات التي تحصر نشأة الحركة في البنى الرسمية.

انطلاقًا من هذه النتائج، يتبلور عددٌ من الموضوعات البحثية التي تستحق التوقّف عندها في الأجندات البحثية مستقبلًا عن الوجود (السياسي) الفلسطيني في بلدان الخليج. أولًا، من الضروري استكشاف تجارب الحركات السياسية الأخرى، مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وحركة حماس في الخليج وعملها السياسي، لفهم أوجه التشابه والاختلاف مع مسار فتح، لا سيّما أنّ هذه الحركات ربّما واجهت مسارًا أكثر تعقيدًا على المستوى الأمني؛ بالنظر إلى التحفظات على طبيعتها وعلاقتها بالتنظيمات الخليجية المحلية. ثانيًا، الحاجة إلى دراسة معمّقة لموقع الشتات الفلسطيني في الخليج اليوم مقارنةً بالسياق التاريخي، في سياق ظروف جديدة، أبرزها (احتمال) تطبيع بعض دول الخليج مع إسرائيل. ثالثًا، تفتح التجربة الفلسطينية في الخليج الباب أمام مقاربات مقارنة بجماعات أخرى في المنفى واجهت تحديات شبيهة، ما يساعد على اختبار مدى عمومية مفهوم الشرعية المتفاوض عليها، وإمكان توظيفه لفهم ديناميات السياسة العابرة للحدود.

في ضوء ما تقدّم، تبرز ضرورة إعادة التفكير في المقاربات التقليدية عن الشتات والدولة، فالحالة الفلسطينية في الخليج تكشف عن أنماط من المواطنة السياسية تُنتج من خلال الانخراط الشبكي في بناء مشروع وطني من المنفى. وبذلك، تقدّم تجربة فتح في الخليج نموذجًا مغايرًا للممارسة السياسية في المنفى، يربط بين الوطني والاجتماعي، وبين السياسي والمهني، ويبرهن على أنّ الحدود القومية ليست عائقًا أمام الفعل السياسي، بل تُعدّ شرطًا لإعادة تعريفه، مقدمةً نموذجًا لفهم كيفية صوغ الحركات التحررية لشرعيتها في المنفى، ولا يغدو الشتات حالة اجتماعية – اقتصادية فحسب، بل فضاء سياسيًا فعّالًا يعيد تعريف المشروع الوطني.

---

111 يوسف كرباج وحلا نوفل، **الفلسطينيون في العالم: دراسة ديموغرافية** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 182-183.

112 Manal A. Jamal, "The 'Other Arab' and Gulf Citizens: Mutual Accommodation of Palestinians in the UAE in Historical Context," in: Zahra Babar (ed.), *Arab Migrant Communities in the GCC* (London: Hurst & Co. Ltd, 2017), pp. 123-124.

المراجع

العربية

أبو الجبين، خير الدين. **قصة حياتي في فلسطين والكويت**. عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2002.

إسكندر، مروان. **غيوم فوق الكويت**. ترجمة محمود زايد. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1991.

براند، لوري أ. **الفلسطينيون في العالم: بناء المؤسسات والبحث عن الدولة**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1991.

الحسن، بلال. **الفلسطينيون في الكويت**. دراسات فلسطينية 97. بيروت: مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، 1974.

حمزة، محمد. **أبو جهاد: أسرار بداياته وأسباب اغتياله**. تقديم سمير يوسف. القاهرة: المركز المصري العربي، 1989.

الخطيب، أحمد. **من الكويت إلى الإمارة: ذكريات العمل الوطني والقومي**. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2007.

خلف، صلاح. **فلسطينيّ بلا هـويـة**. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2020.

الدنان، عبد الله مصطفى. **المناضل الكبير الدكتور عادل عبد الكريم ياسين: حياته ونضالاته**. عمّان: دار البيروني للنشر والتوزيع، 2021.

الزعنون، سليم. **السيرة والمسيرة**. عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2013.

الشرفا، سليمان. **مذكرات**. رام الله: دار طباق للنشر والتوزيع، 2021.

الشطي، خالد يوسف ربيع. **الكويت والقضية الفلسطينية: دعم ومناصرة**. الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2012.

شعث، نبيل. **حياتي.. من النكبة إلى الثورة: سيرة ذاتية**. القاهرة: دار الشروق، 2016.

شمّوط، إسماعيل. **أيام الغزو: يوميات إسماعيل شمّوط أثناء احتلال الكويت**. الكويت: منشورات تكوين، 2022.

الشيخ، موسى ومحمد البيروتي. **الشمس تولد من الجبل**. القدس: مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة في جامعة القدس، 2012.

صدام حسين. "مبادرة الرئيس صدام حسين من أجل حل الأزمة في الخليج". **مجلة الدراسات الفلسطينية**. مج 1، العدد 4 (خريف 1990).

الطاهر، معين. "'فتح': البدايات والمنطلقات والمعنى". **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد 110 (ربيع 2017).

_____. "بين تأسيس رابطة طلاب فلسطين ومقاومة الإسكان والتوطين: من أوراق فتحي البلعاوي". **أسطور**. العدد 5 (كانون الثاني/ يناير 2017).

الطاهر، معين ومنى عوض الله. **مسارات صعبة: الحركة الوطنية الفلسطينية في سيرة صلاح خلف (أبو إياد)، 1933-1971**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025.

عباس، محمود. **أيام في قطر**. عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2020.

عدوان، عصام. **حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، 1958-1968**. القاهرة: مكتبة مدبولي، 2001.

عـزم، أحمد. **كمال عـدوان: رجـل في ثـورة.. وثـورة في رجل**. الـدوحـة/ بيروت: المـركـز الـعـربي للأبـحـاث ودراسـة السياسات، 2024.

الغبرا، شفيق. **النكبة ونشوء الشتات الفلسطيني في الكويت**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.

_____. **حياة غير آمنة: جيل الأحلام والإخفاقات**. بيروت: دار الساقي، 2012.

فتح في مرحلة التأسيس. دمشق: جيش التحرير الفلسطيني؛ رئاسة هيئة الأركان؛ إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي، 1977.

قاسمية، خيرية. **أحمد الشقيري: زعيمًا فلسطينيًا ورائدًا عربيًا**. الكويت: لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري، 1987.

كالهون، كريغ. **معجم العلوم الاجتماعية**. ترجمة معين رومية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021.

كرباج، يوسف وحلا نوفل. **الفلسطينيون في العالم: دراسة ديموغرافية**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

المسحال، سعيد خليل. **ضياع أمـة**. القاهرة: ميريـت للنشر والمعلومات، 2004.

المـولى، سعود. "فلسطين بين الإخـوان و'فتح'". **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد 93 (شتاء 2013).

الوزير، انتصار. **رفقة عمر: مذكرات انتصار الوزير (أم جهاد)**. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022.

الوزير، خليل. "حركة 'فتح': البدايات". **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد 104 (خريف 2015).

الأجنبية

Alkandari, Ali A. "The Muslim Brotherhood in Kuwait, 1941-2000: A Social Movement within the Social Domain." PhD thesis. University of Exeter. 2014.

Al-Rashoud, Talal. "Modern Education and Arab Nationalism in Kuwait, 1911-1961." PhD thesis. SOAS University of London. 2017.

Babar, Zahra (ed.). *Arab Migrant Communities in the GCC*. London: Hurst & Co. Ltd, 2017.

Basch, Linda, Nina Glick Schiller & Cristina Szanton Blanc. *Nations Abound: Transnational Projects, Post-colonial Predicaments, and De-territorialized Nation-States*. Langhorne, PA: Gordon and Breach, 1994.

Baser, Bahar & Ashok Swain. "Diaspora as Peacemakers: Third Party Mediation in Homeland Conflicts." *International Journal on World Peace*. vol. 25, no. 3 (September 2008).

Bauböck, Rainer. "Towards a Political Theory of Migrant Transnationalism." *International Migration Review*. vol. 37, no. 3 (2003).

Brinkerhoff, Jennifer M. "Creating an Enabling Environment for Diasporas' Participation in Homeland Development." *International Migration*. vol. 50, no. 1 (2012).

Brubaker, Rogers. "Revisiting 'The 'Diaspora' Diaspora'." *Ethnic and Racial Studies*. vol. 40, no. 9 (2017).

Burgess, Katrina. "Unpacking the Diaspora Channel in New Democracies: When Do Migrants Act Politically Back Home?" *Studies in Comparative International Development*. vol. 49, no. 1 (2014).

Cochrane, Feargal. "Civil Society beyond the State: The Impact of Diaspora Communities on Peace Building." *Global Media Journal: Mediterranean Edition*. vol. 2, no. 2 (2007).

Féron, Élise & Bahar Baser. "Diasporas and Transportation of Homeland Conflicts: Inter-Group Dynamics and Host-Country Responses." *Ethnopolitics*. vol. 22, no. 4 (2023).

Gamlen, Alan. *Human Geopolitics: States, Emigrants, and the Rise of Diaspora Institutions*. Oxford: Oxford University Press, 2019.

Grossman, Jonathan. "Toward a Definition of Diaspora." *Ethnic and Racial Studies*. vol. 42, no. 8 (2019).

Guarnizo, Luis Eduardo. "The Emergence of a Transnational Social Formation and the Mirage of Return Migration among Dominican Transmigrants." *Identities*. vol. 4, no. 2 (1997).

Guarnizo, Luis, Alejandro Portes & William Haller. "Assimilation and Transnationalism: Determinants of Transnational Political Action among Contemporary Migrants." *American Journal of Sociology*. vol. 108, no. 6 (2003).

Guarnizo, Luis. "The Rise of Transnational Social Formations: Mexican and Dominican State Responses to Transnational Migration." *Political Power and Social Theory*. vol. 12 (1998).

Horst, Cindy. "The Transnational Political Engagements of Refugees: Remittance Sending Practices amongst Somalis in Norway." *Conflict, Security & Development*. vol. 8, no. 3 (2008).

Itzigsohn, José. "Immigration and the Boundaries of Citizenship: The Institutions of Immigrants' Political Transnationalism." *International Migration Review*. vol. 34, no. 4 (Winter 2000).

Kastoryano, Riva. "Citizenship, Nationhood, and Non-Territoriality: Transnational Participation in Europe." *Political Science & Politics*. vol. 38, no. 4 (2005).

Kyle, David. "The Otavalo Trade Diaspora: Social Capital and Transnational Entrepreneurship." *Ethnic and Racial Studies*. vol. 22 (1999).

Laguerre, Michel S. *Diasporic Citizenship: Haitian Americans in Transnational America*. New York: St. Martin's Press, 1998.

Schiller, Nina Glick. "Transnational Lives and National Identities: The Identity Politics of Haitian Immigrants." *Comparative Urban and Community Research*. vol. 6 (1998).

Schlenker, Andrea. "Divided Loyalty? Identification and Political Participation of Dual Citizens in Switzerland." *European Political Science Review*. vol. 8, no. 4 (2015).

Sheffer, Gabriel. *Modern Diasporas in International Politics*. New York: Saint Martin Press, 1986.

Sokefeld, Martin. "Mobilizing in Transnational Space: A Social Movement Approach to the Formation of Diaspora." *Global Networks*. vol. 6, no. 3 (2006).

Soysal, Yasemin Nuhoğlu. *Limits of Citizenship: Migrants and Postnational Membership in Europe*. Chicago: The University of Chicago Press, 1994.

Spear, Joanna. "The Potential Diaspora Groups to Contribute to Peace Building: A Scoping Paper." *Working Paper*. University of Bradford, 2006.

Tilly, Charles. "Trust Networks in Transnational Migration." *Sociological Forum*. vol. 22, no. 1 (March 2007).

Van Bruinessen, Martin. "Shifting National and Ethnic Identities: The Kurds in Turkey and the European Diaspora." *Journal of Muslim Minority Affairs*. vol. 18, no. 1 (1998).

Vertovec, Steven. "Conceiving and Researching Transnationalism." *Ethnic and Racial Studies*. vol. 22, no. 2 (1999).

Waldinger, Roger & David Fitzgerald. "Transnationalism in Question." *American Journal of Sociology*. vol. 109, no. 5 (2004).

Weinar, Agnieszka, Anne Unterreiner & Philippe Fargues (eds.). *Migrant Integration between Homeland and Host Society*. vol. 1. New York: Springer, 2017.

Levitt, Peggy & Nadya B. Jaworsky. "Transnational Migration Studies: Past Developments and Future Trends." *Annual Review of Sociology*. vol. 33 (2007).

Lindley, Anna. *The Early-Morning Phonecall: Somali Refugees' Remittances*. New York: Berghahn Books, 2010.

Lortan, Fiona. "Africa Watch: The Ethiopia-Eritrea Conflict: A Fragile Peace." *African Security Review*. vol. 9, no. 4 (2000).

Lyons, Terrence. "Engaging Diasporas to Promote Conflict Resolution: Transforming Hawks into Doves." *Working Paper*. Institute for Global Conflict and Cooperation. May 2004.

Mahler, Sarah. "Theoretical and Empirical Contributions toward a Research Agenda for Transnationalism." *Comparative Urban and Community Research*. vol. 6 (1998).

Mavroudi, Elizabeth. "Palestinians in Diaspora, Empowerment and Informal Political Space." *Political Geography*. vol. 27, no. 1 (2008).

Nielsen, Eva Ostergaard. "Diasporas and Conflict Resolution-Part of the Problem or Part of the Solution?" *Brief*. Danish Institute for International Studies. March 2006.

Peteet, Julie. "Problematizing a Palestinian Diaspora." *International Journal of Middle East Studies*. vol. 39, no. 4 (2007).

Porath, Yehoshua. *In Search of Arab Unity 1930-1945*. London: Frank Cass, 1986.

Rabinowitz, Dan. "Postnational Palestine/Israel? Globalization, Diaspora, Transnationalism, and the Israeli Palestinian Conflict." *Critical Inquiry*. vol. 26, no. 4 (2000).

Ragazzi, Francesco. "Diaspora: The Politics of Its Meanings." *International Political Sociology*. vol. 6, no. 1 (2012).

Rouleau, Eric. "The Palestinian Diaspora of the Gulf." *MERIP*. no. 132 (May/ June 1985).

المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/UHME8103
القبول Accepted
2025-10-20
التعديل Revised
2025-09-10
التسلم Received
2025-01-08

فراس علي القواسمي | Feras Ali Qawasmeh*

استراتيجيات نظام الاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية: بين الإزالة والإدارة

Settler Colonial Strategies in the West Bank: Between Elimination and Management

تشهد الضفة الغربية المحتلة تزايدًا في البناء الاستيطاني والوجود الديموغرافي للمستوطنين منذ احتلالها عام 1967. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل استراتيجيات الاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية وأبرز سماته، استنادًا إلى خرائط تفاعلية صادرة عن مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا)، ومعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى. وتجادل بأن الاستعمار الاستيطاني يعمل بوصفه منظومة مستمرة تتجاوز الحدث العابر، وهو ما يتجلى في اعتماده على أشكال متعددة من منطق "الإزالة" وإعادة تشكيل المجال السكاني والجغرافي. وتتناول الدور المركزي الذي تؤديه الإدارة المدنية الإسرائيلية ومؤسسات الدولة في ضبط السكان الأصليين وتنظيم حياتهم اليومية بما يسهّل التوسع الاستيطاني. وتُظهر نتائج الدراسة انتقال أدوات السيطرة من الإقصاء المباشر إلى آليات أكثر تركيبًا تعتمد على إدارة السكان الأصليين والتحكّم فيهم عبر البيروقراطية والحكم اليومي. وتكشف عن اعتماد استراتيجيتَين مركزيتَين في ذلك: الأولى "فكّ الكماشة" بالسيطرة على الأغوار وضمّ الأراضي خلف الجدار، والثانية إحكام القبضة على قلب الضفة الغربية عبر ثلاثة أطواق استيطانية في القدس.

كلمات مفتاحية: الاستعمار الاستيطاني، الاستيطان، إدارة السكان الأصليين، الضفة الغربية.

The occupied West Bank has experienced a steady expansion of settlement construction and settler demographic presence since 1967. This study analyzes the strategies of settler colonialism in the West Bank using interactive maps produced by the United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs (OCHA) and the Washington Institute for Near East Policy. It argues that settler colonialism operates as an ongoing structure rather than a discrete event, relying on evolving forms of the logic of elimination and the spatial and demographic reconfiguration of Palestinian society. The study highlights the central role of the Israeli Civil Administration and state institutions in regulating the indigenous population in ways that facilitate settlement expansion. It demonstrates a shift from direct exclusion to more complex mechanisms of domination based on population management and bureaucratic control. The findings identify two core strategies: consolidating control over the Jordan Valley and land behind the separation barrier, and tightening control over the heart of the West Bank through three settlement belts surrounding Jerusalem.

Keywords: Settler Colonialism, Settlement Expansion, Indigenous Population Management, West Bank.

* أستاذ مساعد في السياسات العامة في أكاديمية جوعان بن جاسم للدراسات الدفاعية، قطر.
Assistant Professor of Public Policy at Joaan Bin Jasim for Defence Studies.
Email: fqawasmeh@jbj.edu.qa

مقدمة

شهدت الضفة الغربية، منذ احتلالها عام 1967، توسعًا استعماريًا استيطانيًا مطّردًا غيّر من طبيعتها الجغرافية والديموغرافية والسياسية تغييرًا جذريًا. لكن، منذ تشكيل حكومة الاحتلال الائتلافية في 29 كانون الأول/ ديسمبر 2022 بقيادة بنيامين نتنياهو، التي جرى الاتفاق بين أحزابها على إحداث توسع استيطاني كبير في الضفة الغربية، نشهد إقرارًا وتنفيذًا لمشاريع استيطانية ضخمة تنذر بتأسيس مرحلة جديدة من التوسع الاستيطاني، تهدد فيها مشروع الدولة الفلسطينية، وتوحي بسيطرة غير مسبوقة على أراضي الضفة الغربية.

تنوّعت الدراسات التي تناولت مسألة الاستعمار الاستيطاني في فلسطين، والضفة الغربية على وجه التحديد، والتي ركزت في معظمها على البعد الجغرافي - السياسي والديموغرافي للتوسع الاستيطاني في الضفة الغربية. ومع ذلك، نظرت غالبية هذه الدراسات إلى الاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية من زوايا جزئية، مثل التركيز على فهم أسباب التوسع الاستيطاني في القدس، أو منطقة الأغوار الفلسطينية، أو بناء جدارٍ للفصل العنصري، أو دور الإدارة المدنية في تعزيز هذا التوسع وحمايته. وتبقى هناك حاجة إلى فهم الصورة من منظور أوسع لاستراتيجيات الاحتلال الاستعمارية الاستيطانية للسيطرة على أراضي الضفة الغربية وطرد سكانها منها. وبناءً على ذلك، تهدف هذه الدراسة إلى تقديم تحليل شامل لمنطق المشروع الاستيطاني الإسرائيلي في الضفة الغربية، من خلال تفكيك الاستراتيجيات الجغرافية - الديموغرافية التي اعتمدها الاحتلال في الفترة 1967-2025.

يستند هذا التحليل إلى مراجعة الخرائط التفاعلية والمحدثة الصادرة عن مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية "أوتشا"[1]، ومعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى[2]، وتحليل المسارات الزمنية والمكانية للتوسع الاستيطاني في الضفة الغربية. أما على المستوى النظري، فتعتمد الدراسة على مقاربات الاستعمار الاستيطاني، لا سيما أعمال باتريك وولف ولورينزو فيراسيني. وتنقسم إلى مبحثين رئيسين: يعرض الأول استراتيجيات الاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية، في حين يتناول الثاني تحليلًا معمقًا لهذه الظاهرة استنادًا إلى الإطار النظري.

1 ينظر خريطة "أوتشا" التفاعلية:
"Interactive West Bank Map," OCHA, accessed on 5/9/2025, at: https://acr.ps/1L9BPFP

2 ينظر خريطة "مؤسسة واشنطن" التفاعلية:
"Settlements and Solutions," Washington Institute, accessed on 3/9/2025, at: https://acr.ps/1L9BPjP

الإطار النظري

شهدت دراسات التوسع الاستيطاني عدة موجات بحثية تناولت مسألة الاستيطان في فلسطين، سواء في أراضي عام 1948 أو عام 1967. وتبرز في الموجة الأحدث عودة الدراسات إلى أعمال وولف وفيراسيني، اللذَين قدّما أطرًا تحليلية أسهمت في ترسيخ مفهوم "الاستعمار الاستيطاني" وجعله أكثر انتشارًا وتداولًا في الدراسات المعاصرة[3].

يرى وولف أن الاستعمار الاستيطاني "بنية وليس حدثًا"، ويفرّق هنا بين الاستعمار الاستغلالي والاستعمار الاستيطاني؛ إذ يهدف الأول إلى استغلال الأرض والسكان الأصليين، أما الثاني فلا يقوم على هذا المنطق، بل يسعى لطرد السكان الأصليين، لأن الهدف النهائي هو الأرض وليس الاستغلال والحصول على الموارد. يقوم منطق الاستعمار الاستيطاني على فكرة إزالة السكان الأصليين ومحوهم، فيأتي المستعمرون بنيّة البقاء، وليس استغلال مواردها فحسب، وبذلك يرتبط الاستعمار الاستيطاني بعملية إبادة مستمرة تتمحور كلها حول السيطرة على الأرض وطرد سكانها منها بتنسيق بين مجموعة متكاملة من الهيئات، بدءًا من المركز المتروبولي، وصولًا إلى التخوم[4].

يتفق فيراسيني مع طرح وولف في التفرقة بين الاستعمارَين الاستغلالي والاستيطاني، إذ يستخدم عبارتين موجَّهتين إلى السكان الأصلانيين، الأولى "اعمل من أجلي" والتي تعكس منطق الاستعمار الاستغلالي، والثانية "اذهب من هنا"، والتي تعبّر عن منطق الاستعمار الاستيطاني الإحلالي[5]. ويرى أن نجاح الاستعمار الاستيطاني يعتمد على قدرته على إخفاء طبيعته الاستعمارية، وذلك حين يتحوّل المستوطنون من تعريف أنفسهم بوصفهم مستوطنين إلى تقديم أنفسهم بوصفهم "مواطنين" أصليين في البلاد. ولتحقيق هذا التحوّل، يحتاج المشروع الاستيطاني إلى إنشاء منظومات سياسية وثقافية محلية تُظهر وجوده باعتباره أمرًا طبيعيًا، بالتوازي مع تفكيك أيّ شكل من أشكال الاستقلالية الذاتية للشعوب الأصلية[6]. ويشترك عدد من الباحثين في توصيف الاستعمار الاستيطاني للأراضي

3 أشرف عثمان بدر وعاصم خليل، "الاستعمار الاستيطاني في السياق الفلسطيني: براديغم أم مفهوم"، **عمران**، مج 9، العدد 35 (شتاء 2021)، ص 11.

4 Patrick Wolfe, "Settler Colonialism and the Elimination of the Native," *Journal of Genocide Research*, vol. 8, no. 4 (2006), pp. 388-402.

5 Lorenzo Veracini, "Introducing: Settler Colonial Studies," *Settler Colonial Studies*, vol. 1, no. 1 (2011), pp. 1-12.

6 Lorenzo Veracini, "The Other Shift: Settler Colonialism, Israel and The Occupation," *Journal of Palestine Studies*, vol. 42, no. 2 (April 2013), p. 28.

المحتلة عام 1967 مع فيراسيني؛ إذ يعتبر ديفيد لويد أن هناك تحولًا حصل من منطق الإبادة إلى منطق إدارة السكان واستغلال الأيدي العاملة الفلسطينية[7]. في حين يستخدم إيلان بابيه مصطلح "السجن الكبير" في إدارة المناطق المحتلة عام 1967، من دون نفي مفهوم الإزالة والمحو عنها[8].

أولًا: استراتيجيات الاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية

شهدت الضفة الغربية أربع مراحل وموجات أساسية في البناء الاستعماري الاستيطاني. تمايزت كل منها في السياق السياسي الإسرائيلي وفي طبيعة التمدد الجغرافي للمستوطنات؛ بدأت الموجة الأولى مع احتلال الضفة عام 1967 حتى عام 1976، وهي الفترة التي كان اليسار الإسرائيلي يسيطر فيها على سدة الحكم، وتمحور البناء الاستيطاني فيها في منطقة الأغوار والقدس، حيث بُنيت 34 مستوطنة. أما المرحلة الثانية فهي خلال الفترة 1977-1987، وهي السنوات التي سيطر فيها اليمين الإسرائيلي على سدة الحكم، وتخللتها أكبر موجة توسع استيطاني، إذ أُنشئت 98 مستوطنة، كان معظمها في غرب الضفة؛ أي في المناطق القريبة من الخط الأخضر وبعضها وسط الضفة. أما الموجة الثالثة، فهي في الفترة 1988-1994، التي تناوبت فيها حكومات اليمين واليسار الإسرائيليَين، وبُنيت فيها 12 مستوطنة، تمركز معظمها في وسط الضفة. أما المرحلة الرابعة، فهي بعد توقيع اتفاق أوسلو، إذ اتسمت بانتقال التوسع في المستوطنات إلى ظاهرة البؤر الاستيطانية الاستعمارية التي انتشرت في مختلف المناطق في الضفة، وذلك بأساليب غير رسمية وأحيانًا خارج نطاق القانون الإسرائيلي نفسه، لكنها حظيت لاحقًا بسياسات شرعنة وتوسعة تدريجية[9].

ساهمت هذه الموجات الاستيطانية، بتفاوتاتها الزمانية وتوزيعها الجغرافي، في رسم ملامح البنية الاستعمارية الاستيطانية الراهنة في الضفة الغربية. ويمكن تلخيص المنطق العام الذي حكمها في إطار استراتيجيتين مركزيتين تشكّلان جوهر السياسات الإسرائيلية، وهما:

1. "فكّا الكماشة"

تتمثل هذه الاستراتيجية في إحكام سيطرة الاحتلال على الضفة الغربية وإيجاد منطقتَي عزل؛ يتمثل الفك الأول في السيطرة الكاملة على منطقة الأغوار الواقعة شرق الضفة، أما الفك الثاني، فيتمثل في المناطق الواقعة خلف جدار الفصل العنصري في الجهة الغربية. وقد مثّلت هاتان المنطقتان المعزولتان "فكَّي كماشة"[10] حول باقي مناطق الضفة الغربية؛ حيث حوّلتاها إلى كيان مجزّأ ومحاصر من جهتين استراتيجيتين.

أ. مناطق العزل الشرقية (الأغوار)

تمتد منطقة العزل الشرقية، المعروفة أيضًا بـ "الأغـوار"، من عين جدي قرب البحر الميت في الجنوب حتى منطقة عين البيضاء القريبة من بيسان في الشمال. وتضم أجزاء واسعة من مساحة محافظة أريحا وطوباس، وأجزاء من محافظة القدس وبيت لحم والخليل. وتُظهر الخريطة (1) المناطق الشرقية (الأغوار) التي يسيطر عليه الاحتلال الإسرائيلي[11].

الخريطة (1)
مناطق العزل الشرقية (الأغوار)

المصدر:

Gershon Hacohen, "The West Bank's Status Quo is More Dangerous than Applying Sovereignty," The Begin-Sadat Center for Strategic Studies (2020), accessed on 15/10/2025, at: https://acr.ps/1L9F3dO

7 David LIoyd, "Settler Colonialism and the State of Exception: The Example of Palestine/ Israel," *Settler Colonial Studies*, vol. 2, no. 1 (2012), p. 67.

8 Ilan Pappe, *The Biggest Prison on Earth: A History of the Occupied Territories* (London: Oneworld Publications, 2017), p. 4.

9 ماهر عابد وحمزة الحلايبة وفراس القواسمي، **مدخل لفهم الاستيطان الصهيوني في الضفة الغربية والقدس** (إسطنبول: مركز رؤية للتنمية السياسية، 2023)، ص 34-52.

10 نستخدم مصطلح "فكّي الكماشة" لتبسيط منطق الاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية القائم على منطق "العزل والسيطرة".

11 عابد والحلايبة والقواسمي، ص 54.

خضعت هذه المنطقة للاحتلال الإسرائيلي بعد عام 1967، وظلت منذ ذلك الحين تحت سيطرة فعلية شبه كاملة، سواء من الناحية الأمنية أو الإداريـة. وتبلغ مساحة الأغـوار نحو 1600 كيلومتر مربع؛ أي ما يعادل قرابة 29 في المئة من مساحة الضفة الغربية. وتدخل غالبية أراضيها، بما يقارب 87 في المئة، ضمن تصنيف "ج"، ما يعني خضوعها الكامل للسيطرة الأمنية والإدارية الإسرائيلية وفقًا لإعلان المبادئ الفلسطيني – الإسرائيلي حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي (المعروف باتفاق أوسلو)[12]. ويقطن هذه المنطقة ما يقارب 65 ألف فلسطيني[13]، يتركز معظمهم في التجمعات السكانية الريفية التي تعاني ضعف البنية التحتية وقيودًا صارمة على البناء والتوسع، في حين يبلغ عدد المستوطنين في منطقة الأغوار نحو 12 ألفًا، موزعين على 28 مستوطنة[14]. ويعني هذا أن متوسط عدد السكان في كل مستوطنة من مستوطنات الأغوار نحو 400 مستوطن، ما يعكس طابعًا استيطانيًا ذا كثافة منخفضة نسبيًا مقارنة بالحجم الجغرافي الكبير للأراضي التي تسيطر عليها هذه المستوطنات.

وتتجلى أهمية الأغوار في أبعاد متعددة، في مقدمتها البعد الاستراتيجي والاقتصادي والأمني. من الناحية الاستراتيجية، تكتسب منطقة الأغوار أهمية فائقة في التصور الإسرائيلي لمستقبل الضفة الغربية؛ إذ يمكن أن تشكّل ثقلًا حيويًا لأيّ دولة فلسطينية مستقبلية؛ لذلك يعزز الاحتلال سيطرته الجغرافية لمنع تشكّل كيان فلسطيني مستقل ومحاذٍ للأردن. في المقابل، تساهم السيطرة على هذه المنطقة في تعزيز مشروع "القدس الكبرى"[15] باعتبار أن الأغوار تمثّل الامتداد الجغرافي الشرقي للقدس، وتوفّر للاحتلال عمقًا استيطانيًا يمكن من خلاله دعم دمج المدينة المحتلة في جغرافيا أوسع. وعلاوة على ذلك، لا ينفصل الاحتفاظ بالأغوار عن الحسابات الديموغرافية الإسرائيلية؛ إذ إنه من منظور استراتيجي، يمثّل انتشار الفلسطينيين في الأغوار إمكانية تدفق سكاني عربي من الأردن، ما يهدد التوازن الديموغرافي داخل الضفة الغربية، ومن ثم يُستخدَم هذا التهديد المفترض مبررًا إضافيًا لاستمرار السيطرة الإسرائيلية.

تمتاز منطقة الأغوار كذلك بأهمية اقتصادية استراتيجية نظرًا إلى ما تحتويه من موارد طبيعية، حيث يوجد فيها 40 في المئة من مجموع مصادر المياه في الضفة الغربية، وتتميز بوفرة ينابيعها المنتشرة على السفوح الجبلية، إضافة إلى ما يقارب 133 بئرًا جوفية يُستخرج منها نحو 16 مليون متر مكعب من المياه سنويًا[16]. ويعكس هذا الواقع الغنى المائي للمنطقة، حيث تقع الأغوار فوق ما يشبه بحيرة جوفية ضخمة تمثل ما يقارب ثلث المخزون المائي الجوفي في الضفة الغربية.

إضافة إلى ذلك، تتميز الأغوار بأراضيها الزراعية الخصبة ومناخها الدافئ شتاءً والحار صيفًا، الأمر الذي يجعلها ملائمة لزراعة أصناف عديدة، وبذلك تمثّل أراضيها السلة الغذائية المركزية للفلسطينيين؛ إذ تساهم بنحو 60 في المئة من إنتاج الخضراوات و30 في المئة من إنتاج الفواكه في الضفة الغربية، وتشكّل أراضي المحميات الطبيعية ما يقارب 27 في المئة من مساحة الأغوار، وهي مناطق يحظر الاحتلال على الفلسطينيين استخدامها أو إقامة أيّ بناء فيها[17]. ويعكس هذا الثقل الزراعي وتوافر الموارد الطبيعية الكثيفة البعد السيادي للأغوار، حيث ترتبط السيطرة عليها بإمكانية تحقيق الأمن الغذائي وتقليل التبعية الاقتصادية.

في المقابل، يحظى المستوطنون في منطقة الأغوار بامتيازات واسعة في الوصول إلى الموارد المائية؛ إذ يستهلكون سنويًا ما يقارب 45 مليون متر مكعب من المياه. وتمنحهم سلطات الاحتلال حصصًا مائية تفوق بنحو ثمانية أضعاف ما يحصل عليه السكان الفلسطينيون في المنطقة، حيث تُخصَّص للأسرة المستوطِنة كمية تقارب 450 لترًا يوميًا، مقابل نحو 60 لترًا فقط للأسرة الفلسطينية[18]. ويُرصد سنويًا للمستوطنات في الأغوار ما يقارب 10 ملايين متر مكعب إضافية؛ أي ما يعادل نحو 30 في المئة من إجمالي استهلاك سكان الضفة الغربية كافة[19].

شجّع الاحتلال المستوطنين على الانتقال إلى منطقة الأغوار من خلال منحهم حوافز مالية وإعفائهم من بعض الرسوم، مثل رسوم التعليم، إضافة إلى تقديم الدعم لهم لاستغلال الأراضي الزراعية المحيطة بالمستوطنات وزراعتها. وتبلغ مساحة الأراضي الزراعية التابعة للمستوطنات في منطقة العزل الشرقية نحو 64 كيلومترًا مربعًا،

12 "نهب واستغلال: سياسة إسرائيل في منطقة غور الأردن وشمال البحر الميت"، **تقرير شامل**، مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة (2011)، شوهد في 2025/9/3، في: https://acr.ps/1L9BOUJ

13 "اقتحمها نتنياهو، ماذا نعرف عن منطقة غور الأردن"، **الخليج أون لاين**، 2024/9/13، شوهد في 2025/9/3، في: https://khaleej.online/14oEjd

14 الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، **المستعمرات الإسرائيلية في الضفة الغربية: التقرير الإحصائي السنوي 2022** (2023)، شوهد في 2025/9/3، في: https://acr.ps/1L9BPuQ

15 مشروع أطلقه الاحتلال عام 1993 يقضي بتوسيع مساحة القدس إلى 600 كيلومتر مربع. وقد جرى تخطيط الجدار الفاصل في القدس ليكون ضمنه.

16 فادي نحاس، **إسرائيل والأغوار: بين المفهوم الأمني واستراتيجيات الضم** (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية – مدار، 2012)، ص 110.

17 فؤاد أبو سيف، **واقع القطاع الزراعي في الأغوار بعد السابع من أكتوبر 2023** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2024)، ص 1–12.

18 "تجارة الاحـتلال: كيف تسهم الأعمال التجارية بالمستوطنات في انتهاك إسرائيل لحقوق الفلسطينيين"، هيومن رايتس ووتـش، 2016/1/19، شوهد في 2025/9/5 في: https://acr.ps/1L9BP4C

19 "The Jordan Vally," *Peace Now* (2017), accessed on 3/9/2025, at: https://acr.ps/1L9BPMu

تُستغل لإنتاج الفواكه والتمور والخضراوات. وفي الوقت نفسه، أقام الاحتلال 133 قاعدة عسكرية في المنطقة نفسها بمساحة تزيد على 33 كيلومترًا مربعًا، وحوّل مساحات واسعة منها إلى ميادين تدريب عسكري لقواته، واستحوذ على ما يقارب 72 في المئة من المنطقة بذريعة أنها "أراضي دولة"[20].

من الناحية الأمنية، تمثّل منطقة الأغوار ركيزة أساسية في العقيدة الأمنية الإسرائيلية، بوصفها "منطقة فاصلة" جغرافيًا وزمانيًا؛ إذ إنها تؤمّن الحدود الشرقية مع الأردن. وعلى الرغم من التحولات الكبيرة في طبيعة الحروب الحديثة، وخاصة في ظل تطور تكنولوجيا الصواريخ والطائرات المسيّرة، فإن الاحتلال لا يزال ينظر إلى الأغوار باعتبارها خطَّ دفاعٍ استراتيجيًا متقدمًا له ولمستوطناته الممتدة على أراضي الضفة الغربية، حيث يوفر هذا الخط إنذارًا مبكرًا لأيّ تهديد محتمَل من الشرق، ويمنح الجيش الإسرائيلي مساحة مناورة ميدانية واسعة[21]. وتساهم المنطقة الفاصلة هذه، بحسب المفهوم الإسرائيلي، في تقليل المخاطر الناجمة عن ضيق "الخاصرة الجغرافية" بين الخط الأخضر والساحل، التي لا تتجاوز 12 كيلومترًا في بعض المناطق، وتضم مراكز الثقل السكاني والعسكري الكبرى مثل تل أبيب وحيفا[22].

تنسجم هذه الرؤية مع التصورات الأمنية الإسرائيلية التي تشكّلت منذ مشروع "ألون"[23] بعد عام 1967؛ إذ يُنظر إلى هذه المنطقة باعتبارها منطقة فاصلة Buffer Zone بعرضٍ يـراوح بين 10 كيلومترات و15 كيلومترًا[24]. وفي هذا السياق، أُنشئت 34 مستوطنة في الأغوار، رُبطت فيما بينها عبر الطريق السريع (شارع 90)[25]. وتواصلت المشاريع الاستيطانية ذات الطابع الاستعماري في استهداف المنطقة الشرقية، حيث تضمّنت أجزاء من "مخطط 2050" القاضي بإنشاء مطار في الأغوار الفلسطينية، إلى جانب مشروع الترام "القطار الخفيف" الهادف إلى مد شبكة مواصلات بين مستوطنات الضفة الغربية تصل حتى منطقة الأغوار بحسب المخطط[26].

ب. مناطق العزل الغربية (خلف الجدار الفاصل)

بدأ بناء جدار الفصل العنصري في الضفة الغربية عام 2002، في فترة رئيس الحكومة الإسرائيلي الأسبق أرئيل شارون (2001-2006). ويبني الاحتلال جزءًا من الجدار بمحاذاة الخط الأخضر، ويتوغل في الجزء الأكبر بضعة كيلومترات في أراضي الضفة الغربية. ويبلغ طول الجدار نحو 770 كيلومترًا، وارتفاعه عمومًا 8 أمتار، جرى بناء معظمه. وكان من المتوقع أنّ يضم الجدار 733 كيلومترًا مربعًا خلفه (بين الجدار والخط الأخضر) بعد الانتهاء من بنائه؛ أي نحو 13 في المئة من مساحة أراضي الضفة الغربية[27]. وساهم بناء الجدار الفاصل في ضم 71 مستوطنة من أصل 150؛ أي حوالى 47 في المئة من مجموع المستوطنات في الضفة الغربية، بما في ذلك الكتل الاستيطانية الكبرى، وهي كتل معاليه أدوميم، وغفعات زئيف، وغوش عتصيون، وجميعها يقع ضمن حدود "مشروع القدس الكبرى"، تضاف إلى ذلك كتلة أرئيل المبنية على أراضي محافظتَي سلفيت وقلقيلية. وعند تحليل البيانات الخاصة بعدد المستوطنين في مختلف المستوطنات الواردة في خريطة الضفة الغربية التفاعلية الصادرة عن أوتشا[28] ومعهد واشنطن[29]، يتبين أن نحو 650 ألف مستوطن يعيشون في المستوطنات التي ضُمّت بالجدار (بما فيها القدس)، وهو ما يمثّل 88 في المئة من عدد المستوطنين الكلّي في الضفة الغربية؛ أي إن المستوطنات الإسرائيلية التي لم يضمّها الجدار يقطنها ما يقارب 12 في المئة فقط من مجموع مستوطني الضفة الغربية. وبذلك يكون الجدار قد ضم الغالبية العظمى من عدد المستوطنين في الضفة؛ ما يعني أن مساره قد حددته على نحو دقيق سلطات الاحتلال وخططت له لتحقيق أهم الأهداف الاستراتيجية، وهو ضم أكبر عدد من المستوطنات والمستوطنين إلى دولة الاحتلال. وتبيّن الخريطة (2) مناطق العزل الغربية بفعل الجدار الفاصل[30].

---

20 "السياسات الإسرائيلية تجاه الأغوار"، معهد البحوث التطبيقية (2010)، شوهد في 2025/9/3، في: https://acr.ps/1L9BP1p

21 فراس القواسمي، "منطقة الأغوار بين الاحتلال وإعلان السيادة"، مركز رؤية للتنمية السياسية (2019)، شوهد في 2025/9/3، في: https://acr.ps/1L9BOYR

22 نحاس، ص 104-112.

23 مشروع قدّمه إيغال آلون في تموز/ يوليو 1967 إلى مجلس الوزراء الإسرائيلي شمل تصورًا لحل إقليمي بعد حرب الأيام الستة انطلق من رفض العودة إلى خطوط هدنة 1949، وإعادة رسم خريطة الضفة الغربية، بما يضمن ضم الاحتلال أكبر مساحة. وعلى الرغم من عدم تصديقه رسميًا، فإنه شكّل إطارًا ضمنيًا وجّه السياسات التوسعية والاستيطانية الإسرائيلية. ينظر: "موسوعة المصطلحات – مشروع ألون"، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية - مدار (2025)، شوهد في 2025/9/2، في: https://acr.ps/1L9BORw

24 عبد الرحمن القيق، **سياسة الاستيطان الإسرائيلي، 1967-2006، الخليل نموذجًا: دراسة حالة** (القدس: عمادة الدراسات العليا – جامعة القدس، 2010)، ص 24.

25 اعتمادًا على خرائط غوغل، أطول طريق سريع يبلغ 460 كيلومترًا، يمتد من "المطلة" أقصى شمال فلسطين التاريخية، قرب الحدود مع لبنان، وصولًا إلى مدينة إيلات عند الحدود الجنوبية مع مصر والبحر الأحمر، ويقطع الضفة الغربية من شمالها إلى جنوبها في منطقة الأغوار، وبمحاذاة البحر الميت في وسط الضفة.

26 خليل التفكجي، "مخطط اليمين الإسرائيلي في القدس لعام 2050"، **الجزيرة نت**، 2017/3/30، شوهد في 2025/9/2، في: https://acr.ps/1L9BPn7

27 "جـدار الفصل الإسرائـيلي.. ظاهره منع عمليات المقاومة وباطنه تقسيم أوصال فلسطين"، **الجزيرة نت**، 2024/6/3، شوهد في 2025/9/3، في: https://acr.ps/1L9BORv

28 "Interactive West Bank Map."

29 "Settlements and Solutions."

30 Ibid.

الخريطة (2)
مناطق العزل الغربية بفعل الجدار الفاصل

المصدر: معهد الأبحاث التطبيقية (أريج) (2006)، شوهد في 2025/10/15، في:
https://www.palqa.com/wp-content/uploads/2015/08/wall_2008.jpg

يلاحَظ من خلال الخريطة (2) اختراق الجدار الفاصل قلب الضفة الغربية عبر تكتل أرئيل الذي وصل بعمق 22 كيلومترًا من الخط الأخضر، وكذلك عبر "مشروع القدس الكبرى"، حيث تبلغ المسافة بين الخط الأخضر وأبعد نقطة للجدار الفاصل في تكتل معاليه أدوميم (شرق القدس) 15 كيلومترًا. وأدى اختراق الجدار قلب الضفة إلى فرض قيود كبيرة على التواصل الجغرافي بين المناطق الفلسطينية. واتبع الاحـتلال، إلى جانب سعيه لضم أكبر عـدد ممكن من المستوطنات، مجموعة من المحددات في رسم المسار الحالي للجدار الفاصل، يأتي في مقدمتها، وتحديدًا في مدينة القدس، توسيع حدود بلديتها على نحو يتوافق مع التصور الإسرائيلي لما يُعرف بـ "مشروع القدس الكبرى". وقد بُني الجدار فعليًا استنادًا إلى هذا التوسع، ما أدى عمليًا إلى إخراج نحو 150 ألف فلسطيني من حدود المدينة الرسمية، على الرغم من أنهم كانوا يقيمون داخلها، في حين أنه ضمّ الكتل الاستيطانية الكبرى الواقعة على الأطراف (معاليه أدوميم، وغفعات زئيف، وغوش عتصيون)، والتي يعيش فيها نحو 162 ألف مستوطن، ضمن النطاق البلدي للقدس. وقد اضطلعت الأبعاد الرمزية والدينية بدورٍ رئيس في رسم الجدار؛ إذ اخترق بعمق 4 كيلومترات على نحو مُلتوٍ ومعقد بالقرب من المدخل الشمالي لمدينة بيت لحم ليضم مسجد بلال بن رباح، الذي يطلق عليه الاحتلال قبة راحيل[31]، ضمن سياسة مدروسة تهدف إلى إعادة تشكيل الهوية الدينية والتاريخية للمدينة المحتلة.

وشكّل الجدار إحدى أبرز أدوات الاحتلال في تأمين المستوطنات، خصوصًا تلك التي تقع على التلال والمرتفعات، حيث جاء مساره منحازًا إلى السيطرة على هذه المواقع المرتفعة ذات الأهمية الاستراتيجية. ويجد هذا التوجه دعمه في بعض الروايات الدينية التي تحثّ على التمركز في رؤوس الجبال[32]، بما يعكس البُعد الأيديولوجي الذي يتقاطع مع الاعتبارات الأمنية. فعلى سبيل المثال، يتوغل الجدار شرق جنين عند قريتَي جلبون والمطلة ليستولي على التلال الشرقية، ويتجه غربًا في منطقة أم الريحان ليُحكم السيطرة على المرتفعات الغربية.

ويُلاحظ، إلى جانب البعد الطوبوغرافي، أن السيطرة على الأراضي الزراعية محدد أساسي في رسم مسار الجدار، حيث عُزلت مساحات واسعة من هذه الأراضي الزراعية والغابات خلفه، ويقدَّر أن هذه المساحات تمثّل نحو 48 في المئة من المنطقة المعزولة. وفي محافظة القدس وحدها، تصل مساحة الأراضي الزراعية والغابات المعزولة إلى نحو 87 ألف دونم؛ أي ما يعادل 60 في المئة من إجمالي الأراضي الواقعة خلف الجدار. ويفرض الاحتلال قيودًا شديدة على المزارعين للوصول إلى مزارعهم في هذه المناطق، ويطلب منهم الحصول على التصاريح؛ إذ يعتبرها مناطق تماسّ، ما يستدعي الحصول على تصاريح مسبقة من سلطاته. ومن جانب آخر، يهدف الاحتلال من مسار الجدار الحالي إلى تعزيز إمكانية بسط نفوذه على مصادر المياه الرئيسة في الضفة الغربية، حيث تقع المنطقة فوق ثلاثة أحواض مائية جوفية: الشرقي، والشمالي الشرقي، والغربي. وقد عزز الجدار السيطرة الإسرائيلية على الحوض الغربي تحديدًا، الذي يُعدّ الأغنى من حيث المخزون؛ إذ يحتوي على ما يقارب 362 مليون متر مكعب سنويًا؛ أي ما يمثّل أكثر من نصف الموارد المائية الجوفية الفلسطينية[33].

وجاء الخط الحالي للجدار كذلك لحماية بعض الطرق الرئيسة (الالتفافية) التي يصل طولها إلى قرابة الألف كيلومتر في الضفة الغربية. فعلى سبيل المثال، يمتد الجدار بمحاذاة شارع رقم 60 الذي

31 عابد والحلايبة والقواسمي، ص 59-75.

32 (الـتـنـاخ، سفر يشوع: الإصحـاح 17، 14: 18)، شوهد في 2025/9/3، في:
https://acr.ps/1L9BP9n

33 عابد والحلايبة والقواسمي، ص 73.

يربط القدس وبيت لحم مسافة تقارب 5 كيلومترات[34]. واعتُمد في بناء الجدار ضمن هذه المناطق أسلوب القمة المنكسرة، بما يقلّص من إمكانية الرؤية الأفقية إلى حد بعيد، ولتأمين حماية مركبات الاحتلال من رشق الحجارة.

وتبيّن النقاط السابق ذكرها أن بناء الاحتلال الإسرائيلي للجدار الفاصل لم يكن للحماية الأمنية من الهجمات الفلسطينية، كما حاول أن يروّج، فحسب، بل لأهداف استعمارية استيطانية بحتة تتمثل في السيطرة على الأرض والموارد وإيجاد البيئة الضاغطة لطرد الفلسطيني من أرضه أيضًا.

2. السيطرة على القدس وتفتيت وسط الضفة الغربية

كانت أولى خطوات الاحتلال الإسرائيلي، بعد احتلال القدس عام 1967، إصدار قانون من الكنيست بضمّ شرق القدس إلى السيادة الإسرائيلية، وبذلك بات هناك ما يُعرَف بشرق القدس وغربها. وكان هذا القانون يهدف كذلك إلى توسيع حدود بلدية القدس، حيث أصبحت مساحتها 71 كيلومترًا مربعًا (بقسمها الشرقي)، بعد أن كانت 6.5 كيلومترات مربعة في سياق السيطرة الأردنية[35]. ومنذ احتلال القدس، تبنّى الاحتلال عددًا من الخطط والمشاريع التوسعية، التي يمكن أن نطلق عليها "استراتيجية الأطواق الثلاثة"، وهي كالتالي:

أ. داخل سور القدس القديمة

شرع الاحتلال، منذ عام 1967، في تنفيذ سياسة تهدف إلى تغيير هوية مدينة القدس ومعالمها التاريخية. ففي عام 1968، وسّع الحي اليهودي بعد هدمه أكثر من 135 بيتًا ومسجدين في حارة المغاربة، حيث سوّى الحي بالأرض؛ ليمهّد بذلك الطريق أمام اليهود لأداء طقوسهم الدينية عند حائط البراق. وبعد ذلك، وسّع حارة اليهود، بعد ضمّ حارة الشرف وباب السلسلة المجاورَين، وطرد سكانها البالغ عددهم 6 آلاف، ليحلّ مكانهم ما بين 3500 و5000 مستوطن من 600 عائلة يهودية. واليوم، تمثل مساحة الحي اليهودي أكثر من 20 في المئة من مساحة البلدة القديمة، كما استولى الاحتلال على 56 منزلًا عربيًا إضافيًا، موزعة بين أحياء القدس القديمة[36]، في إطار سياسة تهدف إلى تفريغ المدينة من سكانها الأصليين وترسيخ وجود استيطان استعماري إحلالي داخل أسوارها.

ب. خارج حدود القدس القديمة، وداخل حدود البلدية الموسعة

بعد توسيع حدود بلدية القدس عام 1967، عمل الاحتلال على إقامة حزام استيطاني يطوّق شرق المدينة من الشمال والجنوب، ويشمل 11 مستوطنة رئيسة أُقيمت في فترة زمنية متقاربة، بين عامَي 1967 و1975، باستثناء مستوطنة هارحوما التي أُنشئت عام 1991. ويُذكر أن بعضها، مثل جيلو وبسغات زئيف، تحوّل إلى تجمعات سكانية ضخمة تضم عشرات آلاف المستوطنين، وتستند إلى بنية تحتية متكاملة دعمتها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة. ويتمثّل الهدف المباشر للحزام في عزل القدس عن امتدادها الطبيعي مع الضفة الغربية وقطع أيّ إمكانية لقيام وحدة جغرافية فلسطينية، سواء داخل القدس أو في تواصلها مع محيطها. وبذلك تحوّلت هذه المستوطنات إلى جدار فاصل عملي، يمنع التواصل بين الأحياء الفلسطينية ويقيّد نموها العمراني[37]. وإضافة إلى ذلك، تكمن خطورة هذا الطوق في بعديه الاستراتيجي والديموغرافي؛ حيث صُمِّم لضمان أغلبية يهودية في القدس، عبر محاصرة الأحياء العربية من جهاتها كافة ومنع تمددها الطبيعي، مثل العيسوية وجبل المكبر. وعلاوة على ذلك، جرت مصادرة آلاف الدونمات من أراضي القرى الفلسطينية المحيطة، مثل بيت صفافا، وصور باهر، وشعفاط، وعناتا[38].

ج. حول حدود بلدية القدس

يمتد هذا الطوق بين حدود بلدية القدس وحدود مستوطنات ما يُعرَف اليوم بمشروع مخطط "القدس الكبرى". ويهدف بناؤه إلى إيجاد سور مانع لمدينة القدس من خارج حدود بلديتها، وضمان تواصل دائم لليهود وإبعادهم عن الاحتكاك بالعرب[39]. وتبيّن الخريطة (5)، وتحديدًا وسطها بين مناطق العزل الشرقي والغربي (بين فكّي الكماشة)، أن الاحتلال عمل على فصل شمال الضفة الغربية عن جنوبها من خلال مشروع القدس الكبرى، الذي بُني جدار الفصل العنصري على حدوده.

34 "Settlements and Solutions."

35 محمد جابر، **الاستيطان الصهيوني في القدس ومستقبل المستوطنات فيها** (عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع، 2010)، ص 18.

36 فاضل، ص 139.

37 غازي حسين، "القدس بين الحق العربي والاستعمار اليهودي"، **وكالة قدس نت للأنباء**، 2016/10/19، شوهد في 2025/9/3، في: https://acr.ps/1L9BPSo

38 أحمد أسعد ومنير فخر الدين، "السيطرة الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية والسورية المحتلة سنة 1967"، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2021/4/9، شوهد في 2025/9/3، في: https://acr.ps/1L9BPMn

39 عابد والحلايبة والقواسمي، ص 86.

الخريطة (3)
توزّع الاستيطان داخل حدود البلدة القديمة في القدس

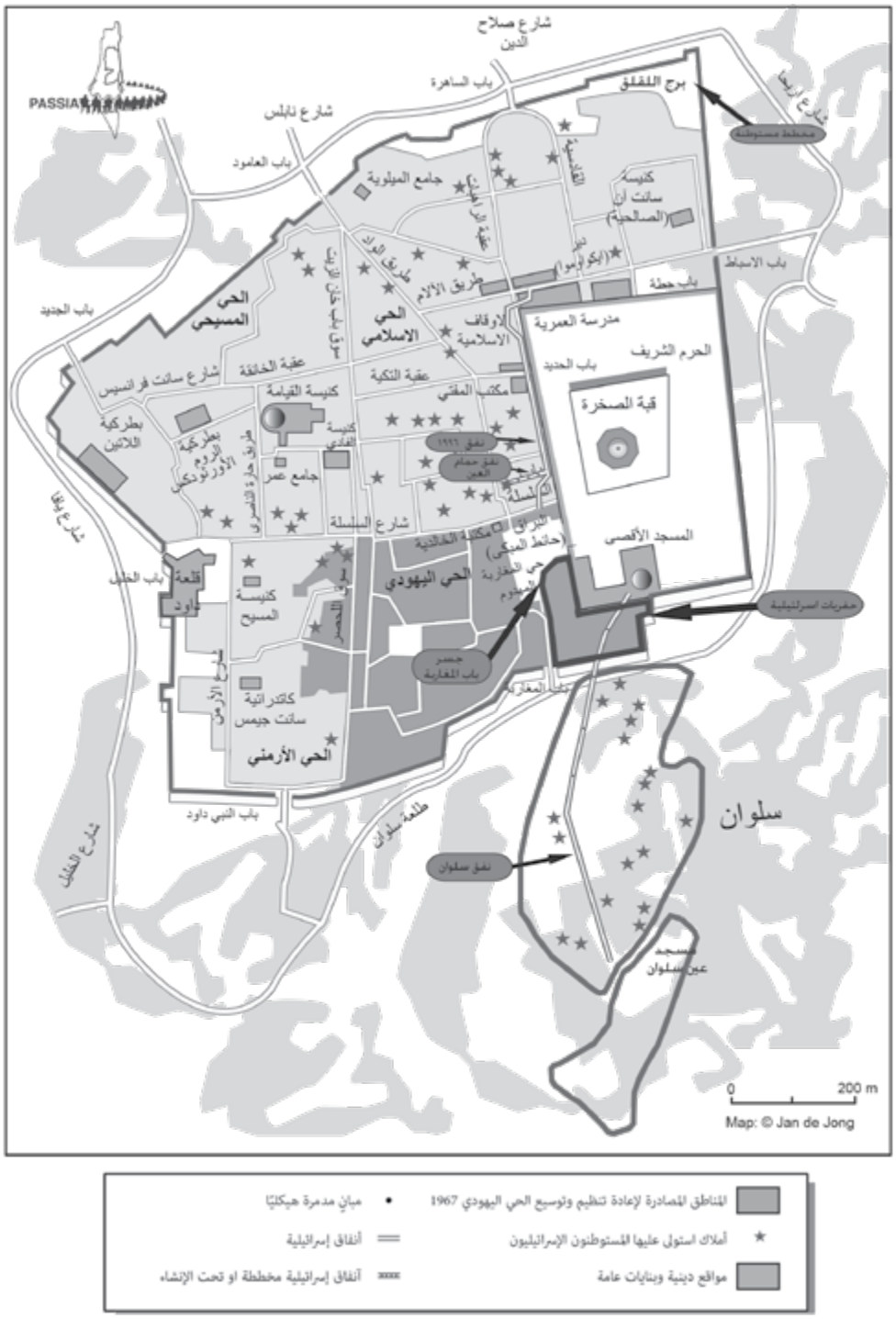

المصدر: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، "نشاطات الاستيطان في البلدة القديمة"، شوهد في 2025/10/15، في: نشاطات الاستيطان في البلدة القديمة – PASSIA

الخريطة (4)
حدود بلدية القدس تبعًا للفترات المختلفة، والمستوطنات الإسرائيلية داخل الطوق الثاني

المصدر: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، "المستوطنات الإسرائيلية والأحياء الفلسطينية في القدس الشرقية، 2000"، 2002، شوهد في 2025/10/15، في: https://acr.ps/1L9F2gd

بدأ التخطيط الرسمي للمشروع برؤيته الحالية عام 1993، بـإشراف من وزيـر الإسكان آنـذاك بنيامين بن إليعازر، بدعم مباشر من رئيس الحكومة إسحاق رابين (1992-1995)، وذلك استجابةً لزيادة نسبة السكان الفلسطينيين المستمرة في القدس، على الرغم من جميع الإجراءات الإسرائيلية ضدهم؛ إذ وصلت آنذاك إلى حوالى 30 في المئة من مجموع سكان القدس بشقَّيها الشرقي والغربي، بعد أن كانت 26 في المئة عام 1967. لذلك سعى المخطط، منذ البداية، لتحقيق هدف ديموغرافي استراتيجي يتمثل في ترسيخ أغلبية يهودية تصل إلى 88 في المئة مقابل تقليص نسبة الفلسطينيين إلى 12 في المئة فقط[40].

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن هدفًا مشابهًا كانت الحكومة الإسرائيلية، بقيادة رئيسة الوزراء الإسرائيلية غولدا مائير (1969-1974)، تسعى لتحقيقه عام 1973؛ إذ شكّلت لجنة "غافني" التي أوصت بالمحافظة على تفوّق ديموغرافي في القدس، بحيث لا تتجاوز نسبة الفلسطينيين 22 في المئة مقابل 78 في المئة نسبة اليهود[41]. وعلى الرغم من كل الإجراءات المتخذة في ذلك الوقت، من سحب الهويات المقدسية وهدم المنازل ومصادرة الأراضي والتصديق على العديد من مشاريع التوسعة الاستيطانية الاستعمارية، فإن سياسات الاحتلال فشلت في وقف نسبة التزايد السكاني للفلسطينيين[42]، حيث وصلت نسبتهم في القدس إلى 38 في المئة مع حلول عام 2017.

أمـا من حيث المساحة، فتغطي المستوطنات والتجمعات الاستيطانية، التي باتت جزءًا من مشروع "القدس الكبرى"، ما

40 خليل التفكجي، "الاستيطان في مدينة القدس: المقدمة"، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2014، ص 14، شوهد في 2025/1/15، في: https://acr.ps/1L9F2Vc

41 خليل التفكجي، "القدس: إعادة تشكيل/ حرب تشرين"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 134 (خريف 2025)، ص 236.

42 خليل التفكجي، "القدس الكبرى كما تراها إسرائيل"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 113 (شتاء 2018)، ص 198-202.

يقارب 254 كيلومترًا مربعًا؛ أي ما يعادل نحو 4.5 في المئة من إجمالي مساحة الضفة الغربية البالغة 5655 كيلومترًا مربعًا[43]. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنه يجب التفريق بين مشروعَي "القدس الكبرى" و"القدس المتروبوليتانية"؛ إذ لا يهدف الأخير إلى السيطرة الجغرافية التقليدية على الأرض الفلسطينية، بل صُمّم لإنشاء بنية تحتية إقليمية تمتد إلى دائرة أكبر من مخطط المشروع الأول والجدار الفاصل في القدس، وسيصل تأثيره إلى مساحة 950 كيلومترًا مربعًا[44].

عمد الاحـتلال، لتنفيذ رؤيته القائمة على فرض أغلبية يهودية في القدس، إلى بناء جدار الفصل العنصري على حدود مخطط "القدس الكبرى" الذي أخرج 150 ألف فلسطيني من حدود بلدية القدس[45]، وضمّ ثلاث كتل استيطانية استعمارية، هي: معاليه أدوميم من الشرق، وغفعات زئيف من الشمال، وغوش عتصيون من الجنوب، ويستوطنها نحو 162 ألف مستوطن، وعند إضافة عدد المستوطنين في حدود شرق القدس، وهو 227 ألفًا، يصبح مجموعهم ضمن حدود مشروع "القدس الكبرى" حتى عام 2023 نحو 390 ألف مستوطن[46].

يعمل مخطط مشروع "القدس الكبرى" كذلك على "خلق تواصل واضح للسكان اليهود، وتقليص التقارب والاحتكاك بالعرب، والحفاظ على تعزيز مكانة القدس الخاصة كعاصمة إسرائيل، وكمدينة عالمية، إضافة إلى ربط المستعمرات خارج حدود البلدية بداخلها، بواسطة ممرات"[47]. وعلى أيّ حال، يفصل المشروع شمال الضفة عن جنوبها؛ إذ يمتد من تجمع عتصيون الاستيطاني جنوب القدس (يشمل 14 مستوطنة)، إلى تجمع معاليه أدوميم شرق القدس (يشمل 8 مستوطنات)، وتجمع غفعات زئيف شمال القدس (يشمل 5 مستوطنات).

الخريطة (5)
البناء الاستيطاني في الضفة الغربية

المصدر: فراس القواسمي، "المشروع الاستيطاني الصهيوني في الضفة الغربية والقدس"، مركز رؤية للتنمية السياسية، 2020، شوهد في 2025/10/15، في: https://acr.ps/1L9F2NR

وصل عدد السكان المقيمين في شرق القدس (ضمن حدود بلدية القدس)، بحسب آخر إحصائيات متوافرة في عام 2020، من العرب واليهود إلى 595400 نسمة، يمثل العرب 61 في المئة، واليهود 39 في المئة، أما غرب القدس فالعدد فيها 355700، بنسبة 99 في المئة لليهود و1 في المئة للعرب. لكن، عند مقارنة عدد السكان في شرق القدس وغربها سويًا تختلف التركيبة الديموغرافية؛ إذ يبلغ العدد 951100، بواقع 39 في المئة للعرب و61 في المئة لليهود. وتعبّر هذه الأرقام في الحقيقة عن تراجع في نسبة السكان اليهود؛ إذ كانت تمثل 74 في المئة، والعرب 26 في المئة، عام 1967. ووصلت عام 1990 إلى 72 في المئة لليهود، و28 في المئة للعرب، واستمرت على هذه الوتيرة لتصل إلى 68 في المئة لليهود، و32 في المئة للعرب عام 2000[48].

43 يقال في أوساط الباحثين في شؤون الاستيطان إن مشروع القدس الكبرى يسيطر على نسبة 10 في المئة من مساحة الضفة الغربية، وهذا ما سبق أن أشرنا إليه أيضًا، غير أن إعادة احتساب المساحات استنادًا إلى المكونات الفعلية للمخطط تُظهر أرقامًا مختلفة؛ إذ إن جمع مساحة بلدية القدس 71 كيلومترًا مربعًا، وتجمع معاليه أدوميم الاستيطاني 58 كيلومترًا مربعًا، وغوش عتصيون 72 كيلومترًا مربعًا، وغفعات زئيف 27 كيلومترًا مربعًا، إضافة إلى المساحة الغربية الموسعة من حدود بلدية القدس 30 كيلومترًا مربعًا، يرفع المجموع إلى 254 كيلومترًا مربعًا؛ أي ما نسبته 4.5 في المئة فقط من مساحة الضفة الغربية.

44 المرجع نفسه.

45 فـراس القواسمي، "المشاريع الاستيطانية الصهيونية في محافظة القدس"، **مجلة المقدسية**، العدد 11 (2021)، ص 77.

46 "Settlements and Solutions."

47 خليل التفكجي، "الاستيطان في مدينة القدس: الأهداف والنتائج"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، مج 8، العدد 31 (1997)، ص 11–16.

48 ميخال كورح ومايا حوشن، **معطيات عن أورشليم القدس: الوضع القائم واتجاهات التغيير** (القدس: معهد القدس لبحث السياسات، 2022)، ص 17-18.

وعند تحليل عدد السكان في إطار مشروع "القدس الكبرى"، وليس شرق القدس وغربها فحسب، يتضح أن نسبة العرب تقلّ لتصل إلى نحو 21 في المئة من السكان، وهذه النسبة قريبة من تلك التي أوصت بها حكومة غولدا مائير عام 1973. ويذكر زياد الحموري، مسؤول مركز القدس للحقوق القانونية، أن خطة زيادة نسبة اليهود يُتوقع أن تنجح لتصل إلى 88 في المئة، في مقابل تدنّي نسبة العرب إلى 12 في المئة، بحلول عام 2030[49].

لم يكن وصول الاحـتلال إلى المعادلة الديموغرافية التي يرغب فيها من خلال التفوق السكاني الطبيعي، بل من خلال استخدام القوة العسكرية التي تمثّلت في بناء الجدار الفاصل وعزل 150 ألف فلسطيني عن مدينتهم، وكذلك من خلال التوغل الاستيطاني والسيطرة على حوالى 5 في المئة من أراضي الضفة؛ لبناء مخطط مشروع "القدس الـكبرى". وتوضح البيانات السابقة أنه لولا سياسات الاحتلال التعسفية لما كان له أن يصل إلى ما وصل إليه من تغيير للتركيبة الديموغرافية؛ حيث إن تتبّع وتيرة التطور الديموغرافي في القدس يدل بوضوح على أن استمرار الزيادة الديموغرافية الفلسطينية يشكّل صورة حقيقية لتحدّي المحتل ديموغرافيًا. وقد أظهرت بعض الدراسات الاستراتيجية المستقبلية أنه في حال استمرار تزايد نسبة الفلسطينيين العرب بهذا المعدل، فستصل[50] إلى 55 في المئة في غضون عام 2040[51]. وبناء على ذلك، قررت حكومات الاحتلال المتعاقبة، ضمن إطار الطوق الثالث (مشروع القدس الكبرى)، تنفيذ عدد من المشاريع نذكر أخطرها:

- **المشروع الاستيطاني E1**

أُعلن عن هذا المشروع عام 1994، عندما كان رابين رئيسًا للحكومة. وفي عام 1997، صدّق وزير الدفاع آنذاك، إسحاق موردخاي، على المخطط، ثم اعتمدت الحكومة بعد عامين الخريطة الهيكلية للمنطقة وفقًا للمخطط رقم (420/4)[52]. وقد هدف هذا المشروع إلى السيطرة على قرابة 12500 دونم من أراضي القدس والضفة الغربية، التي جرى بالفعل السيطرة عليها وتصنيفها "أراضي دولة"، وأُلحقت إداريًا بمستوطنة معاليه أدوميم، التي تقع ضمن مخطط مشروع "القدس الـكبرى". ويتضمن هذا المشروع إقامة منطقة صناعية على مساحة كيلومتر مربع واحد، و4000 وحدة سكنية، و10 فنادق[53].

علّقت إسرائيل، منذ عام 2009، مخطط E1 بفعل ضغوط دولية، لكنها أعادت تفعيله عام 2012 بعد اعتراف الأمم المتحدة بفلسطين "مراقبًا غير عضو". وتتابعت بعد ذلك محاولات إسرائيلية متكررة للتصديق عليه. وفي حين أن أعمال البناء الرسمية ظلّت مجمدة بفعل الضغوط الدولية، واصلت سلطات الاحتلال تجهيز البنى التحتية على نحو غير معلن في انتظار فرصة سياسية مواتية. وجاء التحول الأبرز عام 2020 مع دعم إدارة دونالد ترمب (2017-2021) للمخطط، حين منح نتنياهو الضوء الأخضر لبناء 3500 وحدة استيطانية باعتباره خطوة نحو ضم الضفة الغربية[54].

وعلى الرغم من بعض التأجيلات، استمرت المساعي حتى تموز/ يوليو 2025، حين صدّقت سلطات الاحتلال على ربط معاليه أدوميم بشرق القدس، حيث رفضت جميع الاعتراضات المقدّمة، ليعلن بتسلئيل سموتريتش في آب/ أغسطس 2025 المضي قُدمًا في بناء آلاف الوحدات السكنية. وفي أيلول/ سبتمبر 2025، أعلن نتنياهو رسميًا التصديق على المشروع وتوقيع اتفاقية لإطلاقه، مؤكدًا أن "لن تكون هناك دولة فلسطينية"، ما مثّل خطوة سياسية نحو تكريس السيطرة الإسرائيلية على المنطقة[55].

تتمثل خطورة هذا المشروع في أنه يغلق المنطقة الشرقية من محافظة القدس، ويعمل على تطويق مناطق عناتا والطور وحزما، ومن ثم يحول دون أيّ توسّع فلسطيني نحو الشرق، ويُسقط عمليًا خيار شرق القدس عاصمةً لفلسطين[56]. وإضافة إلى ذلك، فإنه يهدف إلى خلق تواصل جغرافي بين المستوطنات المقامة في المنطقة الشرقية خارج حدود بلدية القدس، مع تلك الواقعة داخلها، بحيث تتحول إلى كتلة استيطانية واحدة متصلة. وتترتب على هذا المخطط آثار خطيرة، تتمثّل في فصل شرق القدس عن بقية مدن الضفة الغربية وبلداتها، وتقسيم الضفة إلى شطرين منفصلين، بما يقوّض إمكانية إقامة دولة فلسطينية متصلة جغرافيًا.

49 ميرفت صادق، "الإحصاء في القدس: نضال لأجل رقم وطني وواقعي"، **الجزيرة نت**، 2017/9/26، شوهد في 2025/9/12، في: https://acr.ps/1L9BOWo

50 هذه النسبة لا تأخذ في الاعتبار تأثير مشروع "القدس الكبرى" في البنية الديموغرافية، بل تشمل التركيبة السكانية في شرق القدس وغربها ضمن حدود البلدية.

51 خليل التفكجي، "الصراع الديمغرافي في مدينة القدس"، **الجزيرة نت**، 2017/6/5، شوهد في 2025/9/2، في: https://acr.ps/1L9BPHp

52 "مخطط 'إي 1'.. خطة استيطانية للتغيير الديمغرافي في القدس"، **الجزيرة نت**، 2025/8/15، شوهد في 2025/9/3، في: https://acr.ps/1L9BP2f

53 شارمين زايتس، "خطة E-1 وسواها من الكوارث النازلة بالقدس"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 24 (صيف 2005)، ص 146–147.

54 عبد الرؤوف أرناؤوط، "نتنياهو يوعز ببناء 3500 وحدة استيطانية شرق القدس"، **القدس العربي**، 2020/2/25، شوهد في 2025/9/3، في: https://acr.ps/1L9BPhq

55 "Netanyahu Signs West Bank Settlement Expansion Plan, Rules out Palestinian State," *Reuters*, 11/9/2025, accessed on 30/9/2025, at: https://acr.ps/1L9BP2F

56 التفكجي، "الاستيطان في مدينة القدس: المقدمة"، ص 28.

وعلاوة على ذلك، يهدد المشروع على نحو مباشر تجمّع خان الأحمر البدوي الواقع بين القدس ومعاليه أدوميم، حيث يُعتبر إخلاؤه شرطًا أساسيًا لاستكمال المخطط[57]. وقد أثار هذا القرار الأخير في عام 2025 موجة إدانات دولية؛ إذ حذرت تقارير للأمم المتحدة وأخرى أوروبية من أن تنفيذ المشروع سيقضي فعليًا على أيّ إمكانية واقعية لقيام دولة فلسطينية متصلة جغرافيًا[58].

- **الحوض المقدس**

مخطط استيطاني استعماري، يهدف إلى السيطرة على مساحة 2.5 كيلومتر مربع من أراضي القدس التي تمتد من سلوان إلى جبل الزيتون، ويطلق الصهاينة على هذه المنطقة اسم مدينة داوود، حيث تقع في الجزء الجنوبي والجنوب الشرقي من البلدة القديمة. وقد شرع الاحتلال في الحفريات في هذه المنطقة منذ الستينيات للبحث عن الآثار اليهودية، ولكن ما وُجد هو آثار تعود إلى اليبوسيين[59]. ويهدف الاحتلال إلى هدم نحو 97 بيتًا فلسطينيًا، وجعْل هذه المنطقة مكانًا أثريًا ودينيًا، يُبنى طبقًا للمخيال اليهودي، إذ سيضم كل المقتنيات والآثار المسروقة، وبناء حديقة داود الخاصة باليهود، وبذلك تُطمس المعالم التاريخية الإسلامية فيها[60].

يُعدّ نفق "مسار الحجاج"، الممتد أسفل وادي حلوة في سلوان، الأداة تحت الأرضية الأبرز ضمن مشروع الحوض المقدس؛ إذ يُوجِد تواصلًا مباشرًا بين ما يسمى "مدينة داود" والبلدة القديمة، ويمرّ تحت منازل فلسطينية قائمة. وفي 15 أيلول/ سبتمبر 2025، حضر وزير الخارجية الأميركي ماركو روبيو (2025-) مع نتنياهو حفل تدشين النفق بعد استكمال الكشف عنه داخل منتزه "مدينة داود"، في خطوة حملت بعدًا رمزيًا واضحًا، وأضفت عليه بعدًا سياسيًا وإعلاميًا جديدًا[61].

تقود جمعيات استيطانية في حي بطن الهوى في بلدة سلوان، مثل "عطيرت كوهنيم"، سلسلة دعاوى قضائية تهدف إلى الاستيلاء على منازل فلسطينية وإخلاء سكانها، وذلك لإيجاد تواصل استيطاني من سلوان في اتجاه "مدينة داود" وصولًا إلى داخل أسوار البلدة القديمة. وخلال عامَي 2024 و2025، أصدرت المحاكم الإسرائيلية عدة قرارات لفائدة هذه الجمعيات؛ ما مهّد الطريق أمام عمليات الإخلاء، في ظل تقارير حقوقية توثّق تواطؤ مؤسسات الاحتلال في تسهيل هذا المسار[62]. ويُعدّ هذا المخطط جزءًا أساسيًا من مشروع "الحوض المقدس"، حيث يشكّل بطن الهوى البعد السكاني - العقاري لهذا المشروع، تمامًا كما تشكّل الأنفاق والمتنزهات التوراتية (مثل مسار الحجاج وحديقة الملك) بُعده الأثري والسياحي.

- **مشروع 5800 لعام 2050**

مشروع جديد يعبّر عن تصور عمراني – إقليمي، أطلقه اليمين الإسرائيلي قبل سنوات يحدد معالم جديدة للقدس في عام 2050. ويهدف إلى إقامة مطار دولي في منطقة البقيعة القريبة من مدينة أريحا التي تقع شرق كتلة معاليه أدوميم الاستيطانية الاستعمارية في القدس، وبناء شبكة طرق في تلك المنطقة، وإقامة مناطق صناعية وتجارية وفنادق، وتوسعة حدود مشروع "القدس الكبرى" لتصل إلى منطقة أريحا[63].

ويمكن القول، لتلخيص استراتيجيتَي الاحتلال الاستيطانية الاستعمارية (فكّا الكماشة وتفتيت القدس)، إن الاحتلال يسيطر بالكامل على نحو 60 في المئة من أراضي الضفة المصنّفة (ج) بموجب اتفاق أوسلو. وتشمل هذه المساحات مناطق الأغوار الشرقية التي تشكّل قرابة 29 في المئة من الضفة. وقد ساهم جدار الفصل العنصري في عزل نحو 13 في المئة من الأراضي من الجهة الغربية بما فيها القدس. يضاف إلى ذلك السيطرة على مناطق متفرقة وسط الضفة عبر شبكة الاستيطان الواسعة التي تضم المستوطنات المنتشرة على جميع أراضي الضفة، وما يقارب 300 بؤرة استيطانية، إلى جانب شبكة طرق التفافية يتجاوز طولها 1000 كيلومتر، و67 معسكرًا عسكريًا، و108 حواجز ثابتة، فضلًا عن الحواجز المتحركة. وبذلك يمكن القول إن الاحتلال يحاصر الضفة من شرقها وغربها كفكّي كماشة. أما مشروع "القدس الكبرى" في قلب الضفة الغربية، والذي بُني جدار الفصل على حدوده، فقد ساهم في فصل شمال الضفة عن جنوبها؛ ما أدى إلى تفتيت المساحات الفلسطينية إلى جزر صغيرة غير مترابطة. وبذلك لم تعد الضفة الغربية وحدةً جغرافيةً واحدة، بل فسيفساء من نحو 220 منطقة معزولة، تعكس سياسة ممنهجة لتفكيك المجال الفلسطيني وتحويله إلى كانتونات محاصرة.

57 "Fact Sheet: Israel's E1 Settlement," The Institute for Middle East Understanding (2021), accessed on 16/9/2025, at: https://acr.ps/1L9BPdV

58 Merve Aydogan, "UN Warns About 'Devastating Humanitarian Impact' of Israel's Controversial E1 Settlement Plan in Occupied West Bank," *Anadolu Agency*, 20/8/2025, accessed on 12/9/2025, at: https://acr.ps/1L9BPTz

59 يونس العموري، "الحوض المقدس"، مركز الخليج للدراسات (2015)، شوهد في 2025/10/31، في: https://acr.ps/1L9BPE4

60 التفكجي، "الاستيطان في مدينة القدس: المقدمة"، ص 25.

61 Nava Freiberg, "Rubio Visits Contentious Jerusalem Archaeological Site, Boosting Israeli Claim to Area," *The Times of Israel*, 16/9/2025, accessed on 23/9/2025, at: https://acr.ps/1L9BOWT

62 "District Court Orders Eviction of 66 Palestinians from Batan Al-Hawa in Favor of Settlers," *Peace Now*, 16/7/2024, accessed on 12/9/2025, at: https://acr.ps/1L9BPGu

63 التفكجي، "القدس الكبرى كما تراها إسرائيل"، ص 45.

الخريطة (6)
مشروع E1 ضمن حدود مخطط القدس الكبرى

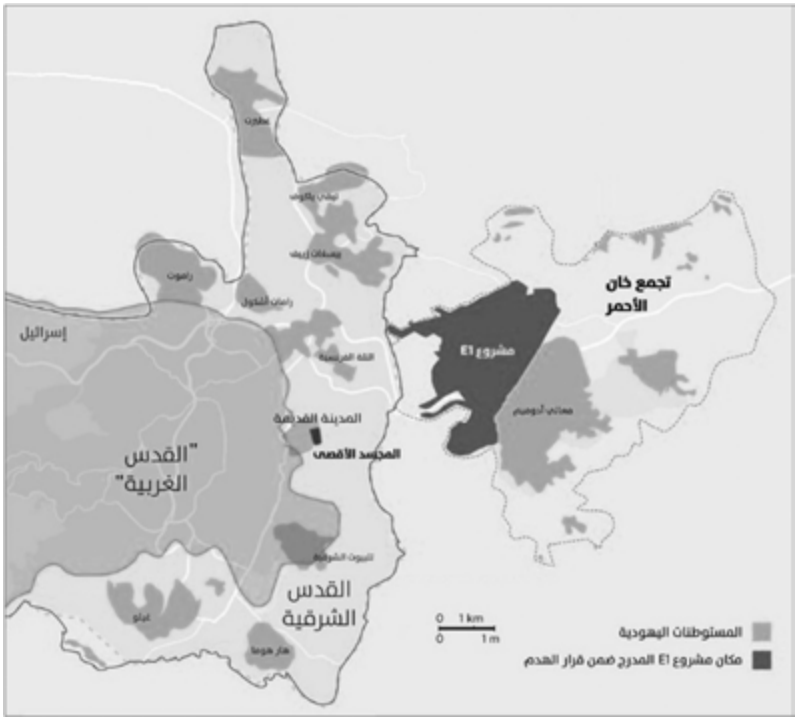

المصدر: فراس القواسمي، "المشاريع الاستيطانية الصهيونية في محافظة القدس"، **مجلة المقدسية**، العدد 11 (2021)، ص 87.

ثانيًا: التحليل والنقاش

1. البناء الاستيطاني في الضفة الغربية: بنية لا حدث

تُعدّ مقولة وولف الشهيرة "الاستعمار الاستيطاني بنية وليستا حدثًا" أساسًا مهمًا لفهم الاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية؛ إذ إن ما نشهده لا يعبّر عن احتلال عسكري أو هبّة استيطانية عابرة، بل عملية متواصلة وممنهجة تعيد إنتاج ذاتها باستمرار، عبر بنية مؤسساتية وقانونية ومجتمعية، لا تتوقف عند حدود إقامة مستوطنة أو السيطرة على قطعة أرض، بل تشكّل نسقًا استعماريًا متكاملًا يهدف إلى تحقيق ما وصفه وولف بـ "الإبادة المستمرة"؛ أي إزالة الوجود الفلسطيني سواء من الناحية المادية، أو القانونية أو حتى الرمزية.

ولفهم طبيعة البنية المؤسساتية، يجدر بنا تتبّع مسار القرار الاستيطاني منذ البداية. فالأمر يبدأ عادة من المجلس الأعلى للتخطيط التابع للإدارة المدنية، الذي يتولى إعداد المخططات الخاصة بإنشاء مستوطنات جديدة، أو توسيع القائم منها، أو الاستيلاء على أراضٍ فلسطينية بعد تغيير وضعها القانوني. ولا تبقى هذه الخطط في حدودها التقنية، بل تنتقل إلى الحكومة الإسرائيلية التي تمنحها الغطاء السياسي من خلال التصديق النهائي. وبعد ذلك، تُناط بالإدارة المدنية مهمة التنفيذ، بالتنسيق مع الوزارات المختلفة ومجلس المستوطنات "يشع"[64]. وبعد أن يجري البناء، يوكل الأمر إلى المجالس المحلية للمستوطنات، حيث تتابع توفير البنى التحتية والخدمات الرئيسة[65].

وفيما يخص القدس، تقع صلاحية تقرير التوسع الاستيطاني داخلها في الأساس على رئيس بلديتها، الذي يشرف على نحو مباشر على تخطيط

64 مجلس المستوطنات "يشع": هو اختصار بالعبرية ليهودا، وشومرون، وعزة؛ أي الضفة الغربية وقطاع غزة، وهو هيئة تمثيلية تضمّ المجالس المحلية والإقليمية في هذه المناطق. ويهدف إلى دفع المشروع الاستيطاني إلى مقدّمة أولويات الحكومات الإسرائيلية، من خلال الضغط السياسي لتخصيص ميزانيات ضخمة لتعزيز الاستيطان وتوسيعه. ينظر: "مجلس يشع"، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية - مدار، شوهد في 2025/3/12، في: https://acr.ps/1L9BPrj

65 فراس القواسمي، "الاستيطان الصهيوني في الضفة في ظل حكومة اليمين المتطرفة: قراءة سياساتية في التفاهمات بين أحزاب الائتلاف الحكومي"، **سلسلة الاستيطان**، مركز رؤية للتنمية السياسية (2023)، ص 17.

المشاريع العمرانية الهادفة إلى تعزيز الحضور الاستيطاني الإسرائيلي في المدينة وتنفيذها. وتعبّر استراتيجية الأطواق الثلاثة في القدس عن التقاء منطق الإزالة مع منطق الإدارة؛ فقد أدى بناء جدار الفصل إلى إخراج أكثر من 150 ألف فلسطيني من حدود المدينة، وهو ما يمكن وصفه بـ "الإزالة المعنوية"؛ إذ لم يُهجَّر السكان جسديًا بقدر ما جرى نزع صفتهم القانونية بوصفهم مقدسيين. ويجسّد هذا النموذج ما يسميه وولف بـ "الإزالة" بأشكالها المتعددة، من الطرد المباشر إلى "إعادة التصنيف".

تساهم فواعل أخرى في تشكيل هذه البنية الاستعمارية، حيث تضطلع وزارة الهجرة بدور محوري في توظيف المشاريع الاستيطانية الكبرى وسيلةَ جذبٍ لليهود، ولا سيما المتدينين منهم، وحثّهم على الاستقرار في مستعمرات الضفة الغربية. وفي السياق ذاته، تتولى وزارة المستوطنات والبعثات الوطنية تعيين ممثلين لها في المجلس الأعلى للتخطيط، بما يضمن حضورها في صناعة القرار العمراني المتعلق بالاستيطان. أما وحدة الاستيطان، وهي أحد الأذرع الرئيسة للوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية، فتتخصص في تقديم الدعم المالي واللوجستي للمشاريع الاستيطانية، خصوصًا تلك المنتشرة على جانبَي الخط الأخضر، لتكريس بنية تحتية تتيح للمستوطنات التوسع والتمدد[66].

تشكّل المؤسسة القضائية حلقة أساسية في هذه البنية. فعلى الرغم من أن محكمة العدل العليا تتدخل أحيانًا لتجميد قرارات التوسع الاستيطاني، فإن مهمة الرد على الطعون والالتماسات تقع على عاتق المستشارين القضائيين الذين يخضعون اليوم لسلطة سموتريتش، وزير المالية وأحد أبرز رموز التيار الاستيطاني. غير أن ما يلوح في الأفق مع مشروع التعديلات القضائية يستهدف إضعاف استقلالية القضاء، وتحويل السلطة القضائية إلى أداة إضافية في يد الائتلاف الحاكم. وهنا يكمن الخطر الأكبر؛ إذ يصبح القضاء، بدلًا من أن يكون عائقًا أو كابحًا للاستيطان، جزءًا من "البنية المؤسساتية" التي تعيد إنتاجه وتشرعن توسعه بلا حدود. ومن ثم، لن يكون نجاح الحكومة في فرض هذه التعديلات القضائية إصلاحًا سياسيًا داخليًا فحسب، بل لحظة مفصلية قد تفتح الباب أمام ما يمكن وصفه بـ "نكبة فلسطينية ثالثة"، حيث يتوسع الاستيطان جغرافيًا وديموغرافيًا مع غياب أيّ عائق قانوني فعلي، ويغدو الوجود الفلسطيني في الضفة الغربية أكثر هشاشة من أيّ وقت مضى.

ويمكن القول، في ضوء أطروحة وولف، إن هذه الخطوة تمثّل تكثيفًا لمنطق "الاستعمار الاستيطاني بوصفه بنية لا حدثًا"، إذ تدخل جميع مؤسسات الدولة، التشريعية والتنفيذية والقضائية، في نسق واحد يعمل على الإزالة التدريجية للوجود الفلسطيني.

تكشف الأرقام وحدها عن قوة هذه البنية المؤسساتية، حيث تضاعف عدد المستوطنين بعد اتفاق أوسلو أكثر من ثلاث مرات، من نحو 250 ألفًا إلى ما يزيد على 750 ألفًا اليوم. وليست هذه القفزة تطورًا ديموغرافيًا فحسب، بل هي تعبير عن قدرة المشروع الاستيطاني على التكيف مع كل مرحلة سياسية. فكما أظهرت الموجات الأربع للتوسع الاستيطاني، ظل الهدف ثابتًا وهو السيطرة على الأرض ومنع أيّ إمكانية لقيام دولة فلسطينية متصلة جغرافيًا. وفي هذا الإطار تتجسد رؤية وولف في أن المشروع الاستيطاني يسعى لإفراغ الأرض من أصحابها، في حين يمكن النظر إلى هذه السياسات من مقاربة فيراسيني في أنها تمثل ترحيلًا تدريجيًا للفلسطينيين نحو فضاءات ضيقة، في مقابل تعزيز الوجود اليهودي.

يمثّل الرأي العام الإسرائيلي إحدى ركائز دعم السياسات الاستيطانية في الضفة الغربية من خلال استمرار مطالبة الحكومات المتعاقبة بتوسيع الاستيطان وتعزيز حضوره. ولعل ما يميّز ملف الاستيطان من غيره من الملفات أنه يكاد يكون موضع إجماع داخل الطيف السياسي الإسرائيلي؛ إذ لا فرق بين أحزاب يمينية حاكمة أو معارضة، فجميعها ترى في الاستيطان مشروعًا وطنيًا جامعًا لا مجال للتراجع عنه. وبناء عليه، بات استرضاء المستوطنين شرطًا أساسيًا للسياسيين الباحثين عن الشرعية، ليغدو الرأي العام الاستيطاني بمنزلة بوصلة توجّه السياسات الحكومية.

لا يبقى هذا الرأي العام في حدود الموقف السياسي أو الانتخابي فحسب، بل يتجسد عمليًا عبر مجموعات استيطانية منظمة، متشبعة بالأيديولوجيا الدينية والقومية، وتتحرك ميدانيًا لتجسيد منطق "اذهب من هنا" الذي أشار إليه فيراسيني. ومن أبرز هذه المجموعات: منظمة "ريغافيم"، وحركة "كوموميوت"، و"غوش إيمونيم"، و"شباب التلال"، والتي لا تكتفي بالتعبئة الفكرية، بل تمارس العنف المباشر ضد الفلسطينيين، سعيًا لانتزاع الأرض وإرهاب السكان الأصليين. وتكمن خطورتها في أنها تمتلك السلاح، ومنحتها الحكومات اليمينية غطاءً رسميًا متزايدًا، خاصة بعد تصنيف أجزاء واسعة من الضفة "أراضي دولة". وبذلك تتحول هذه المجموعات إلى أذرع موازية للدولة، تعمل عند "التخوم" لتسريع ما يصعب على المركز أن يقوم به مباشرة.

ويجسد هذا التداخل بين ما هو رسمي (قرارات الحكومة والكنيست) وما هو شعبي ميليشياوي (مجموعات المستوطنين) ما أشار إليه وولف حول "التنسيق بين المركز والتخوم"؛ إذ يتكامل الجهاز الرسمي مع القوة الميدانية للمستوطنين في إنتاج واقع استيطاني لا تراجع عنه.

66 المرجع نفسه، ص 17-18.

وعلى الرغم من صدور عشرات القرارات الدولية الرافضة للمشروع الاستيطاني، فإنها لم تُترجم إلى ضغوط حقيقية على الاحتلال، بل على العكس، تواصل الولايات المتحدة الأميركية استخدام حق النقض (الفيتو) لتعطيل أيّ محاولة لإجبار إسرائيل على وقف الاستيطان، وهو ما يؤكّد أن الشرعية الدولية ظلت عاجزة عن إيقاف منطق الإحلال. ويؤكد التناقض كذلك بين الخطاب الدولي والسياسات على أرض الواقع أنّ أيّ تغيير جوهري في مسار الاستيطان لن يحدث إلا إذا انتقلت بعض القوى المؤثّرة من مرحلة الاعتراض اللفظي إلى فرض إجراءات عملية، كقطع العلاقات أو فرض العقوبات على إسرائيل.

وما يميز هذه البنية المؤسساتية أنها لا تقتصر على أدوات السيطرة القانونية والإدارية، بل تتجاوزها إلى إعادة تشكيل الفضاء الرمزي ذاته. فالسيطرة على المواقع الدينية والتاريخية، كما في تحويل سلوان وجبل الزيتون إلى "منتزهات توراتية"، أو ضم مسجد بلال بن رباح (قبر راحيل) إلى الخريطة الاستيطانية، تكشف أن الهدف لا يقتصر على إدارة الأرض، بل على إعادة كتابة هوية المكان. ومن ثم، يتضح البعد الرمزي الذي يجعل الاستيطان مشروعًا إحلاليًا بامتياز، يدمج بين القوة المادية وإعادة إنتاج السرديات التاريخية بما يخدم شرعية الوجود الاستعماري.

ويكتسب هـذا البعد الـرمـزي دلالـتـه حين يوضع في سياق الاستراتيجيات التي جرى تحليلها سابقًا. فليس "فكّا الكماشة" بين الأغوار شرقًا والجدار غربًا، والأطواق الثلاثة حول القدس، مشاريع جغرافية بل حلقات في سلسلة واحدة تؤكد أطروحة وولف التي مفادها أن الاستعمار الاستيطاني بنية تتجدد عبر تنسيق متكامل بين المركز والتخوم؛ إذ ترسم الدولة الإطار الكلي عبر قراراتها السياسية والتخطيطية، في حين تنفذ المستوطنات والجماعات الميدانية التفاصيل على الأرض، ليتحول المشروع برمّته إلى منظومة استعمارية متشابكة، يصعب تفكيكها أو عزل أحد عناصرها عن الآخر.

2. تقنيات الإدارة والسيطرة: الإدارة المدنية نموذجًا

مثّلت الإدارة المدنية إحدى أهم أدوات السيطرة على الشعب الفلسطيني وإدارتـه، وهذا منسجم مع المقاربات التي قدّمها فيراسيني في قراءته الاستيطان الاستعماري في أراضي الضفة؛ إذ اعتبر أن هناك تحولًا من حالة الإزالة للسكان إلى حالة السيطرة على السكان الأصليين وإدارتهم.

فرض الاحتلال بعد احتلال الضفة سلطته بوصفها "حكمًا عسكريًا". وبسبب الوضع القانوني الدولي الرافض للاحتلال الإسرائيلي على أراضي الضفة، أصدر مجلس الوزراء الإسرائيلي المصغر للشؤون السياسية والأمنية (الكابينيت) في حكومة مناحيم بيغن اليمينية عام 1981، قرارًا بإنشاء "الإدارة المدنية لمناطق يهودا والسامرة"، وذلك بموجب قرار رقم (947)، بديلًا من الإدارة العسكرية، في محاولة لتلميع صورة الاحتلال العسكري، وصبغه بطابع سياسي مدني وإنساني[67]. وحدّد القرار أن وظيفة الإدارة المدنية تتمثل في "إدارة الشؤون المدنية في المنطقة حسب أنظمة القرار الحالي، من أجل رفاهية وصالح السكان، وبهدف تقديم الخدمات العامة وتنفيذها، في إطار الحاجة لخلق نظام سليم ونظام عام في المنطقة". وأضاف القرار أن هدف الإدارة المدنية هو "تطبيق سياسات الحكومة في المجالات المدنية بالتعاون مع ضباط الإدارة المدنية والجيش والجهاز الأمني"[68]. وبموجب ذلك، حاولت هذه الإدارة إنشاء كيانات فلسطينية ذات ولاء لها عُرفت باسم "روابط القرى"، قوبلت برفض فلسطيني شديد أدى إلى فشلها.

ومن الناحية الهيكلية، تشكّل الإدارة المدنية جزءًا من وزارة الدفاع الإسرائيلية؛ أي إنها تابعة في النهاية للمنظومة العسكرية، على الرغم من محاولات صبغها بصبغة مدنية. فهي لا تقتصر على الفلسطينيين، بل تمتد أيضًا لإدارة شؤون المستوطنين في الضفة. وتحت إشراف "منسق شؤون الحكومة الإسرائيلية" في الأراضي المحتلة، تُقسم مهماتها إلى مسارين مـزدوجين، يتعلق الأول بالحياة اليومية للفلسطينيين (البناء، والتخطيط، والصحة، والزراعة)، ويركز الثاني على تسهيل حياة المستوطنين وتوفير البنية التحتية لتوسّعهم[69]. ويعكس هذا الازدواج منطقًا متناقضًا من الناحية العملية، حيث يوجد تقييد وضبط للفلسطينيين، مقابل تسهيل للمستوطنين ودعمهم.

بدت الإدارة المدنية، عقب توقيع اتفاق أوسلو، كأنها تراجعت خطوة إلى الخلف، بعد أن نُقلت بعض الصلاحيات إلى السلطة الفلسطينية في مناطق (أ) و(ب). لكنّ هذا التراجع كان شكليًا أكثر منه جوهريًا؛ فقد بقيت الإدارة المدنية ممسكةً بمناطق (ج)، التي تشكّل نحو 60 في المئة من مساحة الضفة الغربية، بما في ذلك معظم الأراضي المفتوحة والموارد الطبيعية. والأهم من ذلك أن التنسيق بين ضباط الإدارة المدنية والـوزارات الفلسطينية استمر على نحو مباشر؛ ما يعني أن السيطرة لم تنقطع، بل أعيد إنتاجها عبر قنوات أشد تعقيدًا.

---

67 عوض مسحل، "توسعة 'الإدارة المدنية' الإسرائيلية... استهداف السلطة الفلسطينية في إطار اقتصادي"، مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية (2019)، شوهد في 2025/9/25، في: https://acr.ps/1L9BPuq

68 مهند مصطفى، "الانطلاق نحو الضّم: أبعاد الخلاف على الإدارة المدنية الإسرائيلية في الضفة الغربية"، مركز الإمـارات للسياسات، 2023/2/8، شوهد في 2025/9/2، في: https://acr.ps/1L9BP10

69 وليد حباس، "ما هي الإدارة المدنية؟ وكيف من المتوقع أن يفكّكها بتسلئيل سموتريتش؟"، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية – مدار، 2023/2/13، شوهد في 2025/9/3، في: https://acr.ps/1L9BPHC

ومع مرور الوقت، أخذ الاحتلال يسعى لإعادة توسيع نطاق عمل إدارته المدنية حتى في مناطق (أ) و(ب)، مستخدمًا أدوات جديدة تتجاوز البنية الرسمية للسلطة الفلسطينية. والمثال الأبرز هنا هو صفحة "المنسق" على وسائط التواصل الاجتماعي، التي تخاطب الفلسطينيين مباشرة بلغة تبدو ودية وخدمية، لكنها في جوهرها تعكس استراتيجية لإضعاف السلطة الفلسطينية وتهميشها، وإعادة تشكيل علاقة تبعية مباشرة بين الفرد الفلسطيني والجهاز الاحتلالي باعتبار ذلك أحد أشكال إدارة السكان الأصليين أصحاب الأرض. وفي هذا الإطار نجد صدى لمقاربة فيراسيني حول انتقال الاستعمار من منطق الإزالة إلى منطق إدارة السكان، مع إعادة صياغة أشكال الرقابة والضبط بطرائق أكثر مرونة.

تبرز خطورة الإدارة المدنية في الصلاحيات الواسعة التي تمتلكها، خاصة عبر مجلس التخطيط الأعلى التابع لها، والذي يسيطر على ملفات حيوية مثل الطاقة والكهرباء والمياه والزراعة والطرق، ما يمنحه قدرة مباشرة على إعادة تشكيل الجغرافيا الفلسطينية. والأخطر من ذلك هو سلطته في إعلان مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية بصفتها "أراضي دولة"، أو "محميات طبيعية"، أو "مناطق عسكرية مغلقة"[70]. وتُستخدم هذه التصنيفات القانونية أدواتٍ للاستيلاء على الأرض ومنح غطاء قانوني للمصادرة، قبل أن تنتقل لاحقًا إلى أيدي المستوطنين تحت ذريعة "القانون".

وتضطلع الإدارة المدنية كذلك بدور مركزي في إعداد خطط توسيع المستوطنات وتحديد مناطق نفوذها، بل حتى تمهيد الطريق لإنشاء مستوطنات وبؤر جديدة تُمنح لاحقًا الشرعية. وعلى الرغم من أن التصديق النهائي يبقى عادة في يد الحكومة الإسرائيلية، فإن أقسام الإدارة المدنية، ولا سيما المرتبطة بوزارة الإسكان، تمارس ضغطًا مستمرًا لتبنّي هذه الخطط، لتتحول في النهاية إلى واقع على الأرض[71]. وهكذا تعمل الإدارة المدنية أداةً تنفيذية وسياسية في آن واحد؛ فهي تشرعن الاستيطان، وتطبّع وجوده ضمن البنيتَين القانونية والإدارية.

ومن اللافت أنّ أصواتًا متزايدة داخل التيار اليميني، يتقدمها سموتريتش، أخذت تدعو إلى تفكيك الإدارة المدنية والانتقال نحو إدارة حياة المستوطنين مباشرة عبر وزارات الحكومة الإسرائيلية. وتعكس هذه الدعوة مسارين متوازيين: الأول يتعلق بالسعي لـ "تطبيع" وضع المستوطنين وجعلهم مواطنين إسرائيليين عاديين لا يخضعون لإطار إداري خاص، والثاني يتمثل في ابتكار شكل جديد من السيطرة على الفلسطينيين يقوم على إضعاف السلطة الفلسطينية أو حتى إلغائها، بما يعني تقويض أيّ إمكانية لوجود "كينونة فلسطينية" مستقلة. فالإدارة المدنية، على الرغم من أنها تبدو جهازًا إداريًا، فإنها هيكليًا جزء من الجيش الإسرائيلي ووزارة الدفاع[72]؛ أي إنها لا تزال ترتبط بالبعد العسكري للاحتلال. ويعزز هذه التوجهات عاملان رئيسان: الأول قناعة أيديولوجية دينية ترى أن الضفة جزء لا يتجزأ من "أرض إسرائيل التوراتية"، والثاني معطى ديموغرافي – جغرافي يتمثل في أن نحو 85 في المئة من مجموع المستوطنين باتوا فعليًا يقيمون خلف جدار الفصل العنصري، ما يجعل الضم الفعلي لهذه المستوطنات مسألة زمنية.

ووفقًا لرؤية سموتريتش، التي جرت مناقشتها مع الليكود والاتفاق عليها قبيل تشكيل حكومة نتنياهو الحالية، فإنه يهدف إلى وصول عدد المستوطنين المستعمرين إلى مليون في الضفة الغربية. ووفق المنظور الإسرائيلي، يبلغ عدد المستوطنين الحاليين في الضفة نحو 480 ألفًا، حيث يُستثنى المستوطنون في القدس، على اعتبار أن قرار ضمها عام 1967 جعلهم مواطنين داخل دولة الاحتلال. وبذلك، يصبح الهدف الاستراتيجي أوسع؛ إذ يسعى المشروع الاستيطاني للوصول إلى ما يقارب مليون وثلاثمئة ألف مستوطن في الضفة الغربية، بما فيها القدس. ومن المرجّح أنه مع استمرار التوسع الاستيطاني، سواء من الناحية الجغرافية أو الديموغرافية، فلن يظل وجود الإدارة المدنية قائمًا بصيغته الحالية، بل سيجري تفكيكها أو إعادة هيكلتها لتقتصر وظيفتها على إدارة بعض الشؤون المرتبطة بالفلسطينيين وحدهم، في حين تُدمج حياة المستوطنين ضمن مؤسسات الدولة الإسرائيلية[73].

يعكس النقاش السابق بوضوح التوتر الذي أشار إليه فيراسيني بين منطقَي "الإزالة" و"الإدارة". ففي حين يُسوَّق إلغاء الإدارة المدنية على أنه خطوة نحو دمج المستوطنين، فإنه في الحقيقة يمثّل تكريسًا لمنظومة جديدة من السيطرة على الفلسطينيين. ويوضح هذا التوجه أيضًا فشل مشروع "الأصلنة" في الضفة الغربية: فطالما ظل المستوطن في حاجة إلى دعم مؤسساتي وقانوني متواصل، فإنه لا يستطيع أن يتحول إلى "مواطن طبيعي"، بل يبقى غريبًا يعتمد على منظومة قهرية تضمن بقاءه. وإضافةً إلى ذلك، يمكن النظر إلى الإدارة المدنية على أنها ليست هدفًا في حد ذاتها، بل وسيلة لتحقيق تحول ديموغرافي – جغرافي عميق يقلب ميزان الواقع لمصلحة المستوطنين.

---

70 "تداعيات تشكيل الحكومة الأكثر تطرفًا في تاريخ إسرائيل"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023/1/9، شوهد في 2025/9/3، في: https://acr.ps/1L9BPr6

71 رغدة عتمة، "تغير حاسم في 'الإدارة المدنية' يحبط التطلعات الفلسطينية لإقامة الدولة"، **إندبندنت عربية**، 2023/2/27، شوهد في 2025/9/3، في: https://acr.ps/1L9BPho

72 حباس.

73 "بتسلئيل سموتريتش: قراءة في البروفايل السياسي الحزبي - في ملف خاص – قراءة في حكومة نتنياهو السادسة"، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية – مدار (2022)، ص 20، شوهد في 2025/9/6، في: https://acr.ps/1L9F2tm

ويتجلى في هذا الصدد ما قصده وولف حين تحدّث عن "البنية" الاستعمارية بأنها منظومة لا تتوقف عن إعادة إنتاج ذاتها، وتتكيف مع التحولات السياسية، لكنها تحتفظ بجوهرها المتمثل في إزاحة السكان ألأصليين أصحاب الأرض وإحلال المستعمر مكانهم.

3. الضفة الغربية: بين الإزالة والإدارة

ثمة جدل بشأن إذا ما كان الاستيطان الاستعماري انتقل من مرحلة الإزالة في أراضي 1948 إلى مرحلة الإدارة والسيطرة في أراضي 1967، حيث بقي يتأرجح بين ثنائية الإزالة والإدارة. ففي حين يشير وولف إلى الاستعمار الاستيطاني بوصفه "بنية لا حدثًا"؛ أي إنه مشروع دائم يسعى للإزالة المستمرة بأشكالها المتعددة، يرى فيراسيني أن الحالة الفلسطينية، خاصة في الضفة الغربية، تكشف عن فشل مشروع "الأصلنة"؛ أي بقاء المستوطن في حاجة دائمة إلى أدوات قهرية لإدارة الفلسطينيين بدلًا من إزالتهم نهائيًا. لكن الجديد في السنوات الأخيرة هو أن أطروحات قيادات يمينية، مثل سموتريتش، تعيد منطق الإزالة والمحو إلى الواجهة من جديد، ما يكشف أن المشروع الاستيطاني لا يزال يحمل بذور التهجير و"الترانسفير" إلى جانب الإدارة اليومية للسكان.

تقدّم خطة "حسم الصراع"، التي نشرها سموتريتش عام 2017 في مجلة **هشيلوح**، نموذجًا صريحًا لهذه العودة إلى خطاب الإزالة. فالخطة تقوم على مرحلتين: الأولى "تسمين الاستيطان" ليصل عدد المستوطنين في الضفة إلى مليون مستوطن (عدا مستوطني القدس)، وهو ما يشكّل قاعدة ديموغرافية وسياسية لفرض السيطرة الكاملة. أما الثانية فهي مرحلة "الكانتونات"، حيث يُخيَّر الفلسطينيون بين البقاء داخل جيوب سكانية معزولة تحت السيادة الإسرائيلية باعتبارهم مواطنين من درجة ثانية، أو الرحيل إلى الأردن ودول أخرى بدعم مالي إسرائيلي، أو مواجهة القمع المباشر إذا رفضوا كلا الخيارين[74]. وبذلك تدمج الخطة بين منطق الإدارة (إبقاء الفلسطينيين في كانتونات مراقبة) ومنطق الإزالة (ترحيل من يرفض الخضوع).

ليس هذا التصور جديدًا بل يمثّل امتدادًا عمليًا لاستراتيجيات ميدانية جرى تحليلها في المبحث الأول مثل "فكّي الكماشة" في الضفة و"الأطواق الثلاثة" حول القدس. ولا تُنتج هذه المشاريع جغرافيا مجزّأة فحسب، بل تهيّئ الأرضية السياسية والعملية لمشاريع مثل خطة سموتريتش؛ إذ تجعل الفلسطيني محصورًا في فضاءات ضيقة يسهل التحكم فيها، وتخلق واقعًا ديموغرافيًا – مجاليًا يسمح بطرح خيارَي "الترحيل الطوعي" أو "المواطنة الناقصة" باعتبارهما حلَّين وحيدَين أمامه. وهنا يظهر بوضوح ما قصده وولف بأن الاستعمار الاستيطاني "عملية إبادة مستمرة"؛ إذ تتجسد الإزالة أحيانًا في الطرد المباشر، وأحيانًا أخرى في الاستيعاب، أو إعادة تعريف الفلسطيني داخل فضاءات مقيّدة لا تتيح له أيّ استقلالية.

تكمن خطورة هذا المنطق المزدوج، الإزالة والإدارة، في أنه يمنح المشروع الاستيطاني مرونة تسمح له بالتكيف مع الظروف السياسية المختلفة. فعندما يواجه الاحتلال ضغوطًا دولية، يقدّم نفسه باعتباره يمارس "إدارة مدنية" تهدف إلى تنظيم حياة السكان. وحين تضعف الضغوط، يعود خطاب "الترانسفير" إلى الواجهة، سواء عبر الدعوة إلى "تطهير" مناطق فلسطينية كخان الأحمر والأغوار، أو عبر أطروحات صريحة مثل خطة "حسم الصراع". وبهذا المعنى، لا يمكن القول إن الاستيطان انتقل كليًا من الإزالة إلى الإدارة، بل إن المشروع يقوم على الجمع بينهما في آن واحد، بحيث تُستخدم أدوات الإزالة والإدارة بالتوازي وبحسب الحاجة.

وفي ضوء مقاربة فيراسيني، يتضح أن هذا الفشل في "أصلنة" المستوطن في الضفة الغربية هو ما يدفع الاحتلال إلى إبقاء أدوات الإزالة حاضرة دومًا خيارًا استراتيجيًا. فالمستوطن هنا لا يستطيع أن يتحول إلى "مواطن طبيعي" من دون إلغاء الكينونة الفلسطينية ذاتها. ومن ثم، ما نشهده اليوم من دعوات إلى تفكيك الإدارة المدنية وضم المستوطنات رسميًا، أو الدعوة إلى إخضاع الفلسطينيين لنظام "المواطنة الناقصة"، ليس سوى محاولةٍ لإيجاد أشكال سياسية وقانونية جديدة لإلغاء الاستقلالية الفلسطينية وإدامة التبعية المطلقة.

وبناء عليه، يمكن القول إن منطق المشروع الاستيطاني الإسرائيلي في الضفة الغربية هو منطق مزدوج: "محو مستمر" وفقًا لوولف، و"إدارة متواصلة" وفقًا لفيراسيني، مع بقاء خيار "الترحيل" حاضرًا بقوة في الخطاب والممارسة. وهذا التداخل بين الإزالة والإدارة هو ما يفسّر هشاشة الواقع الفلسطيني من جهة، واستمرارية المقاومة من جهة أخرى؛ إذ لا يزال الفلسطيني يرى في المشروع الاستيطاني تهديدًا وجوديًا لا يتوقف عند حدود الأرض، بل يمتد إلى محو الهوية والذاكرة والكينونة الوطنية نفسها.

خاتمة

سلطت هذه الدراسة الضوء على أبرز استراتيجيات الاستيطان الاستعماري في الضفة الغربية وسماته الجوهرية. ويتمثل أحد أهم استنتاجاتها في أن العقل الاستيطاني الصهيوني يتعامل مع الأرض والسكان الأصليين بمنطق التقطيع والتفكيك لتهيئة المجال أمام تمدد المشروع الاستيطاني. ويتجلى ذلك في اعتماد استراتيجية فكّي الكماشة عبر السيطرة على مناطق الأغوار وبناء الجدار الفاصل، بما يحاصر

74 المرجع نفسه، ص 12-16.

الضفة من جهتيها الشرقية والغربية، إلى جانب استراتيجية الأطواق الثلاثة في القدس التي تستهدف السيطرة على قلب الضفة وعزل شمالها عن جنوبها. وبهذه الأدوات المترابطة، يعيد الاحتلال إنتاج جغرافيا مجزَّأة وسكان متشرذمين، وهو ما يسهّل عملية التوسع الاستيطاني وترسيخه أمرًا واقعًا.

الخلاصة الأولى التي يمكن استنتاجها من خلال تتبّع مسار المشاريع الاستيطانية في الضفة الغربية هي أنها تعبّر عن عقلية "صناعة الحدث" لا عن ردّ فعل ظرفي. فلم تكن المشاريع الكبرى نتاج لحظة سياسية عابرة، بل هي امتداد لرؤية استراتيجية صاغها الاحتلال منذ عقود. فاستراتيجية الأطواق الثلاثة وُضعت مباشرة بعد احتلال القدس عام 1967، وفكرة التفوق الديموغرافي في المدينة ثُبّتت في ظل حكومة مائير عام 1973، في حين جاء مشروع "القدس الكبرى" عام 1993، وتلاه بناء جدار الفصل العنصري عام 2002. وتكشف هذه المشاريع المتتابعة أن سياسات الاحتلال لم تتوقف يومًا، بل ظلت تتراكم وتجدّد أدواتها، حتى في ظل توقيع اتفاق أوسلو الذي كان يفترض أن يقود إلى قيام دولة فلسطينية على حدود 1967. وبالعكس تمامًا، أظهر الاحتلال قدرة عالية على استغلال مسار التسوية غطاءً يُشغل الفلسطينيين في تفاصيل إدارية وسياسية، في حين أنه كان يمضي في تثبيت مشاريعه الاستيطانية الاستعمارية على الأرض. ولا يعكس هذا السلوك إخلالًا بالتزامات سياسية فحسب، بل يؤكد طبيعة المشروع ذاته بوصفه استعمارًا إحلاليًا يستهدف السيطرة الكاملة على الأرض وإقصاء أصحابها الأصليين.

أما الخلاصة الثانية فتتمثل في أن السياسات الاستيطانية تمثّل خطًا ثابتًا يعلو على الانقسامات الحزبية والسياسية، فلا يظهر أيّ اختلاف جوهري بين الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة حيال جوهر المشروع الاستيطاني وأهدافه البعيدة، بل إن العملية السياسية نفسها تحولت إلى أداة وظيفية؛ إذ جرى توظيف مسار "التسوية" لإشغال الفلسطينيين بتفاصيل إدارية وحياتية، في حين يواصل الاحتلال على الأرض فرض وقائع يصعب التراجع عنها. والدليل الأوضح على ذلك أن عدد المستوطنين ارتفع من نحو 230 ألفًا عند توقيع اتفاق أوسلو إلى أكثر من ثلاثة أضعاف اليوم.

على المستوى النظري، تتقاطع هذه النتائج مع أطروحات وولف الـذي شـدّد على أن "الاستعمار الاستيطاني بنية وليس حدثًا"؛ فالممارسات اليومية من مصادرة الأراضي وبناء المستوطنات والجدار ليست حوادث منفصلة، بل حلقات في منظومة استعمارية مستمرة هدفها النهائي الإزالة المتواصلة للوجود الفلسطيني، سواء عبر الطرد المباشر، أو عبر أشكال الإزالة الأخرى، كتغيير هوية المكان وفرض بنى قانونية بديلة. وفي المقابل، تكشف قراءة فيراسيني أن الاحتلال، على الرغم من كل هذه الأدوات، فشل في "أصلنة" المستوطن في الضفة الغربية. فالمستوطن لم يتحول إلى "مواطن طبيعي" كما حدث نسبيًا في أراضي 1948، بل ظل في حاجة إلى آلة قسرية متعددة الأشكال تتمثل في الجدران، والمحاكم، والإدارة المدنية، والمجموعات الاستيطانية المسلحة، ودعم مؤسسات صهيونية عالمية.

وبذلك، تتمثّل الخلاصة الثالثة في هذه الدراسة في أن المشروع الاستيطاني الإسرائيلي يمتاز بمرونة عالية، تسمح له بالانتقال بين منطق الإزالة ومنطق الإدارة تبعًا للظرفين المكاني أو السياسي. فعلى سبيل المثال، يسعى الاحتلال لطرد الفلسطينيين من مناطق (ج) عمومًا، في حين يعيد هندسة حياة من تبقّى في مناطق (أ) و(ب) عبر منظومة من الإجراءات التعسفية المتواصلة. وعلى الصعيد السياسي، يتباطأ البناء الاستيطاني في لحظات الضغط الدولي، لكنه يتسارع على نحو ملحوظ عندما تتوافر بيئة سياسية داعمة، كما حدث خلال فترتَي إدارة ترمب الأولى والثانية، حيث حظي المشروع الاستيطاني بغطاء سياسي غير مسبوق. وفي هذا السياق، يجد الخطاب اليميني المتشدد، مثل خطة "حسم الصراع" التي طرحها سموتريتش عام 2017، مجالًا لتجديد الدعوة إلى الترانسفير بوصفها خيارًا استراتيجيًا. وقد ضمنت هذه القدرة على التكيف استمرارية المشروع عقودًا، لكنها في الوقت ذاته تكشف هشاشته البنيوية؛ إذ يظل عاجزًا عن الاستغناء عن أدوات القهر، وغير قادر على التحول إلى واقع طبيعي مقبول محليًا أو دوليًا.

تمثّل الحقائق الاستعمارية التي فرضها الاحتلال عمليًا تأكيدًا إضافيًا على موت مسار التسوية السياسية الذي تُوِّج بتوقيع اتفاق أوسلو. فالتوسع الاستيطاني المتوحش، وضمّ الأراضي، وتغيير معالم القدس جغرافيًا وديموغرافيًا، مظاهر تكشف بوضوح أن الاحتلال لم يكن في أيّ مرحلة بصدد الوصول إلى تسوية تعيد إلى الفلسطينيين حقوقهم المسلوبة. وفي هذا السياق، تبرز أولويات ملحّة مرتبطة بالعامل الذاتي الفلسطيني في مواجهة المشروع الاستيطاني الاستعماري، تبدأ بضرورة إدراك القيادة الفلسطينية الرسمية والفصائلية لطبيعة هذه المشاريع وآلياتها، بحيث ينعكس هذا الإدراك على صياغة القرار السياسي الفلسطيني. بمعنى آخر، يتعين على القيادة أن تضع نفسها أمام السؤال الجوهري: ماذا فعلنا لمواجهة هذه المشاريع على أرض الواقع؟ لا شك في أن حالة الانقسام الداخلي الفلسطيني شكّلت عاملَ إضعاف أساسيًا أتاح للاحتلال استغلاله لتسريع مشاريعه الاستيطانية. ومن ثم، فإن أيّ مواجهة حقيقية مع الاستيطان لا يمكن أن تتحقق إلا عبر تقوية العامل الذاتي الفلسطيني، وبناء وحدة وطنية تعيد ترتيب الأولويات، وتجمع الفلسطينيين على استراتيجية مقاومة شاملة لمشاريع الاستيطان الاستعماري بمختلف أشكالها.

المراجع

العربية

أبو سيف، فؤاد. **واقع القطاع الزراعي في الأغوار بعد السابع من أكتوبر 2023**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2024.

أسعد، أحمد ومنير فخر الدين. "السيطرة الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية والسورية المحتلة سنة 1967". مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2021/4/9. في: https://acr.ps/1L9BPMn

بدر، أشرف عثمان وعاصم خليل. "الاستعمار الاستيطاني في السياق الفلسطيني: براديغم أم مفهوم". **عمران**. مج 9، العدد 35 (شتاء 2021).

التفكجي، خليل. "الاستيطان في مدينة القدس: الأهداف والنتائج". **مجلة الدراسات الفلسطينية**. مج 8، العدد 31 (1997).

_____. "الاستيطان في مدينة القدس: المقدمة". مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2014.

_____. "القدس الكبرى كما تراها إسرائيل". **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد 113 (شتاء 2018).

_____. "القدس: إعادة تشكيل/ حرب تشرين". **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد 134 (خريف 2025).

جابر، محمد. **الاستيطان الصهيوني في القدس ومستقبل المستوطنات فيها**. عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع، 2010.

الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. **المستعمرات الإسرائيلية في الضفة الغربية: التقرير الإحصائي السنوي 2022** (2023). في: https://acr.ps/1L9BPuQ

حباس، وليد. "ما هي الإدارة المدنية؟ وكيف من المتوقع أن يفكّكها بتسلئيل سموتريتش؟". المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية – مدار. 2023/2/13. في: https://acr.ps/1L9BPHC

زايتس، شارمين. "خطة E-1 وسواها من الكوارث النازلة بالقدس". **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد 24 (صيف 2005).

عابد، ماهر وحمزة الحلايبة وفراس القواسمي. **مدخل لفهم الاستيطان الصهيوني في الضفة الغربية والقدس**. إسطنبول: مركز رؤية للتنمية السياسية، 2023.

القواسمي، فراس. "منطقة الأغوار بين الاحتلال وإعلان السيادة". مركز رؤية للتنمية السياسية. 2019. في: https://acr.ps/1L9BOYR

_____. "المشاريع الاستيطانية الصهيونية في محافظة القدس". **مجلة المقدسية**. العدد 11 (2021).

_____. "الاستيطان الصهيوني في الضفة في ظل حكومة اليمين المتطرفة: قراءة سياساتية في التفاهمات بين أحزاب الائتلاف الحكومي". **سلسلة الاستيطان**. مركز رؤية للتنمية السياسية. 2023.

القيق، عبد الرحمن. **سياسة الاستيطان الإسرائيلي، 1967-2006، الخليل نموذجًا: دراسة حالة**. القدس: عمادة الدراسات العليا – جامعة القدس، 2010.

كورح، ميخال ومايا حوشن. **معطيات عن أورشليم القدس: الوضع القائم واتجاهات التغيير**. القدس: معهد القدس لبحث السياسات، 2022.

مسحل، عوض. "توسعة 'الإدارة المدنية' الإسرائيلية ... استهداف السلطة الفلسطينية في إطار اقتصادي". مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية (2019). في: https://acr.ps/1L9BPuq

مصطفى، مهند. "الانطلاق نحو الضَّم: أبعاد الخلاف على الإدارة المدنية الإسرائيلية في الضفة الغربية". مركز الإمارات للسياسات. 2023/2/8. في: https://acr.ps/1L9BP10

نحاس، فادي. **إسرائيل والأغوار: بين المفهوم الأمني واستراتيجيات الضم**. رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية – مدار، 2012.

الأجنبية

LIoyd, David. "Settler Colonialism and the State of Exception: The Example of Palestine/ Israel." *Settler Colonial Studies*. vol. 2, no. 1 (2012).

Pappe, Ilan. *The Biggest Prison on Earth: A History of the Occupied Territories*. London: Oneworld Publications, 2017.

Veracini, Lorenzo. "Introducing: Settler Colonial Studies." *Settler Colonial Studies*. vol. 1, no. 1 (2011)

_____. "The Other Shift: Settler Colonialism, Israel and The Occupation." *Journal of Palestine Studies*. vol. 42, no. 2 (April 2013).

Wolfe, Patrick. "Settler Colonialism and the Elimination of the Native." *Journal of Genocide Research*. vol. 8, no. 4 (2006).

صـدر حديـثًا

تـأليف: عبد الصمد العباسي

القانون الدولي للهجرة

صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب **القانون الدولي للهجرة** للمؤلّف عبد الصمد العباسي، ويقع في 264 صفحة، شاملًا ملخّصًا تنفيذيًا ومقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وقائمة مراجع وفهرسًا عامًا، إضافة إلى جداول وأشكال.

المعرّف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/CYLS6529
القبول Accepted
2025-10-20
التعديل Revised
2025-06-10
التسلم Received
2025-01-12

شيماء بركات | Shaimaa Barakat*

منظمات المجتمع المدني ودعم مشاركة الشباب في بناء السلام في اليمن

The Role of Civil Society Organizations in Supporting Youth Participation in Peacebuilding in Yemen

تهتمّ هذه الدراسة بدور منظمات المجتمع المدني وتأثير برامجها في تعزيز مشاركة الشباب في عملية بناء السلام في اليمن، استنادًا إلى مقابلات مع ممثلين عن منظمات مجتمع مدني وشباب ناشط ممن يشاركون في برامج بناء السلام التي تقدمها هذه المنظمات. وتبيّن أنّ هذه المنظمات، على الرغم ممّا تنجزه، لا تمكّن من تحقيق مشاركة جوهرية وفاعلة للشباب في عملية المفاوضات أو صنع القرار. ثم إنه توجد اختلافات متعددة بين المنظمات والشباب فيما يتعلق بتعريف عملية السلام، وأدوار الفاعلين المتوقعة فيها، وطبيعة النتائج المرجوة من المشاركة في برامج دعم مشاركة الشباب. وثمة عدّة عوامل مؤثرة في فاعلية مخرجات البرامج؛ منها الدور المتوقع للأمم المتحدة، وما تقدّمه عملية التنسيق بين منظمات المجتمع المدني وتكوين التحالفات، وتأثير التمويل، وتحديات النزاع في اليمن وما يرتبط به من تأثيرات في تنفيذ البرامج ومشاركة الشباب فيها. وتخلص الدراسة إلى نتائج يمكن تطبيقها والاستفادة منها في حالة اليمن، وفي سياقات أخرى متأثرة بالنزاع أيضًا.

كلمات مفتاحية: الشباب اليمني، المجتمع المدني، بناء السلام، تمكين الشباب، برامج إشراك الشباب.

This study examines the role of civil society organizations in supporting and enhancing youth participation in peacebuilding within the current peace process in Yemen. It investigates how these organizations' programs affect the type and effectiveness of youth participation in the peacebuilding process. The study uses in-depth interviews with representatives of civil society organizations as well as youth activists who participate in the peacebuilding programs. The results demonstrate that while organizations play an important role in supporting youth participation in peacebuilding, their programs do not necessarily lead to substantive and effective participation for youth either in the negotiation process or decision-making. Furthermore, the study highlights the differences between youth and civil society organizations regarding the peace process definition, the expected roles of actors involved, and the program outcomes. Additionally, it identifies several factors that influence the effectiveness of programs, including the expected role of the United Nations vs. reality, the coordination process between civil society organizations and alliances, the impact of funding, and challenges posed by the conflict environment in Yemen and its effects on program implementation and youth participation. Overall, this study provides a detailed analysis of the insights, challenges, and opportunities for youth engagement in the peacebuilding process through civil society in Yemen, offering observations and results that can be applicable and useful in other conflict contexts.

Keywords: Yemeni Youth, Civil Society, Peacebuilding, Youth Empowerment, Youth Inclusion Programs.

* باحثة مختصة في العلوم السياسية.

Researcher of Political Science.
Email: shaimaa.m.barakat@gmail.com

مقدمة

تحظى مشاركة الشباب في بناء السلام في مناطق النزاع باهتمام بحثي؛ إذ يعد الشباب عنصرًا فاعلًا لتحقيق السلام ومنع تكرار الصراعات، فهم يمثّلون غالبية السكان في العديد من المجتمعات المتضررة من الصراعات، ويُعَدّ تعزيز مشاركتهم من الوسائل الأساسية لمعالجة أسباب النزاع، وتعزيز المصالحة[1]. في هذا السياق، يُعد اليمن، الذي يعيش في نزاع داخلي منذ عام 2015، من البلدان التي يمثل الشباب غالبية سكانه[2]. وقد أظهرت نسبة كبيرة منهم علاقة مختلفة بالحرب تتحدى التفسيرات والتصنيفات التقليدية التي تقدمهم بصفتهم ممارسين للعنف المباشر أو ضحايا له.

تعتمد هذه الدراسة على ثلاثة مفاهيم أساسية ومتداخلة: الشباب، ومنظمات المجتمع المدني، وبناء السلام. وتنطلق من أن مسار السلام الرسمي في اليمن، بعد مضي عقد كامل على بداية الحرب، لا يزال محصورًا بين الحكومة المعترف بها دوليًا وسلطة حركة أنصار الله (الحوثيين)[3]، وأنه لا تمثيل للشباب يُذكر. إلا أن منظمات المجتمع المدني تسعى للاضطلاع بدور أساسي يتمثل في دور الوسيط بين الأطراف الرسمية في المفاوضات والقاعدة الشعبية، التي يشكل الشباب سوادها الأكبر. ومن هنا، برزت أهمية تعزيز دور هذه المنظمات بوصفها عاملًا أساسيًا يساهم في إنجاح عمليات السلام؛ عن طريق العمل مع مختلف الأطراف، والتغلب على الانقسامات السياسية والعرقية والمناطقية[4].

طوال سنوات الحرب في اليمن، استمرت المنظمات، من خلال برامجها وأنشطتها، في توفير فرصة للشباب متعلقة بالتأثير في عمليات بناء السلام، وإيصال أصواتهم إلى صناع القرار، غير أنّ تتبع مشاركة الشباب في هذه العمليات يشي بأنها لا تزال ضئيلة وغير مؤثرة. لذلك، تسعى هذه الدراسة لتحليل طبيعة دور برامج منظمات المجتمع المدني في دعم مشاركتهم في عملية بناء السلام في اليمن، وماهية النتائج التي تحققها والعوامل المؤثرة في مخرجاتها، وذلك بناءً على محاولة الإجابة عن سؤال رئيس مفاده: ما دور منظمات المجتمع المدني في دعم مشاركة الشباب في عمليات بناء السلام في اليمن؟ وكيف تؤثر البرامج التي تقدمها في شكل مشاركتهم؟ تسعى الدراسة لاختبار فرضية فحواها أن منظمات المجتمع المدني تؤدي دورًا أساسيًا في دعم إشراك الشباب في عمليات بناء السلام ضمن مستويات مختلفة، إلا أن جهود هذه المنظمات لا تُترجم إلى مشاركة شبابية جوهرية ومؤثرة في مفاوضات السلام أو عمليات صنع القرار.

أولًا: دور الشباب ومنظمات المجتمع المدني في بناء السلام: مدخل نظري

يبرز دور منظمات المجتمع المدني بصفتها عنصرًا أساسيًا في تعزيز عمليات بناء السلام المستدام، ودعم مشاركة الشباب في هذه العمليات[5]. ويؤدي الشباب دورًا مفصليًا في التحول الإيجابي في حالات النزاع، وقد جرى توثيق ذلك في العديد من الدراسات والبيانات والتقارير الحكومية وتقارير المنظمات ذات الصلة. وعلى الرغم من الاعتراف بدور الشباب في بيئة النزاع، فإن البحث الأكاديمي لا يزال محدودًا فيما يتعلق بدورهم بوصفهم بناة سلام وتأثيرهم في عمليات بناء السلام[6]. وفي الأدبيات المتعلقة بهذه العمليات، لا يظهر الشباب بوصفهم متغيرًا مهمًّا، ولا تجري دراسة دورهم بصفتهم فئات مستقلة.

1. المشاركة السياسية

حصرت الدراسات مشاركة الشباب السياسية في جوانب ضيقة؛ أبرزها اعتبار أنهم غير مبالين سياسيًا، وأنهم يفتقرون إلى الوعي السياسي[7]. ويرجع ذلك إلى عدة أسباب؛ منها التباين الكبير في نسب

1 Clare Magill & Brandon Hamber, "If They don't Start Listening to us, the Future is Going to Look the Same as the Past: Young People and Reconciliation in Northern Ireland and Bosnia and Herzegovina," *Youth & Society*, vol. 43, no. 2 (2011), p. 510.

2 UNESCO, *Empowering Yemeni Youth towards Peace: Ensuring Access to Information and Participation* (Paris: United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 2022).

3 منذ اندلاع الحرب عام 2015، انتقلت الحكومة اليمنية المعترف بها دوليًا برئاسة عبد ربه منصور هادي إلى جنوب اليمن، واتخذت من مدينة عدن عاصمة مؤقتة لها. وفي نيسان/ أبريل 2022، نُقلت صلاحيات الرئيس ونائبه إلى مجلس القيادة الرئاسي برئاسة رشاد العليمي، الذي ضم ثمانية أعضاء، معظمهم من خلفيات عسكرية وأمنية، مع تمثيل وازن للجنوب. وقد أسهم تعدد التشكيلات العسكرية وتباين ولاءات بعض مكونات المجلس في تكريس حالة من ازدواجية السلطة، على الرغم من اشتراكها في معاداة جماعة الحوثيين، التي تسيطر على شمال اليمن وتتخذ من صنعاء مقرًا لها.

4 Catherine Barnes, "Civil Society and Peacebuilding: Mapping Functions in Working for Peace," *The International Spectator*, vol. 44, no. 1 (2009), p. 136.

5 Simon Fisher & Lada Zimina, "Just Wasting Our Time? Provocative Thoughts for Peacebuilders," Berghof Research Center for Constructive Conflict Management (Berlin 2009), p. 15.

6 Celina Del Felice & Andria Wisler, "The Unexplored Power and Potential of Youth as Peace-Builders," *Journal of Peace, Conflict & Development*, no. 11 (November 2007), p. 11.

7 Rys Farthing, "The Politics of Youthful Antipolitics: Representing the 'Issue' of Youth Participation in Politics," *Journal of Youth Studies*, no. 2 (2010), p. 182; Pippa Norris, "Young People & Political Activism," Harvard University, John F. Kennedy School of Government, 2004, p. 15; Ellen Quintelier, "Differences in Political Participation between Young And Old People," *Contemporary Politics*, vol. 13, no. 2 (2007), p. 165; Julia Weiss, "What is Youth Political Participation? Literature Review on Youth Political Participation and Political Attitudes," *Frontiers in Political Science*, vol. 2 (2020), p. 5.

المشاركة السياسية بين الشباب والفئات الأخرى، حيث يُظهر العديد من الدراسات أنّ أقلّ مستويات المشاركة في المجالات السياسية، مثل التصويت والعضوية في الأحزاب السياسية، هي تقريبًا من الشباب[8]. في المقابل، يوجد اتجاه نقدي بديل يتجاوز اختزال المشاركة السياسية في عمليات التصويت وعضوية الأحـزاب لرؤية أوسع للسياسة، بوصفها مجموعة من الأنشطة، مثل أنشطة المجتمع المدني والحركات الاجتماعية والاحتجاج ومجالس الشباب والحملات[9]. ومن ثم، فإنّ الشباب مهتمون بالسياسة، ولكنهم ينخرطون فيها بأشكال مختلفة. أما منظمات المجتمع المدني، فتُظهر الدراسات أن البعد السياسي يشغل حيزًا كبيرًا من نشاطها[10]؛ إذ يجري التركيز على دورها مساهمًا رئيسًا في التعددية في المجال السياسي، وذلك عن طريق سعيها لإضفاء الشرعية على عمل المجتمع المدني وتعزيزه وتهيئة الظروف لمشاركة المواطنين سياسيًا على نحو أكبر[11].

2. بناء السلام

لا تختلف النظرة إلى مشاركة الشباب السياسية عن النظرة إلى مشاركتهم في عمليات بناء السلام، ولا تختلف مبررات تلك النظرة؛ إذ تشمل قيود السن وعدم اهتمامهم بالسياسة، وغير ذلك، إضافة إلى التقليل من أهمية مساهمتهم في بناء السلام[12]. وتنحصر الآراء عن أدوار الشباب في سياقات النزاع وبناء السلام في المشاركة في النزاعات المسلحة واعتبارهم مفسدين لعمليات السلام. وتعتمد وجهة النظر هذه تفسيرات، من بينها نشأتهم داخل ثقافة العنف وخاصة من كانوا ضحايا مباشرين له، ومن ثم، فإنهم يستخدمون العنف وسيلةً للتعامل مع النزاعات والإشكاليات[13]. وفي العقد الأول من القرن الحادي والـعشريـن، نُشرَت دراسـات مثّلت المحاولات الأولى لتغيير وجهة النظر هذه؛ إذ افترضت أن الشباب لا يميلون في جوهرهم إلى العنف، لكنهم نتاج مجتمعاتهم والعنف الذي يمارس ضدهم فيها، فهم قادرون على المشاركة في بناء السلام إذا ما جرى تأهيلهم وإشراكهم، وعندما يكونون في بيئة مناسبة، ويُسمح لهم بتسخير طاقاتهم، على نحو يؤهلهم ليصبحوا قادرين على ذلك[14]. وبهذا، فإن الإشكالية ليست في الشباب أنفسهم، ولكن في التعامل معهم على أنهم مشاركون في النزاعات، وتجاهل مساهماتهم الإيجابية ودورهم المحتمل في بناء الـسلام[15]، إلى جانب إشراكهم في العنف المباشر المتمثل في التجنيد في الجيوش أو الجماعات المسلحة.

وعلى الرغم من المراجعات التي قدّمتها هذه الدراسات وظهور مفهوم الإشراك/ الدمج في عمليات الـسلام، الذي أظهر تأثيرًا إيجابيًا في استدامة اتفاقيات السلام، فإنها لم تقدّم تفصيلًا أو تقييمًا معمقًا لدور الشباب في هذه الاتفاقيات؛ إذ لا يزال الشباب مهمشين ومستبعدين من المشاركة[16]. وتركز هذه الدراسات على المقاتلين ضِمن أطراف النزاع؛ ما يتسبب في المزيد من تهميش الشباب الذين يدعمون عمليات السلام من خلال أنشطة بناء الـسلام. لذلك، ومن أجل الوصول إلى سلام قائم على الإشراك Inclusive، يجب أن تكون ثمّة أولوية لمشاركة الذين يعملون على إعادة بناء السلام والمصالحة، وأن يُنظَر إليهم بوصفهم شركاء مع الأطراف الرسمية، وأن يُعترَف بأهمية وجودهم في المفاوضات، وأن يجري العمل على الشراكة معهم منذ البداية في عمليات السلام، بدلًا من اعتبارهم عنصرًا ثانويًا أو الاقتصار على مشاركتهم الشكلية[17].

فيما يتعلق ببناء الـسلام ومنظمات المجتمع المـدني، ثمة أشكال مختلفة من عمليات السلام القائمة على المسارات المتعددة بحسب سياق كل نزاع، إلا أن العديد من الدراسات يعتمد على مفهوم المسارات الأول والثاني والثالث، الذي يحدّد فيه جون ليدراخ ثلاثة فاعلين، هي: المسار الأول المخصص للقيادات من الأطراف المباشرة في النزاع، والمسار الثاني الذي يعمل على دعم المسار الأول، وهو يضم شريحة واسعة من المجتمع المدني وخبراء وأكاديميين، والمسار الثالث الذي يضم القاعدة الشعبية التي تعيش قضايا النزاع بطريقة

8 Lori Drummond-Mundal & Guy Cave, "Young Peacebuilders: Exploring Youth Engagement with Conflict and Social Change," *Journal of Peacebuilding & Development*, vol. 3, no. 3 (2007), p. 71.

9 Norris, p. 17.

10 Gerard Clarke, "Non-Governmental Organizations (NGOs) and Politics in the Developing World," *Political Studies*, vol. 46, no. 1 (1998), p. 39.

11 Ibid.

12 Siobhán McEvoy-Levy, "Youth as Social and Political Agents: Issues in Post-Settlement Peace Building," Kroc Institute Occasional Paper no. 21, Joan B. Kroc Institute for International Peace Studies, December 2001, p. 7.

13 Del Felice & Wisler, p. 10.

14 McEvoy-Levy, p. 11.

15 Timothy Aduojo Obaje & Nwabufo Okeke-Uzodike, "The Question of Youth Participation in Peacebuilding Processes in Jos, Plateau State, Nigeria," Accord - The African Center for Constructive Resolution of Disputes, *Conference Paper*, no. 2, 2013, p. 3.

16 Ali Altiok & Irena Grizelj, "We Are Here: An Integrated Approach to Youth-Inclusive Peace Processes," Background Paper for the First International Symposium on Youth Participation in Peace Processes, Helsinki, 5–6/3/2019 (Commissioned by the United Nations Office of the Secretary-General's Envoy on Youth, 2019), p. 7.

17 Ibid., p. 8.

مباشرة[18]. غير أن مقاربات حل النزاعات تُركز على النخبة، "المسار الأول"، وأدوارها مع تركيز قليل على المجتمعات التي تستمد منها هذه النخبة سلطتها ("المساران الثاني والثالث"). ولكن ثمّة من يجادل بأن استبعاد هذه الأطراف غير الرسمية يؤدي، غالبًا، إلى فشل اتفاقيات بناء السلام خلال مرحلة التنفيذ، وهنا يأتي دور المسار الثاني الذي يمكن أن يساعد في تجنّب مثل هذه النتائج؛ من خلال إشراك مجموعات المصالح والأطراف ذات الصلة مع الأطراف الأساسية، وبذلك يمكن التغلب على الإقصاء والحفاظ على وجود حوار بين المفاوضين الرسميين والقاعدة الشعبية[19].

ثمة نقاش آخر يتناول البرامج والوظائف المختلفة التي يمكن أن تنجزها منظمات المجتمع المدني ضمن عمليات السلام؛ إذ تركز معظم تدخلات هذا المجتمع على إعادة بناء "رأس المال الاجتماعي" في المجتمعات المحلية التي مزقتها النزاعات، فهي توفر فرصة للأفراد بشأن بناء السلام مجتمعيًا[20]. وقد قدّمت تانيا بافينهولز سبع وظائف أساسية لهذه المنظمات، هي: الحماية والرصد والمناصرة والتيسير والتنشئة الاجتماعية والتماسك الاجتماعي وتقديم المساعدات. وتختلف أهمية كل وظيفة باختلاف المرحلة التي تكون فيها عملية السلام[21].

وضمن هذا النطاق الواسع من الوظائف، تقدّم المنظمات العديد من البرامج؛ منها دورات تدريبية لتحسين مهارات التفاوض وبناء السلام، وتحديد أسباب النزاعات وحلّها. غير أن البرامج المقدَّمة في مناطق النزاع تواجه انتقادات بوصفها جهودًا متفرقة، وبرامج تُنفَّذ مرةً واحدة وينتهي أثرها؛ وبهذا لا تتسم نتائجها بالديمومة التي قد تساعد في عملية البناء[22]. لكن ثمّة من يعتبر أن هذا الانتقاد غير عادل، فالعديد من المنظمات ملتزمة ببرامج طويلة الأمد، ولكن الإشكالية التي تواجهها هي الحصول على التمويل للاستمرار، وهذه ليست مهمة سهلة؛ إذ يُعتبر مجال حلّ النزاعات حديث العهد، وتتطلب نتائج العمل فيه فترة طويلة لظهورها. وفي المقابل، يتطلب التعامل مع المانحين تحقيق نتائج سريعة وملموسة، ومن دون ذلك سيكون من الصعب تطوير العلاقات مع جهات التمويل واستعدادها لتقبّل أن التقدم البطيء في حلّ النزاعات، وأن بناء السلام، ستكون لهما نتائج إيجابية على المدى البعيد. ومن دون وجود هذا التمويل، تجد المنظمات التي تعمل في مناطق حلّ النزاع أنّ إمكاناتها بشأن أنواع البرامج التي يمكنها تنفيذها محدودة[23].

3. برامج بناء السلام للشباب

تؤكد دراسة كيمبر إيفون أن أهمية الشباب في التحول خلال فترات الحرب والسلام هي حقيقة معترف بها، فأعدادهم الكبيرة وأدوارهم المحتملة في النزاع دفعت المنظمات مؤخرًا إلى اعتبارهم مجموعة مستهدفة لبرامج السلام والتنمية. وتوجد ثلاث مقاربات متعلقة بالاستجابات المختلفة للمنظمات تجاه الشباب في سياقات النزاع، هي: 1. المقاربة القائمة على الحقوق، 2. المقاربة الاقتصادية، 3. المقاربة الاجتماعية – السياسية[24]. تنظر المقاربة القائمة على الحقوق إلى الشباب على أنهم ضحايا لبيئة عنيفة تنتهك حقوقهم بوصفهم فاعلين في السلام. وترى المقاربة الاقتصادية أنهم فاعلون اقتصاديون عقلانيون يمكن أن يؤدي افتقارهم إلى البدائل المادية إلى جعلهم موارد ممكنة الاستغلال في النزاع المسلح. أما المقاربة الاجتماعية – السياسية، فتؤكد إمكاناتهم بوصفهم عاملًا من عوامل التغيير، وأن عجزهم قد يحوّلهم إلى مفسدين لعملية بناء السلام[25]. وتحظى كل مقاربة بنقاط قوة وضعف مستمدة من الأدوار التي تُسندها إلى الشباب. وتتمثل نقاط القوة في المقاربة القائمة على الحقوق في حماية الشباب وتعزيز المسؤولية المجتمعية تجاههم، غير أن المقاربة الاقتصادية أكثر فاعلية على المدى القصير؛ لأنها تحقق نتائج فورية، وتجذبهم بعيدًا عن النزاعات المسلحة[26]. أما المقاربة الاجتماعية – السياسية، فتعزز المصالحة الطويلة الأمد من خلال مكافحة تهميشهم والسعي لدمجهم في الهياكل المجتمعية[27]؛ لذلك يمكن اعتبارها المقاربة الأقرب بشأن فهم العلاقة بين المنظمات والشباب خلال فترة بناء السلام؛ فهي تمنح الشباب دورًا فاعلًا في بناء السلام قبل انتهاء النزاع وبعده[28].

18 John Paul Lederach, "Sustainable Reconciliation in Divided Societies" (Washington, DC: United States Institute of Peace Press, 1997), p. 43.

19 Jonathan Zartman, "Negotiation, Exclusion and Durable Peace: Dialogue and Peacebuilding in Tajikistan," *International Negotiation*, vol. 13, no. 1 (2008), p. 71.

20 Ibid., p. 73.

21 Thania Paffenholz, "Civil Society and Peace Negotiations: Beyond the Inclusion–Exclusion Dichotomy," *Negotiation Journal*, vol. 30, no. 1 (2014), p. 71.

22 Pamela Aall, "NGOs, Conflict Management and Peacekeeping," *International Peacekeeping*, vol. 7, no. 1 (2000), pp. 129-132.

23 Ibid.

24 Yvonne Kemper, "Youth in War-to-Peace Transitions: Approaches of International Organizations, Executive Summary and Introduction," in: Doug Magnuson & Michael Baizerman (eds.), *Work with Youth in Divided and Contested Societies* (Leiden: Brill, 2007), p. 3.

25 Ibid.

26 Ibid., p. 5.

27 Ibid., p. 31.

28 Ibid., p. 44.

والسؤال المطروح هنا هو: ما الكيفية التي تستوعب بها منظمات المجتمع المدني الشباب وأدوارهـم في بناء الـسلام؟ تسعى هذه المنظمات لخلق بيئة مواتية للشباب، لكن لا يمكنها أن تتحمل المسؤولية كاملة لحل إشكالياتهم. ففي حالة النزاع، تكون مترددة بين حمايتهم أو دعم مشاركتهم السياسية[29]. وعلى عكس الجماعات المسلحة التي تقدّم دخلًا بانتظام لاستقطابهم، والتي يكون لها دور في إثارة العنف، لا تجذب المنظمات الشباب على نحو كبير؛ لأنها غير قادرة على المجازفة وإشراكهم مع الأطراف المتنازعة. وتتردد منظمات كثيرة كذلك في اتباع مقاربة اجتماعية - سياسية للمشاركة بسبب المخاطر التي تنطوي عليها التعبئة السياسية؛ إذ يمكن أن يتسبب الشباب في عدم الاستقرار السياسي وأن يعرضوا حياتهم للخطر إن خالفوا السلطة[30]. لذلك، نجد أنّ عددًا من برامج المنظمات يفتقر إلى البعد السياسي بخصوص المشاركة، ويفضّل التركيز على تقديم المساعدات أو التدريب[31].

ثانيًا: السياق العام للدراسة

منذ بدء الحرب في اليمن عام 2015، سعت الأمم المتحدة لإطلاق عدة جولات من المفاوضات بين أطراف النزاع باعتبارها الوسيط المحايد والراعي لعملية بناء السلام. كانت البداية في حزيران/ يونيو، عندما أعلنت عن رعايتها المفاوضات في جنيف، التي فشلت بسبب اشتراط حركة أنصار الله التفاوض على نحو مباشر مع المملكة العربية السعودية، وإصرار الوفد الحكومي على التمسك بقرار مجلس الأمن رقم 2216[32]، بصفته مرجعيةً للمفاوضات[33]. وفي كانون الأول/ ديسمبر من العام نفسه، جرى عقد مفاوضات "جنيف 2" التي انتهت بصفقة تبادل أسرى. وفي عام 2016، استضافت الكويت دورة جديدة من المفاوضات، لكنّ وفد حركة أنصار الله تخلّف عنها، ورفض الانخراط في أي مفاوضات حتى يجري وقف كلّي للغارات الجوية لقوات التحالف[34]. وتوقفت بعد ذلك جهود الأمم المتحدة بشأن السلام في اليمن، حتى عام 2018، مع مفاوضات ستوكهولم التي رعاها مبعوث الأمم المتحدة مارتن غريفيث، والتي ركزت على فتح ميناء الحديدة وإرساء آلية لتبادل الأسرى وفتح طريق تعز، باعتبار ذلك كلّه من القضايا التي يمكن الوصول إلى نقطة مشتركة حولها بين أطراف النزاع. وعلى الرغم من أنّ العمل لم يجرِ على كل محاور الاتفاق، فإن هذه المفاوضات اعُتبرت الأنجح مقارنةً بما سبقها، نظرًا إلى ما توصلت إليه في ملف ميناء الحديدة[35].

في إثر هذا الاتفاق، دخلت عملية السلام في حالة ركود، خاصةً مع تفشي جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19)، إلا أن عام 2021 شهد محاولات مختلفة من عدة وسطاء، مثل الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأميركية وسلطنة عُمان، للوصول إلى اتفاق جديد[36]. وفي نهاية العام، جرى تعيين هانس غروندبيرغ مبعوثًا خاصًا للأمم المتحدة إلى اليمن، وتمكّن من الوصول إلى هدنة مدتها شهران، في نيسان/ أبريل 2022، وجرى تمديدها بعد ذلك أربعة أشهر إضافية. وقد هدفت الهدنة إلى وقف كل العمليات العسكرية، وفتح مطار صنعاء الدولي المغلق منذ عام 2015، وتسهيل دخول البواخر النفطية إلى ميناء الحديدة لحل أزمة المشتقات النفطية، وفتح طريق مدينة تعز المحاصرة، وبدء العمل على الخطوات اللازمة لإنهاء الحرب وبدء المفاوضات بين أطراف النزاع[37]. ولكن مع نهاية أيلول/ سبتمبر 2022، انتهى تمديد الهدنة الثالث رغم جميع المساعي، وأعلنت حركة أنصار الله أن المفاوضات المتعلقة بتمديدها مرةً أخرى "وصلت إلى طريق مسدود"[38].

1. الشباب في اليمن

تغيرت أوضاع الشباب اليمني[39]، إلى حدّ بعيد، منذ عام 2011، بعد سقوط نظام الرئيس علي عبد الله صالح؛ إذ لم يكن لهم

29 Jason Hart et al., "Children Changing their World: Understanding and Evaluating Children's Participation in Development," *A Review of Contemporary Literature. Plan UK/ Plan International* (2004), p. 12.

30 Ibid.

31 Angela McIntyre & Thokozani Thusi, "Children and Youth in Sierra Leone's Peace-Building Process," *African Security Studies*, vol. 12, no. 2 (2003), p. 75.

32 جرى اعتماد القرار رقم 2216 في عام 2015، وهو ينص على فرض عقوبات على قائد جماعة الحوثي، عبد الملك الحوثي، وعدد من القيادات التابعة لعلي عبد الله صالح. وتمثلت العقوبات في تجميد أرصدة وحظر السفر إلى الخارج، وذلك بتهمة "تقويض السلام والأمن والاستقرار" في اليمن.

33 "بنعمر يقدم مذكرة تفسيرية لتوزيع مقاعد مؤتمر الحوار"، **المصدر**، 2012/12/1، شوهد في 2025/1/15، في: https://acr.ps/1L9F2vZ

34 "مفاوضات الكويت: الحوثيون والمؤتمر الشعبي يرفضون التفاوض ما لم تتوقف غارات التحالف"، **بي بي سي عربي**، 2016/4/25، شوهد في 2025/1/15، في: https://acr.ps/1L9F2Ag

35 Office of the Special Envoy of the Secretary-General for Yemen, OSESGY, "A Year after the Stockholm Agreement: Where are We Now?" 2019.

36 Jeremy M. Sharp, "Yemen: Civil War and Regional Intervention," *Congressional Research Service Report No. R43960* (Washington, DC: 23/11/2021), p. 7.

37 "مبادرة من الأمم المتحدة لإبرام هدنة مدتها شهران"، مكتب المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة لليمن، 2022/4/2، شوهد في 2025/1/16، في: https://tinyurl.com/e6snbjev

38 المرجع نفسه.

39 وفقًا لصندوق الأمم المتحدة للسكان، يمثل الشباب في اليمن، في عام 2024، أكثر من ربع المجتمع، ويوجد نحو 30 في المئة من السكان دون سن 30 عامًا. ينظر: "الشباب والشابات في اليمن شركاء في جهود التعافي"، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2024/8/12، شوهد في 2025/1/18، في: https://acr.ps/1L9F3ct

قبل ذلك نشاط سياسي ملحوظ، واقتصر نشاطهم على الجوانب الاجتماعية والثقافية. ومع انتفاضة عام 2011، تزايد اهتمامهم بالسياسة. وخلال الفترة الأولى من الانتفاضة، استفادوا من وجود أطياف سياسية مختلفة، وقد كانت لهم فرصة متعلقة بتشكيل حركات وتحالفات ومنتديات؛ أبرزها مجلس التنسيق لشباب الثورة اليمنية[40]. وأدّت الانتفاضة إلى لفت أنظار مختلف الأطراف إلى الشباب، فسارعت الأطراف السياسية إلى استقطابهم، وبدأت الجهات الدولية والمنظمات بالتركيز عليهم في برامجها[41]. وخلال الفترة الانتقالية (2012-2013)، أصبح للناشطين منهم أدوارٌ مهمة سياسيًا. وكانوا ضمن المشاركين في مؤتمر الحوار الوطني، حيث طُلب من كل المكونات منح الممثلين الشباب نسبة 20 في المئة[42] من المشاركين. وبرز خلال تلك الفترة العديد من المنظمات بقيادات شابة، وتولّى بعضهم مناصب حكومية؛ وزراء، أو أعضاء في مجلس النواب[43]. وفي عام 2013، أنشأ مكتب مبعوث الأمم المتحدة ملتقى الشباب والنساء التابع له، نتيجة الاهتمام بتعزيز مشاركة الشباب والنساء في عملية الانتقال الديمقراطي، وزيادة الوعي بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتقديم الدعم لتحسين قدراتهم[44].

ومع اندلاع الحرب في عام 2015، تراجع نشاط الشباب السياسي، وكان للتحديات المختلفة التي فرضتها الحرب أثر كبير في استمرار مشاركتهم السياسية. فقد جرى إيقاف ملتقى الشباب والنساء، وغادر كثيرٌ من المنظمات البلاد، وما بقي منها تحوّل إلى برامج للإغاثة والمساعدات[45]. واستمر الوضع على هذا النحو طوال السنوات الأولى من الحرب، ولم تتخللها سوى مبادرات بسيطة من مكتب المبعوث لإشراك فئات الشباب والنساء في مفاوضات السلام، وقد ركّز أغلبها على إشراك النساء، ومن ذلك مثلًا: مشاركة سبع ناشطات مستقلات من تحالف المرأة اليمنية من أجل السلام والأمن في المناقشات غير الرسمية في محادثات الكويت عام 2016، ومشاركة ثمانية أعضاء في المجموعة الاستشارية الفنية النسائية في مشاورات جنيف في عام 2018، وإشراك وفد نسائي في مشاورات في ستوكهولم في عام 2018[46]. وفي المقابل، لم يشارك الشباب إلا في لقاء افتراضي مع غريفيث، للبحث في فرص عملية السلام وتحدياتها، وسبل الدفع بأجندة الشباب والأمن والسلم والقرار رقم 2250. وفي نهاية عام 2020، عُقد أول مؤتمر لشباب اليمن وبناء السلام افتراضيًا، وقد ضم ما يقارب 1000 من الشباب ذكورًا وإناثًا[47]. ونتج منه إعلان إنشاء التوافق الشبابي للأمن والسلم برعاية صندوق الأمم المتحدة للسكان والمستمر حتى لحظة كتابة هذه الدراسة.

2. منظمات المجتمع المدني في اليمن

تعود بدايات نشأة منظمات المجتمع المدني في اليمن[48]، التي تشكل اليوم جزءًا من المشهد السياسي الوطني، إلى فترة الاستعمار البريطاني في الجنوب، وقد بلغ عددها في ذلك الوقت ما يقارب 47 منظمة[49]. ومع قيام الوحدة، وإجراء تعديلات دستورية تضمن التعددية السياسية وحرية إنشاء المنظمات، ازداد عدد منظمات المجتمع المدني وتطور شكل المجتمع المدني[50]. ومع انتفاضة عام 2011، فُتحت مجالات جديدة للنشاطَين المدني والسياسي، وطالب المجتمع بدور في العملية الانتقالية[51]، وارتفع عدد المنظمات المسجلة بما يقارب نسبة 24 في المئة، ووصل عددها إلى 8317 منظمة في نهاية عام 2012[52]؛ ما سمح لها بدور بارز في مؤتمر الحوار الوطني في العام نفسه، على الرغم من أن الحكومة في حينها لم تدعمها إلى حدّ بعيد؛ إذ كانت المنظمات تعاني نقصَ التمويل والمهارات، واتجه الكثير منها إلى الجهات

40 Yazeed al-Jeddawy, "The Impact of the Yemen War on the Priorities and Needs of Youth," Sana'a Center for Strategic Studies (2022), p. 12.

41 Maged al-Kholidy, Yazeed al-Jeddawy & Kate Nevens, "The Role of Youth in Peacebuilding in Yemen," CARPO Center for Applied Research (2020), p. 7.

42 "بنعمر يقدم مذكرة تفسيرية لتوزيع مقاعد مؤتمر الحوار"، **المصدر**، 2012/12/10، شوهد في 2025/1/17، في: https://tinyurl.com/3cx657yh

43 al-Kholidy, al-Jeddawy & Nevens, p. 7.

44 Saddik Lahrach, "Constitutional Guidelines on Youth in Yemen as per NDC Outcomes Document," Women and Youth Forum - Office of the Special Advisor to the Secretary, 2014, p. 12.

45 al-Kholidy, al-Jeddawy & Nevens, p. 8.

46 Ibid.

47 عُلا الأغبري، "المسار المفقود: إشراك الشباب اليمني في المسار الأول من بناء السلام"، **ورقة تحليلية**، منصة شباب لبناء السلام (2021)، ص 10، شوهد في 2025/1/15، في: https://acr.ps/1L9F2P0

48 للاستفاضة حول المجتمع المدني في اليمن، ينظر: فؤاد عبد الجليل الصلاحي، **الدولة والمجتمع المدني في اليمن: تحليل سوسيولوجي لأنماط العلاقات والتفاعلات في مرحلتي التشطير والوحدة** (تعز: مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان، 2001)؛ البنك الدولي، **منظمات المجتمع المدني باليمن في مرحلة التحول** (واشنطن: 2013).

49 Ibid., p. 13.

50 World Bank, *Yemen Civil Society Organizations in Transition: A Mapping and Capacity Assessment of Development-Oriented Civil Society Organizations in Five Governorates* (Washington, DC: 2013/ 2014), p. 12.

51 Abdulkarim Qassim et al., "The Role of Civil Society in Peacebuilding in Yemen," Centre for Applied Research and Partnership with the Orient, *CARPO Brief 18*, 2020, p. 5.

52 World Bank, p. 13.

المانحة الخارجية[53]. لكن الحرب كانت لها آثار سلبية في هذه المنظمات، ولم تستطع الحفاظ على دورها. فإلى جانب تغير الأطر القانونية وتراجع نطاق النشاط والتأثير، تغيرت مجالات عمل هذه المنظمات وتراجع تأثيرها السياسي.

ثالثًا: منهجية البحث

يعتبر السياق اليمني حالة مهمة للدراسة نظرًا إلى عدة أسباب: أولها، طول مدة الصراع في اليمن والمحاولات المستمرة منذ سنوات لبناء عملية سلام ناجحة؛ وثانيها، أن المجتمع المدني أصبح يشكل جزءًا من المشهد السياسي في البلاد منذ عام 2011؛ ما جعله عنصرًا مهمًّا عند الحديث عن عملية السلام ومشاركة مختلف الفئات فيها؛ وثالثها، قلة عدد الدراسات التي تحلّل العلاقة بين مشاركة الشباب السياسية ومنظمات المجتمع المدني، في سياق النزاع اليمني تحديدًا.

ولفهم هذه العلاقة، اعتمدنا على إجراء 15 مقابلة شبه منظمة، استخدمنا فيها أسئلة مفتوحة لتحقيق مرونة في الوصول إلى وجهات نظر مختلفة. وقد انقسمت عينة الدراسة إلى قسمين، هما: ممثلو منظمات المجتمع المدني التي تعمل على برامج إشراك الشباب في عملية بناء السلام في محافظات مختلفة متمثلة في صنعاء وعدن وتعز وحضرموت؛ والشباب المشارك في هذه البرامج من محافظات مختلفة. وجرى الوصول إلى أفراد العينة باستخدام طريقة "كرة الثلج". وتتسبب هذه الطريقة في وجود بعض التحيز في عملية الاختيار؛ ما قد يؤثر في النتائج، إلا أنه من المهم الإشارة إلى الاعتبارات التالية: أولًا، يُعدّ العمل، في بيئةٍ تعاني النزاع، على غرار اليمن، على جمع العينة بهذه الطريقة الخيار الأفضل؛ لأنه يخفف من المخاطر المحتملة على المشاركين؛ ثانيًا، لا تسعى الدراسة لتعميم النتائج التي ستتوصل إليها، بل إنها تهدف إلى تقديم رؤية لماهية الدور الذي تقدمه منظمات المجتمع المدني في إشراك الشباب؛ ثالثًا، عند اختيار المشاركين، حاولنا الحصول على عينة متنوعة لتقليل نسبة التحيز المحتملة. وقد جرى تحليل البيانات عن طريق استخدام تحليل موضوعي مبني على تحديد الأنماط والموضوعات العامة والفرعية المشتركة في البيانات. وجرى استخلاص النتائج من الموضوعات التي تمّ التوصل إليها، وتفسير أهميتها، فضلًا عن ملاحظة وجود علاقات ترابط بين الموضوعات. وقد جرى دعم التحليل والاستنتاجات باقتباسات مباشرة من نصوص المقابلات، ومقارنتها بما هو متاح في الأدبيات السابقة.

رابعًا: النتائج والتحليل

1. منظمات المجتمع المدني وبرامج إشراك الشباب

ثمة جهات متعددة يمكن أن تقدّم برامج لإشراك الشباب، وقد تشمل جهات من المجتمع المدني؛ مثل المؤسسات والمنظمات المحلية والدولية والمراكز البحثية، وغيرها. ولا يشترط في هذه الجهات أن تكون متخصصة في الشباب أو بناء السلام لتعمل على برامج مشاركة الشباب، وقد تختلف طبيعة البرامج المقدمة بحسب طبيعة كل جهة؛ مثل التركيز على التدريب العملي أو المعرفي، أو المناصرة، أو التوعية السياسية، أو غيرها. ومن بين العوامل المحددة لطبيعة البرامج مسارُ السلام الذي تعمل ضمنه المنظمة؛ فالمنظمات ضمن المسار الثالث تركز على التدريبات وإيجاد تفاعلات بين الشباب والمجتمعات المحلية وقضاياهم، في حين تركز المنظمات في المسار الثاني على حملات المناصرة والضغط وخلق الرؤى الموحدة، التي قد تشمل أوراق سياسات عامة، أو دراسات بحثية، أو جلسات تفاوضية، أو لقاءات مع الأحزاب السياسية والمكونات الاجتماعية والجهات الدولية. وتمرّ هذه البرامج بعدد من المراحل، مثل التخطيط وعملية اختيار المشاركين وصولًا إلى التنفيذ والتقييم وقياس الاستدامة في فترة ما بعد البرنامج.

بداية من مرحلة التخطيط، تعتمد مجموعة من المنظمات، التي جرت مقابلتها، في تخطيطها لتنفيذ برامج إشراك الشباب، على تحليل النزاعات القائمة وإجراء دراسات ميدانية باستمرار لتحديد أبرز القضايا التي يجب العمل عليها. ثم تجري مناقشة هذه القضايا مع الشباب وأصحاب المصلحة لتحديد نوعية البرامج التي يمكن تقديمها. وتوجد برامج أخرى تُنتج تقارير وأوراقًا سياساتية ليجري الاعتماد على مخرجاتها في تصميم البرامج وأنشطتها، وبرامج قد تغيّر من طبيعة الأنشطة التي تقدمها بناءً على تقييمات المشاركين، لكي تصبح ملائمة أكثر لاحتياجاتهم، بحيث يجري تصميم مقاربة تشاركية مع الشباب.

في مرحلة اختيار المشاركين، لا توجد آلية واحدة تنطبق على كل البرامج، فلكلٍّ منها خصوصية وتصميم مختلف وطبيعة مخرجات محددة تتطلب مشاركة فئة معينة من الشباب. وبوصفها برامج تستهدف الشباب على نحو منفصل أو تشركهم مع فئات أخرى، يُعد معيار العمر معيارًا أساسيًا وثابتًا، وهو يراوح بين 18 و29 سنة. وثمة معايير أخرى، مثل أن يكون الشباب ناشطين في المجتمع المدني أو أحزاب سياسية أو سبق أن عملوا في فرق ميدانية.

53 Ibid.

يُفتَح للعموم باب المشاركة في برامج التدريب على مفهوم بناء السلام أو مساراته؛ إذ يمكن مشاركة مَن ليست لديهم خبرة بهذا الشأن. أما البرامج التي تتطلب أن يكون لدى المشاركين معرفة عن بناء السلام ومساراته، أو إطار مرجعي عن العمل المجتمعي ومعرفة بالسياق السياسي، فيجري اختيارهم عن طريق ترشيحات محددة. وفي المقابل، يتعرَّف الشباب البرامجَ بطرائق مختلفة؛ إما عن طريق مشاركين سابقين، وإما عبر منصات التواصل الاجتماعي التي تنشر فيها فرص المشاركة. وثمّة من ترشحهم الجهات بناءً على خبراتهم ومشاركاتهم السابقة وشبكة علاقاتهم، وقد تُخصَّص فرص لفئات محددة مثل المشاركين في برنامج محدد أو الأعضاء في حزب، أو قد يجري اختيارهم بسبب مجالات تخصصاتهم التي تتناسب مع البرامج.

وضمن أنشطة المسار الثالث، يُعدّ التدريب أكثر الأنشطة التي تركز عليها المنظمات في برامجها. وعلى الرغم من اختلاف هذه البرامج في مدتها؛ فهي تتنوع بين برامج طويلة تمتد عامًا أو أكثر، وبرامج قصيرة لا تتجاوز أسبوعًا واحدًا، إلا أنها تركز على مواضيع متشابهة. وتشمل التعريف بالمفاهيم الأساسية في بناء السلام، وبناء قدرات الشباب في بناء السلام، وتحليل النزاعات، وتيسير قضايا النزاع محليًا، والمشاركة والمسؤولية المجتمعية، والتدريب على مهارات استراتيجية؛ مثل التخطيط والاتصال والتواصل والحوكمة، إضافة إلى تدريبات في مجال عمل منظمات المجتمع المدني؛ من قبيل كتابة المشاريع والبحث عن تمويلات، وتوفير شراكات، وغير ذلك. وثمّة برامج تركز، على نحو أساسي، على الشباب المتحزب أو العامل في القطاعات الحكومية؛ لدفعهم إلى المشاركة من خلال هذه الجهات في عملية بناء السلام. وقد ورد في إحدى المقابلات: "الفكرة أن ندعم الشباب في الدوائر الحكومية والأحزاب لأن الكثير من الشباب الحزبيين مهمشون، لذا نركز على تأهيل من لا يحظون بفرص للمشاركة وطرح رؤاهم"[54].

وثمّة برامج لا تتوقف عند انتهاء التدريب، بل تركز على التطبيق العملي لما جرى التدريب عليه، بحيث ينفّذ الشباب المشارك أنشطة خاصة بهم تركز على الجانب السياسي أو الاقتصادي أو بناء السلام المجتمعي، أو يشاركون في تدريبات لنَقْل التجارب والخبرات التي اكتسبوها إلى آخرين. وتُعدّ مشاريع الوساطة المحلية من أبرزها؛ إذ إنها تنُفذ في عدد محدود من المحافظات المتأثرة بالنزاع على نحو مباشر، وهي تشتمل على إمكانية لعمل فرق الوساطة. ومن خلال هذه البرامج، يجري التدريب على مفهوم عمل الوسطاء وطرائقهم، وإشراك الشباب مع الوسطاء الأساسيين ليكونوا مساندين لهم في مختلف القضايا؛ من خلال تنسيق لقاءات الوسطاء الأساسيين، وتقديم الدعم، وتوثيق عمليات التفاوض. وبناءً على حضورهم عمليات الوساطة، يجري نقل الخبرات إليهم ويتعلمونها.

أما ضمن المسار الثاني، فتركز المنظمات على إيجاد مجال للشباب بشأن إيصال أصواتهم وربطهم بالفاعلين السياسيين. ويجري عقد لقاءات وجلسات نقاشية تجمعهم بمكتب مبعوث الأمم المتحدة، ووفود السفارات، والبعثات الدبلوماسية، والفاعلين السياسيين، بحيث يجري إظهار قدراتهم وتوفير فرص لهم مع هذه الجهات. ويجري عقد لقاءات مع الأطراف السياسية المحلية المختلفة للمطالبة بإيجاد مجال لمشاركة الشباب والضغط عن طريق الأحزاب السياسية لإشراكهم في مفاوضات السلام. وثمة جهات تركز على إنتاجهم المعرفي من خلال بناء قدراتهم في البحث والتحليل والكتابة، ليعملوا بعد ذلك على تحليلات وأبحاث تعكس رؤاهم في مختلف القضايا، إضافة إلى عمل جهات على صياغة رؤى شبابية شاملة حول عملية بناء السلام، لتُعرض على الأطراف المتحاورة ومكتب مبعوث الأمم المتحدة؛ حتى تُؤخذ في الحسبان في عملية التفاوض، وهو ما يُدرج في أنشطة المناصرة التي تُعدّ من أهم أنشطة المنظمات ضمن المسار الثاني. ومن الوسائل التي تستخدمها المنظمات في هذا السياق تشكيل تحالفات للعمل على مناصرة قضايا محددة، وإيصال مطالب مثل المطالبة بإشراك الشباب في المسار الأول. وضمن هذه التحالفات، قد تشارك المنظمات بأعضاء من كوادرها أو يجري اختيار شباب يمثلونهم، ومن ثم يتحقق شكل من أشكال إشراكهم فيما تعمل عليه المنظمات.

ثمّ تأتي مرحلة التقييم؛ فللتأكد من فاعلية البرامج، تتبع المنظمات مجموعة من معايير التقييم، منها ما هو متعلق بالأهداف وكيفية مساهمة أنشطة البرامج في تحقيقها، والمدة الزمنية بالنسبة إلى البرنامج، والصعوبات في أثناء التنفيذ، وغيرها. وتركز المنظمات على عقد لقاءات دورية تُعقد بالشراكة مع الشباب والفئات الأخرى المشاركة، لتحديد الدروس المستفادة وقصص النجاح من كل برنامج. وفيما يتعلق بمعايير قياس نجاح التدريبات، يجري التركيز على تغير المفهوم واكتساب المعرفة قبل التدريب وبعده، وعدد المبادرات والمشاريع الشبابية التي تنشأ بعد التدريب، أو عدد الشباب الذين يصلون إلى مناصب أو فرص معينة، مثل المشاركة في لقاءات تشاورية أو المشاركات الخارجية. وثمّة منظمات تتبع عملية تقييم مستمرة طوال البرنامج من الشباب أنفسهم، فيجري العمل على الملاحظات التي يطرحونها وتعديلها حين تنفيذ البرنامج. أما في برامج إشراك الشباب في حل النزاعات المجتمعية، فتتابع المنظمات خطوات المبادرات الشبابية من تنسيقات مع المجتمعات المحلية وأصحاب المصلحة والسلطة المحلية، وكيفية التدخل. ومن ثم يجري تقييم الفائدة التي حققها هذا التدخل، وكيفية مساهمته في حل قضية النزاع، والوسائل المستخدمة في أثناء العمل لحلّ النزاع.

54 مقابلة مع منظمة مجتمع مدني 4#، 2023/12/31.

ومن خلال الحديث عن منظمات المجتمع المدني التي تقدم برامج لمشاركة الشباب ضمن عينة البحث، يظهر وجود تنوع واختلاف بين هذه المنظمات وما تقدمه؛ فالبرامج تختلف في طبيعتها ومدتها ومحتواها، وهي تمر بعدة مراحل؛ بدءًا من التخطيط وتحديد طبيعة البرنامج وما يتبعها من عملية اختيار المشاركين والتنفيذ، ووصولًا إلى التقييم. وفي حين تركز برامج المسار الثالث على التدريب وتنفيذ مبادرات محلية، تهتم برامج المسار الثاني بالمناصرة وإيصال أصوات الشباب إلى صناع القرار وإيجاد شراكات فيما بينهم. وعلى الرغم من هذه الجهود، تظهر اختلافات بين الشباب والمنظمات حول شكل عملية السلام والأدوار المتوقعة والنتائج المرجوة من هذه البرامج. وهذا ما سنوضحه من خلال التفصيل في وجهات نظر الطرفَين ونقاط الاختلاف بينهما، وتأثير ذلك في برامج إشراك الشباب في بناء السلام في اليمن.

2. الاختلافات بين الشباب والمنظمات

لاستكمال الرؤية المتعلقة بإنشاء برامج المشاركة وتأثيرها، نناقش نقاط الاختلاف بين الشباب والمنظمات ممن جرت مقابلتهم من حيث المفهوم والرؤية، التي قد تؤثر في فاعلية البرامج ووجود الطرفين ضمن عملية بناء السلام. وينعكس هذا الاختلاف في رؤية كلا الطرفين للآخر ودوره وما يقدمه؛ إذ ترى المنظمات أنها الداعم الأساسي للشباب، ومن الصعب أن يكون لهم دور مستقل أو أن يستطيعوا أن يشاركوا سياسيًا على نحو فردي. وهنا تكمن أهمية المنظمات وما تقدّمه، فالشباب في حاجة إلى داعم يساهم في إيصال أصواتهم ورؤاهم إلى صناع القرار وأطراف النزاع. وثمّة من يتفق مع هذه الرؤية من الشباب ضمن عينة الدراسة، ويؤكد أن التمكين الذي تراكم لديهم هو نتيجة لما قدمته برامج منظمات المجتمع المدني إليهم، وأن ثمة تمكينًا في عدة مجالات وتطورًا في أدوارهم لم يكن ليتحقق إلا عن طريق المنظمات. لكن بعضهم يرى أن المنظمات لا ينظر إلى الشباب على أنهم مؤهلون وقادرون، وأنه يوجد تعميم مجحف مفاده أن مشاركتهم لا تتجاوز المسارَين الثاني والثالث، أما المسار الأول فليست لديهم المؤهلات الكافية لينشطوا فيه.

أ. الاختلاف في مفهوم عملية بناء السلام

تبعًا للاختلاف بين الشباب والمنظمات في أدوار كلٍّ منهما، ثمة اختلاف آخر حول مفهوم عملية بناء السلام والأدوار المتوقعة لكل طرف ضمن العملية. وثمة اتفاق عام بين عينة الدراسة فيما يتعلق بأن عملية السلام يجب أن تكون شاملة لجميع المكونات والأطراف، وأن تكون تشاركية؛ بحيث لا يُقصى أيّ طرف، وتشمل تمثيل الشباب والنساء والأحزاب والمجتمع المدني، وأن تكون تراكمية؛ على نحو يجري العمل فيها في مختلف المجالات والمسارات محليًا ووطنيًا، لإنهاء النزاع. لكن معنى الإشراك والتشاركية مختلف عند الطرفَين؛ فالشباب يفهمون المشاركة بالوجود الفعلي لكل المكونات في المفاوضات نفسها، بينما ترى المنظمات أن عملية السلام تصبح شاملة/ قائمة على الإشراك عندما يعمل الشباب والفئات الأخرى على النزاعات المختلفة محليًا، وأن تقدم تصورات هذه الفئات إلى الأطراف المتفاوضة من دون اشتراط مشاركتهم الفعلية في المفاوضات. ولكن تبقى إشكالية حصر عملية السلام في إنهاء الاقتتال، والاقتصار على الأطراف المتحاربة، التي لا تُعبر إلا عن مصالحها، إشكاليةً أساسيةً، وفقًا لمجتمع عيّنة الدراسة.

من جهة أخرى، ثمة اختلاف واضح في تعريف المسار الثاني ودوره، وهو من الإشكاليات المتعلقة بمفهوم عملية بناء السلام في اليمن؛ إذ تعتبر المنظمات أنه "مسار متوسط بين المسارَين الأول والثالث، وأنّ مهمته هي نقل المعلومات وإيصال قضايا المسار الثالث إلى المسار الأول. لكن ثمة من يعُدّ الأطراف المنخرطة فيه تابعة لمكوّن سياسي معين أو طرف خارجي. ومن ثم، فهي ليست ذات رؤية وطنية، ولا تمتلك دورًا مؤثرًا في العملية[55]. من ناحية أخرى، يرى الشباب أن المسار الثاني ينطوي على عدد من الإشكاليات، أبرزها أن منظمات المجتمع المدني لا تعي تقسيم المسارات والدور المفترض ضمن كل مسار، وأنه محصور في كيانات محدودة لا تسمح للشباب بالانخراط في المسار الأول على الرغم من أنها تتحدث باسمهم. وقد قال أحد أفراد العينة: "بسبب عدم وضوح الدور المحدد لهذا المسار، فهو يفتقر إلى وجود منهجية موحدة للعمل على إشراك الشباب، مما يجعل جميع الجهود المبذولة دون مخرج حقيقي للشباب"[56].

يُضاف إلى ذلك عددٌ من الإشكاليات التي تعكس مدى اختلاف رؤية الشباب الذين جرت مقابلتهم؛ فهم يرون أن عملية بناء السلام تغيرت، إلى حدّ بعيد، بداية الحرب حتى لحظة إجراء المقابلات، بسبب المتغيرات الاقتصادية والسياسية والعسكرية محليًا وإقليميًا. وهذا التغير يؤثر في وضع تعريف محدّد لعملية بناء السلام، وتصميم خريطة لها، ويقول أحدهم: "حين حددت الأمم المتحدة المسارات، حددتها على نحو خاطئ؛ لذلك تقوم بالتعديل عليها بشكل مستمر بما يتلاءم مع متطلبات الوضع"[57]. ويُنظر إلى التركيز على إنهاء الصراع المسلح من دون إشراك الفئات الأخرى على أنه تمهيد لإقصائهم بصفة مستمرة إلى ما بعد عملية بناء السلام. وإذا

55 المرجع نفسه.
56 مقابلة مع شاب #1، 2023/12/26.
57 مقابلة مع شاب #6، 2024/1/13.

لم يكن للشباب دور أساسي من البداية، فلن يكون لهم دور فيما بعد. ويعبر الشباب عن شعور بالإحباط من العملية ويعدّونها فاشلة لم تحقق أي إنجازات، وهذا ينعكس على الفشل في إشراكهم. وأخيرًا، تجري عملية بناء السلام بعيدًا عن الأطراف المحلية المتصارعة التي جرى تهميشها أساسًا، ثمّ إنّ المتحكمين في العملية أصبحوا أطرافًا إقليمية ودولية؛ ومن ثم لا توجد رؤية حقيقية لبناء السلام في اليمن، وما هو موجود لا يلبّي احتياجات اليمنيين، وإنما يلبّي احتياجات المنطقة والمجتمع الدولي.

ب. الاختلاف في الأدوار المتوقعة ضمن عملية بناء السلام

تركز المنظمات التي جرت مقابلتها على التمييز بين الدور الذي يجب أن تؤدّيه والدور الذي يُفترض أن تؤدّيه المكونات والأحزاب السياسية؛ إذ يقول أحد ممثلي المنظمات: "أدوار منظمات المجتمع المدني هي المساهمة في عملية بناء السلام وليس عملية بناء السلام نفسها، والمساهمة في تعزيز قدرات الشباب وزيادة فرص وصولهم لصنع القرار"[58]. ومن ثم، فهي تركز على التدريب والتمكين على نحو أكبر، في حين يكمن دور الأحزاب والمكونات السياسية في تحمل مسؤولية المشاركة والعمل لإيصال الشباب إلى مراكز صنع القرار؛ فوجودهم في هذه المراكز يتطلب دعمًا عن طريق الأحزاب السياسية؛ فعندما يجري تشكيل حكومة، مثلًا، يُدفعون بصفتهم مشاركين من الأحزاب. وفي مقابل ذلك، يعتبر الشباب أن الدور المتوقع من المنظمات أكبر وأوسع، فقدرتها على الوصول إلى المسار الثاني أو السماح لها بالانخراط في المسار الأول يفرضان عليها إيصالهم إلى الفرص نفسها.

وتزيد الاختلافات حين يتعلق الأمر بتحديد أدوار الشباب ضمن عملية بناء السلام، فلا يوجد اتفاق حول هذه الأدوار بين الطرفَين ضمن عينة الدراسة. إن "المشاركة في جميع المسارات" هي تعبير مشترك، لكن المقصود به متباين كما أشرنا إلى ذلك سابقًا. فثمة مَن يرى أن وجود الشباب في المسارَين الثاني والثالث غير كافٍ، وأنه يجب إشراكهم ضمن المسار الأول. وفي المقابل، ثمة من يرى ضرورة مشاركتهم في المسار الأول، مع الإشارة إلى أنه لا يمكنهم المشاركة في المفاوضات، فهم ليسوا من الأطراف المباشرة في النزاع. ويمكن أن تكون مشاركتهم من خلال الاضطلاع بدور مراقبين في عملية التفاوض، أو فرق استشارية تقدم معلومات وتساند الأطراف المتفاوضة. وفي هذا السياق، ثمة من يركز على أهمية دور الضغط الدولي والأمم المتحدة لفرض وجود الشباب وإشراكهم في المسار الأول، وإن لم تكن مشاركة مباشرة في المفاوضات. وثمة رأي آخر يقول إن وجود شاب أو أكثر في المفاوضات لا يمكن اعتباره مشاركة حقيقية، ولكن الأهم هو إشراك رؤاهم وقضاياهم؛ بحسب أحد أفراد العينة: "تعني المشاركة وجود أفكار الشباب ورؤاهم في المسارات المختلفة وفي عمليات وآليات بناء السلام، لأن هذه العملية سيبنى عليها تشكيل فرق مبادرات وأنشطة ومجموعات عمل سيشارك فيها الشباب، لذا من المهم أن تكون آراؤهم حاضرة في تحديد وتخطيط هذه العمليات والفرق"[59]. وبناء على هذا الرأي، ربما لا يكون وجودهم الفعلي في المفاوضات مهمًّا، لكن وجودهم في مناصب ضمن السلطة المحلية والأحزاب يُعدّ مهمًّا، ويضمن وجودهم في العملية السياسية القادمة.

ج. الاختلاف في الدوافع والأهداف

تنطلق المنظمات في تنفيذ البرامج من مجموعة من الأهداف التي تسعى لتحقيقها؛ فهي ترى أن الشباب هم الفئة الأكبر في المجتمع اليمني، وأنهم في حاجة ملحّة إلى تقديم برامج خاصة بهم، بوصفهم الأساس في بناء المستقبل. وتُعَدّ الحرب وآثارها من أبرز العوامل التي تدفع إلى التركيز عليهم، فهم أكثر فئة معرضة للعنف والانخراط في الجماعات المسلحة والصراع المسلح، إضافة إلى ضرورة بناء الوعي لديها، وتزويدها بأدوات تمكّنها من إيصال صوتها والتعبير عن قضاياها، لمنع استغلالها أداةً في الحرب.

في مقابل ذلك، تكون دوافع مشاركة الشباب في هذه البرامج مختلفة؛ إذ يهتم كثير منهم ببرامج بناء السلام، فالحرب وتأثيراتها في حياتهم فرضت عليهم اهتمامات مختلفة، منها الجانب السياسي. يقول أحدهم: "أصبحت حياتنا متعلقة بالسياسة. وللعمل على أي مستوى، يجب أن تكون لديك خلفية في المجال السياسي وأن تكون مدركًا للوضع الذي تعيش فيه"[60]. وتمثل هذه البرامج فرصتهم الوحيدة للانخراط في عملية بناء السلام في ظل الحرب وانعدام الفرص؛ لذلك يسعون لأي فرصة أو برنامج. يقول أحد أفراد العينة: "أنا أعمل منذ عام 2016 في المجتمع المدني، ولدي دائمًا رغبة في الاستفادة من أي فرصة، وأسعى إلى أن أكون حاضرًا في أي برنامج قد يؤهلني أو يساعدني على بناء قدراتي ضمن أي مجال"[61]. وثمة أيضًا العامل الاقتصادي؛ فالحرب عطّلت معظم مجالات الحركة والنشاط، لذلك كان البديل بالنسبة إلى الشباب هو منظمات المجتمع المدني؛ إذ يرون أن الوصول إلى البعثات الدبلوماسية والجهات الخارجية هدف أساسي، ويسعون من خلال البرامج لتكوين شبكة علاقات تربطهم بجهات وفاعلين دوليين؛ ما قد يضمن لهم فرص عمل مستقبلًا مع هذه الجهات. يقول أحدهم: "تعد

58 مقابلة مع منظمة مجتمع مدني 5#، 2024/1/7.

59 مقابلة مع شاب 3#، 2023/12/23.

60 مقابلة مع شاب 6#.

61 مقابلة مع شاب 8#، 2024/1/28.

العلاقات أحد الأسباب التي جعلت كثيرًا من الشباب يتوجه إلى البرامج التدريبية كبداية للدخول في إطار المجتمع المدني ومنظماته، ومن ثم التدرج والوصول إلى فرص أكبر"[62].

لكن هذا ليس حال جميع الشباب المشاركين في هذه البرامج، فبعضهم مشتتون وليس لديهم هدف واضح. ويُرجع كل من الشباب والمنظمات سبب ذلك إلى مراحل الشباب العمرية والتجارب التي مرُّوا بها؛ إذ تختلف دوافع الإقبال بالنسبة إلى حديثي التخرج، فيكون هدفهم الحصول على المعرفة والمشاركة في الأنشطة الميدانية وتكوين علاقات. في المقابل، يكتفي الشباب من ذوي الخبرة في العمل الميداني بالتدريبات، ويسعون للبرامج التي تقدم لهم مهارات جديدة أو توصلهم إلى مراكز وفرص أعلى، مثل المشاركة في المفاوضات أو الانضمام إلى منظمات دولية. وتُعدّ نوعية البرامج عاملًا أساسيًا في المشاركة؛ فالشباب ينجذبون إلى البرامج النوعية التي تستمر مدة طويلة، وتقدم معرفة شاملة حول المواضيع التي يجري التدريب عليها، ويقدمها مدربون متمكنون ولديهم خبرة عملية كبيرة. وثمة اهتمام بمدى وجود مجالٍ للتطبيق العملي؛ فسابقًا، كانت البرامج تقتصر على التدريب ونقل المعرفة، لكن برامج الوساطة المحلية، على سبيل المثال، يحتكّ فيها الشباب بالوسطاء الأساسيين في أثناء عملهم؛ ما يكسبهم خبرة عملية لما جرى التدريب عليه. وقد ينسحب الشباب من البرامج إنْ لم تقدّم إليهم شيئًا جديدًا أو في حال وجود انطباع لديهم مفاده أن كل ما يقومون به غير مُجدٍ وغير مؤثّر.

3. العوامل المؤثرة في فعالية البرامج

أ. دور الأمم المتحدة بين التوقعات والواقع

الأمم المتحدة هي الراعي الرئيس لعملية السلام في اليمن؛ لذلك فإن مختلف الأطراف لها الكثير من التوقعات من الدور المفترض أن تقوم به ضمن العملية، إلا أن هذه التوقعات، في كثير من الأحيان، ربما لا تتطابق مع ما تقدّمه الأمم المتحدة. فالشباب الذين جرت مقابلتهم يرون أن الإشكالية الأساسية هي رفض مكتب مبعوث الأمم المتحدة إشراكهم في عملية بناء السلام، بحجة أنهم ليسوا مكونًا سياسيًا وأنهم ليسوا من أطراف النزاع؛ ومن ثم، فإن منظمات المجتمع المدني هي الوحيدة التي تتولى جهود إشراكهم. يقول أحد الذين جرت مقابلتهم: "لقد صرح مبعوث الأمم المتحدة الحالي بأن المرحلة الحالية هي مرحلة عسكرية ولا يستطيع إدراج الشباب فيها، لكن هذا الاتفاق إذا تمّ دون إشراك الشباب، فهو يمهد للمرحلة القادمة التي سيكون الشباب مهمشًا فيها"[63]. غير أن المنظمات ترى أن هذه الإشكالية حديثة؛ فالأمم المتحدة حتى عام 2018 كانت مهتمة بإشراكهم، وساندت جهود المنظمات. ففي عام 2014، طلب مكتب مبعوث الأمم المتحدة أن يكونوا جزءًا من المفاوضات. وأسس جمال بن عمر ملتقى الشباب والنساء في عام 2013، الذي استمر في قيادته إسماعيل ولد الشيخ، لكن الإشكالية بدأت مع غريفيث الذي ألغى هذا الملتقى بحجة ضرورة التركيز على إنهاء الصراع المسلح. وترى المنظمات أن مكتب المبعوث يتحمل مسؤولية كبيرة عن إهمال مشاركة الشباب.

وثمة مَن يرى أن الإشكالية الأهم تكمن في ضعف تأثير الأمم المتحدة في العملية، وتحديدًا في المسار الأول، وهذا يرتبط بالاختلاف في مفهوم عملية بناء السلام الذي ناقشناه سابقًا؛ إذ توجد إشكالية في تخصيص المسار الأول لأطراف النزاع لم تستطع الأمم المتحدة حلّها، أو التوفيق بين الأطراف المتنازعة. وأشار أحد أفراد العينة قائلًا: "كلما ناقشنا مكتب المبعوث حول إشراك الشباب، يجري تذكيرنا بمشكلات المسار الأول وصعوبة جمع الأطراف، مما يعكس حقيقة أن عملية بناء السلام في اليمن لا تسير وفق ما يجب أن تكون عليه، وأن الأمم المتحدة غير قادرة على القيام بالدور المفترض أن تقوم به"[64]. تُرجع المنظمات الإشكالية الرئيسة في هذه الجزئية إلى رفض أطراف النزاع إشراكَ الشباب أو أي فئات أخرى في عملية المفاوضات، وأن مكتب المبعوث قدّم العديد من المحاولات لإشراكهم. ففي مشاورات الكويت في عام 2018، مثلًا، كان ثمّة رفض لوجود الشباب والنساء في المفاوضات، وكان إسماعيل ولد الشيخ هو الذي فرض مشاركة النساء في ذلك الوقت. وخلال مشاورات فتح الطرقات في تعز، في عام 2022، حاول مكتب مبعوث الأمم المتحدة أن يستخدم صلاحيته في إشراك المجتمع المدني والشباب والوسطاء المحليين في هذه المفاوضات، لكن أطراف النزاع رفضوا وجودهم، وثمّة وفود انسحبت اعتراضًا على وجودهم؛ ما اضطر مكتب المبعوث إلى حصر أدوارهم في جلسات مغلقة خارج الجلسة التفاوضية الأساسية. وقد وُجدت محاولات ومقترحات أخرى كان المبعوث يحاول تطبيقها ليقحم الشباب في المفاوضات، بوصفهم هيئة استشارية أو مساعدين أو مراقبين، ولكنها محاولات لم تحقق نتائج واقعية في ظل رفض أطراف النزاع إشراكَهم.

سعت المنظمات لطلب تشكيل لجنة استشارية شبابية لمكتب مبعوث الأمم المتحدة في سياق اللجنة الاستشارية النسوية والملتقى الشبابي الذي كان موجودًا في عام 2013، لكن هذه المطالبات لم تحقق أي نتائج. وفي المقابل، ثمة شبكة نسائية تضم ما يقارب 300 امرأة تعقد لقاءات مستمرة لبحث كيفية إشراك النساء في المفاوضات. وفي تفسير

62 مقابلة مع شاب #7، 2024/1/27.

63 مقابلة مع شاب #1.

64 مقابلة مع شاب #6.

هذا الاختلاف في التعامل مع الشباب، ترى المنظمات أن تشتت رؤية الشباب ومطالبهم هي السبب؛ فعلى خلاف مطالب الحركات النسوية التي تُعد مطالب واضحة، مثل المطالبة بحصة (كوتا) وتمثيل أوسع في الحكومة وفي الحقائب الوزارية، لا تزال المطالب الشبابية مشتتة، وهو ما يتيح فرصة أكبر للمكونات السياسية وصناع القرار بشأن تجاهل مطالب إشراك الشباب وعدم اعتبارهم عنصرًا أساسيًا في أي أجندات أو عمليات سلام. ويرجع السبب في هذا التشتت إلى عدد من الأسباب؛ أبرزها أن قرار الأمم المتحدة فيما يتعلق بدعم مشاركة الشباب لا يزال حديث العهد، إضافة إلى أن صناع القرار على مختلف المستويات ومسارات السلام لا يعدّون إشراك الشباب من أولوياتهم. لذلك، ينظر إلى تجربة النساء على أنها أهم؛ إذ توجد مؤسسات كثيرة تعمل على هذا الجانب يجمعها مكوّن واحد هو التوافق النسوي الذي جرى تشكيله قبل سنوات كثيرة، وأصبح ينظر إليه بوصفه جهة أساسية ورسمية.

ب. التعاون بين المنظمات وتشكيل التحالفات

من بين العوامل المؤثرة في البرامج التعاون بين منظمات المجتمع المدني في إطار إشراك الشباب. وبناء على رؤية الأمم المتحدة التي ترسم خطوطًا عريضة لطبيعة المجالات التي تركز عليها، تصمم المنظمات التي جرت مقابلتها برامجها وتركز على جزئيات محددة، ويسعى عدد منها للتنسيق مع المنظمات الأخرى العاملة في المجال نفسه، وقد يأتي هذا التعاون في سبيل تجنب تكرار البرامج وإيجاد شراكات لتوحيد الجهود، أو التنسيق في تصميم البرامج المقدمة لتخدم هدفًا واحدًا مشتركًا. لكن هذا التنسيق لا يُنظر إليه على أنه في المستوى المطلوب، ذلك أنّ منظمات كثيرة تهتم بخصوصية عمله وعدم مشاركة خططه؛ ما يجعل من الصعب جمع كل المنظمات في إطار واحد. لذلك، تؤكد المنظمات الحاجة إلى المزيد من التنسيق في طبيعة العمل، ووجود أهداف مشتركة، والاتفاق على استراتيجية محددة لتنفيذ مشاريع إشراك الشباب، وتقسيم الأدوار بين المنظمات، بحيث يعمل كل منها على الجزئية التي تتخصص فيها.

ومن أشكال التنسيق التي ظهرت حديثًا تكوين تكتلات تجمع عددًا من المنظمات، وذلك انطلاقًا من رؤية أن الجهات الدولية أصبحت لا تتعامل مع المنظمات على نحو منفرد وصارت تفضل العمل مع التكتلات، وأن ذلك وسيلة أفضل لتشكيل الضغط على المجتمع الدولي وأطراف النزاع من أجل الاستجابة للمطالب. وتُعَدُّ هذه التكتلات من مخرجات البرامج السابقة التي نفذتها المنظمات لإيصال أصوات الشباب إلى صناع القرار، وهي تركز أساسًا على توحيد الجهود والمطالب في مستوى المسار الثاني. فقد تعمل كل منظمة على أنشطتها المنفصلة ضمن المسار الثالث، لكنها عند العمل ضمن المسار الثاني تشترك في محاولة الضغط على مكتب مبعوث الأمم المتحدة لتشكيل لجنة استشارية شبابية، والضغط لإشراك الشباب في المسارَين الأول والثاني. وبحسب إحدى المنظمات، فإنّ "الشيء الوحيد الذي يمكن أن نتوحد فيه هو هذا الجانب. قد تفشل التحالفات الخاصة بالتمويل أو التوطين لأنها أمور خلافية متعلقة بالتوجهات والجوانب المادية. لكن عندما نتحدث عن المطالبة بالمشاركة، فتلك فرصة أمام كافة المنظمات للوصول إلى مخرجات حقيقية"[65].

وتواجه هذه التكتلات الإشكالية نفسها المتعلقة بتنسيق الجهود وتوحيدها، فقد أصبحت المنظمات تشكّل تكتلًا جديدًا بدلًا من الانضمام إلى التكتلات الموجودة مسبقًا، وقد يرجع ذلك إلى مجموعة من التفسيرات منها: ضعف التنسيق بصورة عامة بين المنظمات في المسار الثاني، أو رغبة بعض الجهات في أن تكون هي الأبرز في قيادة التكتلات، فتنشئ تكتلات جديدة، وقد يكون ذلك مرتبطًا بالرغبة في الحصول على التمويل أساسًا، وهذا ما يظهر من خلال وجود منظمات في أكثر من تكتل واحد. لكن نتيجة كل ذلك هي زيادة عدد المكونات، وتشتت الجهود والمطالب الشبابية وضعف المخرجات، إضافة إلى فقدان هذه التكتلات الشرعيةَ بصفتها مكونًا يمثل الشباب ومطالبهم أمام الأطراف الأخرى.

ج. تأثير التمويل

يُعدُّ التمويل من بين أبرز العوامل المؤثرة في البرامج، فهو يتحكم في طبيعة برامج المنظمات، إلى حد بعيد، لكونها تعمل وفق أجندة الجهات المانحة. وقد ظهرت هذه الإشكالية في عام 2015؛ فمع بداية الحرب، ركزت الأمم المتحدة والجهات المانحة توجهها على الإغاثة والاستجابة الإنسانية، وتبعتها في ذلك الكثير من منظمات المجتمع المدني، وجرى رفض أي مشروع متعلق بالتمكين أو المشاركة. وخلال الأعوام الثلاثة اللاحقة، تحولت توجهات الأمم المتحدة والمانحين إلى مواضيع التنمية والمشاركة، وتحولت المنظمات من العمل على الاستجابة الإنسانية إلى العمل على مواضيع الشباب والتنمية. وفي عام 2020، ظهرت مشاريع بناء السلام والمشاركة والوساطة المحلية بسبب تراجع وتيرة الحرب واتجاه التمويل نحو مشاريع بناء السلام، وغيّرت منظمات المجتمع المدني توجهات مشاريعها. ويشير العاملون في المنظمات إلى أن الإشكالية لا تزال مستمرة، فقد ظهر توجّه من المانحين نحو مشاريع المناخ، وأصبح جزءٌ مهم من التمويل العالمي مخصصًا لمشاريع المناخ، والجزء الآخر لبقية الأنشطة مثل الإغاثة والسلام وإعادة الإعمار والمشاركة وغيرها. لكن الشباب يرون أن

65 المرجع نفسه.

هذه إشكالية المنظمات؛ لأنه من غير المنطقي أن تعمل بنظام "اللحاق بركب الموجة"، فهذا يسبب تشتت الشباب، ويضعف تمكينهم. أمّا المنظمات، فترى أنها غير قادرة على العمل على برامج لا توائم توجهات المانحين، فهي تواجه أساسًا تحديات في كيفية إيجاد تمويلات لتنفيذ المشاريع التي تستهدف الشباب.

د. معوقات الحرب والسياق اليمني

ثمة تحديات مرتبطة بالبيئة التي تعمل فيها المنظمات في اليمن؛ إذ ترى المنظمات أن التضييق من الأطراف السياسية تسبب في قلة عدد برامج التمكين السياسي بالنسبة إلى الشباب، وينعكس تأثير هذا التضييق في عدة جوانب؛ منها: صعوبة استهداف الشباب في عدة مناطق ولا سيما بالنسبة إلى الفتيات، والقيود التي تُفرض على إجراءات السفر الداخلي، وطول ساعات السفر التي قد تصل إلى أربع وعشرين ساعة، فضلًا عن التشديدات والمضايقات الأمنية. إضافة إلى أن الحصول على تصاريح لإقامة هذه البرامج وجمع الشباب يحتاج إلى وقت طويل، ولا يجري الحصول على الموافقة في كل الحالات. وأشارت بعض المنظمات إلى أنها لا تستطيع نشر كل أنشطتها بسبب الخوف من المضايقات والتهديدات التي يتعرض لها الشباب في مختلف المناطق من الأطراف السياسية. فقد جاء في إحدى المقابلات ما يلي: "ثمة تهديدات تصل إلى الشباب المشاركين معنا بسبب نشاط شباب آخرين في مناطق أخرى، لذلك نحاول حماية الشباب وعدم نشر أعمالنا"[66].

ويشكّل العامل الاقتصادي عائقًا يحول دون وجود الشباب في هذه البرامج؛ فبسبب ظروف الحرب أصبح تأمين مصدر الدخل أهم من المشاركة في بناء السلام، والشباب هم أكثر المتأثرين في هذا الشأن بسبب التزاماتهم المختلفة مثل التعليم والعمل وإعالة أسرهم. وفي الوقت الذي يجري فيه استهدافهم ببرامج وورش للمشاركة في بناء السلام، يسعون لتوفير الاحتياجات الأساسية، كالأكل والشرب، خاصة في سياق وجود برامج لا تقدّم مقابلًا ماديًّا؛ لهذا، لا يمكن أن يلتزم بها الشباب. وتؤاخذ المنظمات باستمرار الكثير منها في تقديم المساعدات إلى الأفراد، من دون العمل على تمكينهم، وهذا من الأسباب التي جعلت كل فئات المجتمع في حالة اعتماد دائم على المساعدات. وقد أشار أحد أفراد العينة إلى أن "المساعدات يفترض أن تستمر ما بين ستة أشهر إلى سنة، ومن بعدها تتحول إلى مشاريع مستدامة تولد دخلًا للأفراد، لكن سنوات مرت ولا يزال الشعب اليمني مستمرًا في الاعتماد على مساعدات المنظمات، وهذا انعكس بشكل كبير على حياة الشباب ومشاركتهم السياسية"[67].

لا يمكن اعتبار المنظمات المسؤول الوحيد عن المشاركة في بناء السلام في اليمن؛ فلأطراف النزاع وتأثيرات الحرب تأثير في ذلك أيضًا. ولا تكمن الصعوبة في تنفيذ البرامج، بل في الإيمان بأهمية دور الشباب وتقبّل أطراف النزاع لانخراطهم في بناء السلام. فالمنظمات تعاني ضعف الوعي بأهمية مشاركتهم والتخوف منها وقلة خبرتهم ووعيهم بمختلف القضايا؛ إذ لا يزال يُنظر إليهم على أنهم غير مؤهلين، وأنهم يفتقرون إلى رؤية كاملة. ثم إن انعدام فرص التجربة لديهم يؤثر في مستوى تأهيلهم؛ إذ قيل في إحدى المقابلات: "وصل صناع القرار الحاليون إلى مراكز صناعة القرار عن طريق فتح المجال أمامهم للتجربة خلال مرحلة شبابهم وتمكينهم من الوصول لهذه المناصب. لكن الفرص غير متاحة أمام بقية الشباب"[68].

وتواجه المنظمات صعوبات عدة؛ فالسياسات والقوانين لا تستوعب الشباب وتمتنع عن إشراكهم؛ إذ لا توجد أطر قانونية تسمح بمشاركتهم أو موجهات تدعم انخراطهم، بسبب تزايد تعقد الوضع السياسي وتوقف العملية السياسية منذ بداية الحرب. ويشمل ذلك الأحزاب السياسية التي لا تزال متمسكة بقياداتها السابقة وتهمش الشباب وتعوّق تمكينهم من أداء دورهم؛ ما تسبب في نفور الكثير منهم من الأحزاب على الرغم من طموحهم السياسي ورغبتهم في أن يكونوا جزءًا من عملية السلام وصناعة القرار. ويقول أحدهم: "الوضع السياسي في اليمن مرتبط بالأحزاب وأي سلطة سياسية قادمة سيجري تشكيلها عن طريق المحاصصة بين الأحزاب والأطراف السياسية، لكن المشكلة تكمن في أن هذه الأحزاب تهمش الشباب"[69].

هـ. إشكاليات عامة في برامج بناء السلام

لا يمكن الحديث عن العوامل المؤثرة من دون التطرق إلى البرامج والإشكاليات المرتبطة بواقع تنفيذها. وعلى الرغم من أن الشباب الذين جرت مقابلتهم يعولون كثيرًا على المنظمات، فإنهم يرون أن غالبية برامج التمكين هي برامج شكلية، ولا تقدّم لهم حلولًا حقيقية، إضافة إلى أنها مكررة ولا تناسب احتياجاتهم، فهي لا تواكب المتغيرات التي يشهدها اليمني، وغالبًا ما تكون قصيرة المدى ومشتتة المساعي. وتكمن مشكلتها في عدم منح الشباب مجالًا لتحديد طبيعة البرامج التي تناسب احتياجاتهم، وهو ما ينتج منه أن تكون المخرجات غير ملبّية لتوقعاتهم. وثمة برامج تستمر مدة طويلة وتهدف إلى بناء قيادات شبابية متمكنة، لكن مخرجاتها لا تكون كذلك. وثمة مَن يفسّر ضعف تصميم مخرجات التدريبات بأنها

66 مقابلة مع شاب #4، 2024/1/3.

67 مقابلة مع شاب #3.

68 مقابلة مع منظمة مجتمع مدني #4.

69 مقابلة مع منظمة مجتمع مدني #6، 2024/1/6.

مصممة في الأصل لمصلحة المنظمات، فكلما استمر احتياج الشباب إلى التدريب والتأهيل، استمر عمل المنظمات. ويقول أحدهم قائلًا: "بسبب التزامي بالبرنامج تخليت عن فرص أخرى، وفي النهاية شعرت بإحباط كبير. لا أستطيع القول إنني تمكنت من أي من مجالات التدريب بصورة تامة، والسبب في ذلك أن التدريب على أي موضوع ضمن البرنامج يجري لمدة يوم أو يومين فقط، فلا يتمكن الشباب من أن يصبحوا متمكنين من خلال تدريب قصير كهذا"[70].

في المقابل، تتفق منظمات عينة الدراسة على أن البرامج تختلف في مرحلة التخطيط عما يجري تطبيقه في الواقع؛ بسبب ظروف الحرب والتحديات المرتبطة بها. وترى أن المشكلة تكمن في عدم البناء على مخرجات المشاريع السابقة، وأن كل منظمة تبدأ من الصفر ومن برامج التدريب على المفاهيم والتعريف بعملية السلام. ومن ثم، فإن مستوى التأثير لا يتغير البتة. وتتأثر المنظمات بضعف اهتمام الجهات المانحة ببرامج تمكين الشباب وعدم اعتبارها أولوية لها؛ ما يؤثر في قدرة عمل هذه المنظمات خاصة المستمرة في العمل على إشراك الشباب منذ بداية الحرب في الوقت الذي انصب فيه التركيز الأكبر على مشاريع الإغاثة والاستجابة الإنسانية. وقد اكتسب بعض هذه المنظمات خبرة عملية وأصبح يعمل على نحو استراتيجي. وتوجد منظمات جديدة انتقلت من العمل على الاستجابة الإنسانية والإغاثة إلى مواضيع الشباب والتنمية، لكنها تعمل دون نهج واضح أو تفكير استراتيجي بعيد المدى؛ لذلك تواجه المنظمات ذات الخبرة في إشراك الشباب مشكلة مع المنظمات الحديثة العهد في طبيعة عملها والتنسيق فيما بينها لتحقيق الأهداف العامة.

ولمواجهة هذه التحديات، ترى المنظمات أنه يجب توحيد جهود المنظمات العاملة كلّها في مجال إشراك الشباب وبناء السلام، وأن تجتمع تحت مكوّن واحد يضع قواعد وأُطرًا عامّة تعمل على أساسها المنظمات ويساعدها في التنسيق وتقسيم الأدوار، وأن تكون هناك عملية تقييم وتعديل مستمرة على البرامج. وقد ورد في إحدى المقابلات ما يلي: "لا يجب أن تقاس مخرجات هذه المشاريع كما يجري قياس مشاريع توزيع المساعدات أو مشاريع الإغاثة، فمشاريع تمكين الشباب يجب أن تخضع لمتابعة وتقييم مستمرين. فإذا حدث اختلال في البرنامج أو طارئ، فإنّ الاستجابة له تكون سريعة"[71]. وتشير إحدى المنظمات إلى ضرورة التنسيق بين المنظمات والجهات الأخرى، مثل المكونات السياسية والسلطة المحلية، في تحديد طبيعة البرامج وكيف أنه يمكن التشارك في تنفيذها، فضلًا عن ضرورة إنشاء مراصد شبابية تقدّم رصدًا لمختلف النزاعات والقضايا من منظور شبابي؛ ومن ثم تقديم هذه المعلومات إلى الفاعلين في المسار الأول، وتقديمها أيضًا إلى الأمم المتحدة. وتكمن أهمية هذه الجزئية في أن أصوات الشباب لا تصل إلى صناع القرار والأطراف الرئيسة في عملية بناء السلام؛ ولذلك، فإن تفعيل هذه المراصد سيعمل على تكوين تصورات واضحة عن قدراتهم وما يمكنهم تقديمه.

خاتمة

سعت هذه الدراسة لفحص دور منظمات المجتمع المدني في دعم مشاركة الشباب في جهود بناء السلام في اليمن، مُركّزة على كيفية تأثير برامج المنظمات في طبيعة مشاركة الشباب. وقد أظهر التحليل أنّ لهذه المنظمات دورًا في تمكين الشباب ودعم مشاركتهم، لكن ذلك لا يُترجَم إلى مشاركة فعلية لهم في مفاوضات السلام أو صنع القرار. فقد أُتيحت لهم من خلال البرامج فرص المشاركة والوصول إلى مناصب وعلاقات متعددة، لكن تغيب عنهم المشاركة الحقيقية والمباشرة في عمليات بناء السلام. من ناحية أخرى، أكد التحليل أن منظمات المجتمع المدني تميز بين دورها ودور الأحزاب السياسية؛ فهي تركز على التمكين وبناء المهارات والمطالبة بإشراك الشباب سياسيًا، لكنها لا تتحمل مسؤولية ضمان مشاركتهم السياسية الفعلية. وقد ظهرت الثقة بين الشباب والمنظمات في الدراسة بوصفها تحديًا رئيسًا، إذ يرى الشباب أن معظم البرامج شكلية وأنها لا تساهم في تحقيق نتائج ملموسة. وقد انعكس ذلك في قناعاتهم بأن المنظمات تركز على التدريب والتأهيل دون السعي الجاد لإشراكهم فعليًا. وبينت الدراسة أن المنظمات جهات تسعى لتمكين الشباب في المجتمع المدني أساسًا، وليس بالضرورة في العمل السياسي أو بناء السلام؛ وأنها تحاول التكيف مع الظروف السياسية والبيئية في اليمن، وتعيد توجيه برامجها تبعًا لذلك.

وكشف التحليل عن أن المشاركين في البرامج ينقسمون إلى فئتين: فئة تسعى للمشاركة السياسية على نحو أساسي، وترى في البرامج وسيلة للضغط على الأحزاب والسياسيين لإشراكهم. وفئة تهدف إلى الاستفادة من البرامج لتعزيز مهاراتهم والوصول إلى فرص العمل في المجتمع المدني. فالشباب في هذه البرامج يتمكنون من بناء شبكات علاقات والوصول إلى جهات دولية؛ ما يجعل المنظمات حلقة وصل بينهم وبين فرص لا يستطيعون الوصول إليها بمفردهم. أخيرًا، يبرز التمويل بوصفه عاملًا حاسمًا في توجيه برامج منظمات المجتمع المدني؛ إذ تعتمد المنظمات على التمويل الخارجي وتوجهاته المتغيرة التي تحدّد أولويات المنظمات في البرامج التي يمكنها العمل عليها. ومع تقلب أولويات المانحين، تتكيف المنظمات لتبقى قادرة على العمل.

70 مقابلة مع شاب #7.

71 مقابلة مع منظمة مجتمع مدني #3، 2024/12/23.

المراجع

العربية

الأغبري، علا. "المسار المفقود: إشراك الشباب اليمني في المسار الأول من بناء السلام". **ورقة تحليلية.** منصة شباب لبناء السلام (2021). في: https://acr.ps/1L9F2P0

البنك الدولي. **منظمات المجتمع المدني باليمن في مرحلة التحول.** واشنطن: 2013.

الصلاحي، فؤاد عبد الجليل. **الدولة والمجتمع المدني في اليمن: تحليل سوسيولوجي لأنماط العلاقات والتفاعلات في مرحلتي التشطير والوحدة.** تعز: مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان، 2001.

"مبادرة من الأمم المتحدة لإبرام هدنة مدتها شهران". مكتب المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة لليمن. 2022/4/2. في: https://tinyurl.com/e6snbjev

الأجنبية

Aall, Pamela. "NGOs, Conflict Management and Peacekeeping." *International Peacekeeping*. vol. 7, no. 1 (2000).

Al-Jeddawy, Yazeed. "The Impact of the Yemen War on the Priorities and Needs of Youth." Sana'a Center for Strategic Studies. 2022.

Al-Kholidy, Maged, Yazeed Al-Jeddawy & Kate Nevens. "The Role of Youth in Peacebuilding in Yemen." Centre for Applied Research in Partnership with the Orient, *CARPO Brief*. no. 17. 2020.

Altiok, Ali & Irena Grizelj. "We Are Here: An Integrated Approach to Youth-Inclusive Peace Processes." Background Paper for the First International Symposium on Youth Participation in Peace Processes. Helsinki, 5–6 March 2019. United Nations Office of the Secretary-General's Envoy on Youth, 2019.

Barnes, Catherine. "Civil Society and Peacebuilding: Mapping Functions in Working for Peace." *The International Spectator*. vol. 44, no. 1 (2009).

Clarke, Gerard. "Non-Governmental Organizations (NGOs) and Politics in the Developing World." *Political Studies*. vol. 46, no. 1 (1998).

Del Felice, Celina & Andria Wisler. "The Unexplored Power and Potential of Youth as Peace-Builders." *Journal of Peace, Conflict & Development*. no. 11 (November 2007).

Doug Magnuson & Michael Baizerman (eds). *Work with Youth in Divided and Contested Societies*. Leiden: Brill, 2007.

Drummond-Mundal, Lori & Guy Cave. "Young Peacebuilders: Exploring Youth Engagement with Conflict and Social Change." *Journal of Peacebuilding & Development*. vol. 3, no. 3 (2007).

Farthing, Rys. "The Politics of Youthful Antipolitics: Representing the 'Issue' of Youth Participation in Politics." *Journal of Youth Studies*. no. 2 (2010).

Fisher, Simon & Lada Zimina. "Just Wasting Our Time? Provocative Thoughts for Peacebuilders." Berlin: Berghof Research Center for Constructive Conflict Management. 2009.

Hart, Jason et al. *Children Changing Their World: Understanding and Evaluating Children's Participation in Development*. London: Plan UK/ Plan International, 2004.

Lahrach, Saddik. "Constitutional Guidelines on Youth in Yemen as per NDC Outcomes Document." Women and Youth Forum - Office of the Special Advisor to the Secretary. 2014.

Lederach, John Paul. *Sustainable Reconciliation in Divided Societies*. Washington, DC: United States Institute of Peace, 1997.

Magill, Clare & Brandon Hamber. "If They Don't Start Listening to Us, the Future is Going to Look the Same as the Past: Young People and Reconciliation

Paris: United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, 2022.

Weiss, Julia. "What Is Youth Political Participation? Literature Review on Youth Political Participation and Political Attitudes." *Frontiers in Political Science*. vol. 2 (2020).

World Bank. *Yemen Civil Society Organizations in Transition: A Mapping and Capacity Assessment of Development-Oriented Civil Society Organizations in Five Governorates*. Washington, DC: 2013/ 2014.

Zartman, Jonathan. "Negotiation, Exclusion and Durable Peace: Dialogue and Peacebuilding in Tajikistan." *International Negotiation*. vol. 13, no. 1 (2008).

in Northern Ireland and Bosnia and Herzegovina." *Youth & Society*. vol. 43, no. 2 (2011).

McEvoy-Levy, Siobhán. "Youth as Social and Political Agents: Issues in Post-Settlement Peace Building." Kroc Institute Occasional Paper. no. 21. Joan B. Kroc Institute for International Peace Studies. 2001.

McIntyre, Angela & Thokozani Thusi. "Children and Youth in Sierra Leone's Peace-Building Process." *African Security Studies*. vol. 12, no. 2 (2003).

Norris, Pippa. "Young People and Political Activism." Harvard University, John F. Kennedy School of Government, 2004.

Obaje, Timothy Aduojo & Nwabufo Okeke-Uzodike. "The Question of Youth Participation in Peacebuilding Processes in Jos, Plateau State, Nigeria." Accord -The African Center for Constructive Resolution of Disputes. *Conference Paper*. no. 2. 2013.

Office of the Special Envoy of the Secretary-General for Yemen, OSESGY. "A Year after the Stockholm Agreement: Where are We Now?" 2019.

Paffenholz, Thania. "Civil Society and Peace Negotiations: Beyond the Inclusion–Exclusion Dichotomy." *Negotiation Journal*. vol. 30, no. 1 (2014).

Qassim, Abdulkarim et al. "The Role of Civil Society in Peacebuilding in Yemen." Centre for Applied Research and Partnership with the Orient. *CARPO Brief*. no. 18. 2020.

Quintelier, Ellen. "Differences in Political Participation Between Young and Old People." *Contemporary Politics*. vol. 13, no. 2 (2007).

Sharp, Jeremy M. *Yemen: Civil War and Regional Intervention*. Congressional Research Service Report no. R43960. Washington, DC, 23 November 2021.

UNESCO. *Empowering Yemeni Youth towards Peace: Ensuring Access to Information and Participation*.

الملاحق

الجدول (1)

منظمات المجتمع المدني التي جرت مقابلتها

رمز المقابلة	الجنس	تاريخ المقابلة	طبيعة الجهة	المنطقة
منظمات المجتمع المدني # 1	ذكر	17 كانون الأول/ ديسمبر 2023	منظمة محلية	الجنوب
منظمات المجتمع المدني # 2	أنثى	18 كانون الأول/ ديسمبر 2023	منظمة دولية	الشمال + الجنوب
منظمات المجتمع المدني # 3	أنثى	23 كانون الأول/ ديسمبر 2023	مؤسسة محلية	الجنوب
منظمات المجتمع المدني # 4	ذكر	31 كانون الأول/ ديسمبر 2023	مؤسسة محلية	الجنوب
منظمات المجتمع المدني # 5	أنثى	7 كانون الثاني/ يناير 2024	مركز بحثي	الشمال + الجنوب
منظمات المجتمع المدني # 6	ذكر	6 كانون الثاني/ يناير 2024	تكتل شبابي	الشمال + الجنوب

الجدول (2)

الشباب الذين جرت مقابلتهم

رمز المقابلة	الجنس	العمر	المستوى التعليمي	تاريخ المقابلة	تاريخ بدء المشاركة في البرامج	المنطقة
شباب # 1	ذكر	27	دراسات عليا	26 كانون الأول/ ديسمبر 2023	2013	الجنوب
شباب # 2	أنثى	23	جامعي	4 كانون الثاني/ يناير 2024	2021	الجنوب
شباب # 3	ذكر	29	دراسات عليا	23 كانون الأول/ ديسمبر 2023	2012	الجنوب
شباب # 4	أنثى	26	جامعي	3 كانون الثاني/ يناير 2024	2015	الجنوب
شباب # 5	ذكر	25	جامعي	27 كانون الأول/ ديسمبر 2023	2017	الشمال
شباب # 6	ذكر	30	جامعي	13 كانون الثاني/ يناير 2024	2012	الشمال
شباب # 7	ذكر	25	جامعي	27 كانون الثاني/ يناير 2024	2017	الجنوب
شباب # 8	أنثى	29	جامعي	28 كانون الثاني/ يناير 2024	2021	الشمال

دراسة مترجمة

Translation

المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/WDCF9233

يوريس غورت | Joris Gort*
أليكس لوفتوس | Alex Loftus**
ترجمة سجى طرمان | Translated by Saja Torman***

نحو إيكولوجيا سياسية حضرية للشعبوية****

An Urban Political Ecology of Populism

نُطوّر في هذه الدراسة فهمًا علائقيًا للشعبوية، مستنيرًا بحقل الإيكولوجيا السياسية الحضرية. ونُجادل بأن مقاربة الشعبوية من منظور الإيكولوجيا السياسية الحضرية ضرورية لصياغة تفنيد شعبي – ديمقراطي للادعاءات البيئية لليمين المتطرف. ومن ثم، تهدف الدراسة إلى مواصلة تطوير نقد للنزعة البيئوية الليبرالية، والشعبوية اليمينية. وللقيام بذلك، نعمد أولًا إلى فتح حوار بين الأدبيات في حقل الإيكولوجيا السياسية الحضرية والقراءات الغرامشية للشعبوية. فكلا الحقلين يسعى لتفسير الكيفية التي تُصبح فيها الادعاءات المكانية والبيئية مركزية في الصراعات على الهيمنة. ويحلل النصف الثاني من الدراسة هذه التوترات من خلال حركة المزارعين الهولنديين، التي غدت منذ عام 2019 واحدةً من أهم القوى السياسية في هولندا؛ إذ يُعدّ تجريد "المحلي" أو "الريفي" أو "المزرعة" من عمليات التوسع الحضري الأوسع نطاقًا أمرًا محوريًا في الصراعات على تمثيل المزارعين. وهكذا، تسعى الحركات اليمينية لتعميق الإحباط من السياسة الرسمية، مستفيدة من تجريدات مكانية وبيئية تضع "الريفي" في مواجهة "الحضري". ونختتم بتأكيد الروابط الجوهرية بين الشعبوية والإيكولوجيا، وندعو إلى إيكولوجيا سياسية شعبية – ديمقراطية.

كلمات مفتاحية: الشعبوية، الإيكولوجيا السياسية الحضرية، الهيمنة، الحركات اليمينية، حركة المزارعين الهولنديين.

In this paper we develop a relational understanding of populism informed by urban political ecology. We argue that an urban political ecology of populism is necessary for a popular-democratic denunciation of the environmental claims of the far right. This article thereby aims to further develop a critique of liberal environmentalism and right-wing populism. We do so by first staging a dialogue between literatures in urban political ecology and Gramscian inflected readings of populism. Both have sought to interpret how spatial – and ecological – claim making becomes central to struggles over hegemony. The second half of the paper analyses these tensions in the Dutch farmers movement, which has become one of the most important political forces in the Netherlands since 2019. Abstracting "the local", "the rural" or "the farm" out of the broader processes of urbanisation is central to struggles over the representation of farmers. Right-wing movements thus seek to further a broader disillusionment with formal politics, while effectively deploying spatial and ecological abstractions that pit the "rural" against the "urban". We conclude by instead emphasising the crucial connections between populism and ecology, and call for a popular-democratic political ecology.

Keywords: Populism, Urban Political Ecology, Hegemony, Right-Wing Movements, Dutch farmers' Movement.

* قسم الجغرافيا، كلية كينغز لندن.
Department of Geography, King's College London.
E-mail: joris.gort@kcl.ac.uk

** قسم الجغرافيا، كلية كينغز لندن.
Department of Geography, King's College London.
E-mail: alex.loftus@kcl.ac.uk

*** باحثة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
Researcher, Arab Center for Research and Policy Studies.
Email: saja.torman@dohainstitute.edu.qa

**** هذه ترجمة لـ:
Joris Gort & Alex Loftus, "An Urban Political Ecology of Populism," *Political Geography*, vol. 113 (August 2024).

مقدمة

قاد المزارعون الهولنديون، في خريف 2019، جراراتهم نحو لاهاي؛ ما أدى إلى عرقلة حركة المرور في ساعة الذروة، وشلّ أجزاء واسعة من البلاد. وشهدت بلدانٌ في شمال العالم وجنوبه احتجاجات مشابهة باستخدام الجرّارات، حتى إنّ البعض رأى فيها رمزًا جوهريًا لهذه اللحظة الشعبوية[1]. وجاء الاحتجاج موجّهًا ضد استجابة الحكومة لتشريعات الاتحاد الأوروبي بشأن انبعاثات النيتروجين، التي كان من شأن تطبيقها أن يفضي إلى إغلاق مزارع كبرى تقع في محاذاة المناطق المحمية. وفي الوقت ذاته، استغل المزارعون أيضًا سخطًا اجتماعيًا أوسع انتشارًا، وضع "الشعب" في مواجهة "كتلة السلطة". ووفقًا لإرنستو لاكلاو[2]، فإن هذه الخصومة الجوهرية – المعبَّر عنها من خلال سياسة طبقية – هي ما يمنح الشعبوية شكلها البنيوي الذي يميزها. وفي السياق الهولندي، تضخَّم هذا الشكل البنيوي الشعبوي بفعل حدّة التمايزات المكانية والبيئية التي تضع "الريفي" في مواجهة "الحضري"، و"الطبيعة" في مواجهة "الشعب". وفيما يلي، نجادل بأن تحليل الشروط التي أفضت إلى نشوء حركة المزارعين الهولنديين يمكن تعميقه من خلال الربط بين الأدبيات المتعلقة بالإيكولوجيا السياسية (الحضرية) وتلك المتصلة بالشعبويات اليمينية[3].

شكّلت احتجاجات عام 2019 نقطة تحوّل حاسمة في مسار السياسة الهولندية لاحقًا، ولم يقتصر أثرها على الداخل، بل امتدّ ليترك صدى عالميًا أيضًا. ومع استئناف الاحتجاجات في حزيران/ يونيو 2022، أقدم المنظّمون على إغلاق الطرق ومحطات القطارات والمطارات، ونجحوا في توسيع قاعدة الدعم الشعبي لقضية المزارعين. وتجلّى التحوّل الأبرز في آذار/ مارس 2023، حين نجحت حركة "بي بي بي" BoerBurgerBeweging, BBB، أي "حركة المزارع - المواطن"، في الفوز في الانتخابات؛ إذ حصدت أكبر عدد من المقاعد في الانتخابات الإقليمية لتغدو الحزب الأقوى في جميع المقاطعات الهولندية الاثنتي عشرة. ومن ثمّ، كان للصراعات التي فجّرتها تلك الاحتجاجات أثر مباشر في تشكيل مسار الانتخابات البرلمانية الأخيرة، التي عُدّت على نطاق واسع انتصارًا كاسحًا لحزب اليمين المتطرف بزعامة هيرت فيلدرز Geert Wilders.

وعلى الرغم من أنّ حركة بي بي بي تُقدّم نفسها بوصفها ممثّلةً لـ "المزارعين الهولنديين"، فإنها ليست ظاهرة معزولة. ويمكن فهم صعودها ضمن إطار أوسع، تتنافس فيه قوى فاعلة متعارضة أحيانًا على تحديد التوجه السياسي والاقتصادي للزراعة، كما بيّن يان دوي فان دير بلوخ في السياق الهولندي[4]. وسعت حركات اليمين المتطرف لاستثمار صراعات محلية متفرقة في مواقع مختلفة. ونجادل، امتدادًا لحجّة فان دير بلوخ[5]، بأنّ احتجاجات هولندا تمثّل استمرارًا لأنماط من الفعل والاحتجاج انتشرت في سياقات عالمية متباينة، حيث يُولّد التوتر بين تكثيف الإنتاج الزراعي والتنظيم البيئي تناقضاتٍ جديدةً. وسيسهم مسار تطور هذه الصراعات، وإمكانية تعميق اليمين المتطرف استثماره فيها، في تشكيل المشهد السياسيّ في سياقات أخرى عديدة. ومن خلال تجاوز التقابلات الصارمة بين المدينة والريف والمركز والهامش، توظّف دراستنا إطارًا تقاطعيًا ذا أفق عالمي، يستند إلى أدبيات الإيكولوجيا السياسية للشعبوية السلطوية، وخاصة إسهامات الإيكولوجيا السياسية الحضرية التي تركّز على عمليات التمدّن الموسَّع.

من الضروري، كما جادلت جيليان هارت[6]، أن يُركز هذا النوع من التحليل الظرفي Conjunctural Analysis "لا على صعود التيارات اليمينية فحسب، بل على حدود الليبرالية وتناقضاتها أيضًا". ومن هذا المنطلق، نُسلّط الضوء على سلسلة من الأخطاء التي ارتكبتها حكومة ائتلاف يمين الوسط بقيادة مارك روته Mark Rutte في هولندا. وكما أوضح بول توليس[7]، تقدّم هذه الأخطاء الاستراتيجية درسًا مهمًا للحركات البيئية في أنحاء أوروبا كافة. وتُبرز مساهمتنا أهمية النقد الاجتماعي - الإيكولوجي، الذي طُوِّر من خلال حوار بين الإيكولوجيا السياسية Political Ecology والقراءات الغرامشية للشعبوية؛ إذ يوضح هذا النقد كيفية توظيف اليمين تجريدات

1 Jan Douwe van der Ploeg, "Farmers' Upheaval, Climate Crisis and Populism," *Journal of Peasant Studies*, vol. 47, no. 3 (2020), pp. 589-605; Nicholas Vinocur & Barbara Brzeziński, "How the Far Right Aims to Ride Farmers' Outrage to Power in Europe," *Politico*, 26/1/2024, accessed on 2/5/2024, at: https://acr.ps/1L9BPMA

2 Ernesto Laclau, "Towards a Theory of Populism," in: *Politics and Ideology in Marxist Theory: Capitalism, Fascism, Populism* (London: Verso, 1977), pp. 143-198.

3 Ed Atkins & Filippo Menga, "Populist Ecologies," *Area*, vol. 54, no. 2 (2022), pp. 224-232; Filippo Menga, "Virtual Forum Introduction: Populist Ecologies: Nature, Nationalism, and Authoritarianism," *Political Geography*, vol. 94 (2022); Kishore K. Saguin, "Urban Populist Ecologies and Duterte's Politics of Discipline in Manila's Dolomite Beach," *Political Geography*, vol. 95 (2022).

4 Jan Douwe van der Ploeg, *Gesloten Vanwege Stikstof: Achtergronden, Uitwegen en Lessen* (Nordbroek/ Amersfoort: Uitgeverij Noordboek, 2023).

5 Jan Douwe van der Ploeg et al., *Wat Smyt it op: Een Verkennende Analyse van Bedrijfseconomische en Landbouwkundige Gegevens van VEL & VANLA-bedrijven* (Wageningen/ Drachten: Wageningen UR/NLTO-projecten, 2003).

6 Gillian Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis: 'Seeing the Present Differently' through Global Lenses," *Antipode*, vol. 56, no. 1 (2024), pp. 135-164.

7 Paul Tullis, "Nitrogen Wars: The Dutch Farmers' Revolt that Turned a Nation Upside-Down," *The Guardian*, 16/11/2023, accessed on 13/12/2023, at: https://acr.ps/1L9BP65

مكانية وبيئية زائفة، وفي الوقت نفسه يكشف حدود النزعات البيئوية التكنوقراطية Technocratic Environmentalisms. وحتى نتجاوز، من الناحية المنهجية، المقاربات القومية (أو المدِينَوية Cityist) في التركيز الحصري على المدن عند دراسة "الطبيعة"، لا بد من الانطلاق من العلاقات الاجتماعية - البيئية والمجالات التي نشأت وتراكمت من خلالها الصراعات اليمينية المعادية للبيئة. وعلى هذا النحو، نسعى للإسهام في "صياغة جديدة لأدبيات الإيكولوجيا السياسية الحضرية"[8] تكون قادرة على مواجهة هذه الأزمنة العصيبة، وواعية بمخاطر الشعبويات اليمينية، وبإخفاقات الليبرالية أيضًا، "في كل منعطف من منعطفات الرأسمالية"[9].

عند تطويرنا ما نسميه "الإيكولوجيا السياسية الحضرية للشعبوية" Urban Political Ecology of Populism، نحدد أربعة خيوط أساسية تتقاطع مع الصراع في هولندا، وتمتدّ مكانيًا إلى مواقع جغرافية أخرى. أولًا، استغل الشعبويون اليمينيون إخفاقات "النزعة البيئوية التكنوقراطية" Technocratic Environmentalism؛ فبدلًا من أن تتبلور استجابة بيئية ضمن مشروع سياسي شعبي - ديمقراطي Popular-Democratic Political Project، اتجه بعض الفاعلين المركزيين في الحركة البيئية إلى مسارٍ قضائي يُقدَّم بسهولة بوصفه تكنوقراطيًا، أو مظهرًا آخر من مظاهر منح "الطبيعة" أولويةً على "الشعب". ثانيًا، وارتباطًا بما سبق، سارع الشعبويون اليمينيون إلى توظيف سياقات مكانية وزمانية، سواء أكانت واقعية أم متخيَّلة، عبر بناء مخيال مكاني Spatial Imaginary قوي يقابل "الريف" بـ "مراكز الحكم الحضرية". وتتغاضى هذه المخاييل Imaginaries الإيكولوجية، تكتيكيًا، عن تشابكات الريفي بالحضري في إطار التوسع الحضري الممتد Extended Urbanization والزراعة الرأسمالية Capitalist Agriculture التي قام عليها النموذج الاقتصادي الهولندي[10]. وتُعدّ هذه العلاقات معقدة؛ إذ يمكن تفسير جانب من الدعم الواسع لحزب حركة بي بي بي في المناطق الحضرية بوصفه شكلًا من الحنين إلى ماضٍ ريفيٍ مفقود[11]. ثالثًا، أخذ الخلاف حول سياسة الحكومة الهولندية بشأن انبعاثات النيتروجين يتبلور في ميدان الأيديولوجيا، متخذًا طابعًا أيديولوجيًا متناميًا. فقد اتخذ الخطاب المعادي للبيئة منحى قاتمًا، متداخلًا مع سرديات معاداة السامية وكراهية الأجانب والمهاجرين، ولا سيما في خطابات برلمانيين مثل تييري بوديه Thierry Baudet[12]. وأخيرًا، لا يمكن فهم حركة المزارعين الهولنديين بمعزل عن صلاتها الوثيقة بالحركات العالمية اليمينية المتطرفة والمعادية للبيئة. ففي حين تسعى هذه الحركات، في أنحاء العالم، لاستثمار التجربة الهولندية على نحوٍ متزايد، تكشف تطوراتها عن تناقضات أوسع بين السرديات اليمينية المعادية للبيئة والحنين إلى الريف[13]. ومن المرجّح أن تتصاعد مثل هذه الصراعات في السنوات المقبلة، مع شروع دول أخرى في معالجة الأزمات الأيضية Metabolic[14] المرتبطة بالزراعة المكثفة Intensive Farming.

نبدأ بتوضيح تصورنا للشعبوية، مستندين إلى كتابات الجغرافيين السياسيين والإيكولوجيين السياسيين، ومساهمات أنطونيو غرامشي، وكتابات ستيوارت هول ولاكلاو. ثم نقدّم قراءتنا للإيكولوجيا السياسية، مع التركيز على المساهمات الحديثة في الإيكولوجيا السياسية الحضرية Urban Political Ecology. ومن خلال ذلك، نؤكد التفسير العلائقي للتوسع الحضري، بوصفه شرطًا ضروريًا إذا أرادت الإيكولوجيا السياسية - كما يفترض ماثيو غاندي – أن تَحول دون مزيد من التهميش في النقاشات العالمية حول الحوكمة البيئية[15]. وفي الجزء الأخير، نركز على حركة المزارعين الهولنديين، مع إعادة تفسير هذا التدفق الغاضب في سياق العلاقات الريفية - الحضرية الخاصة بهولندا. ونختتم بالعودة إلى الخيوط الأربعة المقترحة سابقًا، مؤطرين إياها بطريقة إيجابية تفتح أفق الانتقال نحو تطوير إيكولوجيا سياسية **شعبية** *Popular* بدلًا من **شعبوية** *Populist*. وعلى حد تعبير مايكل إيكرز وزميليه[16]، في مواجهة "المشاريع السياسية الشعبوية [التي] تُعامل الشعب بوصفه تجريدًا مبهمًا موحَّدًا، على نحو مصطنع، سواء من الأعلى أو من الخارج، تتعامل الاتجاهات الديمقراطية - الشعبية

8 Matthew Gandy, "Urban Political Ecology: A Critical Reconfiguration," *Progress in Human Geography*, vol. 46, no. 1 (2022), p. 35.

9 Cindi Katz, "Revisiting Minor Theory," *Environment and Planning D: Society and Space*, vol. 35, no. 4 (2017), p. 599.

10 Pepijn Brandon, "Marxism and the 'Dutch Miracle': The Dutch Republic and the Transition-Debate," *Historical Materialism*, vol. 19, no. 3 (2011), pp. 106-146; Ploeg, "Farmers' Upheaval, Climate Crisis and Populism," pp. 589-605.

11 للاطلاع على هذه الحجة، ينظر:
Paul Tullis, "Nitrogen Wars: The Dutch Farmers' Revolt that Turned a Nation Upside-Down," *The Guardian*, 16/11/2023, accessed on 13/12/2023, at: https://acr.ps/1L9BP65

12 Dion Mebius, "Baudet in Verlegenheid na Uitgelekte Racistische Apps," *De Volkskrant*, 9/9/2021, accessed on 12/9/2023, at: https://acr.ps/1L9BP0X

13 Filippo Menga, "Virtual Forum Introduction: Populist Ecologies: Nature, Nationalism, and Authoritarianism," *Political Geography*, vol. 94 (2022).

14 يشير مصطلح الأزمة الأيضية في الأدبيات الإيكولوجية الماركسية، والماركسية عمومًا، إلى مشكلة الاختلال التي يُحدثها نمط الإنتاج الرأسمالي، ومنه الزراعة المكثفة، في التوازن بين النشاط البشري والطبيعة. وقد نظَّر ماركس لهذه الأزمة في كتابه **رأس المال**. (المترجمة)

15 Matthew Gandy, "Urban Political Ecology: A Critical Reconfiguration," *Progress in Human Geography*, vol. 46, no. 1 (2022), pp. 21-43.

16 Michael Ekers, Stefan Kipfer & Alex Loftus, "On Articulation, Translation and Populism: Gillian Hart's Postcolonial Marxism," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 110, no. 5 (2020), p. 1588.

مع الشعب بوصفه نتاجًا، دائم التمايز وغير مكتمل التكوين، لمشاريع سياسية تنبثق من أرضيات مهمشة". وبناءً على ذلك، نقترح أن هذه الاحتجاجات تتيح فرصة للنظر في إمكانية مشروع سياسي أكثر تقدّمية (حتى لو كانت بعيدة).

أولًا: الشعبوية بوصفها ظاهرة ظرفية

نستخدم مصطلح الشعبوية، في هذه الدراسة، بحذر شديد. وكما يلاحظ إيكرز وزميلاه[17]، تُعدّ الشعبوية "من أشد المصطلحات التباسًا في التحليل السياسي"؛ إذ يمكن أن يشير إلى أيديولوجيا، أو شكل سياسي، أو نظامِ عمل دولةٍ، وغير ذلك. وخلال السنوات الأخيرة، استُخدم المصطلح للدلالة على ما يبدو أنه دعم شعبي لعدد من الحركات القومية اليمينية التي حققت قدرًا من النجاح الانتخابي. وقد جاءت هذه النجاحات عبر تحالفات جديدة ضمّت مصالح طبقية متنوّعة. وقد تأثر فهمنا للشعبوية إلى حدّ بعيد في ضوء القراءات الغرامشية[18]، وهي قراءات استلهمت، بدرجات متفاوتة، أعمال لاكلاو المبكرة[19]، واستندت على نحو أعمق إلى مساهمات هول على وجه الخصوص[20].

تزايدت الكتابات الجغرافية حول الشعبوية منذ دعوة كريستوفر ليزوت[21] إلى إعادة تركيز الجغرافيا السياسية على هذه الظاهرة. وغالبًا ما كانت المرجعيات في ذلك هي نفسها التي ذكرناها سابقًا؛ إذ يَبرز فيها هول وغرامشي وهارت، في حين يظل لاكلاو (غالبًا مقرونًا بشانتال موف) حاضرًا في معظمها حضورًا شبه كلي. غير أنّ هذا الاشتراك في المرجعيات يخفي، في الواقع، مقاربات متباينة جذريًا في فهم الشعبوية. ويقدّم كاي بوسورث[22] تمييزًا مفيدًا بين التفسيرات الشكلانية Formalist والتاريخانية Historicist للشعبوية. تجسدت الأولى في أعمال لاكلاو المبكرة[23]، ثم جرى تطويرها بطرائق مغايرة في كتاباته اللاحقة وفي مجموعة من التحليلات ما بعد التأسيسية Post-foundationalist الأخرى. أمّا المقاربات التاريخانية، فيرى بوسورث أنها تأثرت بالفهوم المتجذرة التي قدّمها هول وغرامشي للظواهر الاجتماعية. وانطلاقًا من هذا التمييز، يسعى[24] لبناء تفسير دقيق يتحرك بين هذين التصورين، ويضيف "إلى التحديدات العديدة"[25] بين الشكلي والمادي" منظورًا يستند إلى "التقليد الأدائي - الوجداني" The Performative-Affective Tradition. وبناءً على ذلك، تُقدّم قراءته[26] لمسيرة المناخ الشعبية People's Climate March، بوصفها "نوعًا سياسيًا"، إعادة تفسير متأنية للعلاقة بين الإيكولوجيا السياسية والشعبوية، وتُظهر على نحو مقنع السبب الذي يجعل من الممكن النظر إلى الشعبوية بوصفها "أسلوبًا أدائيًا للسياسة" Performative Style of Politics.

ومع ذلك، تعدّ التفسيرات الأخرى ذات المنحى "الأدائي - الوجداني" Performative-Affective أقل إقناعًا؛ إذ تقع أحيانًا في فخ الاختزال الذي يُحذّر منه بوسورث. وفي هذا السياق، يقدّم بِين أندرسون وآنا سيكور[27] طرحًا يبدو مبالغًا فيه إلى حدّ ما؛ إذ يزعمان أنّه "لا يوجد خطاب عن الشعبوية إلا وهو دائمًا وبحق خطاب عن الوجدان". وفي حين تُصوّر سرديات سائدة عديدة هذه اللحظة الشعبوية بوصفها "عصر غضب" Age of Anger[28]، أو تصوّرها من خلال سجل عاطفي Emotional Register طاغٍ، فإن هنالك مقاربات أخرى تنظر إليها بوصفها شكلًا بنيويًا[29]، أو أنها ناشئة من ميدانِ أيديولوجيا[30]، أو هي حركة مُعبَّر عنها من خلال

17 Ibid., p. 1585.

18 Gillian Hart, "Resurgent Nationalisms and Populist Politics in the Neoliberal Age," *Geografiska Annaler: Series B, Human Geography*, vol. 102, no. 3 (2020), pp. 233-238; Stefan Kipfer & Mustafa Dikeç, "Peripheries against Peripheries? Against Spatial Reification," in: *(Re)Building the Global Periphery One Large-Scale Housing Project at a Time*, K. M. Güney, Roger Keil & M. Üçoğlu (eds.) (Toronto: University of Toronto Press, 2019), pp. 142-164; Stefan Kipfer & Parastou Saberi, "The Times and Spaces of Right Populism: From Paris to Toronto," *Socialist Register*, vol. 52 (2015).

19 Laclau, pp. 143-198.

20 Stuart Hall, "The Great Moving Right Show," *Marxism Today* (January 1979), pp. 14-20; Stuart Hall, "Authoritarian Populism: A Reply," *New Left Review*, vol. 1, no. 151 (1985), pp. 115-124.

21 Christopher Lizotte, "Where are the People? Refocusing Political Geography on Populism," *Political Geography*, vol. 71 (May 2019), pp. 139-141.

22 Kai Bosworth, "The People's Climate March: Environmental Populism as Political Genre," *Political Geography*, vol. 83 (2020).

23 Erik Kojola, "Bringing Back the Mines and a Way of Life: Populism and the Politics of Extraction," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 109, no. 2 (2019), pp. 371-381; Laclau, pp. 143-198.

24 Bosworth.

25 Stuart Hall, "Marx's Notes on Method: A Reading of the 1857 Introduction," *Cultural Studies*, vol. 17, no. 2 (2003), pp. 113-149.

26 Bosworth, p. 3.

27 Ben Anderson & Anna Secor, "Propositions on Right-Wing Populism: Available, Excessive, Optimistic," *Political Geography*, vol. 96 (2022), p. 1.

28 Pankaj Mishra, *Age of Anger: A History of the Present* (London: Allen Lane, 2017).

29 Laclau, pp. 143-198.

30 Hall, pp. 14-20.

ظروف تاريخية وجغرافية مميّزة[31]. ويبدو أن تفسير أندرسون وسيكور[32] مستوحى إلى حد بعيد من كتاب لاكلاو، **العقل الشعبوي** *Populist Reason*[33]، الذي يبتعد بوضوح عن الشروط المادية للصراع الطبقي ليؤكد النشأة العاطفية للشعبوية.

نأى لاكلاو، كما تُبيّن هـارت[34]، بنفسه عمّا يراه آخر بقايا النزعة الجوهرانية في الفكر الماركسي، وذلك باللجوء إلى نظرية التحليل النفسي Psychoanalytical Theory (من خلال جوان كوبجيك Joan Copjec). غير أنّ موقف لاكلاو ينتهي، للمفارقة، إلى تأكيد "انقسام بين أولئك الذين يدركون أن أيّ اكتمال للمجتمع ليس سوى أسطورة محضة، و'الشعب' المتخيَّل الذي يطلق التحدي الشعبوي"[35]. ونجد صياغة قريبة من ذلك لدى لويس ألتوسير[36] الذي يرفض أيّ تصور للأيديولوجيا بوصفها "وعيًا زائفًا". فالأيديولوجيا تُفَسَّر، حينئذ، عبر "الدافع اللاواعي"، مع استناد ألتوسير إلى جاك لاكان Jacques Lacan. ومع ذلك، كما يُبيّن جان رهمان[37]، فإن هذا التأطير الألتوسيري، برفضه الوعي، يُفرغ التجربة المعيشة من مضمونها، ويقوّض العمليات المادية التي تتشكّل من خلالها الأيديولوجيات والمشاريع الشعبوية. ويمكن قول الشيء نفسه عن لاكلاو[38]، الأمر الذي يجعل بعض الكتابات الجغرافية المعاصرة حول الشعبوية موضع إشكال.

يظهر هذا التوتر، مثلما يبيّن بوسورث[39]، بين الأطر ما بعد البنيوية للشعبوية والمقاربات الأكثر مادية، بوضوح، في الأدبيات الجغرافية. وهكذا، تستند هاريه أوزان[40]، في البداية، إلى لاكلاو[41] لفهم "نمط محدد من التشكّل السياسي الذي يُكوِّن 'الشعب' ذاتًا جمعية". ومع ذلك، تضيف أن هذه الرؤية اللاكلاوية تحتاج إلى استكمال بتفسير هول[42] الأكثر غرامشية لـ "الصراع الهيمني" Hegemonic Struggle. ويستند دييغو أنـــدروتشي[43]، على نحو مشابه، إلى "منطق التركيب" عند لاكلاو[44]، مع إقراره بوجاهة الانتقادات التي تُشير إلى غياب الأسـاس الطبقي داخـل "الصراع الخطابي - البلاغي" Discursive-Rhetorical Struggle. ويجادل، في سعيه لفهم المسار الذي سلكته حكومة إيفو موراليس Evo Morales في بوليفيا في سنواتها الأخيرة، بأن "المشكلة لا تكمن في الشعبوية في حد ذاتها، بل تحديدًا في المشروع الطبقي الذي يُصاغ عبر الشعبوية ويُعاد إنتاجه من خلالها"[45]. وتتجاوز هذه الكتابات "افتراضات" أندرسون وسيكور الوجدانية[46]. وتزداد هذه المساهمات غنى حين تُدمَج برؤى الإيكولوجيا السياسية، كما توضّحه أبحاث بوسورث.

تتمثل إحدى نقاط القوة، في هذا التحوّل في الإيكولوجيا السياسية نحو دراسة الشعبوية، في تأكيد السياق المادي الذي تتشكّل ضمنه المشاريع الشعبوية. ويتجلى هذا التأكيد بوضوح في المجموعة البارزة التي نشرتها **حولية رابطة الجغرافيين الأميركيين** عام 2019؛ إذ يُؤطّر جيمس مكارثي[47] المجموعة بوصفها محاولة لتفسير العلاقات بين النيوليبرالية والشعبوية والحوكمة البيئية، ويظهر ذلك في الدراسات عن الشعبوية الاستخراجية Extractive Populism[48]، والسلطوية النيوليبرالية في لاوس[49]، واعـتماد حكومة الإكـوادور الشعبوية اليسارية على أسواق النفط العالمية[50]. واستنادًا إلى هذه المساهمات السابقة جزئيًا، ازدهرت الكتابات بشأن الشعبوية والإيكولوجيا؛ إذ طوّر الباحثون أدوات نقدية لفهم تزايد الشعبويات اليمينية

31 Kipfer & Saberi.

32 Anderson & Secor.

33 Ernesto Laclau, *On Populist Reason* (London: Verso, 2005).
[ينظر الترجمة العربية في: إرنستو لاكلاو، **العقل الشعبوي**، ترجمة خميسي بوغرارة (القاهرة: دار اسكرايب للنشر والتوزيع، 2024). (المترجمة)]

34 Gillian Hart, "Gramsci, Geography and the Languages of Populism," in: Michael Ekers et al. (eds.), *Gramsci: Space, Nature, Politics* (Oxford, UK: Wiley-Blackwell, 2013), pp. 301-320.

35 Ibid., p. 306.

36 Louis Althusser, "Ideology and Ideological State Apparatuses," in: *Lenin and Philosophy, and other Essays* (New York: Monthly Review Press, 1971).

37 Jan Rehmann, *Theories of Ideology: The Powers of Alienation and Subjection* (New York: Haymarket Books, 2013).

38 Laclau, *On Populist Reason*.

39 Kai Bosworth, "Populism and the Rise of the Far Right: Two Different Problems for Political Ecology," *Political Geography*, vol. 94 (2022).

40 Hayriye Özen, "Interpellating 'the People' against Environmentalists: The Authoritarian Populist Response to Environmental Mobilizations in Turkey," *Political Geography*, vol. 97 (2022).

41 Laclau, *On Populist Reason*, p. 2.

42 Stuart Hall, "Gramsci and Us," *Marxism Today* (June 1987), pp. 16-21.

43 Diego Andreucci, "Populism, Hegemony, and the Politics of Natural Resource Extraction in Evo Morales's Bolivia," *Antipode*, vol. 50, no. 4 (2018), pp. 825-845.

44 Laclau, *On Populist Reason*.

45 Andreucci, p. 839.

46 Anderson & Secor.

47 James McCarthy, "Authoritarianism, Populism, and the Environment: Comparative Experiences, Insights, and Perspectives," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 109, no. 2 (2019), pp. 301-313.

48 Kojola, pp. 371-381.

49 Miles Kenney-Lazar, "Neoliberalizing Authoritarian Environmental Governance in (Post) Socialist Laos," *Annals of the Association of American Geographersi*, vol. 109, no. 2 (2019), pp. 338-348.

50 Angus Lyall & Gabriela Valdivia, "The Speculative Petro-State: Volatile Oil Prices and Resource Populism in Ecuador," *Annals of the Association of American Geographersi*, vol. 109, no. 2 (2019), pp. 349-360.

المتطرفة، وكيفية تشكّلها اقترانًا بأجندات بيئية متناقضة. ويُبرز إد أتكينز وفيليبو مينغا[51] هذه التناقضات عبر حالتين مختلفتين نسبيًا: جايير بولسونارو Jair Bolsonaro في البرازيل، والتحالف المحيط بماتيو سالفيني Matteo Salvin وحزبه **لا ليغا** *La Lega* في إيطاليا. ففي حين تبنّى بولسونارو موقفًا عدائيًا يستخفّ بعلوم المناخ، سعى سالفيني لتوظيف الهواجس البيئية بوصفها "وعاءً" Container يمكن أن تُمرَّر عبره مواقف سياسية أخرى. وفي هذا الصدد، يُمثل المشروعان ما يُشير إليه مينغا[52] بـ "القوى المتناقضة التي تُحرك الإيكولوجيات الشعبوية اليمينية، والتوتر بين العداء للبيئة والرومانسية الريفية". وتسري توترات مماثلة في حركة اليمين المتطرف في ألمانيا[53]، وكذلك في الحالة الهولندية، كما سنبيّن لاحقًا.

يُضيف اهتمام الإيكولوجيا السياسية بـالشروط المادية طبقاتٍ جديدةً إلى تفسيرنا للشعبوية، ويرى بوسورث[54] أن هذا المسار يمكن أن يذهب إلى أبعد من ذلك. فهو يشير إلى أنّ

> المشكلة التي تطرحها الشـعبوية على الإيكولوجيا السياسية تتوقـف، إلى حـد مـا، على مدى اسـتعداد الباحـثين لتبنّي التزامات سياسية معيارية أكثر تحوّلًا وجذرية، مثل الاشتراكية. فمن دون تدخّلٍ نشط من هذا النوع يهدف إلى بناء الشعبي Construct the Popular، فإن اليسار يقيّد نفسه – بحسب كلمات هول اللاذعة – بـ "إجراء مواءمات تكتيكية براغماتية مع أكثر العناصر محافظةً وتقليديةً في الأخلاق الشعبية"[55].

ونجد، ضمن مبادرة السياسة الريفية الانعتاقية Emancipatory Rural Politics Initiative, ERPI، مثالًا بارزًا عن باحثين "مستعدّين لتبنّي التزامات سياسية معيارية أكثر تحوّلًا وجذرية"[56]. فمن خلال تطوير رؤى أممية Internationalist متجذّرة في حوارات مستمرة مع حركات محلية نابعة من سياقاتها، وعبر تنسيق العمل مع شبكات مثل **لا فيا كامبسينا** *La Via Campesina*[57]، سعت مبادرة السياسة الريفية الانعتاقية لبناء شكلٍ من الممارسة Praxis يمكنه "بناء الشعبي" بوصفه بديلًا من الشعبويات اليمينية. وإلى جانب ذلك، تنطلق هذه المبادرة من الانتباه إلى الظرف الشعبوي The Populist Conjuncture الراهن بوصفه إطارًا لفهم اللحظة الحالية والتعامل معها.

الظرف الشعبوي

انبثقت جهود هول بشأن مفهوم "بناء الشعبي" في إطار مساءلة إخفاق اليسار في فهم التاتشرية Thatcherism ومواجهتها في ثمانينيات القرن العشرين. غير أنّ تفسيره[58] لها ظلّ يتغذّى باستمرار ويتّسع بفعل نقاشات مؤثّرة جرت داخل الجنوب العالمي[59]. وفي الواقع، فإن فهمه لكيفية تقاطع الأيديولوجيات مع التناقض المتكرر بين "الشعب" و"كتلة السلطة" تأثر جزئيًا بتحليل لاكلاو[60] البنيوي للبيرونية Peronism في الأرجنتين. لكنّ هذا التأثير، كما بيّن إريني كارايانيدس[61] وهـارت[62]، كان معقدًا؛ إذ انطوى على حوار مع منظّري التنمية المتأثرين بألتوسير، ومع ناشطين مناهضين للأبارتهايد في المنفى، ومع باحثين سعوا لفهم صعود التاتشرية. وربما الأهم بالنسبة إلى تحليلنا أن هذا المزيج الغني من مفكّري الجنوب العالمي أتاح لهول قراءة جديدة لمفهوم "التركيب" Articulation؛ وهي قراءة استندت، بقوة، إلى غرامشي. وعلى حد تعبير كارايانيدس، "قرأ هول غرامشي بوصفه منظِّرًا للتخلف Underdevelopment، على نحوٍ يمكن مقارنته بالمفكرين الأنكلوكاريبيين ومفكّري جنوب أفريقيا وأميركا اللاتينية الذين كان يتحاور معهم في الفترة ذاتها". ونتج من ذلك تفسير جديد للتاتشرية بوصفها شكلًا من "التحديث الرجعي" Regressive Modernization[63].

---

51 Atkins & Menga, pp. 224-232; Bram Büscher & Robert Fletcher, "Towards Convivial Conservation," *Conservation and Society*, vol. 17, no. 3 (2019), pp. 283-296.

52 Filippo Menga, "Virtual Forum Introduction: Populist Ecologies: Nature, Nationalism, and Authoritarianism," *Political Geography*, vol. 94 (2022), p. 2.

53 Mirko Varco, "Volk Utopia: Racial Futures and Ecological Politics on the German Far Right," *Geoforum* (2023).

54 Bosworth, p. 2.

55 Stuart Hall, "Nicos Poulantzas: State Power, Socialism," *New Left Review*, vol. 1, no. 119 (1980), pp. 60-69.

56 ينظر:
Ian Scoones et al., (eds.), *Authoritarian Populism and the Rural World* (Abingdon/ New York: Routledge, 2021).

57 حركة عالمية، تأسست في عام 1993، تجمع ملايين الفلاحين والمزارعين، الذين لا يملكون أرضًا، والسكان الأصلانيين والرعاة والصيادين والمزارعين المهاجرين والمزارعين الصغار والنساء الريفيات وشباب الفلاحين من مختلف أنحاء العالم. وهي تدافع عن الزراعة المستدامة وتعدّها أساسًا لتحقيق السيادة الغذائية. (المترجمة)

58 Stuart Hall, *The Hard Road to Renewal: Thatcherism and the Crisis of the Left* (London: Verso, 1988).

59 Eirini Karayiannides, "Stuart Hall, Development Theory, and Thatcher's Britain," *Modern Intellectual History*, vol. 20, no. 4 (2023), pp. 1273-1296.

60 Laclau, "Towards a Theory of Populism," pp. 143-198.

61 Eirini Karayiannides, "Stuart Hall, Development Theory, and Thatcher's Britain," *Modern Intellectual History*, vol. 20, no. 4 (2023), pp. 1273-1296.

62 Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164.

63 Ibid.

وفي إطار هذا التفسير، يلتقط نقدُ هول[64] لـ "الشعبوية السلطوية"، بوصفها شكلًا من السياسة الهيمنية Hegemonic Politics، الكيفيةَ التي يجري بها استيعاب بعض المطالب الشعبية بالتزامن مع نزع التعبئة عن قطاعات شعبية أخرى على نحو متناقض. وكما يوضح هارت[65]، لم تتأثر مقاربة هول[66]، بعمق، بمفكري الجنوب العالمي فحسب، بل أيضًا، على نحو حاسم، بقراءته مقدّمةَ كارل ماركس لعام 1857 (الدفتر M) في **الغروندريسه** *Grundrisse*. فقد أعاد هول[67] بناء نقد ماركس للاقتصاد السياسي بعناية شديدة، متتبّعًا حركته من المجرّد إلى الملموس. وبالنسبة إلى هول، يختلف "الملموس" عن الواقع التجريبي البسيط؛ إذ يشير إلى تعدد التحديدات المتنوعة التي تُكوّن ذلك الواقع بوصفه وحدةً متمايزة[68]. ومن ثمّ، لا يُستبعد التجريد المفهومي Conceptual Abstraction البتة، بل يُعدّ ضروريًا لتعيين تلك التحديدات، بما يتيح إعادة بناء "الملموس" في عالم الفكر. وفي هذا السياق، يلاحظ جانماريا كولباني[69] أن هول قاوم مقاومة حثيثة استبدال التحليل الظرفي Conjunctural Analysis بالتجريد النظري.

وتعيد هارت[70]، في مواجهة الاستخدام الحاد لـ "التحليل الظرفي" بوصفه مصطلحًا عامًا يُختزل لتوصيف البحوث "السياقية" "Contextual" Research"، وضعَ مقاربة هول الشاملة – وعلى نحو حاسم تفسيره للشعبوية – ضمن إطار غرامشي. ثم تنطلق من هذا التأطير الغرامشي للتحليل الظرفي لتقديم قراءة للديناميات الزمنية - المكانية المتشابكة التي تميّز اللحظة السياسية الراهنة. وكما سنؤكد لاحقًا، يُعدّ التحليل الظرفي من النوع الذي تطوره هارت، بناءً على هول، أساسيًا لقراءتنا الإيكولوجيا السياسية (الحضرية)، لأنه يتيح تحليلًا دقيقًا للأصول المادية والتموضع المحلّي السياقي لحركات شعبوية بعينها. وبصيغة أكثر تحديدًا، يركّز هول على الخبرة المعيشة للعرق والطبقة داخل لحظة ظرفية تمكّن اليمين من تعبئتها عبر خلق تضاد بين "الشعب" و"كتلة السلطة"[71]. وعلى خلاف التجريد والصورية Formalism عند لاكلاو، طوّر هول شكلًا من التحليل الظرفي، وكان في الوقت نفسه ردًّا على بوب جيسوب وزملائه[72] في تحليلاتهم الموازية للتاتشرية[73]. ولإبراز ما على المحكّ في هذا التحول لدى هول، ينقل كولباني عن هول[74] نقده للاكلاو وموف[75]، كما ورد في مقابلة مع لورنس غروسبرغ، فيقول:

> إنهما يأخذان التجريدات التي جرى تطويرها وصقلها بدقة وعلى مستوى فلسفي رفيع، ثم يُسقطانها مباشرة على اللحظة الراهنة، هنا والآن. فلا تراهما يضيفان ويضيفان ويضيفان المستويات المختلفة من التحديد [...] في تتبع تراكمها. إن مشكلتهما لا تكمن في السياسة، بل في التاريخ[76].

ويمكننا أن نضيف أن مشكلة لاكلاو وموف لا تقتصر على التاريخ، بل تشمل أيضًا الجغرافيا، كما يتضح في أعمال هارت[77] في مقارنته العلائقية التوليدية بين الشعبويات Generative Relational Comparison of Populisms في جنوب أفريقيا والهند والولايات المتحدة الأميركية

64 Hall, "The Great Moving Right Show"; Hall, "Authoritarian Populism: A Reply."

65 Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164;
وينظر أيضًا:
Eleni Karayiannides, "Stuart Hall, Development Theory, and Thatcher's Britain," *Modern Intellectual History*, vol. 20, no. 4 (2023), pp. 1273-1296.

66 Stuart Hall, "Marx's Notes on Method: A Reading of the 1857 Introduction," *Cultural Studies*, vol. 17, no. 2 (2003), pp. 113-149.

67 Ibid.

68 للمزيد من النقاش حول مفهوم هول لـ "المحسوس/ الملموس"، ينظر:
Michael Ekers & Alex Loftus, "On the Concrete: Labour, Difference and Method," *Antipode*, vol. 52, no. 1 (2020), pp. 78-100.

69 Gianmaria Colpani, "Two Theories of Hegemony: Stuart Hall and Ernesto Laclau in Conversation," *Political Theory*, vol. 50, no. 2 (2022), pp. 221-246.

70 Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164.

71 Alex Loftus, "Political Ecology III: Who are the People?" *Progress in Human Geography*, vol. 44, no. 5 (2019), pp. 981-990.

72 Bob Jessop et al., *Thatcherism: A Tale of Two Nations* (Cambridge: Polity, 1988).

73 Hall, "Authoritarian Populism: A Reply," pp. 115-124.

74 Stuart Hall, "On Postmodernism and Articulation," Interview by Lawrence Grossberg, *Journal of Communication Inquiry*, vol. 10, no. 2 (1986), pp. 45-60.

75 Ernesto Laclau & Chantal Mouffe, *Hegemony and Socialist Strategy: Towards a Radical Democratic Politics* (London: Verso, 1985).

76 Gianmaria Colpani, "Two Theories of Hegemony: Stuart Hall and Ernesto Laclau in Conversation," *Political Theory*, vol. 50, no. 2 (2022), pp. 221-246.

77 Gillian Hart, *Disabling Globalization: Places of Power in Post-Apartheid South Africa* (Berkeley: University of California Press, 2002); Gillian Hart, "Political Society and Its Discontents: Translating Passive Revolution in India and South Africa Today," *Economic and Political Weekly*, vol. 50, no. 43 (2015), pp. 43-51; Gillian Hart, "Resurgent Nationalisms and Populist Politics in the Neoliberal Age," *Geografiska Annaler: Series B, Human Geography*, vol. 102, no. 3 (2020), pp. 233-238; Gillian Hart, "Why did it Take so Long? Trump-Bannonism in a Global Conjunctural Frame," *Geografiska Annaler: Series B, Human Geography*, vol. 102, no. 3 (2020), pp. 239-266.

(وكذلك في النقد المتعاطف مع لاكلاو[78] ضمن عمل دورين ماسي[79]). وقد يُفترض، على نحو حدسي Intuitively، وجود علاقة بين ظهور الشعبويات اليمينية في الولايات المتحدة والهند وجنوب أفريقيا. غير أن هارت، بدلًا من الاكتفاء بتصوير ذلك بوصفه تمردًا عاطفيًا مُبهَم التعريف كما يلمّح أندرسون وسيكور[80]، تفكّك العلاقات المادية التي تتصل بالمشاريع الشعبوية ذات الأنواع المختلفة، مؤكدةً بذلك السياسة **المكانية** *Spatial* Politics الحاسمة التي تتشكل من خلالها هذه الشعبويات، وهو أمر ليس دائمًا واضحًا في أعمال هول. واستنادًا إلى باحثي الإيكولوجيا السياسية الآخرين، فإن ادّعاءنا المتواضع مفاده أن هذه السياسة المكانية تتجلى أيضًا ضمن ظروف بيئية متميزة. ويتطلب ما يصفه هارت وهول بـ "الإضافة والإضافة والإضافة"، في تأكيدهما الجغرافيات والتواريخ المتعددة، في الوقت نفسه، الانتباهَ إلى البيئات المعيشة في سياق **التوسع الحضري الممتد**. باختصار، نحن في حاجة إلى رؤى الإيكولوجيا السياسية أكثر من أيّ وقت مضى لفهم الخصوصيات السياقية التي تُغذّي مشاريع الشعبوية وتُنمّيها.

يمكن العثور على أساس إضافي لمثل هذا المشروع الحضري - البيئي في أعمال ستيفان كيبفر، وغالبًا ما يكون في حوار مع هارت، حيث يتحدى كيبفر[81]، إلى جانب باحثين آخرين[82]، المفاهيم المبسطة للشعبوية. فبدلًا من الافتراض الساذج الذي مؤداه أن الشعبوية اليسارية هي الترياق للشعبوية اليمينية، كما يُروَّج له بطرائق مختلفة في أعمال موف[83] وفريرس[84]، يحدد كيبفر[85] "شرطين أساسيين لسياسة ديمقراطية شعبية" Popular Democratic Politics، هما: العمل والتنظيم، وذلك انطلاقًا من فهمٍ للشعب يعارض أشكال كراهية الأجانب من "الشعب" التي يعبّئها اليمين السياسي؛ وإدراك "العلاقات المتمايزة وغير المتكافئة بين المجموعات المهيمنة"[86]. ويجادل كيبفر، كما هو الحال مع هول، بأن أيّ سياسة راديكالية لا بد من أن تعمل مع قاعدة سياسية شعبية، وتنطلق من تعبئتها إذا أريد لها النجاح. ومع ذلك، يحذر، في الوقت نفسه، من إعادة إنتاج الإقصاءات العنيفة التي يمارسها اليمين. على سبيل المثال، ينقد كيبفر ومصطفى ديكِتش[87] انخراطَ توماس فرانك[88] المتعاطف في ظاهره مع مخاوف الشعبوية لهذا السبب تحديدًا. فعلى الرغم من أن فرانك يعترف بأن قادةً مثل دونالد ترمب تمكّنوا في بعض الحالات من الاستجابة لمخاوف مادية حقيقية، فإنه في الوقت نفسه يضفي هالة عاطفية على "معاناة البلدات الصغيرة، وفقدان الوظائف، والفقر [الذي يمكن أن يوجد] في مكانٍ ما في الغرب الأوسط"[89]. وهكذا، يجري استبدال تجريد زائف بتجريد زائف آخر.

ثانيًا: ضد التشييء المكاني والبيئي: نحو إعادة تشكيل شعبية للإيكولوجيا السياسية الحضرية

قد يبدو غريبًا أن نؤسس تحليلًا لشكلٍ من الشعبوية يبدو في ظاهره ريفيًا ضمن إطار الإيكولوجيا السياسية **الحضرية**. غير أن إحدى الأطروحات البارزة (وإن بدت مفارقة على نحو ما) في هذا الحقل هي أن موضوع بحثه **لا** ينبغي أن يكون المدينة ذاتها[90]. فالحقل الذي يبدو كأنه محدَّد بالتركيز على "حالة المدينة" Cityness، اكتسب في الواقع فرادته من خلال تركيزه على العمليات أو السيرورات Processes. تتمحور الإيكولوجيا السياسية الحضرية، كما كتبت ماريا كايكا وزملاؤها[91]، حول "المشروع **الجمعي**، الذي بات الآن تقليدًا راسخًا، والمتمثل في محاولة فهم عملية إضفاء السمة الحضرية على الطبيعة Urbanisation of Nature". فإعطاء العملية

78 Ernesto Laclau, "Beyond Emancipation," *Development and Change*, vol. 23, no. 3 (1992), pp. 121-137; Laclau, *On Populist Reason*.

79 Doreen Massey, "Politics and Space/ Time," *New Left Review*, vol. 196 (1992), pp. 65-84.

80 Anderson & Secor.

81 Stefan Kipfer, "Populism," in: Kelly Fritsch, Clare O'Connor & A. K. Thompson (eds.), *Keywords for Radicals: The Contested Vocabulary of Late-Capitalist Struggle* (Oakland, CA: AK Press, 2016), pp. 160-163.

82 ينظر:
Matthew Ekers, Stefan Kipfer & Alex Loftus, "On Articulation Translation and Populism: Gillian Hart's Postcolonial Marxism," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 110, no. 5 (2020), pp. 1577-1593; Kipfer & Dikeç, pp. 142-164; Kipfer & Saberi.

83 Chantal Mouffe, *For a Left Populism* (London: Verso, 2019).

84 Nancy Fraser, "From Progressive Neoliberalism to Trump - and Beyond," *American Affairs*, vol. 1, no. 4 (2017), pp. 46-64; Nancy Fraser, *Cannibal Capitalism* (London/ New York: Verso, 2022).

85 Stefan Kipfer, "Populism," in: Fritsch, O'Connor & Thompson (eds.), pp. 160-163.

86 ينظر: Ekers, Kipfer & Loftus, pp. 1577-1593.

87 Kipfer & Dikeç, pp. 142-164.

88 Thomas Frank, "Donald Trump is Moving to the White House and Liberals Put Him There," *The Guardian*, 9/11/2016, accessed on 14/12/2020, at: https://acr.ps/1L9BPcW

89 Kipfer & Dikeç, p. 36.

90 Maria Kaika, *City of Flows: Nature, Modernity, and the City* (London/ New York: Routledge, 2005).

91 Maria Kaika et al. (eds.), *Turning Up the Heat: Urban Political Ecology for a Climate Emergency* (Manchester: Manchester University Press, 2023), p. xvi..

أو السيرورة الأولويةَ بدلًا من "الأشياء" يُعدّ السمة المميزة للمقاربة الجدلية Dialectical Approach[92] ولعديدٍ من الأطر الإيكولوجية السياسية. وفي حين تُعدّ هذه المقاربة محوريةً في أبحاث الإيكولوجيا السياسية الحضرية، فإنها تعمّقت أيضًا عبر دعوة هـارت[93] إلى فهم القوى المتعددة، الممتدة والمتداخلة، التي تُشكّل الظرف التاريخي الراهن.

وبالنسبة إلى باحثي الإيكولوجيا السياسية الحضرية، فإن السيرورات التي ينبغي تركيز الاهـتمام عليها هي الـسيرورات "الأيضية" Metabolic، التي تتعلق بالتحويل المتبادل بين البشري وغير البشري ضمن شروط محدَّدة تاريخيًا وجغرافيًا. ويستلهم هذا التحليل التحويلي قراءة ماركس لعلم التربة لدى يوستوس فون ليبيغ Justus von Liebig. ووفقًا لماركس، تتغيّر العلاقات التاريخية والجغرافية المحدَّدة التي تربط البشر ببيئاتهم الأوسع تغيّرًا جذريًا بفعل عملية التوسّع الحضري التي تنشأ في ظلّ الرأسمالية الصناعية. والأهم أنّ هذه العملية تولّد صدعًا أيضيًا Metabolic Rift يؤدّي إلى تدهور خصوبة التربة؛ إذ تفقد التربة المستنزفة من النيتروجين المغذّيات التي كان يُفترض أن يُعاد توليدها فيها عبر الفضلات البشرية ضمن دورة التربة.

وإذا كان باحثو الإيكولوجيا السياسية الحضرية قد درسوا الصرف الصحي والـزراعـة الحضرية، فإن الماء يظل موضوع الدراسة النموذجي في هذا الحقل، كما يظهر في أعمال ماريا كايكا[94] وإريك سوينغيدو[95]. ولا يكشف تتبّع تدفق الماء، بوصفه مثالًا محدّدًا على إضفاء السمة الحضرية على الطبيعة، عن اللامساواة العميقة التي ينتجها نظام التراكم الرأسمالي فحسب – حيث يتمكن بعض الناس من الوصول إلى هذا المورد الحيوي في حين يُحرم منه آخرون - بل إنه يتيح أيضًا فهم دور الماء في ترسيخ مجموعات محددة من علاقات القوة. باختصار، تُعبّر تدفّقات الماء، ذات المصدر البشري وغير البشري، عن علاقات القوة وتُسهم في استدامتها. وتغدو المدينة تجسيدًا ماديًا لهذه السيرورات والعلاقات الأوسع؛ وبتعبير غاندي: "يمكن قراءة تاريخ المدن بوصفه تاريخًا للماء"[96].

تفرض الإيكولوجيا السياسية الحضرية القائمة على السيرورات تحديًا مهمًا للحركات التي تبني نفسها على ثنائيات مبسَّطة ومُشيَّأة على نحو مفرط؛ إذ إنها ترفض تقسيم العالم إلى ثنائيات مُفرطة التبسيط والتشييء. فاليمين الشعبوي، على سبيل المثال، وجد أرضًا خصبة في المطالب المرتبطة بالريف، و"الشمال المنسي"، وحزام الصدأ المهمل، وغيرها من التصويرات الاختزالية التي تبسّط الفضاءات والمواقع السياسية. وفي المقابل، لا تُعرِّف الإيكولوجيا السياسية الحضرية نفسها على أنها ضد الإيكولوجيا السياسية الريفية، بل بوصفها إطارًا يركّز على السيرورات الممتدة التي تُنتَج عبرها الأشكال الحضرية[97]. واستلهامًا لأعمال مثل عمل وليام كـرونـون[98]، وكتابات مايك ديفيس[99] اللافتة عن مدينة لوس أنجلوس، وشخصية السيبورغ Cyborg المبتكرة لدى دونا هــاراوي[100]، تستمر الإيكولوجيا السياسية الحضرية في تحدّي التشييئات المكانية والإيكولوجية التي تعتمد عليها المجموعات اليمينية المتطرفة لكسب قوتها.

ومع أن غاندي[101] واعٍ تمامًا بهذه الإسهامات الغنية التي تراكمت خلال فترة العقدين ونصف العقد الماضية، فإنه يشير إلى أن الإيكولوجيا السياسية الحضرية تقف عند منعطف حاسم؛ إذ يرى أنه من دون إعادة تشكيل نقديةٍ وتقاربٍ – أو على الأقل حوار – مع مجموعة من الحقول ذات الصلة، يواجه باحثو الإيكولوجيا السياسية الحضرية خطر الإقصاء من النقاشات الناشئة حول الحوكمة البيئية العالمية. ومن بين التحديات الستة التي يحدّدها، يبدو أن أهمّها بالنسبة إلينا يتعلق بمسألة مقياس الحضري Scale of the Urban. فعلى الرغم من أننا أوضحنا سابقًا أن هذا الحقل تشكّل أساسًا عبر تركيزه على إضفاء السمة الحضرية على الطبيعة، فقد تعرّض في الآونة الأخيرة لانتقادات بسبب نزعته الطاغية إلى حصر تركيز الدراسات الميدانية في

92 David Harvey, *Justice, Nature, and the Geography of Difference* (Cambridge, MA: Blackwell Publishers, 1996); Gillian Hart, "Relational Comparison Revisited: Marxist Postcolonial Geographies in Practice," *Progress in Human Geography*, vol. 42, no. 3 (2018), pp. 371-394.

93 Hart, "Why did it Take so Long?" pp. 239-266; Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164.

94 Maria Kaika, "Interrogating the Geographies of the Familiar: Domesticating Nature and Constructing the Autonomy of the Modern Home," *International Journal of Urban and Regional Research*, vol. 28, no. 2 (2004), pp. 265-286.

95 Erik Swyngedouw, *Social Power and the Urbanization of Water: Flows of Power* (Oxford: Oxford University Press, 2004).

96 Matthew Gandy, "Between Borinquen and the Barrio: Environmental Justice and New York Puerto Rican Community, 1969–1972," *Antipode*, vol. 34, no. 4 (2002), p. 22.

97 كما يبيّن غاندي، قد يُقدِّم التأريخ المعرفي لهذا الحقل (كما يتجلى عند زيمر) أحيانًا نشأة الإيكولوجيا السياسية الحضرية على نحو مغاير إلى حدٍّ ما.

98 William Cronon, *Nature's Metropolis: Chicago and the Great West, 1848-1893* (New York: W. W. Norton & Company, 1991).

99 Mike Davis, *City of Quartz: Excavating the Future in Los Angeles* (London/ New York: Verso, 1990).

100 Donna Haraway, "A Manifesto for Cyborgs: Science, Technology, and Socialist Feminism in the 1980s," *Australian Feminist Studies*, vol. 2, no. 4 (1987), pp. 1-42.

101 Gandy, "Urban Political Ecology," pp. 21-43.

المدن نفسها[102]. ووفقًا لهذه الانتقادات، تعكس هذه النزعة ما يُسمى "المدِينَوية المنهجية"[103] Methodological Cityism، وإن كان ذلك غالبًا من دون اعترافٍ صريح به.

وتمثلت إحدى الاستجابات لذلك في الاستناد إلى أطروحة هنري لوفيفر القائلة إن التوسّع الحضري Urbanization بات كونيًا Planetary، بما يوسّع رؤى الإيكولوجيا السياسية الحضرية لتشمل نطاقًا من المقاييس يتجاوز الشكل الحضري ذاته. وقد تبنّت مجموعة جديدة من الكتابات في الإيكولوجيا السياسية الحضرية هذا التحدّي[104]؛ إذ أعاد مؤلّفوها، ومعهم المقال الافتتاحي الذي يؤطرها[105]، صياغة الإيكولوجيا السياسية الحضرية في سياق حالة الطوارئ المناخية Climate Emergency. وفي هذا الإطار، يشدد غاندي[106] على التطورات النظرية في مجالات مثل "الإثنوغرافيا المتعددة الأنواع Multi-species Ethnography، والمقاربات المادية الجديدة New Materialist Approaches، وغيرهما من الاتجاهات الناشئة في دراسات الجغرافيا التي تتجاوز التركيز على الإنسان لتشمل الكائنات والعلاقات غير البشرية". ويستلهم عدد من الباحثين، جزئيًا، منظور لوفيفر الحضري المنفتح[107] على إبراز الكيفية التي تتقاطع بها الممارسات السياسية والاقتصادية والإيكولوجية والرمزية في تشكيل التوسّع الحضري بوصفه سيرورة[108]. والأهم أن هذه المجموعة البحثية تُظهر أن إغفال النطاق الكامل للسيرورات التي تُشكِّل مدننا، بما في ذلك العمليات السياسية - الاقتصادية، قد يعرّض حقل الإيكولوجيا السياسية الحضرية لتهميشٍ أشد خطورة من ذلك الذي أشار إليه غاندي في موضع آخر[109].

واتجه بعض الباحثين، في تحليل التلاقي بين هذه الممارسات المتعددة التي تتجاوز الشكل الحضري Urban Form، إلى دراسة الفضاءات الطرفية Peripheral Spaces[110]. وفي هذا الصدد، يكتب يانيس تزانينيس وزملاؤه في مقدمة المجموعة المشار إليها آنفًا:

> يُفهم التوسع الحضري الممتد، هنا، بوصفه سيرورة عالمية تتجاوز التصوّرات المفهومية التقليدية لـ "الحضري"، لتشمل أشكالًا عديدة ومتنوعة من التوسّع في الشكل والسيرورة، وتتضمن أنماطًا متراكبة ومعقّدة من ديناميات النمو والانحسار، والتكثيف ونزع التكثيف، والنمو الديموغرافي والاقتصادي والتنوع[111]، فضلًا عن ديناميات اجتماعية - اقتصادية متناقضة[112].

ونضيف، علاوة على ذلك، أن التقارب مع الكتابات المتأثرة بالفكر الغرامشي[113] يتيح فهمًا أعمق لكيفية اندماج هذه السيرورات الممتدة للتوسع الحضري في تصورات العالم التي تنشأ من الممارسات المتجذرة في سياقاتها Situated Practices؛ فالتوسع الحضري الممتد يمثّل تأثيرًا إضافيًا في ميدان الأيديولوجيا؛ إذ تصبح تصوّرات العالم محلّ نزاع، وتتشكّل الرؤى الاجتماعية - البيئية وتُعاد صياغتها أحيانًا على نحوٍ منحاز أو مُشوَّه. ومن خلال إبراز الفروق الواقعية والمتخيّلة التي يصوغ الناس عبرها علاقتهم بالعمليات البيئية، تشير المنظورات الغرامشية إلى الكيفية التي تتصل بها هذه الرؤى برؤى أخرى للعالم، سمتها الأساسية أنها مترسبة ومتراكمة. واستجابةً إضافية لنداء غاندي بضرورة التعامل بجدّية مع الحقل المؤسسي Institutional Terrain

102 Harvey Angelo & David Wachsmuth, "Urbanizing Urban Political Ecology: A Critique of Methodological Cityism," *International Journal of Urban and Regional Research*, vol. 39, no. 1 (2015), pp. 16-27.

103 نستخدم مصطلح "المدينوية المنهجية"، على غرار مصطلحات شائعة مثل القومية المنهجية *Methodological Nationalism*، والمقصود بها النزعة التحليلية التي تتعامل مع المدينة بوصفها وحدة تحليلية طبيعية مكتفية بذاتها، ما يؤدي إلى طمس العلاقات والعمليات أو السيرورات الممتدّة بعيدًا عن المدينة (مثل الريفية خاصة)، التي تُنتج "الحضري" نفسه. (المترجمة)

104 ينظر: Kaika et al. (eds.), p. 202.

105 ينظر:
Yiannis Tzaninis et al., "Moving Urban Political Ecology beyond the Urbanization of Nature," *Progress in Human Geography*, vol. 45, no. 2 (2021), pp. 229-252.

106 Gandy, "Urban Political Ecology versus Ecological Urbanism," in: Kaika et al. (eds.), p. 25.

107 Henri Lefebvre, *The Production of Space*, Donald Nicholson-Smith (trans.) (Malden, MA: Blackwell, 1991 [1974]).

108 Roger Keil & Sarah Macdonald, "Rethinking Urban Political Ecology from the Outside In: Greenbelts and Boundaries in the Post-Suburban City," *Local Environment*, vol. 21, no. 12 (2016), pp. 1516-1533; Stefan Kipfer, "Pushing the Limits of Urban Research: Urbanization, Pipelines and Counter-Colonial Politics," *Environment and Planning D: Society and Space*, vol. 36, no. 3 (2018), pp. 474-493; Stephanie Treffers et al., "Extending the Boundaries of 'Urban Society': The Urban Political Ecologies and Pathologies of Ebola Virus Disease in West Africa," *Environment and Planning E: Nature and Space*, vol. 5, no. 4 (2022), pp. 2011-2032.

109 Gandy, "Urban Political Ecology," pp. 21-43.

110 ينظر:
Kipfer, "Pushing," pp. 474-493; Peter D. Thomas, *The Gramscian Moment: Philosophy, Hegemony and Marxism* (Leiden: Brill, 2009); Treffers et al., pp. 2011-2032.

111 Yiannis Tzaninis, "Cosmopolitanism beyond the City: Discourses and Experiences of Young Migrants in Post-Suburban Netherlands," *Urban Geography*, vol. 41, no. 1 (2020), pp. 143-161.

112 Yannis Tzaninis et al., "Introduction: Urban Political Ecology for a Climate Emergency," in: Kaika et al. (eds.), pp. 1-34.

113 Mustafa Dikeç, "Disruptive Politics," *Urban Studies*, vol. 54, no. 1 (2017), pp. 49-54; Ekers et al. (eds.).

الذي تتشكّل ضمنه الإيكولوجيات السياسية الحضرية، تُظهر المقاربات الغرامشية كيف يمكن أن تتحوّل الرؤى العالمية المتشظّية إلى فلسفات نقدية متماسكة، وشكلٍ من الممارسة Praxis قادر على إحداث تغيير عالمي.

يُطوِّر جان رِهمان هذا الإدراك الغرامشي الجوهري في كتابه **نظريات الأيديولوجيا**[114]؛ فمع أخذه مأخذًا بسيطًا على ادعاء بيتر توماس[115] القائل إن غرامشي، من بين الاستخدامات المتعددة لمفهوم "الأيديولوجيا" في **دفاتر السجن**، قدّم في الأساس تفسيرًا محايدًا لها، يجادل بضرورة إعادة قراءة **نقد** غرامشي للأيديولوجيا. فبالنسبة إلى توماس، تعدّ الفروق التي رسمها غرامشي بين الحسّ المشترك Common Sense والفلسفة، أو بين الأيديولوجيا وفلسفة الممارسة، فروقًا كمية، وليست نوعية. وبذلك، لا يتعلق الأمر بالحكم على مدى صدقية رؤيةٍ ما للعالم أو بطلانها، بل على تركيز التقييم الكمي على مقدار ما يمكن أن يجعل تلك الرؤية متماسكة (عبر عملية التركيب كما يقدّمها هول مثلًا) وعلى قدرتها على أن تغدو قوة مادية فاعلة. أما رِهمان[116]، وعلى النقيض من ذلك، فيرى أن غرامشي حافظ على مقاربة نقدية للأيديولوجيا **جنبًا إلى جنبٍ** مع فهمها على هذا النحو الأكثر حيادًا. فليست مقاربته النقدية موجّهة إلى التصورات البرجوازية للعالم فحسب، بل أيضًا – وهذا أمر بالغ الأهمية – إلى فلسفة الممارسة ذاتها، بما يحول دون انزلاقها إلى خطٍّ "رسمي" Official جامد. وهكذا، يعود رِهمان ليؤكد مجددًا أهمية نقد الأيديولوجيا، مع تمييزه من مفهوم الوعي الزائف False Consciousness (ومُقحِمًا ذلك في حوار مع كتابات هول)، فيكتب:

> يغدو النقد الأيديولوجي، من هذا المنظور، "خطابًا مقاطِعًا" Interruptive Discourse لا يباشر فاعليته عبر فضح الكتلة الأيديولوجية للخصم من الخارج، بل من خلال التدخل في بنيتها الداخلية لتفكيكها وإعادة تشكيلها، ثم إدماج عناصرها الفاعلة في نظام جديد[117].

ويولي رِهمان قراءة غرامشي ترجمةَ مقدمة ماركس لعام 1859 أهمية خاصة؛ إذ يلاحظ في لغتها تحوّلًا في مركز الثقل في اتجاه "حقل الأيديولوجيا". وبهذا الانتقال، يوجّه غرامشي النظر نحو الجهاز الهيمني الذي يتيح لرؤى العالم التشابك والتمفصل مع التجربة المادية، بما يجعل الأيديولوجيا ساحة للتجاذب وإعادة التشكيل. ومن منظور فلسفي - إبستيمولوجي، تكتسب هذه الملاحظات أهمية مضاعفة لدى باحثي الجغرافيا والإيكولوجيا السياسية؛ إذ تُظهر أن المعارك الحاسمة على الحقل الأيديولوجي لا تُخاض في المجال السياسي المجرد فحسب، بل تتجسد أيضًا في أنماط العلاقة بين الإنسان والطبيعة. ومن ثم، فإنّ الرهانات الكبرى على معنى الريف والمدينة، وحدود كل منهما، هي رهانات أيديولوجية، تكشف عن الطابع التاريخي والجدلي لتمفصل الوعي المعيشي بالممارسة المادية، وللصراع من أجل إعادة بناء العالم الرمزي بوصفه شرطًا لإعادة بناء العالم المادي.

ثالثًا: الريف والمدينة

تظل تعبئة التمايزات بين المدينة وأطرافها – وهي تعبئة تحدّتها كتابات حديثة – متجذرةً في الإرث الاستعماري، كما يتّضح ضمن المقاربة الغرامشية لمادية العلاقات المكانية وتاريخانيتها[118]. ويتطلّب فهم نشوء هذه التمايزات بين المدينة والأطراف تحويل الانتباه إلى سيرورات التشييء المستمرة وما يترتّب عليها من عواقب أيضية Metabolic Consequences. وتتحرك هذه التصنيفات المكانية وتتجدد عبر مسارات "التوسع الحضري الممتد"، التي بيّن روبرتو مونتي-مور وريتا كاستريوتا[119] أنها تقع في صلب عملية إعادة التشكيل المستمرة للسلطة الرأسمالية؛ أي إن العنصر السياسي الكامن في إنتاج "داخلٍ" أو "خارجٍ" حضريٍّ يفرض نفسه على فضاءات أخرى في أماكن مختلفة. ومن ثم، لا يُعدّ إنتاج مواقع حضرية طرفية انحرافًا أو استثناءً، بل عقدة حاسمة في سيرورات التوسع الحضري الرأسمالي والاستعماري[120].

نرى هذا المنظور في عدد من الدراسات التي تُقيم جسرًا بين الإيكولوجيا السياسية الحضرية ونقد الشعبوية. ففي تحليل لافت، يبيّن ستيفان كيبفر وباراستو سابيري[121] كيف استخدمت سياسة روب فورد Rob Ford[122] الرجعية في تورونتو التمدّد العمراني في الضواحي وقودًا لتغذية أجندة قائمة على الخصومة والعداء. وقد عمد

---

114 Rehmann.

115 Thomas.

116 Rehmann.

117 Ibid., p. 146.

118 ينظر:
Stefan Kipfer, "City/ Country Hegemony: Antonio Gramsci's Spatial Historicism," in: Ekers et al. (eds.), pp. 93-94.

119 Roberto Luís Monte-Mór & Rita Castriota, "Extended Urbanization: Implications for Urban and Regional Theory," in: *Handbook on the Geographies of Regions and Territories*, Anssi Paasi, John Harrison & Martin Jones (eds.) (Cheltenham/ Northampton: Edward Elgar, 2018), pp. 332-345.

120 Martín Arboleda, "Circuits of Extraction and the Metabolism of Urbanization," in: Kaika et al. (eds.), pp. 91-104.

121 Kipfer & Saberi.

122 رجل أعمال وسياسي شعبوي كندي (1969-2016)، عضو مجلس بلدية تورنتو مدة عشر سنوات، وعمدة مدينة تورنتو (2010-2014). (المترجمة)

العمدة فورد عن قصد إلى توظيف التقابلات الترابية Territorial Juxtapositions لبناء سردية عن صراع اجتماعي؛ ما شوّه الديناميات السياسية - الاقتصادية الأوسع المرتبطة بتراجع التصنيع في ضواحي المدينة. وفي فرنسا، بُنيت انقسامات مكانية مشابهة، وكان للمحللين السياسيين دور بارز في ترسيخها. فعلى سبيل المثال، ينتقد كيبفر وديكيتش [123] تصوّر كريستوف غيوي [124] المثالي عن "فرنسا الريفية" الذي يضعه في مواجهة متخيَّلٍ مكاني آخر هو **الضواحي** *Banlieues* بوصفها فضاءات يطغى عليها ما يسميه "انعدام الأمن الثقافي". وتُجسّد قراءة غيوي الانتقائية للخرائط الانتخابية التمايزاتِ العرقيةَ والمكانية في أقاليم محددة، فتصِم الضواحي وتُضفي شرعية على الإجراءات القمعية التي تتخذها الدولة الفرنسية داخلها. ولا يعدو استدعاء صورة ريفية حالمة أن يكون استبدالًا لتجريدٍ زائف بآخر، ولكنه يخفي "العلاقات الإمبريالية والنيوكولونيالية التي تتقاطع مع الجانبين"[125].

يرى ديكيتش[126]، عند تفكيك الدوافع السياسية الكامنة خلف هذه الخطوات، أن الاستخدام الخطابي لمفهوم "الأطراف الخلفية" Hinterlands يُنتج "أيديولوجيا قائمة على الأمننة" Securitarian Ideology؛ وهي أيديولوجيا تُستدعى غالبًا لحشد تأييد شعبوي ذي نزعة سلطوية. وفي السياق نفسه، قدّم نيل برينر ونيكوس كاتسيكيس[127] نقدًا مماثلًا، موضحَين ضمن إطار الإيكولوجيا السياسية الحضرية كيف تسهم "الأطراف" في خدمة النمو الرأسمالي الحضري. وفي دراسة أحدث، يبيّن جاريد رودنبايكر[128] كيف جرى توظيف أشكال جديدة من تكتيكات "الفزع الأحمر"، أو فزاعة الشيوعية Red Scare Tactics، لتصوير استحواذ الصين على الأراضي في إقليم الغرب الأوسط الأعلى في الولايات المتحدة بوصفه جزءًا من تهديد أجنبي خطِر. وفي هذا الصدد، وعلى خلاف حالة فورد في كندا، يُعاد تخيّل "الأطراف" بوصفها خطرًا جيوسياسيًا ضمن سياق مفصلي عالمي جديد. وتشير هذه الدراسات مجتمعةً إلى أن المطالب المكانية ليست أمرًا سلبيًا أو مؤذيًا في حد ذاتها، لكنها تتحول في لحظات بعينها إلى أداة لإدانة اللاشرعية والفوضى، وإنتاج "آخر مكاني"[129]. وتحمل مثل هذه الإدانات تبعات مباشرة على أنماط حوكمة تلك الفضاءات وسكانها؛ إذ إن وصم الضواحي يكشف في جوهره عن نزعات عنصرية ومعادية للأجانب[130]. وبناء عليه، فإن التمثيلات المنحازة إلى "مركزٍ متقدمٍ اجتماعيًا"، كما في الحالتين الفرنسية والكندية، تُعيد تشكيل شروط الإمكان في "آخَرِها المكاني". فليست إعادة إنتاج الفضاء، ضمن ممارسات التشييء المكاني، مجردَ ممارسة خطابية؛ "إنها، بوصفها نتاجًا بشريًا ... تترك أثرًا مباشرًا في حيوات المقهورين والمهمَّشين ونضالاتهم التي تتحدَّد عبرها علاقات القوة"[131].

ويتيح أخذ هذه المطالب على محمل الجد لنا تبيّن مدى أهمية التشييء المكاني Spatial Reification في بناء الهيمنة، سواء أكانت برجوازية أم بروليتارية[132]. فالتصورات بشأن السمة "الريفية" و"الحضرية"، عندما تُقدَّم بوصفها حقائق ثابتة ومُشيَّأة Reified Notions، تُستَخدم مرارًا ضمن "مطالب الهيمنة". ومن خلال رصد أوجه التقاطع بين تناول غرامشي للمسألة المكانية من جهة، وأفكار هنري لوفيفر وفرانز فانون من جهة أخرى، يطوّر كيبفر[133] مقاربة ماركسية ذات أبعاد مكانية ومناهضة للاستعمار Spatialized Anti-colonial Marxism[134]. وعلى نحو أكثر تحديدًا في حالة غرامشي، يوضح كيبفر[135] أن التيارات القومية الريفية والحضرية المتنافسة في إيطاليا "أعادت إنتاج الاحتقار الفكري الشائع الواسع للتجارب المعيشة لدى عامة الإيطاليين؛ إذ اختزلت الثقافة الشعبية الريفية في فولكلور مُزَخرَف Picturesque، أو عبر الارتقاء بالحياة الحضرية إلى كوزموبوليتية سطحية ومنزوعة الطابع القومي". وعلى الرغم من أن كلا التيارين سعى لتعبئة أجندة فاشية، فإن البرنامجين السياسيين الإيطاليين بالغا في تبسيط الترابطات بين الفضاءات المتداخلة جغرافيًا، والموسومة آنذاك بـ "الريفي" و"الحضري". في

123 Kipfer & Dikeç, pp. 142-164.

124 Christophe Guilluy, *La France périphérique: Comment on a sacrifié les classes populaires* (Paris: Champs Actuel, 2014).

125 Stefan Kipfer & Mustafa Dikeç, "Peripheries against Peripheries? Against Spatial Reification," in: *(Re)Building the Global Periphery One Large-Scale Housing Project at a Time*, p. 36.

126 Mustafa Dikeç, "Immigrants, Banlieues, and Dangerous Things: Ideology as an Aesthetic Affair," *Antipode*, vol. 45, no. 1 (2012), p. 17.

127 Neil Brenner & Nikos Katsikis, "Hinterlands of the Capitalocene," in: Kaika et al. (eds.), pp. 105-128.

128 Jared Rodenbiker, "Global China in the American Heartland: Chinese Investment, Populist Coalitions, and the New Red Scare," *Political Geography*, vol. 111 (2024).

129 Dikeç, "Disruptive Politics," pp. 49-54.

130 Kipfer & Dikeç, pp. 142-164.

131 Stefan Kipfer & Ananya Mallick, "'Stretch' and 'Translate': Gramscian Lineages, Fanonist Convergences in the (Post) Colony," *Historical Materialism*, vol. 30, no. 4 (2022), pp. 151-152.

132 Stefan Kipfer, "City Country Hegemony: Antonio Gramsci's Spatial Historicism," in: Ekers et al. (eds.), pp. 83-103.

133 Ibid., pp. 83-103; Kipfer & Mallick, pp. 137-173.

134 Kipfer & Mallick.

135 Ibid., pp. 83-103.

المقابل، أدرك غرامشي[136] أن أيّ ائتلاف شعبي لا يمكن أن يصبح مهيمنًا إلا من خلال فهم الكيفية التي يمكن عبرها تسليط الأضواء، مكانيًا وزمانيًا، على التجربة المعيشة.

تُفضي هذه الأعمال إلى فهم علائقي Relational قائم على السيرورات أو العمليات، يرفض تقسيم العالم إلى ثنائيات بين مركزٍ وأطراف أو حَضَرٍ وضواحٍ. ومن خلال ذلك، يتحدّى الأسس التي بُنيت عليها السرديات المكانية التي تَغذّت بالتضادّ الجوهري الذي تَستمد منه الشعبوية قوتها المادية. وغالبًا ما يجري إنتاج تشييء هذه الثنائيات المكانية من خلال الخطاب القانوني، كما يُظهر جوشوا إنوود[137] في حالة توظيف ترمب لـمركزية الهوية البيضاء بوصفها سياسة مضادّة للثورة. وتنعكس سرديات صناعة "الآخر" Othering أيضًا في الخطاب الدستوري المحافظ السائد في الولايات المتحدة[138]، وتتجسّد ماديًا في محاولات مكانية لفرض التجانس المجهض للاختلافات، مثل ما عُرف بـ "الاستراتيجية الجنوبية"[139] Southern Strategy[140].

ويمكن تعزيز إدراك الشعبويين السلطويين لكيفية استخدام الثنائيات المكانية - وكيفية إنتاجها وإعادة إنتاجها - من خلال مقاربة جدلية للبيئات اليومية Everyday Environments[141]. والأهم من ذلك أن الإيكولوجيا السياسية الحضرية، كما نسعى لتطويرها، تمكّننا من وضع الحياة اليومية، التي يجري تشييئها في ظل التعبئة الشعبوية اليمينية، في سياقها على نحو أفضل. ومن شأن تبنّي منظور يرى أن الدعم الشعبوي لا يعلو "فوق" الناخبين، بل يتشكل دائمًا بالاقتران مع التجارب المعيشة ومن خلالها، أن يُبرز الحاجة إلى تصورات ومخاييل بديلة[142].

رابعًا: وضع احتجاجات المزارعين الهولنديين في سياقها

يحجب تشييءُ المكان، كما نرى في احتجاجات المزارعين الهولنديين، العمليات الاجتماعية - الإيكولوجية الممتدة التي يجري من خلالها إنتاج تنمية غير متكافئة. وتوفر عمليات الحجب الأرضيةَ التي صيغت عليها مشروعات سياسية يمينية. وتمثل حركة المزارعين الهولنديين، على أبسط مستوى، رد فعلٍ على **ما يبدو** أنه خطوات حكومية لخفض انبعاثات النيتروجين؛ وبسبب غياب استراتيجية متماسكة للتعامل مع الانبعاثات، غالبًا ما استجاب المزارعون للمقترحات المبهمة المتضمَّنة في السياسات التي تهدف إلى تقليص حجم قطعانهم في المزارع المجاورة للمناطق المحمية. ومنذ أن طالبت المحكمة العليا الهولندية، في عام 2019، الحكومة بالتعامل مع ارتفاع انبعاثات النيتروجين، كانت الخطوة الملموسة الوحيدة التي اعتمدتها برنامجًا طوعيًا لشراء مزارع المزارعين. ومن المفارقات، كما أشار أصحاب الاختصاص في علم الفيزياء[143]، أن هذا البرنامج من المرجّح أن يكون له تأثير محدود في خفض الانبعاثات، ولم يجذب حتى الآن المستوى نفسه من الإقبال لدى "أكبر المسبّبين للانبعاثات"؛ ما قلّل من فعاليته في خفضها. في المقابل، ونظرًا إلى ضرورة استهداف البنية التحتية والزراعة معًا، جرى استثمار توترات كبيرة حول تصورات الحضري والريفي[144]. أما أكبر المسبّبين لانبعاث النيتروجين، مثل تاتا ستيل Tata Steel يليها مطار سخيبول Schiphol Airport، فلم تُتخذ في حقهم إجراءات ملموسة لإجبارهم على خفض الانبعاثات. وقد تفاقمت هذه التوترات بفعل نظريات المؤامرة المتداولة بين اليمين المتطرف في أوروبا[145]، وكذلك عبر رفض الحدود الإيكولوجية

136 Antonio Gramsci, *Selections from the Prison Notebooks*, Quintin Hoare & Geoffrey Nowell Smith (eds. & trans.) (London: Lawrence and Wishart, 1971).

137 Joshua Inwood, "White Supremacy, White Counter-Revolutionary Politics, and the Rise of Donald Trump," *Environment and Planning C: Politics and Space*, vol. 37, no. 4 (2019), pp. 579-596.

138 Richard Wright, "Whiteness Nationalism and the U.S. Constitution: Constructing the White Nation through Legal Discourse," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 111, no. 7 (2021), pp. 2062-2077.

139 Joshua Inwood, "Neoliberal Racism: The Southern Strategy and the Expanding Geographies of White Supremacy," *Social & Cultural Geography*, vol. 16, no. 4 (2015), pp. 407-423.

140 استراتيجية سياسية انتخابية اعتمدها الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة منذ أواخر ستينيات القرن العشرين، خاصة منذ عهد الرئيس ريتشارد نيكسون، بهدف استقطاب الناخبين البيض في ولايات الجنوب بعد تفكك التحالف الديمقراطي التقليدي هناك، في إثر تفاقم التوترات العرقية. وقد وظف الجمهوريون خطابًا عنصريًا معاديًا للأميركيين الأفارقة، ما دفع بهم أكثر فأكثر نحو اليمين. (المترجمة)

141 Stefan Kipfer, "Why the Urban Question Still Matters," in: Roger Keil & R. Mahon (eds.), *Towards a Political Economy of Scale* (Vancouver: UBC Press, 2009), pp. 67-83; Alex Loftus, *Everyday Environmentalism: Creating an Urban Political Ecology* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 2012); Alex Loftus & J. Gort, "Populist Political Ecologies? Urban Political Ecology, Authoritarian Populism and the Suburbs," in: Kaika et al. (eds.), pp. 265-283.

142 Büscher & Fletcher; Bram Büscher & Robert Fletcher, *The Conservation Revolution: Radical Ideas for Saving Nature beyond the Anthropocene* (London/ New York: Verso, 2020).

143 Gerard H. Ros et al., *Gebieds-en bedrijfsgerichte handelingsperspectieven voor een duurzame landbouw in Nederland* (Wageningen: Wageningen University & Research, 2023), p. 77.

144 Tessa Huijsmans & Eva Miltenburg, "De kloof tussen stad en platteland bestaat niet (tenzij je het er steeds over hebt)," *De Correspondent*, 12/6/2023, accessed on 15/9/2023, at: https://acr.ps/1L9BPBo

145 Ploeg, *Gesloten vanwege stikstof*.

التي تقوم عليها التشريعات[146]. ولفهم السياق الحضري الممتد الذي نشأت فيه الحركة، من المهم وضع اللحظة الراهنة ضمن سياق تاريخٍ حديثٍ لحركات المزارعين الهولنديين.

كانت حركات المزارعين في هولندا تتفاعل أساسًا مع تغيّرات (محتملة) تحيط بالحقل السياسي - الاقتصادي للزراعة. وقد أدت التغيرات في السياسات الحمائية الوطنية والتشريعات البيئية والإنتاج الزراعي العالمي إلى اندلاع احتجاجات تقريبًا كل ثلاثين عامًا منذ بداية القرن العشرين. وجادل فان دير بلوخ[147] بأن أوجه التشابه بين هذه الحركات تكون غالبًا ذات طبيعة خطابية؛ إذ كانت كل حركة توجّه نفسها ضد "أسلوب ممارسة الحكم"، وتتبنّى خطابات "معادية للإستبليشمنت" Anti-establishment[148] و"الحرية" و"ريادة الأعمال" Entrepreneurship. فعلى سبيل المثال، قد تكون حركة **الزراعة والمجتمع** *Landbouw en Maatschappij* في الثلاثينيات مختلفة من ناحية أن نشاطها كان يمثّل المـزارعين الصغار، لكن فان دير بلوخ يذكر أن أنصارها كذلك "شعروا أنهم غيرُ مفهومين، ومهجورون، ومُبعَدون عن المجتمع". أمّا الحركة التالية في الستينيات، كما يضيف، فقد تشكّلت حول اعتقادٍ مشترك لدى المزارعين بحرّية ريادة الأعمال الزراعية التي ينبغي ألا تُقيَّد بتشريعات حكومية. أما احتجاجات التسعينيات، على الرغم من أنها جمعت طيفًا متنوعًا من المـزارعين، فقد اتحدت أيضًا حول عدوٍّ مشترك معادٍ للبرلمان Anti-parliamentary Enemy. ومن منظور علائقي، يبرز فان دير بلوخ[149] أهمية الروابط المشتركة ذات الطابع الأدائي - الوجداني بين هذه الحركات.

ومع ذلك، يشير تحليله أيضًا إلى الظروف التاريخية والجغرافية المحددة التي تجذّرت فيها حركات المزارعين الشعبية سابقًا في لحظتها. والجوهري في حجّتنا، اتباعًا لخطى هارت[150]، هو أن هذه الحركات تُظهر أيضًا العلاقات الأيضية والأيديولوجية والحضرية التي حاولت الحركات الشعبوية صياغتها عبر مواجهات وخصومات بعينها. فعلى سبيل المثال، لم تستند احتجاجات الثلاثينيات، التي ركّزت على دعم صغار المزارعين، إلى السرديات الاجتماعية والثقافية إلا في المراحل الأخيرة من الحركة[151]. وبدلًا من ذلك، أمضى قائد الحركة الرئيس، يان سميد Jan Smid، معظم العشرينيات في الضغط على النقابات لتبنّي سياسات حمائية تهدف إلى مواجهة تبعيات زيادة الإنتاج الزراعي العالمي[152]. وبناء عليه، كانت حركة **الزراعة والمجتمع** في جوهرها استجابةً لتصاعد التصنيع والتحضّر الذي تجلّى على نحو غير متكافئ؛ إذ ظلّ كثير من صغار المزارعين متأخرين عن مواكبة تضخّم الدخل وارتفاع الأسعار[153].

وتبلورت الحركات اللاحقة، مثل حركات التسعينيات، حول التحولات في العلاقات الأيضية للزراعة. ففي تلك الفترة، تكتّل كلٌّ من صغار المزارعين وبعض مربّي الخنازير الصناعيين حول مطلب برامجي مشترك، تمثّل في معارضة التخفيضات العامة في أعداد قطعان الخنازير التي تجري تربيتها[154]، ومع ذلك، لم يكن تقليص أعداد هذه القطعان سوى أداة ضمن سلسلة من الإجراءات التي استهدفت تلبية الحاجة إلى إدخال نظام المحاسبة الغذائية Nutrient Accounting على مستوى المزرعة لتتبّع المغذيات، في محاولة لمعالجة الآثار الملوِّثة للفائض من روث الحيوانات Manure Surpluses[155]. وقد أثارت هذه المحاولات الرامية إلى معالجة الاختلال الأيضي في الزراعة - حيث

146 حول استخدام القياسات البيئية بوصفها مؤشرًا على الحدود البيئية Ecological Limits، يمكن الاستفادة من المقارنة بين ردود فعل مؤسسات التخطيط، ينظر:
Planbureau voor de Leefomgeving (PBL), *Naar een uitweg uit de stikstofcrisis: Overwegingen bij een integrale, effectieve en juridisch houdbare aanpak* (Den Haag: Planbureau voor de Leefomgeving, 5/7/2021, accessed on 28/10/2025, at: https://acr.ps/1L9BPkv;

وعلماء المناخ، ينظر:
Wim de Vries, Han van Dobben & Wieger Wamelink, "Kritische depositiewaarden zijn bruikbaar voor landelijk beleid," *Nature Today*, 5/9/2022, accessed on 28/5/2025, at: https://acr.ps/1L9BORt;

والأطروحات المتشككة، ينظر:
William M. Briggs & Jan C. Hanekamp, "Nitrogen Critical Loads: Critical Reflections on Past Experiments, Ecological Endpoints, and Uncertainties," *Dose-Response*, vol. 20, no. 1 (2022), pp. 1-10;

والأطروحات التآمرية المعادية للبيئة، ينظر:
Arnout Jaspers, *De stikstoffuik: Politici in de ban van de ecolobby* (Amsterdam: Blauwburgwal, 2023).

147 Jan Douwe van der Ploeg, *Over de betekenis van verscheidenheid* (Wageningen: Landbouwuniversiteit Wageningen, 1993).

148 Ibid., p. 96.

149 Ibid.

150 Hart, "Resurgent Nationalisms and Populist Politics in the Neoliberal Age," pp. 233-238; Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164.

151 J. H. de Ru, "Landbouw en maatschappij: Analyse van een boerenbeweging in de crisisjaren," PhD Dissertation, Wageningen University, 1980, pp. 251-258.

152 Ibid.

153 Evert Willem Hofstee, "Opmerkingen aangaande de historische ontwikkeling van de regionale loonverschillen," in: *Het vraagstuk der gemeente-classificatie* (The Hague: Staatsuitgeverij, 1951), pp. 14-42; Evert Willem Hofstee, "Sociale en economische ontwikkelingen in de plattelandssamenleving 1935–1985," in: G. A. de Lange, C. T. Zelvelder-Van der Laan & J. P. Burema (eds.), *Huishouding, voorlichting en wetenschap: 50 jaar Stichting voor Huishoudelijke en Consumentenvoorlichting-HVP* (Amsterdam: Nijgh & van Ditmar, 1985), pp. 91-113.

154 Ploeg, "Farmers' Upheaval, Climate Crisis and Populism," pp. 589-605.

155 J. A. Breembroek et al., "Environmental Farm Accounting: The Case of the Dutch Nutrient Bookkeeping System," *Agricultural Systems*, vol. 51, no. 1 (1996), pp. 29-40.

ساهمت الأسمدة في زيادة حادّة في مخزون النيتروجين في التربة الزراعية وما يجاورها – سلسلةً من الاحتجاجات ضد ما اعتُبر مرةً أخرى قواعد بيروقراطية مفروضة.

المهم هنا أن التوترات كانت قائمة في الوقت نفسه "داخل جهاز الدولة [...] وكذلك داخل اللوبي الزراعي"، كما يذكّرنا جاب فـرووس[156]. ومع أن تقليص أعداد قطعان الخنازير انتهى عند حدٍّ أقصى بلغ 10 في المئة، فإن الاحتجاجات التي استهدفت التشريعات الخاصة بالأسمدة أبانت تناقضاتٍ متزايدةً بين أنواع المزارعين المشاركين فيها. فعلى الرغم من أن الخطاب الاحتجاجي بُني على حماية "المقاول/ رائد الأعمال الزراعي" Agricultural Entrepreneur[157]، فإن تنوّع المزارعين المشاركين في الاحتجاجات كشف عن ممارسـات زراعية آخذة في التمايز؛ إذ توزّعوا على طيف واسع من مستويات التكثيف الزراعي[158]. ومع ذلك، كان الاستنتاج التشريعي للحظة التسعينيات متمحورًا حول التنظيم الذاتي Self-Regulation على مستوى المزرعة. ومن ثم، يجادل فرووس بأن الصراعات حول تقليص استخدام الأسمدة أفضت إلى نشوء نسق تنظيمي Regulatory System يقوم على نحو متزايد على مبادئ "'التنظيم الذاتي' Self-Regulation التي تنتهجها المنظمات الزراعية، وهو ما يتطلّب تحميل المـزارعين الأفراد أنفسهم المسؤولية والمبادرة"[159].

يبدو من الطبيعي، في ضوء الحركات السابقة، لا سيما التي شهدتها التسعينيات، أن يرى فان دير بلوخ[160] أن مسألة النيتروجين الحالية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين محاطة بـ "نظام اجتماعي - تقني" متكامل. ويوضح، في كتابه الأخير، **مغلقٌ بسبب النيتروجين** *Gesloten Vanwege Stikstof*، أن الزراعة الهولندية أفرزت مشكلة من صنع يديها، لكنها مشكلة يصعب السيطرة عليها. وليس من المستغرب أن تأتي صادرات الزراعة الهولندية في المرتبة الثانية عالميًا بعد الولايات المتحدة من ناحية القيمة الاقتصادية، ويضطلع ميناء روتردام بدور رئيس في إعادة تصدير جزء كبير من هذه المنتجات. أما بقية الصادرات الضخمة، فلم يكن في الإمكان تحقيقها إلا من خلال تكثيف زراعي كبير وزيادة حادة في استخدام الطاقة والمياه والمواد الكيميائية.

استمرت انبعاثات النيتروجين والميثان في الارتفاع، مع ازدياد أعداد الثروة الحيوانية. ويُعد النيتروجين عنصرًا أساسيًا للحياة النباتية. وفي الواقع، يشير الصدع الأيضي الذي ناقشه ماركس[161] (مستندًا إلى أفكار فون ليبيغ)، في **رأس المال: المجلد الثالث**، إلى انخفاض خصوبة التربة نتيجة تقلّص المخلفات البشرية والحيوانية في المناطق الريفية بعد عملية التوسع الحضري خلال الثورة الصناعية. ومع ذلك، شهدت هولندا اختلالًا في الاتجاه المعاكس؛ إذ أدت الزيادات الكبيرة في استخدام الأسمدة الكيميائية وروث الحيوانات إلى ارتفاع مستويات الأمونيا في الغلاف الجوي بالتزامن مع زيادة حموضة التربة، وظهور تكاثر الطحالب في المسطحات المائية، وتفاقم أضرار كبيرة في التنوع البيولوجي[162]. وفي حين عاد عدد قليل من المزارعين إلى دورة نيتروجين "متوازنة"، قائمة على تعديلات نوعية في تغذية الماشية وإدارة المراعي[163]، تظل هذه الممارسـات المتوازنة غالبًا الاستثناء لا القاعدة[164].

اضطرت الحكومة الهولندية مرةً أخرى، بعد تجاهل المشكلة سنوات عديدة، بل تفاقمها من خلال تشجيع المزيد من التكثيف الزراعي وإعفاء بعض أسوأ المسببين للتلوث، إلى مواجهة مسألة النيتروجين. وقد أُجبِرت على ذلك نتيجة سلسلة من الدعاوى القضائية التي رفعتها المنظمات غير الحكومية البيئية، بما في ذلك حملة **مؤسسة أورجيندا** *Urgenda Foundation* المستمرة في نشاطها (2015–2023)، إلى جانب تحركات **غرينبيس** *Greenpeace*[165]، وحركة **التعبئة من أجل البيئة** *Mobilization for the Environment* المعروفة بفاعليتها

156 Jaap Frouws, "Mest en macht: Een politiek-sociologische studie naar belangenbehartiging en beleidsvorming inzake de mestproblematiek in Nederland vanaf 1970," PhD Disseration, Wageningen University, 1994, p. xi; Jaap Frouws, "The Manure-policy Process in The Netherlands: Coping with the Aftermath of the Neocorporatist Arrangement in Agriculture," in: Eirik Romstad, Jesper Simonsen & Arild Vatn (eds.), *Controlling Mineral Emissions in European Agriculture* (Wallingford, UK/ New York: CAB International, 1997), pp. 209-223.

157 Frouws, "Mest en macht."

158 Jan Douwe van der Ploeg, "Over de betekenis van verscheidenheid," Inaugural Lecture, Wageningen University, Wageningen, 25/3/1993.

159 Frouws, "Mest en macht," p. xi.

160 van der Ploeg, *Gesloten Vanwege Stikstof*, p. 15.

161 Karl Marx, *Capital: A Critique of Political Economy*, vol. 1 (London: Penguin Books in association with New Left Review, 1976 [1867]), pp. 65–84.

162 Jan Willem Erisman & Wim de Vries (eds.), *Stikstof: De sluipende effecten op natuur en gezondheid* (Hilversum: Uitgeverij Lias, 2021).

163 J. C. J. Groot, W. A. H. Rossing & E. A. Lantinga, "Evolution of Farm Management, Nitrogen Efficiency and Economic Performance on Dutch Dairy Farms Reducing External Inputs," *Livestock Science*, vol. 100, no. 2-3 (2006), pp. 99-110; van der Ploeg et al.

164 van der Ploeg, *Gesloten vanwege stikstof*.

165 Greenpeace Nederland, "Waarom Greenpeace een rechtszaak voor de natuur start (en tegen het trage stikstofbeleid)," *Greenpeace Nederland*, 12/7/2023, accessed on 15/9/2023, at: https://acr.ps/1L9BOTh

على الرغم من صغر حجمها[166]. ويبدو أن استجابة الحكومة تمثّلت في محاولة خفض أعداد الثروة الحيوانية من خلال دفع المزارعين إلى تقليل عدد القطيع بتقديم حوافز مالية، أو شراء مزارع كاملة لإخراجها من الإنتاج أو تغيير طريقة استخدامها على نحو أقل تلويثًا. وبعد تحديد الأسوأ في التلوث والمناطق الأشد حساسية لتراكم النترات في التربة (لا سيما تلك المجاورة للمناطق المحمية ضمن برنامج Natura 2000)، أطلقت الحكومة هذه الاستراتيجية المبهمة إلى حد ما، ما أثار غضب قطاع الأعمال الزراعي والمزارعين الذين شعروا باستهداف غير عادل؛ فأدى سوء إدارة الحكومة لهذه الاستراتيجية[167]، وبما يتشابه على نحو لافت مع استراتيجية تقليص أعداد الخنازير في التسعينيات[168]، إلى سهولة تأطير السياسة على أنها صراع بين المزارعين والبيئة، أو بين النخب الحضرية والمجتمعات الريفية المنسية.

يواجه المـزارعـون – وقطاع الـزراعـة الأوسـع – حالة تشابك Entanglement ضمن صراع حول من يحق له التحدث باسم "المزارع"[169]. وبعد استجابتهم بطرائق متنوعة، يبدو أنهم وجدوا أقوى صوت لهم داخل حركة المزارع – المواطن، التي انطلقت، تحت قيادة كارولين فان دير بلاس Caroline van der Plas، الصحافية الزراعية السابقة، من شركة التسويق الزراعي ReMarkAble التي أسستها مع زميلها في الحركة، هنك فيرمير Henk Vermeer. وقد حققت الحركة أكبر عددٍ من المقاعد في جميع الأقاليم الاثني عشر في هولندا خلال الانتخابات الإقليمية الأخيرة في آذار/ مارس 2023. وعلى الرغم من أنها حظيت بأكبر قدر من الاهـتمام في السنوات الأخيرة عقب نجاحها الانتخابي، فإنها محاطة على يمينها بمجموعة متطرفة تكاد تصل إلى الفاشية باسم قوة دفاع المزارعين Farmers Defence Force. وقد انضم زعيم هذه المجموعة إلى الحزب القومي Belang van Nederland (مصلحة هولندا)[170]، وفي أول احتجاج لها عام 2019، لم يُتَح الحديث سوى لزعيمَي اليمين، تييري بوديه Thierry Baudet- Forum voor Democratie, FvD، "منتدى الديمقراطية"، وغيرت ويلدرس Geert Wilders –Partij voor de Vrijheid، "حزب الحرية". وخلافًا لما كان عليه الحال في التسعينيات، حينما نأت الأحزاب السياسية الوطنية بنفسها عن احتجاجات المزارعين[171]، أصبح الحراك الزراعي الواسع اليوم ساحةً يسعى فيها مختلف الفاعلين لاستثمار الاستياء الريفي وتجسيده من خلال إحياء مشروع **قومي**[172].

وبعيدًا عن التأكيدات الأدائية والوجدانية التي أبرزها فان دير بلوخ[173]، نحاجّ بأن النظر عن كثب في حركة المزارعين يكشف عن موضوعات مهمة عديدة تتعلق بتغير **مضمون** الشعبوية اليمينية، في ظل **شكلٍ** متكرر من التشييء المكاني Spatial Reification الذي يضع "ريفًا يجري تصويره متجانسًا" في مقابل "الحضر". أولًا، لقد خدمت استراتيجية الحركة البيئية في هولندا، من نواحٍ عديدة، مصالح الشعبويين اليمينيين، وساهمت في تغذية التجريدات الزائفة False Abstractions التي يستمدون منها قوتهم[174]. ثانيًا، حرصت حركة المـزارعين على تكريس المزيد من السمات المكانية - الزمانية المُشيَّأة Reified Spatio-Temporalities حول صراع النيتروجين. ثالثًا، دارت الصراعات على "ميدان الأيديولوجيا" كما يصوغها غرامشي. ولم تكن الرهانات في هذه الصراعات مرتفعة على نحو يثير الدهشة في هولندا فحسب، بل في أوروبا عمومًا، حيث يبدو أن اليمين المتطرف يشهد عودةً وتصاعدًا من جديد. وأخيرًا، من المستحيل والخطير معًا التعامل مع الحركة الهولندية بوصفها حالةً معزولة؛ فمع تدخل منظّري المؤامرة من جميع أنحاء العالم وظهور احتجاجات المزارعين في بلجيكا وأماكن أخرى في أوروبا، يتضح أن هولندا تواجه مجموعة من القضايا التي باتت شائعة في بلدان أخرى[175]. فيظهر المثال الهولندي، حين يُقرأ في سياق عالمي متشابك، مدى سهولة تمكن الشعبويين اليمينيين من قلب الحجج البيئية رأسًا على عقب إذا لم تتصدَّ الحركات التقدمية في الوقت نفسه للتجريدات الزائفة التي يستمدون منها قوتهم.

166 B. Weijer, "Milieuorganisatie MOB steekt alweer een spaak in het wiel van de Staat en de fossiele industrie. Hoe goed (of slecht) is dat?" *De Volkskrant*, 26/4/2023.

167 F. Hendrickx, "De tijdbom onder het stikstofdossier tikte al twee jaar, maar het ministerie wilde het niet horen," *De Volkskrant*, 28/10/2019.

168 Frouws, "Mest en macht."

169 van der Ploeg, *Gesloten vanwege stikstof*.

170 T. van der Pal, "Farmers Defence Force wordt geen politieke partij. 'Een boer hoort niet over zorg mee te praten'," *Trouw*, 15/8/2023, accessed on 1/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPmy

171 Frouws, "Mest en macht."

172 Yvonne Hofs, "Politieke partijen proberen kritische boeren voor zich te winnen tijdens Het Grote Landbouwdebat," *De Volkskrant*, 19/10/2023; van der Ploeg, *Gesloten vanwege stikstof*.

173 van der Ploeg, *Gesloten vanwege stikstof*.

174 ينظر: Jaspers, *De stikstoffuik: Politici in de ban van de ecolobby*.

175 ينظر، على سبيل المثال، مناقشة سيرا دويتش المماثلة لأجندة بولسونارو المعادية للبيئة، في:

Sierra Deutsch, "Populist Authoritarian Neoliberalism in Brazil: Making Sense of Bolsonaro's Anti-Environment Agenda," *Journal of Political Ecology*, vol. 28, no. 1 (2021), pp. 823-844.

1. "الطبيعة" ضد "الشعب"

لنقتبس مقالًا حديثًا في منصة **بوليتيكو** *Politico*، من السهل تصوير هذا الصراع على أنه يدور حول "حماية الطبيعة، وتدمير حيوات الناس"[176]. وبناء عليه، تتمحور الملاحظة الأكثر مباشرة حول كيفية تمكّن الحكومة الائتلافية الليبرالية من ارتكاب أخطاء سياسية جسيمة فيما يتعلق باستراتيجيتها لخفض النيتروجين. ويصبح السؤال هنا: ما الـذي تسبّب في الانعطاف المفاجئ والدرامي عن السياسات السابقة، التي كانت قد ركّزت على مزيد من تكثيف الزراعة؟[177] ففي حين كان ضغط الاتحاد الأوروبي للحد من الانبعاثات يتزايد، ومع تقلص هامش القدرة على التهرب من اللوائح الأوروبية، أدى الضغط الداخلي دورًا حاسمًا أيضًا، وتمثّل غالبًا في جهود محلية أصغر، مثل مبادرة **التعبئة من أجل البيئة**، التي قادها يوهان فولنبروك. وفي كثير من الأحيان، يجري تصويره بوصفه داود المقدام الذي يواجه جالوت قطاع الأعمال الزراعي والدولة؛ فقد أطلق فولنبروك، الكيميائي المؤهل، سلسلة من الإجراءات القانونية التي أجبرت الحكومة الهولندية على الوفاء بالتزاماتها الخاصة بالحد من الانبعاثات[178]. وكان حكم المحكمة لعام 2019 محوريًا على نحو خاص في إجبار الحكومة على التخلي عن نظام إصدار تصاريح الانبعاثات النيتروجينية. وبناء عليه، كانت احتجاجات عام 2019، إلى حد بعيد، رد فعلٍ على هذا الانعطاف المفاجئ في السياسة الزراعية - حتى وإن كان محتملًا - والذي نتج من ذلك الحكم، وليس ردًا على إجراءات كانت قد تبلورت رسميًا بالفعل.

يبدو فولنبروك، في مقابلاته بصفته ناشطًا بيئيًا ملتزمًا التزامًا عميقًا، محبطًا من عدم استعداد قطاع الأعمال الزراعية والدولة لتغيير النموذج الزراعي الذي يبدو أن ثروات البلاد الاقتصادية تعتمد عليه[179]. وهو واضح في تأكيده أن على المزارعين الانتقالَ بعيدًا عن النموذج الزراعي المكثّف في استهلاك الطاقة والمواد الكيميائية الذي ساد خلال القرن العشرين. وأحيانًا، تبدو لغته قريبة من خطاب أنصار الإيكولوجيا العميقة Deep Ecology[180]، لا سيما حين يميل إلى تصوير البشر بوصفهم جزءًا من الطبيعة في مجادلته بأن تكتيكات حركة **التعبئة من أجل البيئة** تشبه الاستجابة المناعية، حيث يتفاعل النظام نتيجة غياب الرعاية البيئية من جانب الدولة الهولندية. ومع ذلك، تعدّ التكتيكات المستخدمة أقرب إلى ما يُسمى بـ "البيئة القضائية"[181]. يمتلك فولنبروك، بفضل دراسته القانون البيئي إلى جانب الكيمياء، مجموعة مهارات مناسبة تمامًا لمهمة مساءلة الحكومة عن ممارساتها البيئية. ونظرًا إلى هذه التكتيكات - التي فرضتها جزئيًا التغييرات في المشهد السياسي - فقد صورته الصناعة الزراعية على أنه جزء من نخبة بعيدة تدافع عن الطبيعة على حساب "الشعب". وهنا تكمن مفارقة واضحة؛ إذ إن الطعون القانونية التي قدّمها كانت موجّهة إلى الحكومة نفسها. ومع ذلك، كما يقول أرين بوين، فإن مثل هذا التموضع "يُضفي عليه بعدًا بطوليًا، لأن المزارع يُجسّد أسطورة المحلي في مواجهة نخبة بعيدة تقبع في أبراج زجاجية، تضع سياسات لا يفهمها أحد"[182].

ونجد تأكيدات مشابهة في الأطروحات السوسيولوجية بشأن ما يُعرف بـ "حروب النيتروجين"، كما وصفها توليس[183]. فعلى سبيل المثال، يكتب فان دير بلاس قائلًا إن "الممارسة الزراعية تنفصل على نحو متزايد عن الطبيعة"، حيث تجري إزاحة "عوامل النمو الطبيعية واستبدالها بعوامل نمو صناعية"[184]. والنتيجة، في رأيه، هي تهميش المجتمع لصالح الاقتصاد والتكنولوجيا. لكن هذا التصور، من وجهة نظرنا، يُقلل من شأن التغيرات العلائقية التي تحدث عندما تُعاد مركزة الإنتاج الزراعي – الإيكولوجي Agro-Ecological مكانيًا، وهو أمر حصل على نحو خاص بعد احتجاجات التسعينيات[185]. وكما يجادل جيسون مور، "ينطوي ذلك على إعادة هيكلة نوعية

176 Karl Mathiesen, "Protecting Nature, Destroying Lives: The Chemist vs. the Dutch Farmers," *Politico*, 9/3/2023, accessed on 1/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPJd

177 G. J. Borger, "Opinie: Een onvermogende overheid en het stikstofdossier," *Geografie* (online), 15/11/2020, accessed on 1/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPM7

178 Mathiesen.

179 Joep Schoorl & Tjerk Kreling, "De apocalyptische toekomstbeelden van de stikstofbestrijder des vaderlands," *De Volkskrant*, 18/2/2022, accessed on 1/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPuW; "Sven op 1 met Johan Vollenbroek," *Sven op 1* (Podcast, *NPO Radio*), 1/11/2022, accessed on 1/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPpK

180 ينظر:
Arne Næss, "A Defence of the Deep Ecology Movement," *Environmental Ethics*, vol. 6, no. 3 (1984), pp. 265-270; George Sessions, "Deep Ecology as Worldview," *The Bucknell Review*, vol. 37, no. 2 (1993), pp. 207-218.

181 Asif Mehmood & Joshua J. Cousins, "Judicialising Urban Political Ecologies: Post-Politics and Environmental Governance in South Asia," *Antipode*, vol. 54, no. 6 (2022), pp. 1944-1964.

182 Patrick Smith, "How Dutch Farmers Became the Center of a Global Right-Wing Culture War," *NBC News*, 12/12/2022, accessed on 15/9/2023, at: https://acr.ps/1L9BPnE

183 Tullis.

184 van der Ploeg, *Gesloten vanwege stikstof*, p. 31.

185 Frouws, "Mest en macht."

لمجمل العلاقات الزراعية: البنية الطبقية، ونطاق المدخلات المطلوبة، والبنية التحتية للنقل، وتنظيم المال والائتمان، وتقنيات الزراعة"[186]. والحجة ههنا هي أن خصوبة التربة، ومن ثم مسألة النيتروجين، ليست مسألة طبيعية بحتة، بل هي متشابكة مع قوى متعددة وواسعة تحدد العلاقات الاجتماعية - الطبيعية[187]. وبعبارة أخرى، تتيح إعادة تأكيد علاقة مبسطة بين "الطبيعة" و"الشعب" (أو المزارعين) فرصة سهلة أمام اليمين الشعبوي لاستغلال هذه الحجة، لأن الحجة المضادة ستكون ببساطة: المزرعة نفسها تحتوي على "طبيعة"، أو كما قالت قائدة حركة المزارع - المواطن، فان دير بلاس، في إحدى مقابلاتها: "هناك طبيعة أيضًا في الأراضي الزراعية. هناك أيضًا حشرات في المزارع"[188].

2. السمات الزمانية المكانية الواقعية والمتخيَّلة

تقوم استراتيجية حركة المزارعين الهولنديين، كما أوضح بوين سابقًا، على خصومة مكانية محورية، هي "المحلي" في مواجهة "البعيد"، أو على نحو أدق: الريفي في مواجهة الحضري. ولا شك في أن هذه المخاييل المكانية ليست جديدة بطبيعة الحال على الفاعلين في الحملات البيئية. وتكمن المفارقة في أنها كانت أساسية أيضًا في التعبئة لمواجهة أنماط محددة من اللاعدالة البيئية، بل إن حركة العدالة البيئية درجت على تقديم مقاربات أشد تعقّدًا لإعادة بناء الواقع العياني، عبر الكشف عن الأبعاد الطبقية والجندرية، وقبل كل شيء، العرقية للاعدالة البيئية في كل سياق[189]. أما حركة المزارعين، فقد استبعدت تلك المحددات من الحسبان، وطرحت خصومة بسيطة قوامها الشعب/ الريفي/ المحلي في مواجهة النخبة/ المديني/ البعيد. وهي مقاربة متجذّرة في استراتيجيات مألوفة لدى الشعبوية اليمينية التي تسعى لموضعة نفسها بوصفها القادم الشرعي من خارج النظام Rightful Outsider في مواجهة الإستبليشمنت[190]/ النخبة. وتُعرض هذه الرؤى في أماكن أخرى أيضًا، على نحو يشبه رؤية روب فورد المُسيّسة عرقيًا لمدينة تورونتو[191]، وموقف بولسونارو المناهض للبيئة[192].

من ناحية أولى، يقوم هذا التأطير المكاني على شروط مادية ملموسة. فالمزارعون، الذين يرون أنفسهم جزءًا من المخيال السياسي للريف، يوجّهون ردود أفعالهم نحو السياسات التي يضعها سياسيون يُنظر إليهم بوصفهم ممثّلي المخيال الحضري في المدن. والفكرة الأساسية هنا أنّ السياسيين الموجودين في لاهاي يُنظر إليهم على أنهم يتصرفون بناءً على مراسيم صادرة عن سياسيين آخرين يقيمون في مدينة كبرى أخرى، هي بروكسل، وهي الأبعد عن الواقع الريفي. ومع ذلك، يُخفي هذا التأطير المكاني البسيط علاقات أشد تعقدًا، شكّلت أساس ازدهار الزراعة الهولندية على مدى القرون الماضية. ويُلمح توليس إلى هذه العلاقات حين ينقل عن الصحافي والكاتب غيرت ماك Geert Mak قوله بشأن التكامل بين المدينة والريف في تخطيط القرن العشرين في هولندا: "إن سكان المدن والريف في هولندا ظلّوا متصلين ماديًا وثقافيًا، أكثر مما كانوا عليه في كثير من البلدان المتقدمة الأخرى"[193].

ومع ذلك، تشير فكرة دمج "الريفي" ضمن "الحضري" أيضًا إلى أن هذه المفاهيم تظلّ تصورات وصفية. وباعتبار الزراعة في هولندا من بين أكثر الزراعات تطورًا من الناحية التقنية على مستوى العالم، فإن الاستخدام الوصفي لهذه العمليات التفاعلية يُضفي بوضوح طابعًا إشكاليًا حادًّا على فكرة "نمط حياة ريفية" قائم على ممارسات زراعية مثالية. وبدلًا من ذلك، نشأت الزراعة الهولندية والاقتصاد الهولندي من علاقة تكافلية بين الريف والمدينة Rural-urban Symbiosis، ولا يزالان متجذرَين فيها. وقد انبثقت هذه الأطروحة حول التكافل الريفي - الحضري من سلسلة من النقاشات بين الاقتصاديين الماركسيين والكلاسيكيين بشأن إمكانية اعتبار الجمهورية الهولندية مثالًا مبكرًا للدولة الرأسمالية، أم

186 Jason W. Moore, "Metabolic Rift or Metabolic Shift? Dialectics, Nature, and the World-Historical Method," *Theory and Society*, vol. 46 (2017), p. 306.

187 Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164; Moore, pp. 285-318.

188 Yvonne Hofs, "Het stikstofprobleem volgens Caroline van der Plas (BBB): 'Ook op landbouwgrond is natuur'," *de Volkskrant*, 21/1/2023.

189 على سبيل المثال:
Laura Pulido, "Geographies of White Supremacy and Ethnicity I: White Supremacy vs. White Privilege in Environmental Racism Research," *Progress in Human Geography*, vol. 39, no. 6 (2015), pp. 809-817; Laura Pulido et al., "Environmental Deregulation, Spectacular Racism, and White Nationalism in the Trump Era," *Annals of the Association of American Geographers*, vol. 109, no. 2 (2019), pp. 520-532.

190 نسير على خطى أنصار نقحرة المصطلح بدلًا من تعريبه بالمؤسسة أو النظام، بعد أن بات جزءًا لا يتجزأ من الخطاب الشعبوي، السياسي والأكاديمي. تضم الإستبليشمنت، من منظور أدبيات الشعبوية، النخب السياسية، فضلًا عن النخب الاقتصادية والإعلامية والثقافية، التي تلتف حول مشروع شعبوي ما. ينظر مثلًا: يان زيمان، "الشعبوية تتجاوز الأمة"، في: **الشعبوية والسياسة العالمية: سبر الأبعاد الدولية والعابرة للحدود**، فرانك ستنغل وديفيد ماكدونالد وديرك نابرز (محررون)، ترجمة محمد حمشي (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022)، ص 77. (المترجمة)

191 Stefan Kipfer & Parastou Saberi, "From Revolution to Farce? Hard-Right Populism in the Making of Toronto," *Studies in Political Economy*, vol. 93, no. 1 (2014), pp. 127-152.

192 Deutsch, pp. 1-22.

193 Tullis.

أنها أقرب إلى مجتمع رأسمالي في بعض النواحي الأساسية، لكنها تفتقر إلى العلاقات الاجتماعية أو الاقتصاد السوقي الذي يعرّفها بوصفها دولة رأسمالية[194]. واستنادًا إلى تفسيرات تاريخية أحدث لما يُعرف بـ "المعجزة الهولندية"، يرى بيبين براندون أن الانتقال من النظام الإقطاعي إلى الرأسمالية جرى جزئيًا من خلال "تكافل حضري - زراعي"[195]. ويتجه براندون، مقابل من يفسرون الاقتصاد الهولندي في القرن السابع عشر على أنه اقتصاد تجاري بحت، ومن يضعون التحول من الإقطاعية إلى الرأسمالية ضمن سياق العلاقات الطبقية الريفية فحسب، إلى إضفاء الطابع التجاري على الزراعة الهولندية من خلال علاقاتها بالمدن، التي تكثفت على الصعيد العالمي، قائلًا:

> وهكذا، ظهرت طبقة من أشباه الرأسماليين الحضريين الذين لم يكتفوا بالاستحواذ على المنتجات النهائية للعمل الريفي فحسب، بل حصلوا على سيطرة كبيرة على كل مرحلة من مراحل الإنتاج. وفي المقابل، أدى فقدان الفلاحين السيطرة على وسائل الإنتاج إلى تمهيد الطريق أمام تحويل هؤلاء التجار - رواد الأعمال إلى طبقة بروليتارية بالكامل Proletarianization بمجرد أن شرعوا في نقل أجزاء كبيرة من عملية الإنتاج إلى المدن. وقد مهّد هذا التكافل الحضري - الريفي الطريق للانتقال إلى الرأسمالية في هولندا[196].

وفي حين ساعد هذا التكافل الحضري - الريفي في تحقيق انتقال متمايز وغير متكافئ ومتقطع من الإقطاعية إلى الرأسمالية، فإنه لا ينبغي أن يمنح الانطباع الخاطئ بوجود قطاع زراعي متجانس أو موقع ريفي منعزل. فقد كانت التمايزات جوهرية، ولا تزال كذلك، بالنسبة إلى خصوصية الزراعة الهولندية، وهو أمر يجري التغاضي عنه أيضًا في التجريدات المغلوطة التي تروّج لها حركة المزارعين. وفي هذا الصدد، يحرص فان دير بلوخ[197] على تأكيد أن القطاع، منذ الخمسينيات، ومع زيادة كثافة الزراعة الهولندية، أصبح بوضوح أشد تمايزًا على نحو متزايد. وقد سارع المزارعون المقاولاتيون Entrepreneurial Farmers، على وجه الخصوص، إلى اعتماد أساليب زراعية أعلى كثافة في استهلاك الطاقة؛ ما ألحق ضررًا بالمزارعين الفلاحيين التقليديين. ويدعو فان دير بلوخ[198]، مع رؤيته بارقة أمل في مشروع سياسي قائم على إحياء الزراعة الفلاحية التقليدية، إلى بديل من "الشعبوية الرجعية" Regressive Populism المبنية على "الزراعة الصناعية، وسياسات الدولة، وعلوم فاخينينغن[199]"[200]. والأهم من ذلك أنه يوضح التعقد داخل قطاع الزراعة، والعلاقات غير المتكافئة، لكنها جوهرية، التي تربط هذا القطاع بالعلاقات الحضرية، والتي تتجاوز التصورات المُشيَّأة مثل "الريف"، إضافة إلى الطريقة التي يجعل بها العديد من المزارعين الأضعف أقل احتمالًا لأن يكونوا جزءًا من الحركة الشعبوية الرجعية المعترضة على سياسات المناخ[201].

3. ميدان الأيديولوجيا

يتضح من خلال هذه الخيوط جميعها أنّ تلاقي حركة المزارعين مع سياسة المناخ قد فتح ميدانَ أيديولوجيا تُخاض فيه صراعات محتدمة حول تصوّرات العالم؛ فنظريات المؤامراة الجامحة لدى اليمين المتطرف تفتقر إلى أيّ أساس واقعي. ومع ذلك، فإنها تتقاطع مع جملة من الشروط المادية التي يجد فيها كثير من المزارعين أنفسهم غارقين في الديون، ومخذولين من السياسات الحكومية، وعاجزين عن تفسير ما آلت إليه أوضاعهم. وفي حين تظل حركة المزارعين متمايزة داخليًا[202]، فقد غدت الصراعات حول ميدان الأيديولوجيا أهم كثيرًا[203]. وتكمن خصوصية اللحظة الراهنة أيضًا في الدور المركزي للسياسة البرلمانية التي باتت منخرطة في حركات المزارعين[204]، وهو ما يختلف عن العلاقات الخارجة عن الإطار البرلماني التي كانت سائدة في حركات التسعينيات[205].

---

194 Maarten Prak & Jan Luiten van Zanden, *Pioneers of Capitalism: The Netherlands 1000-1800* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2022).

195 Brandon, pp. 106-146.

196 Ibid., p. 124.

197 van der Pal; van der Ploeg, "Farmers' Upheaval, Climate Crisis and Populism," pp. 589-605.

198 Ibid.

199 نسبة إلى جامعة فاخينينغن Wageningen University & Research، التي تركز على علوم الحياة والعلوم الزراعية. والإحالة هنا غير محايدة، بل تنطوي على بعد نقدي واضح في مضمون المعرفة الزراعية السائدة، التي تجرد الزراعة من أبعادها السياسية والاجتماعية والبيئية - المحلية، وتربطها، من خلال سياسات الدولة، أكثر فأكثر بمصالح الشركات الزراعية الكبرى. (المترجمة)

200 من المهم التنبيه هنا إلى أنه، على غرار ما يدعو إليه كيفر من الاعتراف بالأسس المتمايزة دائمًا التي قد ينبثق منها مشروع تابع Subaltern، من المهم أيضًا الاعتراف بوجود اختلافات ضمن المصالح القوية وعدم طمس العلاقات المتغيرة بين هؤلاء الفاعلين الثلاثة.

201 van der Pal.

202 ينظر:

Lex Bohlmeijer, "'De boer' bestaat niet. Dat besef kan het stikstofdebat vooruithelpen, zegt deze hoogleraar," *De Correspondent*, 27/8/2022, accessed on 4/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPl7

203 van der Pal.

204 Ibid.

205 Frouws, "Mest en macht"; Jaap Frouws, "The Manure-Policy Process in The Netherlands: Coping with the Aftermath of the Neocorporatist Arrangement in Agriculture," in: Romstad, Simonsen & Vatn (eds.), pp. 209-223.

قد يكون من المهم هنا أن نشير صراحةً إلى مقدار اختلاف تفسيرنا لمفهوم ميدان الأيديولوجيا عن أيّ تصور للوعي الزائف False Consciousness؛ فليس المزارعون الهولنديون مخدوعين، ولا في حاجة إلى استبصارات "المنظّرين النقديين"، ولا تائهين في واقعهم المقلوب الخاص. فالصراع الأيديولوجي، بحسب غرامشي، متجذّر في الشروط المادية[206]. وفي مواجهة المحاولات التي تسعى لحل التناقضات التي يتجسد عبرها الصراع الطبقي من منظور خارجي، تمثّل فلسفة الممارسة Philosophy of Praxis، كما يطوّرها غرامشي، محاولةً لتفسير تلك التناقضات من الداخل، بوصفها سبيلًا أفضل لفهم الانزياحات والإمكانات الملموسة لبناء مجتمع مختلف جذريًا.

لقد كانت التناقضات داخل حركة المزارعين واضحة منذ البداية. وبالنسبة إلى فان دير بلوخ، هذه التناقضات هي ما يُمكّن ما يسميه "الشعبوية الرجعية" Regressive Populism. ومن ثم،

> لا شك في أن حركة خريف 2019 هي حركة شعبوية، ولكن بطريقة رجعية. إنها ظاهرة "متعددة الطبقات" Multi-class. لقد اجتمع فيها مزارعون كبار من ذوي النزعة المقاولاتية، ومزارعون أقرب إلى الطابع الفلاحي، وعمال زراعيون، ومجموعات مختلفة من شركات الأعمال الزراعية، وعمال متعاقدون، وسكان ريفيون آخرون، من دون أيّ محاولة جادة للتوفيق بين مصالحهم المتباينة جميعًا[207].

ويلاحظ فان دير بلوخ، في طرحٍ يردد صدى كتابات غرامشي بشأن الأيديولوجيا، أن الحركة التي نشأت حينها لم تسعَ لـ "معالجة علاقات القوة غير المتكافئة والتناقضات السياسية - الاقتصادية"، بل اختارت أن تخاطب كيانًا مجردًا هو "الدولة"[208]. وبدلًا من التصدي للتحديات الجوهرية التي تواجه الزراعة الهولندية، يسلط نقل الغضب نحو سلسلة من الخصومات الزائفة الضوءَ على ميدان الأيديولوجيا الذي باتت منظمات المزارعين تخوض صراعًا فيه[209]. ولعله من الأدق القول إن طيّ هذه التناقضات الكثيرة في تجريد زائف واحد – يتمثل في ثنائية "الشعب في مواجهة كتلة السلطة"، أو "الريف في مواجهة المدينة" – هو جوهر هذا الصراع. وتعدّ هذه استراتيجياتٍ خطرةً، كما في قراءة هارت للقومية في جنوب أفريقيا، لأن مجموعات يمينية متطرفة مثل قوة دفاع المزارعين Farmers' Defence Force[210] قد وظّفتها أيديولوجيًا.

4. الأبعاد الدولية

أخيرًا، أصبحت الأبعاد الدولية لحركة المزارعين ذات أهمية متزايدة. فكما يوضح باتريك سميث[211] وكامي خيس وبارتوش برجينسكي[212]، تحوّلت الحركة الزراعية الهولندية إلى ما يشبه نقطة الانطلاق الأساسية لنظريات المؤامرة؛ إذ سعى أصحابها لاستيعاب نضال المزارعين ضمن حركة يمينية شعبوية أوسع. وكان العنصر المحوري هنا هو نظرية مؤامرة "إعادة الضبط الكبرى" Great Reset التي ازدهرت خلال جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19). فقد جرى عرض مقطع فيديو قصير، بصوت الأمير البريطاني آنذاك تشارلز (الذي أصبح الآن الملك تشارلز الثالث)، دعا فيه إلى "إعادة ضبط كبرى"، تشمل التحول نحو أنماط حياة أكثر استدامة استنادًا إلى الدروس المستخلصة من الجائحة، وذلك في المنتدى الاقتصادي العالمي عام 2020. وفي وقت لاحق من العام نفسه، نشر رئيس المنتدى، كلاوس شواب، كتابًا بعنوان **كوفيد-19: إعادة الضبط الكبرى** *COVID-19: The Great Reset*[213]، وأصبح هذا الموضوع محور الاجتماع السنوي للمنتدى في عام 2021. وكما بيّن كوين سلوبوديان[214]، التقطت وكالات أنباء يمينية مختلفة الفيديو الأصلي الذي ظهر فيه الأمير تشارلز، ونسجت منه سردية حول "نخبة شيوعية عالمية" تسعى لتدمير الرأسمالية. وقد أُضيفت إلى هذه السردية طبقات أخرى من الخطاب المعادي للسامية؛ إذ صُوِّر أشخاص مثل جورج سوروس George Soros وشواب على أنهم شيوعيون، منحرفون، ويشكّلون نخبة خطيرة. وفي الحالة الهولندية، بلغ خطاب "الاستحواذ العولمي" الذي تمثله

206 Antonio Gramsci, *Further Selections from the Prison Notebooks*, Derek Boothman (trans. & ed.) (London: Lawrence and Wishart, 1995), p. 395.

207 van der Ploeg, "Farmers' Upheaval, Climate Crisis and Populism," p. 598.

208 Ibid.

209 van der Pal, "Farmers Defence Force wordt geen politieke partij."

210 Gillian Hart, *Rethinking the South African Crisis: Nationalism, Populism, Hegemony* (Scottsville, South Africa: University of KwaZulu-Natal Press, 2013).

211 Smith.

212 Camille Gijs & Bartocz Brzeziński, "Europe's Right Wing Piggybacks on Dutch Farmer Protests," *Politico*, 29/7/2022, accessed on 15/9/2023, at: https://acr.ps/1L9F2sA

213 ينظر:
Klaus Schwab & Thierry Malleret, *COVID-19: The Great Reset* (Geneva: Forum Publishing, 2020). (المترجمة)

214 Quinn Slobodian, "How the 'Great Reset' of Capitalism Became an Anti-Lockdown Conspiracy," *The Guardian*, 4/12/2020, accessed on 4/1/2025, at: https://acr.ps/1L9F2e9

"إعادة الضبط الكبرى" ذروته في الزعم أن المزارعين يُجبرون على التخلي عن أراضيهم لصالح سياسات مواجهة تغيّر المناخ[215].

ومن غير المستغرب أن يسعى منظّر المؤامرة البريطاني، ديفيد آيك، الذي بات لاحقًا ممنوعًا من دخول هولندا مدة عامين[216]، لاستثمار مشاعر الخوف والاغتراب لدى المزارعين؛ إذ إن رواياته المعادية للسامية، التي تزعم أن البشر تحكمهم جماعة سرية من الزواحف المتخفّية في هيئة بشر، قد تداخلت مع المخاوف الريفية من فقدان الأراضي[217]. والمقلق أن نظرية "الزواحف" هذه شهدت ترويجًا أيضًا من بعض أعضاء البرلمان الهولندي (من أمثال تييري بوديه Thierry Baudet). وقد جرى دمج طالبي اللجوء، بوصفهم أكثر الفئات الاجتماعية عرضةً للتحريض في أوروبا، ضمن سرديات المؤامرة هذه، عبر روايات شديدة العنصرية تزعم أن إغلاق المزارع في هولندا إنما يجري من أجل إفساح المجال أمام إنشاء مدينة ضخمة للاجئين.

ومع نشوء صراعات مماثلة في بلجيكا وإسبانيا وإيطاليا، تزداد المخاطر بالنسبة إلى اليمين المتطرف؛ إذ إن "الاستراتيجية" الهولندية لخفض انبعاثات النيتروجين مرتبطة داخليًا بالتحولات الجارية في مجموعة من السياقات الوطنية الأخرى. فعلى سبيل المثال، عطّل عدد من المزارعين الفرنسيين، مؤخرًا، المعرض الزراعي في باريس، معبّرين عن غضب مشابه تجاه التشريعات "الأوروبية"[218]. وإذا ما أريد تحقيق الأهداف الدولية المتعلقة بالتنوع البيولوجي وتغيّر المناخ، فسيتعيّن أن ينشأ نموذج زراعي مختلف جذريًا. وتُعدّ الصدامات حول النيتروجين مجرد عنصر واحد في هذه الصراعات؛ لكنها عنصر مرشح لأن يولّد ردودًا مماثلة، خصوصًا إذا أُسيء التعامل معه بالطريقة نفسها التي اتبعتها الحكومة الائتلافية الهولندية.

وهكذا، سعى ترمب، وستيف بانون Steve Bannon[219]، ومارين لوبان Marine Le Pen (في تغريدة في 23 تموز/ يوليو 2022) إلى تجنيد الحركة الهولندية ضمن سياسة قومية أوسع[220]. ووصف ترمب، في خطاب ألقاه في مؤتمر "نقطة تحول الولايات المتحدة الأميركية" Point USA Turning[221]، في مدينة تامبا Tampa[222]، ما سماه "الخدعة الكبرى المتعلقة بالمناخ"، وكيف أنها "تُعرّض البشرية لخطر الجوع والمجاعة"؛ وأضاف: "إن المزارعين في هولندا، من بين كل الأماكن، يقاومون بشجاعة استبداد المناخ الذي تمارسه الحكومة الهولندية". وعن هذه الحكومة، قال: "إنها تريد التخلص من الماشية، بسبب ما تفعله بالكوكب. إنها تريد إخراج نصف الماشية من البلد. وستكونون أنتم التالين". وفي مؤتمر طلابي، قال ترمب: "إننا، في حركتنا، نقف ضد المتعصبين للمناخ؛ نقف مع المزارعين الهولنديين المسالمين الذين يقاتلون بشجاعة من أجل حريتهم". وكما حدث مرارًا وتكرارًا، كان المصدر الرئيس لأدلة ترمب هو تاكر كارلسون، الذي سبق أن عبّر عن غضبه "الأخلاقي" المزعوم من أفعال "النخب العالمية" التي ستتسبب، في رأيه، في خلق أزمة غذاء عالمية. فبالنسبة إلى كارلسون، كشفت استجابة الحكومة الهولندية لاحتجاجات المزارعين عن الطبيعة الحقيقية لسياسات مناخية استبدادية[223]. أما مصدر كارلسون نفسه فكان المعلّقة اليمينية المتطرفة وعضو حزب منتدى الديمقراطية الهولندي سابقًا، إيفا فلاردينغنبروك Eva Vlaardingerbroek، التي استضافتها قناة **فوكس نيوز** *Fox News* في 7 تموز/ يوليو 2022، وادّعت أن "الحكومة لا تفعل هذا بسبب أزمة النيتروجين، بل لأنها تريد أراضي هؤلاء المزارعين، وتريد استخدامها لتوطين مهاجرين جدد". وقد مرّ هذا الادعاء، الذي لا أساس له مطلقًا، وهو مؤامرة مركّبة فوق مؤامرة، من دون أي تحدٍّ أو مساءلة في برنامج كارلسون على **فوكس نيوز**.

---

215 لتفاصيل أكثر، ينظر: Smith؛ ولتحليلات نقدية حول "إعادة الضبط الكبرى"، ينظر: Michael Christensen & Ashli Au, "The Great Reset and the Cultural Boundaries of Conspiracy Theory," *International Journal of Communication*, vol. 17 (2023), pp. 2348-2366; Paolo Gerbaudo, *The Great Recoil: Politics after Populism and Pandemic* (London: Verso, 2021).

216 "David Icke: Conspiracy Theorist Banned from Netherlands," *BBC News*, 4/11/2022, accessed on 4/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPef

217 لتحليل كيفية "اشتغال" نظريات المؤامرة لدى آيك، ينظر: Jaron Harambam & Stef Aupers, "From the Unbelievable to the Undeniable: Epistemological Pluralism, or How Conspiracy Theorists Legitimate Their Extraordinary Truth Claims," *European Journal of Cultural Studies*, vol. 24, no. 4 (2021), pp. 990-1008.

218 "Angry French Farmers Storm into Paris Agriculture Fair," *The Guardian*, 24/2/2024, accessed on 4/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BP1y

219 ينظر الحلقة 95 من برنامجه الإذاعي *War Room*.

220 حول إدماج لوبان السابق للقضايا البيئية في مشروعها اليميني المتطرف، ينظر: Atkins & Menga, pp. 224-232.

221 منظمة أميركية غير ربحية تدافع عن سياسة المحافظين في قطاع التعليم، خاصة الجامعات. تأسست في عام 2012؛ وفي عام 2016 أطلقت موقعًا على الإنترنت، *Professor Watchlist*، لنشر أسماء أعضاء هيئات التدريس الذين تزعم أنهم يمارسون تمييزًا ضد الطلاب المحافظين ويروجون للدعاية اليسارية في الجامعات. وفي عام 2025، تعرض أحد أبرز مؤسسيها، تشارلي كيرك Charlie Kirk، للاغتيال في حرم جامعة يوتا فالي في أوريم Utah Valley University in Orem. (المترجمة)

222 "Former President Trump Speaks at Turning Points USA Conference," *C-SPAN*, 23/7/2022, accessed on 1/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPy0

223 Alicia Sadowski, "In a Segment Riddled with Lies, Tucker Carlson Dismisses the Climate Crisis and Actions to Address It," *Media Matters for America*, 8/7/2022, accessed on 4/1/2025, at: https://acr.ps/1L9BPot

وفي حين أننا كنا واضحين في القول إن حركة المزارعين لا بد من أن تُفهم في ضوء الشروط المادية التي تُعاش فيها الحياة "الريفية"، فإن أكاذيب فلاردينغربروك – وكيف يمكن أن تجد لها موطئ قدم داخل الصراعات المستمرة – تُشير إلى أننا يجب أن نكون مستعدين أيضًا لنقد الأيديولوجيات حين تكون زائفةً على نحو لا تخطئه العين. وهنا تكتسب دعوة رِهمان[224] إلى أن يسير "نقد الأيديولوجيا" جنبًا إلى جنب مع تصورٍ أكثر حيادًا لمدى قدرة الأيديولوجيات على التماسك والتحول إلى قوة مادية. ومن أجل مقاومة "إغراء التسرع في فرض التجانس على الاستخدامات المتناقضة للأيديولوجيا لدى غرامشي"، يحثّنا رِهمان على "الإبقاء على التوتر الجدلي بينها"[225]. ففي رأيه، تتحول هذه الاستخدامات المتعارضة إلى مصدر قوةٍ نظرية، لا إلى نقطة ضعف. ومع ذلك، يظل رِهمان واضحًا في أن نقد الأيديولوجيا لا يعني مجرّد فضح كتلة أيديولوجية وكشفها، بل هو بالأحرى أسلوب للتدخل والتأثير فيها.

ومرةً أخرى، نجد بصيص أمل في عمل مبادرة "السياسة الريفية الانعتاقية" Emancipatory Rural Politics Initiative وفي تعاونها مع حركة **لا فيا كامبيسينا** من أجل صياغة تحالف دولي مختلف جذريًا[226]. وفي الواقع، سيتحدد نجاح أيّ سياسة مضادة بمدى إمكانية نشوء سياسة بديلة انطلاقًا من الشروط المادية للزراعة داخل سياقات محددة، مثل هولندا (على سبيل المثال لا الحصر). وفي مواجهة من يكتفون برفض حركة المزارعين، نجادل بأنها تطرح أسئلة بشأن كيفية التعامل مع التناقضات الواقعية التي تنشأ داخل نمط الإنتاج القائم حاليًا. ومن شأن بناء حركة دولية قادرة على ترجمة السياسة، التي يواجهها المزارعون عبر مجموعة من السياقات المختلفة، أن يوفر الأسس لبديلٍ راديكالي: إيكولوجيا سياسية شعبية ديمقراطية Popular Democratic Political Ecology.

خاتمة: نحو بيئة سياسية ديمقراطية شعبية

إذا اتّبعنا خطى إريك سوينغيدو[227]، ومعه ماركس[228]، في الدعوة إلى "نقدٍ للإيكولوجيا السياسية (الحضرية)"، فإن أحد التحديات الحاسمة، حينها، سيتمثل في "صياغة استراتيجية وأشكالٍ للتكلم والتصرف تكون أدائيةً Performative من ناحية قدرتها على تحقيق تحولات اجتماعية - إيكولوجية تقدمية". وبناءً على ذلك، نختتم هذه الدراسة بالسعي لجمع الإطار النظري الذي رسمناه في المبحث الأول مع ما توفره الدراسة الإمبريقية الملموسة من استبصارات، من أجل استشراف طريقٍ نحو إيكولوجيا سياسية شعبية ديمقراطية.

لا يزال الوضع السياسي في هولندا، في أعقاب انتخابات 2023 العامة، متشظيًا ومعقدًا. ومع ذلك، يبدو أن صعود اليمين المتطرف وقدرته على الارتباط باحتجاجات الجرارات قد تأكد مع دخول فان دير بلاس الحكومة بوصفها ممثلة لحركة المزارع - المواطن. وقبيل الانتخابات الأوروبية، التي يُتوقَّع أن يسعى فيها اليمين المتطرف لاتّباع استراتيجية مماثلة في أجزاء واسعة من القارة، يصبح من الضروري فهم مدى فاعلية حركة المزارعين الهولنديين والتفكير في السبل الممكنة لتحدّيها ومواجهتها[229]. وقد كان محور حجتنا في هذه الدراسة أن التجريدات المُشيَّأة، التي تضع الطبيعة ضد الشعب، والمدينة ضد الريف، والتكنوقراط ضد الجماهير، كانت عناصر حاسمة في جعل تحالفٍ شعبوي عابر للطبقات "يعمل" ويترسخ أكثر فأكثر. وفي مواجهة ذلك، نعود إلى الفهوم المتموضعة Situated تاريخيًا وجغرافيًا لدى غرامشي وهول وهارت وكيبفر، لكي ندافع عن مقاربة قائمة على العمليات/ السيرورات تمكننا من فهم الشعب والمكان، وتُبرز في الآن نفسه أهمية الصراع المادي والمعارك الحاسمة على ميدان الأيديولوجيا.

أولًا، ندعو إلى سياسة بيئية Environmental Politics لا تنطلق من تصوّرات ثنائية جامدة للطبيعة والمجتمع، بل من الوقائع الملموسة لممارسةٍ متموضعة في سياقها Situated Praxis. فعلى الرغم من أن هول نادرًا ما يكتب عن البيئة على نحو مباشر، فإن تحليلاته للنزعة التاتشرية تستمد قدرًا كبيرًا من قوتها من فهمٍ متأنٍّ لمجموعةٍ من المحددات المختلفة التي أفضت إلى تشكّل ظرف زمكاني جديد New Spatio-Temporal Conjuncture. وتفتتح هـارت[230] بالفعل ورقتها حول أنماط التحليل الظرفي باقتباسٍ من مقدمة هول وآخرين[231] لكتاب **إدارة الأزمة عبر الشرطة**. ففي حين صُدم كثيرون من "الحروب الخاطفة التي شنتها التاتشرية"، فقد سمع المؤلّفون

224 Rehmann.

225 Ibid., p. 144.

226 Scoones et al.

227 Erik Swyngedouw, "Capital's Natures: A Critique of (Urban) Political Ecology," in: Kaika et al. (eds.), pp. 37-55.

228 Marx; Massey, pp. 65-84.

229 تمكن، بالفعل أول مرة، حزب حركة المواطن - المزارع من الحصول على مقعدين عن هولندا في البرلمان الأوروبي، في الانتخابات الأوروبية لعام 2024. (المترجمة)

230 Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164.

231 Stuart Hall et al., *Policing the Crisis: Mugging, the State, and Law and Order*, 2nd ed. (London: Red Globe Press, 2013).

الصوت القبيح لتفكك ظرفٍ قديم، وشاهدوا الأزمة وهي تتكشف، وفهموا جذورها الشعبوية ومشروعها الهيمني الطويل المدى، وكانوا في موقع يتيح لهم أن يعرفوا ذلك على نحو مختلف". ولا تقلّ عواقب العمليات الجارية اليوم خطورةً. لذلك، يصبح تفسير الظرف الراهن أمرًا حاسمًا. وتتمثل مساهمتنا المتواضعة في فهم الأزمة الهولندية في إظهار كيف أعادت عمليات "التوسع الحضري الممتد" Extended Urbanization تشكيل العوالم المعيشة وأنماط الحياة. ونتيجةً لذلك، يغدو متعذرًا على نحوٍ متزايد تجريد "المحلي" أو "الريفي" أو "المزرعة" من هذه العمليات الأوسع. ووفقًا لغرامشي، نحن في حاجة إلى لغةٍ جديدة تترجم هذه العمليات المتموضعة ترجمةً ملائمةً ضمن إطارٍ عالمي. وباختصار، نحتاج إلى لغة تعكس الواقع المعيش في هولندا، وتواجه باستمرار الثنائيات المعيبة والتجريدات المكانية التي تقوم عليها الحركة الشعبوية.

ثانيًا، ينبغي أيضًا أن تُشكّل الوقائع المعيشة للتوسع الحضري الممتد أيَّ استراتيجية مستقبلية؛ كما يتعيّن التعامل بجدّية مع الوقائع الإيكولوجية المتمثلة في حالة الطوارئ المناخية وأزمة التنوع الحيوي. وقد بدأ الجغرافيون السياسيون والإيكولوجيون السياسيون بالفعل عملًا مهمًا لرسم الصلات بين الشعبوية والإيكولوجيا. ومع أن هذا يتطلب، في الوقت نفسه، تفكيك التجريدات المكانية التي توظّفها الشعبويات اليمينية، فإننا ندعو أيضًا إلى أبحاث تُعنى بالإشكالية البيئية نفسها، لا بمجرد تمثلاتها الخطابية. وعلى الرغم من أنّ الإيكولوجيات القضائية Judicial Ecologies[232] التي يمثلها عمل فولنبروك، ومنظمته **التعبئة من أجل البيئة**، قد جرى تصويرهما بسهولة بوصفهما من تكتيكات تكنوقراط بعيدين عن الناس، فإن العلم الذي تستند إليه ليس خاطئًا. وفي لحظةٍ يسعى فيها اليمين، مرةً أخرى، لرفض كل اهتمام بالبيئة بوصفه جزءًا من "مؤامرة يسارية"، تزداد أهمية الإبقاء على شكلٍ من نقد الأيديولوجيا؛ ذلك النقد الذي يذكّرنا رهمان[233] بأنه يحتل موقعًا مركزيًا في كتابات غرامشي. ويعدّ فضح ادعاءات اليمين المتطرف الزائفة في "حروب النيتروجين" خطوة حاسمة إذا أردنا بناء إيكولوجيا سياسية حضرية تليق باسمها.

ثالثًا، لا يمكننا تجنّب التنافس في ميدان الأيديولوجيا أو الامتناع عن التدخل فيه. فالإيكولوجيون السياسيون يحوزون طيفًا من المخاييل الاجتماعية - الإيكولوجية التي لا توضّح كيفية اشتغال السيرورات الأيضية Metabolic Processes فحسب، بل إنها تفتح أيضًا إمكانات لإعادة تخيلها مستقبلًا. فمن التوسع الحضري السيبورغي Cyborg Urbanisation إلى العمران المتشظّي Splintering Urbanism، تتوافر لدينا طرائق لسرد إنتاج الإيكولوجيات الحضرية بما يسمح بمواءمتها على نحوٍ أفضل مع إيكولوجيا سياسية شعبية - ديمقراطية، بل إن الإيكولوجيا السياسية الحضرية تمتلك بالفعل جملةً من المناهج والأدوات النقدية واللغة التي تتحدى باستمرار الشعبويات اليمينية المتطرفة في لحظة تداخلها مع الإشكاليات البيئية. وإذا كنا في النقطة الأولى قد دعونا إلى التعلم من الخبرة المعيشة للتوسع الحضري الممتد، فليس المقصود من ذلك إنكار الدور الذي يمكن أن تؤديه الإيكولوجيا السياسية الحضرية في بلورة نواة من الحس السليم وتحويلها إلى رؤية نقدية متماسكة تفضي إلى تغيير تحويلي.

رابعًا، نحتاج إلى تحدّي الرؤى القومية التي، ويا للمفارقة، يروّج لها يمين متطرف يأخذ طابعًا عابرًا للحدود. فدعوة كيبفر وأنانيا ماليـك[234] إلى "توسيع" كتابات غرامشي، و"ترجمتها" عبر رسم ارتباطات نظرية بين غرامشي وفرانز فانون Frantz Fanon، تمثّل محاولةً إضافية للتفكير عبر سياقات جغرافية ومكانية متباينة. وتمثّل صياغة هارت[235] لإطارٍ ظرفي عالمي محاولةً أخرى في الاتجاه نفسه. لقد كانت "حروب النيتروجين" الهولندية، على الرغم من تموضعها الجغرافي وأهميتها البالغة في تشكيل نتائج الانتخابات العامة الهولندية لعام 2023، ساحةً لتدخّل مزيجٍ غير متجانس من منظّري المؤامرة العالميين. وقد وجد معلّقون هولنديون نظريات المؤامرة المحلية الخاصة بهم تتضخم وتُعاد إشاعتها عبر شخصيات مثل تاكر كارلسون وقناة **فوكس نيوز** وترمب. ومع ذلك، لا تزال هناك أصوات نقدية وبناءة، وإننا لَنستشفُّ بارقة أمل من إسهامات فان دير بلوخ وصحيفة **دي فولكسكرانت** *De Volkskrant* وغيرها من النماذج. لكن الأهم من ذلك هو أن الظرف العالمي الذي تشكّلت عبره الأزمة الزراعية الهولندية يفرض استجابةً عالمية وشعبية ديمقراطية في الوقت نفسه. ونحاجّ بأن الإيكولوجيا السياسية الحضرية، حين تُمارَس ضمن إطارٍ ظرفي عالمي، مؤهَّلة على نحوٍ خاص للاضطلاع بمثل هذه الاستجابة.

232 المقصود بها أشكال النضال من أجل البيئة التي تعتمد على القضاء والقانون (مثل رفع الدعاوى القضائية)، بدلًا من التعبئة الشعبية. (المترجمة)

233 Rehmann.

234 Kipfer & Mallick, pp. 137-173.

235 Hart, "Modalities of Conjunctural Analysis," pp. 135-164.

المراجع

Anderson, Ben & Anna Secor. "Propositions on Right-Wing Populism: Available, Excessive, Optimistic." *Political Geography*. vol. 96 (2022).

Andreucci, Diego. "Populism, Hegemony, and the Politics of Natural Resource Extraction in Evo Morales's Bolivia." *Antipode*. vol. 50, no. 4 (2018).

Angelo, Harvey & David Wachsmuth. "Urbanizing Urban Political Ecology: A Critique of Methodological Cityism." *International Journal of Urban and Regional Research*. vol. 39, no. 1 (2015).

Atkins, Ed & Filippo Menga. "Populist Ecologies." *Area*. vol. 54, no. 2 (2022).

Brandon, Pepijn. "Marxism and the 'Dutch Miracle': The Dutch Republic and the Transition-Debate." *Historical Materialism*. vol. 19, no. 3 (2011).

Breembroek, J. A. et al. "Environmental Farm Accounting: The Case of the Dutch Nutrient Bookkeeping System." *Agricultural Systems*. vol. 51, no. 1 (1996).

Briggs, William M. & Jan C. Hanekamp. "Nitrogen Critical Loads: Critical Reflections on Past Experiments, Ecological Endpoints, and Uncertainties." *Dose-Response*. vol. 20, no. 1 (2022).

Büscher, Bram & Robert Fletcher. "Towards Convivial Conservation." *Conservation and Society*. vol. 17, no. 3 (2019).

Büscher, Bram & Robert Fletcher. *The Conservation Revolution: Radical Ideas for Saving Nature beyond the Anthropocene*. London/ New York: Verso, 2020.

Chin, Clayton. "The Concept of Belonging: Critical, Normative and Multicultural." *Ethnicities*. vol. 19, no. 5 (2019).

Christensen, Michael & Ashli Au. "The Great Reset and the Cultural Boundaries of Conspiracy Theory." *International Journal of Communication*. vol. 17 (2023).

Cronon, William. *Nature's Metropolis: Chicago and the Great West, 1848-1893*. New York: W. W. Norton & Company, 1991.

Davis, Mike. *City of Quartz: Excavating the Future in Los Angeles*. London/ New York: Verso, 1990.

De Lange, G. A., C. T. Zelvelder-Van der Laan & J. P. Burema (eds.). *Huishouding, voorlichting en wetenschap: 50 jaar Stichting voor Huishoudelijke en Consumentenvoorlichting-HVP*. Amsterdam: Nijgh & van Ditmar, 1985.

Deutsch, Sierra. "Populist Authoritarian Neoliberalism in Brazil: Making Sense of Bolsonaro's Anti-Environment Agenda." *Journal of Political Ecology*. vol. 28, no. 1 (2021).

Dikeç, Mustafa. "Immigrants, Banlieues, and Dangerous Things: Ideology as an Aesthetic Affair." *Antipode*. vol. 45, no. 1 (2012).

_____."Disruptive Politics." *Urban Studies*. vol. 54, no. 1 (2017).

Ekers, Matthew, Stefan Kipfer & Alex Loftus. "On Articulation, Translation and Populism: Gillian Hart's Postcolonial Marxism." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 110, no. 5 (2020).

Ekers, Michael & Alex Loftus. "On the Concrete: Labour, Difference and Method." *Antipode*. vol. 52, no. 1 (2020).

Ekers, Michael et al. (eds.). *Gramsci: Space, Nature, Politics*. Oxford, UK: Wiley-Blackwell, 2013.

Erisman, Jan Willem & Wim de Vries (eds.). *Stikstof: De sluipende effecten op natuur en gezondheid*. Hilversum: Uitgeverij Lias, 2021.

Güney, K. M., Roger Keil & M. Üçoğlu (eds.). *(Re)Building the Global Periphery One Large-Scale Housing Project at a Time*. Toronto: University of Toronto Press, 2019.

Hall, Stuart. "The Great Moving Right Show." *Marxism Today* (1979).

_____. "Nicos Poulantzas: State Power, Socialism." *New Left Review*. vol. 1, no. 119 (1980).

_____. "Authoritarian Populism: A Reply." *New Left Review*. vol. 1, no. 151 (1985).

_____. "On Postmodernism and Articulation." Interview by Grossberg, Lawrence. *Journal of Communication Inquiry*. vol. 10, no. 2 (1986).

_____. *The Hard Road to Renewal: Thatcherism and the Crisis of the Left*. London: Verso, 1988.

_____. "Marx's Notes on Method: A Reading of the 1857 Introduction." *Cultural Studies*. vol. 17, no. 2 (2003).

Hall, Stuart et al. *Policing the Crisis: Mugging, the State, and Law and Order*. 2nd ed. London: Red Globe Press, 2013.

Haraway, Donna. "A Manifesto for Cyborgs: Science, Technology, and Socialist Feminism in the 1980s." *Australian Feminist Studies*. vol. 2, no. 4 (1987).

Hart, Gillian. *Disabling Globalization: Places of Power in Post-Apartheid South Africa*. Berkeley: University of California Press, 2002.

_____. *Rethinking the South African Crisis: Nationalism, Populism, Hegemony*. Scottsville, South Africa: University of KwaZulu-Natal Press, 2013.

_____. "Political Society and Its Discontents: Translating Passive Revolution in India and South Africa Today." *Economic and Political Weekly*. vol. 50, no. 43 (2015).

Fraser, Nancy. "From Progressive Neoliberalism to Trump - and Beyond." *American Affairs*. vol. 1, no. 4 (2017).

_____. *Cannibal Capitalism*. London/ New York: Verso, 2022.

Fritsch, Kelly, Clare O'Connor & A. K. Thompson (eds.). *Keywords for Radicals: The Contested Vocabulary of Late-Capitalist Struggle*. Oakland, CA: AK Press, 2016.

Frouws, Jaap. "Mest en macht: Een politiek-sociologische studie naar belangenbehartiging en beleidsvorming inzake de mestproblematiek in Nederland vanaf 1970." PhD Dissertation. Wageningen University, 1994.

Gandy, Matthew. "Between Borinquen and the Barrio: Environmental Justice and New York Puerto Rican Community, 1969-1972." *Antipode*. vol. 34, no. 4 (2002).

_____. "Urban Political Ecology: A Critical Reconfiguration." *Progress in Human Geography*. vol. 46, no. 1 (2022).

Gerbaudo, Paolo. *The Great Recoil: Politics after Populism and Pandemic*. London: Verso, 2021.

Gramsci, Antonio. *Further Selections from the Prison Notebooks*. Derek Boothman (trans. & ed.). London: Lawrence and Wishart, 1995.

_____. *Selections from the Prison Notebooks*. Quintin Hoare & Geoffrey Nowell Smith (eds. & trans.). London: Lawrence and Wishart, 1971.

Groot, J. C. J., W. A. H. Rossing & E. A. Lantinga. "Evolution of Farm Management, Nitrogen Efficiency and Economic Performance on Dutch Dairy Farms Reducing External Inputs." *Livestock Science*. vol. 100, no. 2-3 (2006).

Guilluy, Christophe. *La France périphérique: Comment on a sacrifié les classes populaires*. Paris: Champs Actuel, 2014.

Karayiannides, Eirini. "Stuart Hall, Development Theory, and Thatcher's Britain." *Modern Intellectual History*. vol. 20, no. 4 (2023).

Katz, Cindi. "Revisiting Minor Theory." *Environment and Planning D: Society and Space*. vol. 35, no. 4 (2017).

Keil, Roger & R. Mahon (eds.). *Towards a Political Economy of Scale*. Vancouver: UBC Press, 2009.

Keil, Roger & Sarah Macdonald. "Rethinking Urban Political Ecology from the Outside In: Greenbelts and Boundaries in the Post-Suburban City." *Local Environment*. vol. 21, no. 12 (2016).

Kenney-Lazar, Miles. "Neoliberalizing Authoritarian Environmental Governance in (Post) Socialist Laos." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 109, no. 2 (2019).

Kipfer, Stefan. "Pushing the Limits of Urban Research: Urbanization, Pipelines and Counter-Colonial Politics." *Environment and Planning D: Society and Space*. vol. 36, no. 3 (2018).

Kipfer, Stefan & Ananya Mallick. "'Stretch' and 'Translate': Gramscian Lineages, Fanonist Convergences in the (Post) Colony." *Historical Materialism*. vol. 30, no. 4 (2022).

Kipfer, Stefan & Parastou Saberi. "From Revolution to Farce? Hard-Right Populism in the Making of Toronto." *Studies in Political Economy*. vol. 93, no. 1 (2014).

_____. "The Times and Spaces of Right Populism: From Paris to Toronto." *Socialist Register*. vol. 52 (2015).

Kojola, Erik. "Bringing Back the Mines and a Way of Life: Populism and the Politics of Extraction." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 109, no. 2 (2019).

_____. "Relational Comparison Revisited: Marxist Postcolonial Geographies in Practice." *Progress in Human Geography*. vol. 42, no. 3 (2018).

_____. "Resurgent Nationalisms and Populist Politics in the Neoliberal Age." *Geografiska Annaler: Series B, Human Geography*. vol. 102, no. 3 (2020).

_____. "Why did it Take so Long? Trump-Bannonism in a Global Conjunctural Frame." *Geografiska Annaler: Series B, Human Geography*. vol. 102, no. 3 (2020).

Harvey, David. *Justice, Nature, and the Geography of Difference*. Cambridge, MA: Blackwell Publishers, 1996.

Inwood, Joshua. "Neoliberal Racism: The Southern Strategy and the Expanding Geographies of White Supremacy." *Social & Cultural Geography*. vol. 16, no. 4 (2015).

_____. "White Supremacy, White Counter-Revolutionary Politics, and the Rise of Donald Trump." *Environment and Planning C: Politics and Space*. vol. 37, no. 4 (2019).

Jaspers, Arnout. *De stikstoffuik: Politici in de ban van de ecolobby*. Amsterdam: Blauwburgwal, 2023.

Jessop, Bob et al. *Thatcherism: A Tale of Two Nations*. Cambridge: Polity, 1988.

Kaika, Maria. "Interrogating the Geographies of the Familiar: Domesticating Nature and Constructing the Autonomy of the Modern Home." *International Journal of Urban and Regional Research*. vol. 28, no. 2 (2004).

_____. *City of Flows: Nature, Modernity, and the City*. London/ New York: Routledge, 2005.

Kaika, Maria et al. (eds.). *Turning Up the Heat: Urban Political Ecology for a Climate Emergency*. Manchester: Manchester University Press, 2023.

Mishra, Pankaj. *Age of Anger: A History of the Present*. London: Allen Lane, 2017.

Mohler, Armin. *Die konservative Revolution in Deutschland 1918-1932: Grundriss ihrer Weltanschauungen*. Stuttgart: Friedrich Vorwerk Verlag, 1950.

Moore, Jason W. "Metabolic Rift or Metabolic Shift? Dialectics, Nature, and the World-Historical Method." *Theory and Society*. vol. 46 (2017).

Mouffe, Chantal. *For a Left Populism*. London: Verso, 2019.

Næss, Arne. "A Defence of the Deep Ecology Movement." *Environmental Ethics*. vol. 6, no. 3 (1984).

Özen, H. "Interpellating 'the People' against Environmentalists: The Authoritarian Populist Response to Environmental Mobilizations in Turkey." *Political Geography*. vol. 97 (2022).

Paasi, Anssi, John Harrison & Martin Jones (eds.). *Handbook on the Geographies of Regions and Territories*. Cheltenham/ Northampton: Edward Elgar, 2018.

PBL (Planbureau voor de Leefomgeving). *Naar een uitweg uit de stikstofcrisis: Overwegingen bij een integrale, effectieve en juridisch houdbare aanpak*. Den Haag: Planbureau voor de Leefomgeving. 5/7/2021. at: https://acr.ps/1L9BPkv

Ploeg, Jan Douwe van der. *Over de betekenis van verscheidenheid*. Wageningen: Landbouwuniversiteit Wageningen, 1993.

_____. "Farmers' Upheaval, Climate Crisis and Populism." *Journal of Peasant Studies*. vol. 47, no. 3 (2020).

_____. *Gesloten vanwege stikstof: Achtergronden, uitwegen en lessen*. Amersfoort/ Nordbroek: Uitgeverij Noordboek, 2023.

Ploeg, Jan Douwe van der et al. *Wat smyt it op: Een verkennende analyse van bedrijfseconomische en*

Laclau, Ernesto. "Beyond Emancipation." *Development and Change*. vol. 23, no. 3 (1992).

_____. *On Populist Reason*. London: Verso, 2005.

Laclau, Ernesto & Chantal Mouffe. *Hegemony and Socialist Strategy: Towards a Radical Democratic Politics*. London: Verso, 1985.

Lefebvre, Henri. *The Production of Space*. Nicholson-Smith, Donald (trans.). Malden, MA: Blackwell, 1991 [1974].

Lizotte, Christopher. "Where Are the People? Refocusing Political Geography on Populism." *Political Geography*. vol. 71 (2019).

Loftus, Alex. *Everyday Environmentalism: Creating an Urban Political Ecology*. Minneapolis: University of Minnesota Press, 2012.

_____. "Political Ecology III: Who Are the People?" *Progress in Human Geography*. vol. 44, no. 5 (2019).

Marx, Karl. *Capital: A Critique of Political Economy*. London: Penguin Books in association with New Left Review, 1976 [1867].

Massey, Doreen. "Politics and Space/Time." *New Left Review*. vol. 196 (1992).

McCarthy, James. "Authoritarianism, Populism, and the Environment: Comparative Experiences, Insights, and Perspectives." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 109, no. 2 (2019).

Mehmood, Asif & Joshua J. Cousins. "Judicialising Urban Political Ecologies: Post-Politics and Environmental Governance in South Asia." *Antipode*. vol. 54, no. 6 (2022).

Menga, Filippo. "Virtual Forum Introduction: Populist Ecologies: Nature, Nationalism, and Authoritarianism." *Political Geography*. vol. 94 (2022).

Swyngedouw, Erik. *Social Power and the Urbanization of Water: Flows of Power*. Oxford: Oxford University Press, 2004.

Thomas, Peter D. *The Gramscian Moment: Philosophy, Hegemony and Marxism*. Leiden: Brill, 2009.

Treffers, Stephanie et al. "Extending the Boundaries of 'Urban Society': The Urban Political Ecologies and Pathologies of Ebola Virus Disease in West Africa." *Environment and Planning E: Nature and Space*. vol. 5, no. 4 (2022).

Tzaninis, Yiannis. "Cosmopolitanism beyond the City: Discourses and Experiences of Young Migrants in Post-Suburban Netherlands." *Urban Geography*. vol. 41, no. 1 (2020).

Tzaninis, Yiannis et al. "Moving Urban Political Ecology beyond the Urbanization of Nature." *Progress in Human Geography*. vol. 45, no. 2 (2021).

Urry, Johan. *Global Complexity*. Cambridge, UK: Polity Press, 2003.

Valdivia, Gabriela & Angus Lyall. "The Speculative Petro-State: Volatile Oil Prices and Resource Populism in Ecuador." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 109, no. 2 (2019).

Varco, Mirko. "Volk Utopia: Racial Futures and Ecological Politics on the German Far Right." *Geoforum* (2023).

Wright, Richard. "Whiteness Nationalism and the U.S. Constitution: Constructing the White Nation through Legal Discourse." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 111, no. 7 (2021).

landbouwkundige gegevens van VEL & VANLA-bedrijven. Wageningen/Drachten: Wageningen UR/NLTO-projecten, 2003.

Prak, Maarten & Jan Luiten van Zanden. *Pioneers of Capitalism: The Netherlands 1000-1800*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2022.

Pulido, Laura. "Geographies of White Supremacy and Ethnicity I: White Supremacy vs. White Privilege in Environmental Racism Research." *Progress in Human Geography*. vol. 39, no. 6 (2015).

Pulido, Laura et al. "Environmental Deregulation, Spectacular Racism, and White Nationalism in the Trump Era." *Annals of the Association of American Geographers*. vol. 109, no. 2 (2019).

Rehmann, Jan. *Theories of Ideology: The Powers of Alienation and Subjection*. New York: Haymarket Books, 2013.

Rodenbiker, Jared. "Global China in the American Heartland: Chinese Investment, Populist Coalitions, and the New Red Scare." *Political Geography*. vol. 111 (2024).

Romstad, Eirik, Jesper Simonsen & Arild Vatn (eds.). *Controlling Mineral Emissions in European Agriculture*. Wallingford, UK/ New York: CAB International, 1997.

Ros, Gerard H. et al. *Gebieds-en bedrijfsgerichte handelingsperspectieven voor een duurzame landbouw in Nederland*. Wageningen: Wageningen University & Research, 2023.

Ru, J. H. de. "Landbouw en maatschappij: Analyse van een boerenbeweging in de crisisjaren." PhD Dissertation. Wageningen University, 1980.

Scoones, Ian et al. (eds.). *Authoritarian Populism and the Rural World*. Abingdon/ New York: Routledge, 2021.

Sessions, George. "Deep Ecology as Worldview." *The Bucknell Review*. vol. 37, no. 2 (1993).

التوثيق

Documentation

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي

Milestones in Democratic Transition in the Arab World

يتضمن هذا التقرير توثيقًا لأبرز محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي، في المدة 1 أيلول/ سبتمبر – 31 تشرين الأول/ أكتوبر 2025.

كلمات مفتاحية: مصر، المغرب، سورية، تونس.

Keywords: Egypt, Morocco, Syria, Tunisia.

2025/9/2 وثّقت منظّمة العفو الدولية أدلّة تُظهر أن قوات حكومية سورية وقوات تابعة لها نفّذت إعدامات في حق 46 شخصًا من الطائفة الدرزية خلال أعمال العنف التي اندلعت في محافظة السويداء جنوب سورية.

(العربي الجديد، 2025/9/2)

2025/9/2 أعلنت المجموعة البرلمانية لحركة مجتمع السلم "حمس" الجزائرية رفضها القاطع لتأجيل افتتاح الدورة البرلمانية لسنة 2025/ 2026، معتبرةً إياه خرقًا صارخًا للمادة 138 من الدستور.

(ألترا جزائر، 2025/9/2)

20205/9/4 أعلنت وزارة الداخلية السورية أن أجهزة الأمن الداخلي في محافظة اللاذقية، شمال غرب البلاد، اعتقلت حسين كلا شكر، المتورط في ارتكاب "جرائم حرب عديدة"، وذلك بعد إبلاغ أحد المواطنين عن مكان وجوده.

(العربي الجديد، 2025/9/4)

2025/9/5 قال حكمت الهجري، أحد شيوخ عقل طائفة الدروز في سورية، "إن الشعب بإرادته الحرة عبّر عن مطلبه بكيان مستقل"، وأضاف أن "حق تقرير المصير حق مقدس تكفله جميع المواثيق الدولية ولا تراجع عنه مهما كانت التضحيات".

(التلفزيون العربي، 2025/9/5)

2025/9/12 دعت منظمات حقوقية مستقلة جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى الامتناع عن التصويت لصالح مصر في الانتخابات المقبلة لمجلس حقوق الإنسان. وقالت 17 منظمة حقوقية، في بيان نشرته المفوضية المصرية لحقوق الإنسان، إن عضوية المجلس مسؤولية جسيمة تتمثل في الالتزام بأعلى معايير حقوق الإنسان الدولية وتعزيز منظومة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

(القدس العربي، 2025/9/12)

2025/9/16 قالت وسائل إعلام مصرية إن رئيس الوزراء المصري، مصطفى مدبولي، أصدر قرارًا بإسقاط الجنسية المصرية عن ثلاثة مواطنين كانوا قد احتجّوا أمام القنصلية المصرية في نيويورك، وذلك على خلفية مشاركتهم في هذا الاحتجاج.

(بي بي سي عربي، 2025/9/16)

2025/9/16 ألقت قيادة الأمن الداخلي في محافظة درعا القبض على شادي صمادي، القيادي في قوات نظام بشار الأسد. وأوضحت وزارة الداخلية، عبر قناتها على تلغرام، أنه كان مسؤولًا عن وحدة الحراسة الخاصة التابعة لغياث دلة، قائد ما يُسمى بـ "قوات الغيث" في الفرقة الرابعة التابعة للنظام البائد.

(الوكالة العربية السورية للأنباء "سانا"، 2025/9/16)

2025/9/16 وقّع وزير الخارجية السوري أسعد الشيباني، ونائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي، والمبعوث الأميركي الخاص إلى سورية توماس برّاك في دمشق، على خريطة طريق لحل الأزمة في السويداء واستقرار الجنوب السوري.

(العربي الجديد، 2025/9/16)

2025/9/17 أعلن قائد الأمن الداخلي في محافظة السويداء، العميد حسام الطحان، أنّه "تم اتخاذ قرار بإعادة هيكلة الأمن العام في السويداء وتعيين معاونين"، مؤكدًا أنّ المحافظة "تشهد بداية انطلاقة جديدة لحل ملفها".

(العربي الجديد، 2025/9/17)

2025/9/21 أصدر رئيس اللجنة العليا لانتخابات مجلس الشعب في سورية، محمد طه الأحمد، قرارًا نشرته المعرّفات الرسمية للجنة يقضي بتحديد موعد الاقتراع لانتخاب أعضاء المجلس في الدوائر الانتخابية المقرّرة للمحافظات في 5 تشرين الأول/ أكتوبر 2025 .

(العربي الجديد، 2025/9/21)

2025/9/23 أُطلق سراح الناشط المصري علاء عبد الفتاح بعد قضائه نحو عشر سنوات في السجون المصرية، وذلك بموجب عفو أصدره الرئيس عبد الفتاح السيسي.

(الجزيرة نت، 2025/9/23)

2025/9/23 أعلنت قيادة الأمن الداخلي في محافظة اللاذقية، بالتعاون مع فرع مكافحة الإرهاب، تنفيذ عملية أمنية دقيقة أسفرت عن إلقاء القبض على أنس بديع زهيرة، المتورط في ارتكاب انتهاكات جسيمة في حق الأهالي في المناطق الثائرة خلال عهد النظام البائد.

(الوكالة العربية السورية للأنباء "سانا"، 2025/9/23)

2025/9/23 قرّر مدّعي عام عمّان توقيف النائب في البرلمان الأردني، وسام ربيحات، وخمسة آخرين مدة 15 يومًا على ذمة التحقيق، بعد توجيه أربع تهم جنائية تتعلق بغسل الأموال ومخالفة قانونَي التنمية الاجتماعية والجرائم الإلكترونية، وفق مصدر تحدّث لوكالة الأنباء الأردنية "بترا".

(سي إن إن بالعربية، 2025/9/23)

2025/9/29 اعتقلت قوات الأمن المغربية عشرات الشبان خلال وقفات وتجمّعات طالبت بتحسين خدمات الصحة والتعليم، وتوفير وظائف للشباب العاطلين عن العمل، ومحاربة الفساد.

(العربي الجديد، 2025/9/29)

2025/9/29 وثّقت الشبكة المصرية لحقوق الإنسان ترحيل السلطات 63 معتقلًا سياسيًا من سجن أبو زعبل 2 إلى سجن الوادي الجديد.

(العربي الجديد، 2025/9/29)

2025/9/29 قررت نيابة أمن الدولة العليا في مصر، إخلاء سبيل الشاعر والسجين السياسي السابق أحمد دومة بكفالة 50 ألف جنيه (نحو ألف دولار أميركي)، بعدما وجّهت إليه اتهامات بنشر أخبار وبيانات كاذبة في الداخل والخارج، على ذمة القضية 7071 لسنة 2025 حصر أمن الدولة العليا.

(المبادرة المصرية للحقوق الشخصية، 2025/9/29)

2025/10/3 طالبت حركة "جيل زد 212"، العاهل المغربي، الملك محمد السادس، بإقالة حكومة عزيز أخنوش لـ "فشلها في حماية القدرة الشرائية للمغاربة وضمان العدالة الاجتماعية"، وإطلاق مسار قضائي نزيه لمحاسبة الفاسدين.

(العربي الجديد، 2025/10/3)

2025/10/3 دعا الاتحاد الأوروبي جميع الأطراف في المغرب إلى الحفاظ على الهدوء، مُقرًا بأهمية مشاركة الشباب في الحياة العامة، في حين جددت حركة "جيل زد 212" دعوتها إلى التظاهر لليوم السابع على التوالي احتجاجًا على تردّي الخدمات الصحية والتعليمية، بحسب وصفها.

(دويتشه فيله، 2025/10/3)

2025/10/4 أعلنت الهيئة الوطنية للانتخابات في مصر الجدول التفصيلي لانتخابات مجلس النواب، بما في ذلك مواعيد فتح باب الترشح، وأيام التصويت في الخارج والداخل لكل مرحلة، وإعلان النتائج النهائية.

(العربي الجديد، 2025/10/4)

2025/10/7 أعلن وزير الدفاع السوري، اللواء مرهف أبو قصرة، أنه التقى قائد قوات سوريا الديمقراطية "قسد"، مظلوم عبدي، في العاصمة دمشق، وأنهما اتفقا على وقف شامل لإطلاق النار في المحاور ونقاط الانتشار العسكرية كافة شمال سورية وشمال شرقها.

(المدن، 2025/10/7)

20205/10/8 دعت نحو 60 شخصية مغربية، بينها سياسيون ونشطاء ومثقفون وصحافيون، العاهل المغربي، الملك محمد السادس، إلى إطلاق إصلاحات عميقة تلبيةً للمطالب الاجتماعية التي عبّرت عنها تظاهرات حركة "جيل زد 212" الشبابية.

(العربي الجديد، 2025/10/8)

2025/10/10 دعا العاهل المغربي، الملك محمد السادس، إلى تشجيع المبادرات المحلية والأنشطة الاقتصادية، وتوفير فرص الشغل للشباب، والنهوض بقطاعات التعليم والصحة، وتأهيل المجال الترابي، مؤكدًا أنه ينتظر وتيرة أسرع وأثرًا أقوى من الجيل الجديد من برامج التنمية الترابية التي وجّه الحكومة إلى إعدادها.

(العربي الجديد، 2025/10/10)

2025/10/16 أصدرت وزارة العدل السورية قرارًا بتشكيل لجنة قضائية تتولى النظر في الطلبات والاعتراضات المقدّمة إليها من المحكومين غيابيًا، بموجب أحكام صادرة عن المحاكم الجزائية بمختلف درجاتها (بما في ذلك الجنايات)، بسبب انتمائهم الثوري، أو مواقفهم السياسية والثورية من النظام البائد. وبموجب القرار، يحق للّجنة بعد دراسة الطلب إصدار قرار بإلغاء الحكم الصادر في حق صاحب الطلب، وإلغاء جميع الآثار المترتبة عليه، وتعتبر قراراتها قطعية وغير قابلة لأيّ طريق من طرق الطعن أو المراجعة، ويحق للمحكوم تقديم الطلب بذاته أو بواسطة وكيله القانوني.

(الوكالة العربية السورية للأنباء "سانا"، 2025/10/16)

2025/10/20 عقدت جبهة الخلاص الوطني (معارضة) في تونس ندوة صحافية لإحاطة الرأي العام بالوضعية الصحية والمسار القضائي للسجناء السياسيين. وأشار المتدخلون فيها إلى الحالة الصحية للوزير الأسبق، محمد بن سالم، الموضوع تحت الإقامة الجبرية في مدينة قابس.

(ألترا تونس، 2025/10/20)

2025/10/22 ندد عدد من الأحزاب المصرية والشخصيات العامة ونواب البرلمان السابقين باستبعاد الهيئة الوطنية للانتخابات مجموعة من مرشّحي أحزاب المعارضة من سباق انتخابات مجلس النواب، مشيرين إلى أن "ما يجري هو محاولة منهجية لتحويل الانتخابات إلى إجراء شكلي لا يعبّر عن إرادة المواطنين، واستخدامها في تزيين صورة الاستبداد"، مطالبين إياها بإعادة إدراج المرشحين المستبعدين على الفور، وضمان المنافسة العادلة في دوائر الانتخاب الفردية.

(العربي الجديد، 2025/10/22)

2025/10/24 أعلن المحامي الحقوقي المصري، خالد علي، مثول الباحث القبطي هاني صبحي أمام نيابة أمن الدولة العليا في ضاحية التجمع الخامس شرق القاهرة، عقب يومين من تعرّضه للإخفاء القسري في مكان غير معلوم إثر اقتحام منزله في حي المرج الشعبي من دون إذن قضائي، بعد ساعات من نشره تدوينة ساخرة عبر صفحته في "فيسبوك" انتقد فيها الرئيس عبد الفتاح السيسي.

(العربي الجديد، 2025/10/24)

2025/10/28 يواجه أكثر من 2400 شخص، بينهم أكثر من 1400 قيد الاحتجاز، ملاحقات قضائية في المغرب بعد احتجاجات طالبت بتحسين التعليم العام والخدمات الصحية، وفق ما أعلنت النيابة العامة في المغرب.

(القدس العربي، 2025/10/28)

2025/10/29 تقدّم مكتب المحامي الحقوقي، خالد علي، ببلاغ للنائب العام المصري، طالب فيه بفتح تحقيق في واقعة التعدي على القيادي المعارض وأحد مؤسسي الحركة المدنية الديمقراطية، يحيى حسين عبد الهادي، في محبسه، وباتخاذ الإجراءات القانونية ضد الضابط المسؤول عن الواقعة، وإبعاده عن التعامل مع السجناء في المحكمة حتى انتهاء التحقيقات.

(القدس العربي، 2025/10/29)

وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي

Documents of Democratic Transition in the Arab World

يرصد هذا الباب أبرز الوثائق السياسية ذات الصلة بالتحول الديمقراطي في الوطن العربي. وننشر، في هذا العدد، عددًا من الوثائق من مصر وسورية، في المدة 1 أيلول/ سبتمبر – 31 تشرين الأول/ أكتوبر 2025.

كلمات مفتاحية: مصر، سورية.

Keywords: Egypt, Syria.

الوثيقة (1)

بيان صادر عن منظمات مجتمع مدني تدعو الدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى الامتناع عن التصويت لصالح مصر في الانتخابات المقبلة لمجلس حقوق الإنسان

ندعو نحن منظمات المجتمع المدني الموقّعة أدناه جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى الامتناع عن التصويت لصالح مصر في الانتخابات المقبلة لمجلس حقوق الإنسان HRC للفترة 2026–2028.

تتحمّل عضوية مجلس حقوق الإنسان مسؤولية جسيمة تتمثل في الالتزام بأعلى معايير حقوق الإنسان الدولية وتعزيز منظومة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان. إلا أن الحكومة المصرية انتهكت هذه المسؤولية باستغلال عضويتها السابقة للإفلات من المساءلة عبر إنكار الانتهاكات الجسيمة والواسعة النطاق لحقوق الإنسان التي ارتكبتها، بينما واصلت في الوقت ذاته انتهاك المعايير العالمية لحقوق الإنسان.

على المستوى الوطني، تستمر الاعتقالات التعسفية والتعذيب والاختفاء القسري والقيود المفروضة على حرية التعبير وتكوين الجمعيات والتجمع في الانتشار، كما أثبتت تقارير لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة ولجنة الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب. أما مؤشرات سيادة القانون والعدالة فهي تنحدر بشكل خطير.

تُصنَّف مصر باستمرار ضمن أكبر عشر دول سجنًا للصحافيين في العالم، حيث يوجد 17 صحافيًا خلف القضبان في عام 2025. كما تواصل السلطات قمع المجتمع المدني والمدافعين عن حقوق الإنسان، وتُعرّضهم لانتقام يشمل الترهيب والاحتجاز المطوّل بسبب تعاملهم مع آليات الأمم المتحدة. وترفض السلطات التعاون بجدية مع الإجراءات الخاصة لمجلس حقوق الإنسان، إذ تتجاهل طلبات الزيارات القطرية وتفشل في تقديم ردود موضوعية على المراسلات. علاوة على ذلك، تُهمل مصر تقديم تقاريرها إلى هيئات المعاهدات، ولم تُصدّق على آليات الشكاوى الفردية.

تلقّت مصر خلال الاستعراض الدوري الشامل الرابع في تموز/ يوليو 2025 عدد 343 توصية من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة شملت الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، إضافةً إلى العدالة والإنصاف. ومع ذلك، التزمت مصر باتخاذ خطوات عملية بشأن 5 توصيات فقط، أي بنسبة 1.4 في المئة من الإجمالي. وفي 134 حالة، اكتفت مصر بتسجيل التوصية شكليًا من دون الالتزام بأي إجراء ملموس، بما في ذلك الدعوات لإطلاق سراح السجناء السياسيين أو وقف الاعتقال التعسفي. كما رفضت أو أغفلت الرد على التوصيات المتعلقة بإنهاء العنف والتمييز ضد النساء والأقليات وأفراد مجتمع الميم. كذلك تجاهلت الحكومة التوصيات المتعلقة بضمان المساءلة عن التعذيب الواسع والمنهجي، بما في ذلك مقتل المواطن الإيطالي جوليو ريجيني.

تفاقمت أوضاع حقوق الإنسان في مصر على الرغم من سنوات من محاولات الانخراط البنّاء والتدريب والمساعدة التقنية التي قدّمتها الأمم المتحدة. وفي هذا السياق، نجدد الدعوة إلى إنشاء آلية دولية مستقلة للرصد والتحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان في مصر. وينبغي أن تتمتع هذه الآلية بسلطة توثيق الانتهاكات الجسيمة ورفع التقارير إلى الأمم المتحدة ودعم جهود المساءلة عن تلك الانتهاكات.

يؤدي منح الحكومة المصرية مقعدًا في مجلس حقوق الإنسان إلى تشجيعها على مواصلة انتهاكاتها الواسعة، وتجاهل الدعوات للإصلاح والمساءلة، وتقويض عالمية حقوق الإنسان. لذلك يجب على المجتمع الدولي أن يتصرف بحزم ويرفض انتخاب مصر في الانتخابات المقبلة لمجلس حقوق الإنسان.

الموقّعون:

مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان.

مؤسسة سيناء لحقوق الإنسان.

هيومنا لحقوق الإنسان والمشاركة المدنية.

منّا لحقوق الإنسان.

منظمة إيجيبت وايد.

المنظمة العالمية لمناهضة التعذيب OMCT.

لجنة العدالة.

الجبهة المصرية لحقوق الإنسان.

المفوضية المصرية للحقوق والحريات.

مركز روبرت ف. كينيدي للعدالة وحقوق الإنسان.

الشبكة الأورومتوسطية للحقوق.

سيفيكوس – تحالف فوكا.

شبكة منظمات المجتمع المدني لمراقبة وتتبع الانتخابات في غينيا ROSE.

مركز سيدار للدراسات القانونية.

الديناميكية الجديدة للمجتمع المدني في جمهورية الكونغو الديمقراطية NDSCI.

المنبر المصري لحقوق الإنسان EHRF.

شبكة المدافعين عن حقوق الإنسان في غرب أفريقيا.

المنظمة التشادية لمكافحة الفساد.

تحالف كاراباتان الفلبين.

بن أمريكا.

إسباسيو بوبليكو.

سكاي لاين الدولية لحقوق الإنسان.

لجنة حماية الصحفيين CPJ.

ريدريس.

جهة الإصدار: مجموعة من منظمات المجتمع المدني.

المصدر: مؤسسة سيناء لحقوق الإنسان، 2025/9/11، شوهد في 2025/10/30، في: https://tinyurl.com/4jnmtps3

الوثيقة (2)

بيان صادر عن جماعة الإخوان المسلمين في سورية بشأن العيش المشترك

بسم الله الرحمن الرحيم

وأعدوا

الإخوان المسلمون

في سورية

وثيقة العيش المشترك في سورية

رؤية جماعة الإخوان المسلمين في سورية

1. تمهيد... الواقع السوري وأهمية العيش المشترك

عصفت ببلدنا في العقود الأخيرة الكثير من المآسي وانتهاك الحقوق وهدر الكرامة البشرية للسوريين. وقد أكرمنا المولى عزّ وجلّ مؤخراً بنصر سقط به نظام الطاغية الأسد. وها نحن نقف اليوم على أعتاب مرحلة جديدة لبناء الدولة والمجتمع في سورية.

يحمل بلدنا بموقعه الجغرافي وتعدد ديانات أبنائه رسالة إنسانية فريدة، جعل سورية بلداً يتمتع بهوية إنسانيّة وحضاريّة متميزة، كان الثابت فيها عبر التاريخ هو بقاء المجتمع موحداً حول القيم الإنسانية الثابتة والمصالح المشتركة.

لقد حرصت الدساتير السورية في مطلع القرن الماضي على تحديد مساحات خاصة لمكونات المجتمع السوري في أمرين: أمر العبادة أو الدين، وأمور الأحوال الشخصية؛ مما يعني أن كل المساحات الأخرى هي مساحات وطنية مشتركة. وقد كانت هذه الرؤية عامل استقرار للدولة.

ما تحتاجه سورية اليوم لضمان مصالحها المشتركة هو عيش مشترك، بحيث لا يَحجرُ أحدٌ على أحد، ولا يستقوي مكون سوري بدولة خارجية على دولته للحفاظ على مصالحه. نعتقد أن التراضي والتطاوع على مشتركات عبر الحوار للوصول إلى سلم أهلي مستدام، ومجتمع مستقر، هو واجب الوقت لأهل الوعي من أبناء مجتمعنا.

وللأسف تواجه قيمة العيش المشترك في سورية تحديات نتيجة صراع المجتمع السوري مع ديكتاتورية حكمت بلدنا قرابة 60 سنة، الأمر الذي ولّد صراعات ونزاعات تركت أثرها العميق، وبدأ يظهر في المجتمع خطابٌ غير بنّاء، ترك أثراً سلبياً واضحاً في تعزيز الانقسام المجتمعي؛ وسيترك ذلك بصمته على الاقتصاد والحياة الاجتماعية والسياسية وعلى العلاقات بين فئات المجتمع، إن لم ينهض العقلاء لعلاج هذا الأمر.

تحاول هذه الورقة التحدث إلى السوريين – كل السوريين – لتطرح عليهم تصور جماعة الإخوان المسلمين في سورية لأسس تراها ضرورية لبناء عيش مشترك يهدف إلى تعزيز التفاهم والسلام بين مختلف أفراد مجتمعنا ومكوناته، ويعيد لسورية صورتها العالمية المشرقة، ويلم شعث السوريين بغض النظر عن خلفياتهم الدينية أو العرقية، علّنا ننجح في طيّ تناقضات وصراعات الماضي التي خلّفها لنا نظام الاستبداد في سورية، لنترك لأبنائنا مجتمعاً يفخرون بالعيش فيه، متذكرين أنّ بناء "حضارة إنسانية" وتوفر إرادة عيش مشترك صنوان لا يفترقان؛ وأن إرادة العيش المشترك شرط لبناء المجتمعات المستقرة والمتماسكة.

2. الأسس الشرعية للعيش المشترك

تنطلق رؤيتنا من آيتين كريمتين في القرآن الكريم:

- من قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) سورة الحجرات:13، التي تثبت وحدة الأصل الإنساني، وأن الإنسانية أسرة واحدة، وأن الله جعل هذه الأسرة شعوباً وقبائل – والشعوب أعراق مختلفة ولغات مختلفة – لحضّ الناس على التعارف على بعضهم البعض؛ وأن من أراد الكرامة من أفراد هذه الأسرة الإنسانية، فليس له إلى ذلك سبيلاً إلاّ من خلال معيار واحد هو التقوى؛ وأن هذه الكرامة هي عند الله، وليست لبعضنا على بعضنا الآخر في الدنيا.
- ومن قوله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) سورة الممتحنة:8. المتدبر لهذه الآية يرى أنها تنظم تعامل المسلمين مع غيرهم عندما يعيشون في نطاق أي مجتمع، فترشدهم إلى الالتزام بأسس شرعية للتعامل والعيش المشترك مع الآخر. هذه الأسس تتمثل – باستقراء سريع – بالقيم الأساسية التالية:

1) **احترام الآخر، والاعتراف به، والتعامل معه**، وهذا أمر شرعي يشمل كل أنواع الاختلاف، إذ بدون هذه الثلاثية لا يمكن للمسلم أن يبرّ الآخرين المختلفين في مجتمعه ولا أن يعدل فيهم. من الأهمية بمكان أن نثبت هنا، أن الرؤية الإسلامية تنطلق من الاعتراف بالآخر المختلف وبأحقيته في الوجود؛ والأدلة على ذلك في الشرع عديدة. وهذا ملحظ جوهري يجدر ألاّ يضيع في زحمة الأفكار.

2) **الاهتمام بجانب الأخلاق في التعامل إلى درجة البرّ بهم**، ويلاحظ هنا، أن البر في القرآن أتى في معرض التعامل مع الوالدين... الأخلاق الإسلامية هي التي تحكم أسلوب التعامل مع الآخرين. والأخلاق في الإسلام قيم مطلقة، يتعامل بها الإنسان المسلم مع الموافق والمخالف، ولا تتأثر باختلاف الدين، أو الزمن، أو أيّ اعتبار آخر. هكذا كان خُلُق النبي (صلى الله عليه وسلم) مع المشركين في مكة، ومع اليهود في المدينة؛ بل كانت أعظم صفة مدح بها الخالق عزّ وجلّ رسوله، قوله: (وإنّكَ لعلى خُلُق عظيم) القلم:4.

3) **العدالة (القسط)**: والعدالة هي التي تحدّد الحقوق والواجبات تجاه الآخر، أياً كان هذا الآخر؛ وهي بلا شك أهمّ القيم الإنسانية إطلاقاً. بل إن الخالق سبحانه وتعالى بيّن في سورة الحديد أن إحدى العلل لإرسال الرسل هي إقامة العدل بين الناس، كل الناس. يقول تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) الحديد:25. فالكتاب هو مصدر العدالة، والميزان هو وسيلة تحقيقها؛ والمنطق السليم يقتضي بذا إيجاد التوازن بين الحقوق والواجبات.

والعدالة من القيم المطلقة التي يأمر بها الإسلام مع العدو والصديق، ومع البعيد والقريب؛ بل حتى مع العدو المحارب. يقول تعالى: (ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى) المائدة:8.

ولا يمكن أن يقوم عيش مشترك في مجتمع ما، أو في دولة ما، أو في إقليم ما، أو حتى في نطاق العالم إلاّ بإقرار العدالة للجميع عبر استعمال ميزان واحد تتساوى فيه الحقوق والواجبات لبني البشر. حينها فقط يمكن أن تجني المجتمعات البشرية السلم الوطني والسلام العالمي.

4) **التعاون**: إذ لا معنى لعيش مشترك في مجتمع ما، إذا لم يتعاون فيه الناس على تحقيق المصالح المشتركة. وقد بيّن الله سبحانه وتعالى أنّ التعاون مطلوب حتّى مع المشركين (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) المائدة:3. لقد صدّ الكافرون المسلمين عن المسجد الحرام، وترتّب على ذلك وجود الكره في قلوبهم تجاه مشركي مكة، فنبه سبحانه وتعالى المسلمين إلى أن هذا الكره لا يجوز أن يدفعهم إلى الاعتداء؛ بل إذا وجدوا مجالاً للتعاون مع هؤلاء المشركين، فهذا جائز ومطلوب بشرط أن يكون تعاوناً على البرّ والتقوى، وليس على الإثم والعدوان.

يقول تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) هود:118. الاختلاف بين البشر سنّة كونية، والنظرة الإسلامية تثبت أن التنوع الديني والثقافي في المجتمعات الإنسانية لا يُبرر الصراع والصدام، بل يستدعي إقامة شراكةٍ وتواصلٍ وتعارفٍ يجعل من التنوع جسراً للحوار والتعاون لمصلحة المجتمع بل الأسرة الإنسانية كلها؛ والسعيد من يستثمر ذلك في بناء دولة تقوم على القيم الإنسانية ومحبة الخير للجميع. ومن هنا نناديِ بحوار الحضارات لا صراعاتها.

5) **التعاقد**: تعتبر صحيفة المدينة الأساس المرجعي لذلك وخير مثال، فقد أقرها الرسول (صلى الله عليه وسلم) لتكون دستوراً يُجسّد الكليات القرآنية والقيم الإسلامية الكبرى. ومما يجدر إثباته هنا أن هذه الصحيفة تُعد صيغة تعاقدية باتفاق الأطراف، أتت مخرجاتها نتيجة لعمليةِ مداولاتٍ انتهت بتعاقد (عملية تشاورية)، فقدمت

في الإسلام الأساس المرجعي للمواطنة التعاقدية التي تضبطها القوانين وتصون حقوق جميع المواطنين وتحميهم من وقوع أي اعتداء عليهم.

إن التعاقد يوضح الحقوق والواجبات، ويمنع تحوّل الخلافات إلى صراع... صراع يمكن أن يلتهب حين تريد السلطة مثلاً توسيع المساحة الوطنية المشتركة على حساب خصوصيات المكونات المجتمعية، أو حين تريد هذه المكونات توسيع مساحتها الخاصة على حساب المساحات المشتركة. التعاقد يحوّل العلاقة بين الدولة ومكوناتها إلى علاقة توافق وتكامل حين تكون الحدود واضحة بين المساحة الوطنية المشتركة والمساحات الدينية الخاصة، ويرضى كل مكون بمساحته المحددة.

3. دور الدولة لترسيخ العيش المشترك

أ- تأمين الإطار القانوني لتوفير الأمن لكل مكونات النسيج السوري، ولحماية الحقوق والحريات في الدولة، ولحماية القيم (كالعدالة الاجتماعية، والعدالة الاقتصادية، والعدالة الانتقالية، ... إلخ)، ولدعم سياسات المواطنة، وضبط التجاوزات على القيم الإنسانية أو التعدي على المنظومات الاجتماعية السورية وقيمها بحجة الحرية الشخصية.

ب- إطلاق مبادرات لتعزيز السلم الأهلي والحوار الحقيقي بهدف تعزيز قيمة السلام وإيجاد تفاهم مشترك، سواء على مستوى الوزارات أو على مستوى الإدارات المحلية (والأخيرة أقدر على اختيار القرارات الصائبة التي تؤثر على حياتها).

ج- بناء شراكات بين مؤسسات الدولة ومنظمات المجتمع المدني لدعم التنوع الثقافي، لوضع أهداف وسياسات تخدمه.

د- اختيار مواد التعليم البانية للقيم المشتركة والمعززة للوعي الثقافي المناسب؛ فالتعليم والثقافة أمران لا غنى عنهما لكرامة الإنسان، وبهما تتحقق الحرية والعدالة والسلام.

4. أدوار منظمات المجتمع المدني لترسيخ العيش المشترك

أ- المساهمة في بناء الهوية السورية المشتركة: تعدّ الهوية من أعقد المصطلحات، وبالرغم من أن عملية بناء الهوية السورية قد يكون بالدرجة الأولى من واجب الدولة (مناهج تعليمية، مبادرات، ... إلخ)، إلاّ أن هناك مجالات تنجح بها منظمات المجتمع المدني في بناء الهوية أكثر من مؤسسات الدولة، بفضل مدنيتها وقربها من المجتمع.

ب- إطلاق مبادرات لحوار وطني لتعزيز تفاهم مشترك حول قضايا المجتمع لتقوية النسيج الاجتماعي.

ج- إطلاق مبادرات لتوعية الأسر ومؤسسات التنشئة الأولى لزرع القيم الأساسية في وعي النشء منذ الصغر.

د- التصدي لثقافة مأزومة تولّد العدوانية والفتن.

ه- إطلاق مبادرات إعلامية وفنية وثقافية هادفة وخادمة للحوار والتعايش.

و- إطلاق مبادرات لبناء الثقة والحد من الميل إلى العزلة والانغلاق.

ز- ترسيخ القيم والأخلاق النبيلة لتأكيد الأخوة الإنسانية وتشجيع الممارسات الاجتماعية السامية، والتصدي للتحديات الأخلاقية والأسرية والبيئية.

5. معايير تقييم، وقيمّ تعضدُ العيش المشترك

1- سورية دولة ديموقراطيّة، تقوم على التعدديّة السياسيّة، والتداول السلميّ للسلطة عبر صناديق الاقتراع، ومبدأ المواطنة، وسيادة القانون، وفصل السلطات، وتلغي المحاكم الاستثنائية وتمنع تشكيلها. ومن يستقرئ مقاصد الشريعة يرى أن هذه القيم السياسية تتعاضد معها في حفظ ضروريات الشريعة وحاجياتها وتحسينياتها ولا تتعارض معها.

2- حرية الاعتقاد مصونة، ويكفل القانون الحرية الدينية للجميع.

3- تجريم خطاب الكراهية والتحريض على العنف.

4- يتمتع جميع السوريّين بحق المشاركة السياسيّة الكاملة بناءً على الكفاءة، في إطار من التنافس السياسيّ وفقاً لانتخابات حرّة ونزيهة.

5- يكفل الدستور الحريّات العامّة والفرديّة، وحقّ تشكيل الأحزاب السياسيّة ومنظّمات المجتمع المدني ضمن القوانين الناظمة.

6- تحقيق التنمية المستدامة والمتوازنة والعادلة في كافة المناطق السوريّة.

7- مهمّة الجيش الوطنيّ الدفاع عن الوطن بحدوده المعترف بها دولياً ضدّ الاعتداءات الخارجيّة، ويُحظّر على أفراده التدخّل في العمل السياسيّ، ويخضع في عمله للرقابة البرلمانيّة والمساءلة القضائيّة.

8- حصر السلاح بيد الدولة، مع تنظيم حمل السلاح الفردي بالقانون.

9- التمكين المشروع للمرأة ورفض تهميش دورها، وكذلك تمكين الشباب والنهوض بدورهم.

10- الإنسانية أسرة واحدة، والأخوة الإنسانية بين كل البشر أصل يجب التمسك به.

11- تساوي أبناء الشعب السوري في الكرامة والحقوق والواجبات.

12- كل إنسان مسؤول عن عمله، ولا يؤخذ إنسان بجريرة آخر، ولا يجني جانٍ إلاّ على نفسه، ولا حماية لمجرم ولا لظالم.

13- يقوم المجتمع السوري على أساس التعاون على البر والتقوى، ويتكاتف السوريون دون الظلم والإثم والعدوان، ويكفل القانون رفع الظلم عن كل سوري يُعتدى عليه.

14- يشترك الشعب السوري في تقرير العلاقات المصيرية المتعلقة بالبلاد.

15- مكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام، ووجوب الامتناع عن نصرتهم أو حمايتهم.

16- عصمة دماء وأموال جميع السوريين.

17- حرية الانتقال داخل الدولة حق مكفول لكل المواطنين.

6. خاتمة

إيماناً منا بضرورة العيش المشترك بين جميع المكونات السورية، وغيرةً على كرامة الإنسان السوري من أي مكوّنٍ كان، نتقدم بهذه الورقة لشعبنا السوري، آملين من أفراده ونخبه العمل سوية لإنجاح عملية العيش المشترك في مجتمعنا... تحتاج سورية اليوم إلى إخراج قامات وطنية وشخصياتٌ تتعالى مواقفها رغم الأزمات عن النظرات الضيقة وربط الممارسات السياسية الخطأ لأي سوري بالدين.

إن الركون للأحكام المسبقة المحمّلة بعداوات التاريخ، والتعميم الخطأ للمواقف والتصرفات الشاذة لا يمكن أن تجني منها المجتمعات إلاّ الكراهية وفقدان الثقة بالآخر. التاريخ مضى، وهو في ذمة أصحابه، تُستقى منه العبر والدروس ولا يُلزِم الناس بمواقف.

نود في الختام الإشارة إلى أن مجتمعاتنا الإنسانية – وليس فقط مجتمعنا السوري – تمر في عصرنا المضطرب بسياقات اجتماعية وسياسية سريعة التغير، ولا نبالغ إن قلنا إنها أقرب للاضطراب. وإن تحقيق العيش المشترك في مثل هذه الظروف يتطلب متابعة واعية وصادقة من جميع الأطراف، فيسددون ويقاربون بصورة عملية ومستدامة، ملتزمين بإنجاح عملية العيش المشترك.

وإن المتأمل لمختلف الأزمات التي تهدد دولتنا الحديثة، يزداد اقتناعاً بضرورة التعاون بين جميع مكونات الشعب السوري لضمان الأمن المجتمعي وبناء عيش مشترك ينعم به أبناؤنا بالأمان والاستقرار؛ وهو تعاون يجب ألاّ يقوم فقط على التسامح والاحترام والنوايا الحسنة، بل على الالتزام بالحقوق والواجبات والحريات التي تكفلها القوانين وتضبطها الدولة، مستصحبين ذلك بسلوك حضاري يُبعد كل أنواع التعصب والاستعلاء.

حفظ الله سورية أرضاً وشعباً ودولة...

جماعة الإخوان المسلمين في سورية

2025/10/18 م

جهة الإصدار: جماعة الإخوان المسلمين - سورية.

المصدر: جماعة الإخوان المسلمين - سورية، 2025/10/18، شوهد في 2025/10/30، في: https://tinyurl.com/jw4bkyjf

الوقائع الفلسطينية

Palestine Over Two Months

يتضمن هذا التقرير توثيقًا لأهم الوقائع الفلسطينية والأحداث المرتبطة بالصراع العربي – الإسرائيلي، في المدة 1 أيلول/ سبتمبر – 31 تشرين الأول/ أكتوبر 2025.

كلمات مفتاحية: فلسطين، إسرائيل، الصراع العربي – الإسرائيلي.

Keywords: Palestine, Israel, Arab-Israeli Conflict.

2025/9/8 قُتل 6 مستوطنين إسرائيليين وأصيب 30 آخرون في عملية إطلاق نار على حافلات في مستوطنة راموت بمدينة القدس في الضفة الغربية المحتلة.

(القدس العربي، 2025/9/8)

2025/9/9 استهدفت إسرائيل بغارة جوية مباني سكنية في الدوحة – قطر كان فيها قياديون من المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية "حماس"، وذلك في اجتماع لمناقشة مقترح أميركي متعلق بوقف إطلاق النار في قطاع غزة، وأسفرت الغارة عن استشهاد عدد من الأشخاص.

(رويترز، 2025/9/9)

2025/9/10 أعلنت هولندا حظر دخول وزير الأمن القومي الإسرائيلي إيتمار بن غفير ووزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريتش إلى 29 دولة أوروبية بعد إدراجهما في قائمة "شخصيات غير مرغوب فيها".

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية - وفا، 2025/9/10)

2025/9/12 تبنّت الجمعية العامة للأمم المتحدة مشروع قرار يؤيّد "إعلان نيويورك" بشأن الاعتراف بالدولة الفلسطينية وتعزيز حلّ الدولتين بوصفه مسارًا لتحقيق تسوية سلمية للقضية الفلسطينية.

(أخبار الأمم المتحدة، 2025/9/12)

2025/9/15 قال أمير دولة قطر، الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، إنّ رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو يحلم بأن تكون المنطقة العربية منطقة نفوذ إسرائيلية و"هذا وهم خطير"، مؤكدًا أنّ بلاده عازمة على فعل كل ما يلزم للحفاظ على سيادتها ومواجهة العدوان الإسرائيلي الذي وصفه بـ "الجبان" و"الغادر"، داعيًا في الوقت نفسه إلى ضرورة اتخاذ إجراءات عملية لمواجهة الغطرسة الإسرائيلية.

(وكالة الأنباء القطرية - قنا، 2025/9/15)

2025/9/16 أعلنت جماعة أنصار الله (الحوثيون) في اليمن، تنفيذ عملية عسكرية نوعية بصاروخ باليستي فرط صوتي "ضد هدف حساس للعدو الإسرائيلي في منطقة يافا المحتلة"، واستهداف مطار رامون في أم الرشراش.

(موقع أنصار الله، 2025/9/16)

2025/9/18 قُتل إسرائيليان في عملية إطلاق نار نفذت عند معبر اللنبي (جسر الملك حسين كما يسمى في الأردن، ومعبر الكرامة كما يسمّى فلسطينيًا) الرابط بين الأردن والضفة الغربية.

(التلفزيون العربي، 2025/9/18)

2025/9/19 دعا الأمين العام لحزب الله نعيم قاسم السعودية إلى "فتح صفحة جديدة مع المقاومة على أساس حوار يعالج الإشكالات، ويجيب عن المخاوف، ويؤمّن المصالح"، ضمن ما سمّاه "اقتراحًا علنيًا"، في إطار خطوة عملية متقدّمة من أجل توفير الوقت والجهد، و"كي لا يفشلها المتضرّرون من أتباع أمريكا وإسرائيل"، مشددًا على ضرورة أن "نقلب المعادلة، وأن تكون إسرائيل هي الخطر، وليس المقاومة، وأن نعلم أن خطرها شامل على الجميع".

(رويترز، 2025/9/19)

2025/9/20 أعلنت وزارة الخارجية البرتغالية أن البرتغال ستعترف بدولة فلسطين قبل انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك.

(وزارة الخارجية البرتغالية، 2025/9/20)

2025/9/20 أعلنت محكمة العدل الدولية أن البرازيل انضمت إلى الدعوى التي رفعتها جنوب أفريقيا ضد إسرائيل، في كانون الأول/ديسمبر 2023، لارتكاب إبادة جماعية في قطاع غزة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية - وفا، 2025/9/20)

2025/9/21 أعلنت بريطانيا وكندا وأستراليا والبرتغال الاعتراف رسميًّا بدولة فلسطين، قبل انعقاد اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة السنوية في نيويورك، بحضور أكثر من 140 رئيس دولة وحكومة.

(العربي الجديد، 2025/9/21)

2025/9/22 أعلنت وزارة الصحة في غزة وصول 61 شهيدًا و220 إصابة إلى مستشفيات القطاع؛ ما رفع حصيلة الضحايا منذ استئناف العدوان في 18 آذار/مارس الماضي إلى 12785 شهيدًا و54754 إصابة، في حين بلغت الحصيلة الإجمالية منذ بدء الحرب، في 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، نحو 65344 شهيدًا و166795 إصابة.

(وزارة الصحة الفلسطينية - غزة، 2025/9/22)

2025/9/22 أعلن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أن فرنسا تعترف اليوم بدولة فلسطين من أجل السلام بين الشعبَين الإسرائيلي والفلسطيني، ثم أعلنت ذلك أيضًا مالطا وبلجيكا ولوكسمبورغ وموناكو وأندورا خلال كلمات ألقاها ممثلوها في أثناء المؤتمر.

(عرب 48، 2025/9/22)

2025/9/23 أصدرت رئاسة المؤتمر الدولي الرفيع المستوى بشأن التسوية السلمية للقضية الفلسطينية وتنفيذ حل الدولتين، الذي عُقد في نيويورك برئاسة المملكة العربية السعودية وفرنسا، بيانًا مشتركًا دعت فيه المجتمع الدولي إلى تحويل مواقفه إلى أفعال عملية. وأوضح البيان أن المؤتمر أسفر عن اعتماد إعلان نيويورك الذي حظي بتأييد 142 دولة في الجمعية العامة للأمم المتحدة، مؤكدًا "الالتزام الدولي بحل الدولتين ورسم مسار لا رجعة فيه لبناء مستقبل أفضل للفلسطينيين والإسرائيليين وشعوب المنطقة كافة".

(وكالة الأنباء السعودية - واس، 2025/9/23)

2025/9/23 هاجم الرئيس الأميركي دونالد ترمب اعتراف الدول الغربية بدولة فلسطين، معتبرًا أنه "مكافأة" على "الفظاعات". وقال،

خلال كلمته، في افتتاح جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة: "إنّ الاعتراف بدولة فلسطينية سيكون أمرًا بالغ الروعة بالنسبة لحماس".

(فرانس 24، 2025/9/23)

2025/9/26 أقام مستوطنون إسرائيليون بؤرة استيطانية جديدة في قلقيلية شمال الضفة الغربية التي شهدت مناطق مختلفة منها سلسلة من الاعتداءات والاقتحامات على يد المستوطنين وجيش الاحتلال الإسرائيلي.

(المركز الفلسطيني للإعلام، 2025/9/26)

2025/9/27 أوضح الرئيس الكولومبي غوستافو بيترو أن ما يحدث في قطاع غزة هو إبادة جماعية بكل معنى الكلمة، مجددًا دعوته إلى إنشاء جيش دولي من أجل حماية الإنسانية وتحرير فلسطين.

(مرصد الشرق الأوسط، 2025/9/27)

2025/9/27 شهدت العاصمة الألمانية، برلين، أكبر موجة احتجاجات في البلاد على حرب الإبادة التي تشنها إسرائيل على قطاع غزة المحاصر منذ ما يقرب من عامين.

(التلفزيون العربي، 2025/9/27)

2025/9/29 نظّم مجموعة من اليهود المنتمين إلى منظمة ناتوري كارتا (يهود موحّدون ضد الصهيونية)، وقفة احتجاجية أمام البيت الأبيض في واشنطن، تزامنًا مع زيارة رئيس حكومة الاحتلال الإسرائيلي بنيامين نتنياهو للقاء الرئيس الأميركي دونالد ترمب، مطالبين بوقف إطلاق النار في غزة.

(عرب 48، 2025/9/29)

2025/9/29 التقى الرئيس الأميركي دونالد ترمب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لعرض خطته المكونة من 20 بندًا لإنهاء الحرب في غزة، وقد أبدى أيضًا موافقته على المقترح.

(فرانس 24، 2025/9/29)

2025/10/1 أكدت "حماس" أن لا علاقة لها بالأشخاص الذين أعلنت ألمانيا عن اعتقالهم بشبهة انتمائهم إلى الحركة، وتخطيطهم لـ "ارتكاب أعمال عنف خطيرة في البلاد". وشددت الحركة على أن "سياستها كانت، وما زالت، تحصر كفاحها ضد الاحتلال الصهيوني في فلسطين فقط".

(عرب 48، 2025/10/1)

2025/10/2 أعلن أسطول الصمود المغاربي، المشارك في أسطول الصمود العالمي لكسر الحصار عن غزة، أنه دخل المياه الإقليمية لقطاع غزة، وأنه اقترب من هدفه لكسر الحصار المفروض على القطاع، على الرغم من اعتراض إسرائيل إيّاه ومحاولاتها إيقافه في عرض البحر.

(ألترا صوت فلسطين، 2025/10/2)

2025/10/2 أعلن جيش الاحتلال الإسرائيلي أنه أنهى عملية السيطرة على سفن أسطول "الصمود" المتجهة إلى غزة، والتي ضمت نحو 50 سفينة. وقد تمّ اعتقال المشاركين ونقلهم إلى ميناء "أسدود" للتحقيق، تمهيدًا لترحيلهم إلى بلدانهم. وشملت العملية السيطرة على 6 سفن رئيسة، من بينها "سيروس"، و"ألما"، و"سبيكتر"، و"هوغا"، و"أدرا"، و"دير ياسين".

(التلفزيون العربي، 2025/10/2)

2025/10/5 شارك عشرات الآلاف في مدينة إسطنبول في تظاهرة شعبية حاشدة شارك فيها مواطنون أتراك وأبناء الجاليات العربية والإسلامية المقيمون في تركيا، إحياءً للذكرى السنوية لمعركة "طوفان الأقصى" وتنديدًا بالإبادة الجماعية المستمرة في قطاع غزة.

(العربي الجديد، 2025/10/5)

2025/10/5 أعلن مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أن وفده المفاوض سيتوجه إلى مصر من أجل إجراء مباحثات غير مباشرة مع حركة حماس بشأن خطة الرئيس الأميركي دونالد ترمب لوقف الحرب على غزة.

(عرب 48، 2025/10/5)

2025/10/7 شهدت مناطق عدة من الضفة الغربية المحتلة تصعيدًا ميدانيًا واسعًا لقوات الاحتلال الإسرائيلي، التي نفذت سلسلة اقتحامات وعمليات دهم واعتقال في مدن وقرى بمحافظات رام الله، والبيرة، والقدس، وأريحا، مقترنة بإجراءات عسكرية مشددة وإغلاق للطرق الرئيسة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية - وفا، 2025/10/7)

2025/10/7 قال المتحدث باسم الخارجية القطرية، ماجد الأنصاري، إن الأطراف المعنية منخرطة في مفاوضات دقيقة بشأن وقف إطلاق النار في غزة للتعرف إلى العراقيل أمام تطبيق الاتفاق، مؤكدًا أن الكثير من تفاصيله في حاجة إلى الاتفاق على آلية تطبيقها، ومشددًا على التزام قطر بالعمل على إنجاح خطة الرئيس الأميركي دونالد ترمب للوصول إلى وقف كامل لإطلاق النار في غزة.

(وكالة الأنباء القطرية - قنا، 2025/10/7)

2025/10/7 شهدت دمشق، إلى جانب عدة محافظات سورية، وقفات احتجاجية ضد الاحتلال الإسرائيلي كان شعارها "كلنا واحد من أجل فلسطين"، على نحو متزامن مع مرور عامين على حرب الإبادة الجماعية التي يشنها الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة.

(تلفزيون سوريا، 2025/10/7)

2025/10/8 اقتحم وزير الأمن القومي الإسرائيلي، إيتمار بن غفير، المسجد الأقصى في القدس المحتلة، مُحاطًا بحماية مشددة من شرطة الاحتلال، حيث قاد مجموعات المستوطنين خلال اقتحاماتهم المسجد في ثاني أيام "عيد العرش".

(عرب 48، 2025/10/8)

2025/10/8 وصل ستيف ويتكوف، مبعوث الرئيس الأميركي دونالد ترمب، هو وصهره جاريد كوشنر، إلى شرم الشيخ في مصر، للمشاركة في مفاوضات تبادل الأسرى والمحتجزين وإنهاء حرب الإبادة على غزة التي أتمت عامها الثاني.

(أكسيوس، 2025/10/8)

2025/10/9 جرى الإعلان عن موافقة إسرائيل وحماس على المرحلة الأولى من خطة السلام، والتوصل إلى اتفاق يقضي بوقف الحرب على قطاع غزة، وانسحاب قوات الاحتلال منه، ودخول المساعدات الإنسانية، وتبادل الأسرى.

(سي إن إن بالعربية، 2025/10/9)

2025/10/9 أعلن رئيس حركة حماس في قطاع غزة، ورئيس الوفد المفاوض، خليل الحية، التوصل إلى اتفاق لإنهاء الحرب والعدوان على الشعب الفلسطيني، والشروع في تنفيذ وقفٍ دائم لإطلاق النار وانسحاب قوات الاحتلال الإسرائيلي ودخول المساعدات وفتح معبر رفح في الاتجاهين، وتبادل الأسرى. وقال إنه بموجب الاتفاق سوف يطلق سراح 250 من أسرى المحكومين بالسجن المؤبد و1700 من أسرى أبناء قطاع غزة الذين تمّ اعتقالهم بعد 7 تشرين الأول/أكتوبر، فضلًا عن إطلاق سراح الأطفال والنساء جميعًا. وجرى التشديد على أن الحركة تسلّمت ضمانات من الإخوة الوسطاء ومن الإدارة الأميركية، مع تأكيدهم جميعًا أن الحرب انتهت على نحوٍ تامّ.

(موقع حركة المقاومة الإسلامية - حماس، 2025/10/9)

2025/10/10 أكد عبد الملك الحوثي، زعيم جماعة "أنصار الله"، "الحوثيين"، في اليمن أن جماعته ستبقى "في حالة انتباه وجهوزية [كذا] تامة ورصد كامل بدقة وعناية تجاه مرحلة تنفيذ الاتفاق لإنهاء العدوان على قطاع غزة وإدخال المساعدات"، مضيفًا قوله: "ما نتمناه هو إيقاف الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني والتزام العدو بوقف إطلاق النار، وهذا كان هدفنا أصلًا من الإسناد".

(موقع أنصار الله (الحوثيون)، 205/10/10)

2025/10/10 واصلت قوات الاحتلال الإسرائيلية في اليوم الـ 735 من أيام الحرب، القصف على عدة مناطق في قطاع غزة. وبدأ سريان اتفاق إنهاء حرب إسرائيل على غزة، بعد تصديق الحكومة الإسرائيلية رسميًا على الاتفاق.

(المركز الفلسطيني للإعلام - غزة، 2025/10/10)

2025/10/10 أعلنت حركتا حماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين رفْضَها "القاطع لأي وصاية أجنبية"، مؤكدةً أن "تحديد شكل إدارة قطاع غزة وأسس عمل مؤسساتها شأن فلسطيني داخلي يحدده مكونات شعبنا الوطنية بشكل مشترك، مع الاستعداد للاستفادة من مشاركة عربية ودولية في مجالات الإعمار والتعافي ودعم التنمية".

(جريدة القدس، 2025/10/10)

2025/10/10 شرع آلاف المواطنين النازحين في العودة التدريجية إلى مدينة غزة على نحو متزامن مع دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ، وذلك عبر طريقَي الرشيد وصلاح الدين.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية - وفا، 2025/10/10)

2025/10/13 دخلت صفقة تبادل الأسرى بين إسرائيل وحركة حماس حيّز التنفيذ، بعد إعلان وقف الحرب، برعاية مصرية - قطرية - تركية - أميركية. وأفرجت كتائب الشهيد عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، عن 20 أسيرًا إسرائيليًا على دفعتين، وسلّمتهم إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر، تنفيذًا لاتفاق وقف الحرب على غزة؛ إذ سلّمت 13 أسيرًا إسرائيليًا في نقطتين في خان يونس ووسط القطاع، بعد أن سلّمت دفعة أولى من 7 أسرى.

(المركز الفلسطيني للإعلام - غزة، 2025/10/13)

2025/10/13 ألقى الرئيس الأميركي دونالد ترمب خطابًا أمام الكنيست الإسرائيلي، قبيل توجهه إلى شرم الشيخ لتوقيع اتفاق وقف إطلاق النار في غزة وبحث مستقبل القطاع، قال فيه "سنطبّق السلام من خلال القوة، ولدينا أسلحة لم يحلم بها أحد، وآمل ألا نضطر لاستخدامها"، مضيفًا قوله: "كثير من هذه الأسلحة قدمناها لإسرائيل". وأشار ترمب إلى أن واشنطن زوّدت إسرائيل بكل هذه الأسلحة حتى تكون لها القوة الكافية لتحقيق السلام، قائلًا: "[رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين] نتنياهو كان يتصل بي مرارًا ويطالب بشتى أنواع الأسلحة"، معتبرًا أن إسرائيل أحسنت استخدام الأسلحة الأميركية.

(التلفزيون العربي، 2025/10/13)

2025/10/13 وقّع زعماء الدول: دونالد ترمب (الولايات المتحدة) وعبد الفتاح السيسي (مصر)، ورجب طيب أردوغان (تركيا)، وأمير دولة قطر تميم بن حمد آل ثاني، في ختام أعمال قمة شرم الشيخ للسلام، على "إعلان ترامب للسلام الدائم والازدهار"، الذي ينص على أن الدول الموقعة ترحب بـ"الالتزام التاريخي الحقيقي من جميع الأطراف باتفاقية ترامب للسلام وتنفيذها، مما ينهي أكثر من عامين من المعاناة الشديدة والخسائر الفادحة، ويفتح فصلًا جديدًا للمنطقة يسوده الأمل والأمن والرؤية المشتركة للسلام والازدهار". وأكد الموقعون "دعم وتأييد جهود الرئيس ترامب المخلصة لإنهاء الحرب في غزة وإحلال السلام الدائم في الشرق الأوسط"، والعمل معًا على تنفيذ هذا الاتفاق بطريقة تضمن

"السلام والأمن والاستقرار والفرص لجميع شعوب المنطقة، بمن فيهم الفلسطينيون والإسرائيليون".

(U.S. Department of State بالعربية، 2025/10/13)

2025/10/13 هيئة شؤون الأسرى والمحررين ونادي الأسير الفلسطيني يعلنان عن تحرير 1968 أسيرًا فلسطينيًا من سجون الاحتلال الإسرائيلي؛ من بينهم 250 من المحكومين أحكامًا مؤبدة، وعدد من الأسرى المحكومين بأحكامٍ عالية أو المتوقع الحكم عليهم بالسجن المؤبد، و1718 من أسرى قطاع غزة الذين اعتقلوا بعد الحرب، وذلك استنادًا إلى ما أُعلن عنه ضمن القوائم التي جرى الاتفاق عليها في إطار اتفاق إنهاء الحرب ووقف إطلاق النار.

(جمعية نادي الأسير الفلسطيني، 2025/10/13)

2025/10/19 شنّت قوات الاحتلال الإسرائيلي ومستعمرون مسلحون هجمات متكررة على المزارعين الفلسطينيين، خلال موسم قطف الزيتون، في محافظات رام الله ونابلس وسلفيت بالضفة الغربية.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية - وفا، 2025/10/19)

2025/10/22 أثار تصويت الكنيست الإسرائيلي بالقراءة التمهيدية على مشروعَي قانونَين لتطبيق السيادة الإسرائيلية على مناطق الضفة الغربية، ومستوطنة "معاليه أدوميم" شرق القدس المحتلة، تنديدًا واسعًا، بوصفه خطوة خطِرة تمهّد فعليًا لضم أجزاء من الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتمثّل تحدّيًا صارخًا للقانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة التي تؤكد عدم شرعية الاستيطان.

(عرب 48، 2025/10/22)

2025/10/24 جدّدت دولة قطر تأكيدها أن نجاح المرحلة الأولى من اتفاق إنهاء الحرب في قطاع غزة مسؤولية جماعية لضمان تنفيذه، بما يفضي إلى وقف شامل للحرب وتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة، وذلك في إطار الامتثال الكامل لمبادئ الميثاق والقانون الدولي.

(وكالة الأنباء القطرية - قنا، 2025/10/24)

2025/10/27 أصدر الرئيس الفلسطيني، محمود عباس، إعلانًا دستوريًا يقضي بأنه إذا شغر منصب رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية، وفي حالة عدم وجود المجلس التشريعي، يتولى نائب رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، نائب رئيس دولة فلسطين، مهمات رئاسة السلطة الوطنية مؤقتًا. وبحسب الإعلان الدستوري، فإن ذلك يكون خلال مدة لا تزيد على تسعين يومًا، تجري خلالها انتخابات حرة ومباشرة لانتخاب رئيس جديد، وفقًا لقانون الانتخابات الفلسطيني، وإن تعذر إجراؤها خلال تلك المدة لقوة قاهرة فإنها لا تمدد بقرار من المجلس المركزي الفلسطيني إلى فترة أخرى إلّا مرة واحدة.

(وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية - وفا، 2025/10/27)

2025/10/27 دعا الاتحاد الأوروبي سلطات الاحتلال الإسرائيلي إلى الامتثال للرأي الاستشاري الصادر عن محكمة العدل الدولية، بشأن التزاماتها في مجال المساعدات الإنسانية والتعاون مع الأمم المتحدة في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وجاء ذلك على لسان المتحدث باسم مفوضية الاتحاد الأوروبي، أنور العوني، في مؤتمر صحافي عقده في بروكسل.

(التلفزيون العربي، 2025/10/27)

مراجعات الكتب

Book Reviews

المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.31430/HFKX4225

وجد بشارة | Wajd Beshara*

عن الترابط الرقمي المفرط وخيباته

On Hyperconnectivity and its Discontents

عنوان الكتاب في لغته: *Hyperconnectivity and its Discontents*.

المؤلف: روجرز بروبيكر Rogers Brubaker.

سنة النشر: 2022.

الناشر: Hoboken, NJ: John Wiley & Sons.

عدد الصفحات: 288.

* باحثة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

Researcher, Arab Center for Research and Policy Studies.
Email: wajd.beshara@dohainstitute.edu.qa

مقدمة

لطالما حفلت النقاشات حول كيفية تغيير الوسائط الرقمية لمجتمعاتنا بالتناقضات. فهي تدعم الديمقراطية، لكنها تقوض المؤسسات الديمقراطية في آنٍ واحد. وتساهم في تمكين صحافة المواطن، وتساهم أيضًا في زيادة انتشار الأخبار الزائفة. وهي تسهل الوصول إلى المعلومات وتداولها، وفي مقابل ذلك تغذي التشظي المعرفي. وهي بنية تسمح لحوكمة موضوعية تتجاوز التحيزات المجتمعية، وتعيد أيضًا إنتاج اللامساواة الناجمة عن تلك التحيزات. وتعيد تنظيم العمل حول معايير المرونة والاستقلالية، لكنها في الوقت نفسه تفرض أساليب أكثر تدخلًا في إدارة العمل وتعرّضه لمزيد من المخاطر والتقلب Precarious. وهي تدعمُ طرائق العيش المستدامة و"الصديقة للبيئة"، إلّا أنّ بنيتها على نقيض ذلك تعتمد على مراكز بيانات ضخمة تستهلك كميات هائلة من الموارد الطبيعية. في خضم هذه النقاشات، يتصدى روجرز بروبيكر، في كتابه **الترابط المفرط وخيباته**، لهذه الطبيعة المتناقضة الكامنة في التحوّلات التي أحدثها ما أسماه "الترابط الرقمي المفرط" في شتى المجالات.

يُعرّف بروبيكر "الترابط الرقمي المفرط" بأنه بنية تحتية - فوقية Meta-infrastructure "تعتمد عليها جلّ البنى التحتية الاجتماعية والتقنية الأخرى، بما في ذلك البنى التحتية المالية والصناعية وتلك الخاصة بالمواصلات، إضافة إلى المرافق العامة، على سبيل المثال" (ص 6). وهذه السمة البنيوية تميّز ثورة الاتصالات الرقمية من ثورات الاتصال السابقة التي أحدثها التلغراف والهاتف والتلفزيون. ويوضح المؤلّف عمق التغيير الذي أحدثه الترابط الرقمي المفرط، بوصفه "حقيقةً فارقةً في عصرنا" (ص 1)، متطرقًا إلى التحوّلات التي أحدثها في مفهومنا للذات والهوية (الفصل الأول)، وفي تفاعلاتنا الاجتماعية (الفصل الثاني)، وفي الثقافة (الفصل الثالث)، وفي كيفية تنظيمنا العملَ والاقتصاد (الفصل الرابع)، وفي السياسة والادعاءات المعرفية (الفصل الخامس). وعلى مدار الكتاب، يتتبع ببراعة تآكل "اليوتوبيا" التي صاحبت بدايات الإنترنت فيما يتعلق بهذه المجالات الخمسة جميعها. فهو يقارن بين رؤى التجرد من الجسد واللامركزية والازدهار الثقافي وتمكين المجال العام، وبين واقع عصر الويب 2.0، الذي يشهد هيمنة الشركات الخاصة على الوساطة بيننا وبين معظم مجالات المجتمع.

وعلى الرغم من أنّ بروبيكر يتجنب تقديم نظرية شمولية لفهم الترابط الرقمي المفرط، فإنه يركز على المنطق الاقتصادي الكامن الذي يشكّل طبيعة التحوّلات التي يجلبها هذا الترابط. ولا يقتصر، في كتابه، على طرح ادعاءات حول التحوّلات الاجتماعية التي أحدثها، بل يتناول أيضًا كيفية تأثيرها في سيكولوجيتنا وميولنا أو استعداداتنا لتصرّف ما. ويجادل بأن هذا الترابط المفرط قد أعاد على الأرجح تشكيل أدمغتنا. فهو يمنحنا القدرة على التحرك عبر المكان والزمان بسرعة وسهولة، ولكنه من خلال ذلك يقودنا أيضًا إلى العيش في حالة من قابلية مستمرة للانقطاع عن التواصل (ص 55)، بحيث نسعى جاهدين للبقاء على اتصال وعدم التخلف عن الركب، في عالمٍ مبني بصفة متزايدة حول توقعات تفرضها أنظمة الترابط الرقمي المفرط الاجتماعية - التقنية. ويشير بروبيكر إلى المخاطر التي يشكّلها ذلك على قدرتنا على التركيز، ويتبنى مفهوم "اقتصاد جذب الانتباه" Attention Economy[1] الذي تعتمده منصات التواصل الرقمية في خوارزمياتها المصممة لإبقاء المستخدم على المنصات، وهي تهدف إلى استغلاله في تجميع بيانات أكثر، ومن ثمّ توليد توقعات أنواع المحتوى التي يمكن أن تبقيه على المنصات فتراتٍ أطول. وتتغلغل المنصات فعليًا في كل جوانب حياتنا وتُقحِمُنا، بوصفنا "هدفًا ضعيف الحماية، مبرمجًا بيولوجيًا للاستجابة للمحفزات البارزة في مجالاتنا البصرية والسمعية"، في "صراع دائم وعالي المخاطر وغير متكافئ، إلى حد بعيد، على جذب الانتباه" ضد "جيش ممول من المصممين والمهندسين" (ص 167).

توضح هذه التأملات الكيفية المتميزة التي يقدم بها الكتاب العلاقة بين المنطق الذي يشكّل بنية الترابط الرقمي المفرط وإعادة إنتاجه، من خلال تجارب الأفراد وممارساتهم في حياة تتشكل باستمرار على البنية التحتية للمنصات الرقمية. وهكذا يطوّر الكاتب ويوسّع مفهوم "الإتاحات" Affordances[2]؛ إذ يستخدمه نقطة انطلاق لتأسيس إطار العلاقة بين الترابط الرقمي المفرط وأي مجال يناقشه

1 Vikram R. Bhargava & Manuel Velasquez, "Ethics of the Attention Economy: The Problem of Social Media Addiction," *Business Ethics Quarterly*, vol. 31, no. 3 (2021), pp. 321-359.

2 طوّر جيمز غيبسون مفهوم الإتاحات، في نطاق علم النفس البيئي، ليشير إلى العلاقة بين الحيوان وبيئته، بوصفها سمة علائقية Relational Property. وفي دراسات التصميم، استخدم دونالد نورمان هذا المفهوم لفهم التفاعل مع الحاسوب، في كتابه، **تصميم الأشياء اليومية**، الذي يناقش كيفية تصميم الأشياء لتشجيع أفعال معينة أو تقييدها. أما عالم الاجتماع إيان هتشبي، فاعتبر المفهوم وسيلة لتجاوز النزعة الحتمية التقنية والبنائية الاجتماعية الصارمة، من خلال التركيز على الإتاحات التواصلية التي تعبّر عن إمكانيات الفعل التي تنبثق من خصائص تقنيات معينة. ولهذا السبب، غالبًا ما يجري تناول تحليل شبكات التواصل الاجتماعي والإعلام الرقمي من خلال ثنائية الإتاحات والقيود. ينظر:
James J. Gibson, "The Theory of Affordances (1979)," in: James J. Gibson et al. (eds.), *The People, Place, and Space Reader* (London/ New York: Routledge, 2014), pp. 56-60; Ian Hutchby, "Technologies, Texts and Affordances," *Sociology*, vol. 35, no. 2 (2001), pp. 441-456; Donald A. Norman, *The Design of Everyday Things* (New York: Basic Books, 2013); Taina Bucher & Anne Helmond, "The Affordances of Social Media Platforms," in: Jean Burgess, Thomas Poell & Alice Marwick (eds.), *The SAGE Handbook of Social Media* (London/ New York: SAGE Publications, 2018), pp. 233-253.

لاحقًا: "إن التقنيات الرقمية الشبكية لا تحدد استخداماتنا لها، لكنها تمتلك 'إتاحات' معيّنة تفتح آفاقًا جديدة وتغلق أخرى؛ ما يجعل بعض الإجراءات أسهل، وبعضها الآخر أصعب" (ص 7). أستعرض في الأقسام التالية ثلاثة جوانب رئيسة لإتاحات الترابط الرقمي المفرط يناقشها بروبيكر في تحليله: 1. سمة الغزارة التي يعدّها أساسية في تمييز هذا الترابط المفرط من ناحية كمية المحتوى وتبادله المتواصل، وهي تؤثر في كيفية تعاملنا مع المعلومات والمعرفة، 2. فرض آليات تحكم من خلال المراقبة المنزوعة السياق والأنظمة التقنية للتنبؤ المستمر، 3. تعزيزها أيديولوجيا "شعبويةً تكنوقراطية".

أولًا: وفيرة، مسطحة، مصغّرة: أعراف التواصل في ظل الترابط الرقمي المفرط

يرى بروبيكر أن تدفقات المحتوى، المستمرة والوفيرة بإفراط، "سمة عامة وحتمية للاتصال المفرط" (ص 132). ولم يكن من الممكن أو الطبيعي، في أي وقت مضى، استهلاك كمية المحتوى التي نستهلكها اليوم. فبالنسبة إلى معظم الناس، أصبح التمرير اللامتناهي عبر صفحاتهم الرئيسة، والتنقل بسهولة بين تطبيقات وسائط التواصل الاجتماعي، والقفز من تغريدة إلى صورة أو مقطع فيديو أو منشور أو مقال، جزءًا روتينيًا لإراديًا ومن الصعب الاستغناء عنه في الحياة اليومية. إن أجهزتنا "المتصلة دائمًا والموجودة معنا دائمًا" Always-on/ Always-on-you[3] تدفعنا إلى ممارسة هذه السلوكيات على نحوٍ متكرر، من خلال الإشعارات واللافتات والاهتزازات والأصوات، بينما نسعى جاهدين للبقاء على اطّلاع على الكمية المتزايدة باستمرار من المحتوى المتاح لنا لاستهلاكه. فبدلًا من أن نعرف المزيد، يتضح لنا أننا نعرف "أقل وأقل عن أكثر فأكثر" (ص 79). ويشير بروبيكر إلى أنه في حين نُظر إلى الوفرة الرقمية في البداية بإيجابية، حيث احتفت الرؤى المثالية بصفة خاصة بدمقرطة المعرفة وتحرير المجال الثقافي من حراس البوابة المؤسسيين عبر تمكين النسخ والمشاركة اللانهائية، فإنه اتضح أن الوفرة التي تتسم بها بيئتنا الاتصالية الرقمية لا تعكس هذه الصورة المثالية لمجتمع أكثر تفاعلًا ووعيًا، بل تعكس صورة مجتمع أكثر عرضة للتلاعب والتفتت، أو بعبارة أبسط، يعيش حالة من الضياع وسط كمٍّ هائلٍ ومتزايدٍ من المعلومات المتداولة بحرية وبلا قيود.

فإلى جانب استفادة منصات التواصل الاجتماعي من الوفرة الرقمية، واستغلالها لجذب المستخدمين بصفة متكررة، من خلال استغلال الهشاشة النفسية لديهم، وبهذا تؤدي إلى زيادة مستويات التوتر وتقصير مدى الانتباه، كما أظهرت دراسات عديدة[4]، تعمل الوفرة أيضًا أداةً للتلاعب السياسي. ففي عصر المحتوى اللامتناهي، أصبحت موجات السخط الأخلاقي Moral Outrage أكثر تواترًا. وعلى الرغم من أنّ انتشار الأخبار الكاذبة بسهولة قد كان له أثرٌ في تأجيج ذلك، فإن بروبيكر يسلّط الضوء على فكرة أن "مروّجي السخط الأخلاقي لا يحتاجون إلى اللجوء للتلفيق" في هذه البيئة الإعلامية (ص 139)؛ لأن حجم المواد الحقيقية الهائل والتداول، المنزوع السياق، يعني أنه من الممكن العثور على مثال لأي حكاية تجدها شرائح من السكان شائنة، لدعم أيٍّ من الادعاءات، وخلق شعور بأن الأعراف والقيم المجتمعية التي لا تزال تؤمن بها أغلبية أو على الأقل شريحة كبيرة من السكان هي تحت التهديد. فيساهم ذلك في تبني الأغلبية عقلية أقلية مهددة؛ ما يثير الخوف والذعر الأخلاقي ويفاقم الاستقطاب.

يستخدم أيضًا الفاعلون السياسيون الوفرة استراتيجيًا لتبديد الغضب العام وانعدام الثقة، ولتوليد الفوضى والارتباك. ويتمثّل هذا في مقولة شهيرة لستيف بانون، الاستراتيجي الرئيس في حملة الرئيس الأميركي دونالد ترمب، الذي صرح قائلًا: "المعارضة الحقيقية هي الإعلام. وطريقة التعامل [المثلى] هي إغراق الساحة بالهراء" (ص 132). ومنذئذٍ، أصبحت حملات ترمب على منوال واحد؛ إذ تؤكد دراسات عديدة في السنوات الأخيرة، حول نشاط الروبوتات (البوتات) التي ينسقها فاعلون حكوميون وسياسيون، هذه الاستراتيجية[5]. وفي حين أن استخدام وسائل الإعلام في حملات التضليل ليس بالأمر الجديد، فإن النظام البيئي الإعلامي للاتصال المفرط يكشف هذا

3 Sherry Turkle, "Always-on/ Always-on-you: The Tethered Self," in: Sherry Turkle, *Social Theory Re-Wired* (London/ New York: Routledge, 2023), pp. 485-495.

4 Lara N. Wolfers & Sonja Utz, "Social Media Use, Stress, and Coping," *Current Opinion in Psychology*, vol. 45 (June 2022); Hosam Al-Samarraie et al., "Young Users' Social Media Addiction: Causes, Consequences and Preventions," *Information Technology & People*, vol. 35, no. 7 (2022), pp. 2314-2343; Vikram R. Bhargava & Manuel Velasquez, "Ethics of the Attention Economy: The Problem of Social Media Addiction," *Business Ethics Quarterly*, vol. 31, no. 3 (2021), pp. 321-359.

5 Samuel Woolley & Philip Howard, "Computational Propaganda Worldwide: Executive Summary," (2017); Denis Stukal et al., "Why Botter: How Pro-government Bots Fight Opposition in Russia," *American Political Science Review*, vol. 116, no. 3 (2022), pp. 843-857; D. Arnaudo, "Computational Propaganda in Brazil: Social Bots during Elections," *Working Paper*, no. 8, Oxford University Research Archive, 2017, accessed on 18/10/2025, at: https://acr.ps/1L9F2gp; M. Forelle et al., "Political Bots and the Manipulation of Public Opinion in Venezuela," *arXiv*, 2015, accessed on 18/10/2025, at: https://acr.ps/1L9F2d4

الأمر، ويجعله حتميًا أكثر؛ لكون منصات التواصل الاجتماعي وسيطًا متعدد الأغراض. ولذلك، بينما كان في إمكان المرء في السابق إطفاء القنوات التلفزية، فإنه على وسائط التواصل الاجتماعي من الصعب تجنّب المحتوى المشحون سياسيًا أو المتلاعب به، والذي يمكن أن يكون موجهًا ومخصصًا بحسب الاستخدام الشخصي Personalized. فمنصات التواصل الاجتماعي الرقمية تزيد من قابلية مصادفة مثل هذا المحتوى، نتيجة لسمة رئيسة للوفرة الهائلة في عصر الاتصال المفرط؛ تتمثّل في تسطيح جميع المعلومات على المستوى نفسه، ووجودها على منصات متوحدة متعددة الأغراض.

لا يمكّن الاتصال المفرط الرقمي وفرة المعلومات فحسب، بل يُسطِّحها Flatten ويُجرِّدها من سياقها. وينتج هذا التسطيح جزئيًا من إلغاء وسائط التواصل الاجتماعي للتمايز بين مجالات حياتنا. أضف إلى ذلك أننا نستهلك جميع أنواع المحتوى في الشكل الموحد الذي تحدده إتاحات شبكات التواصل الاجتماعي؛ فجماهيرنا وعلاقاتنا جميعها تقتصر على فئة واحدة: "أصدقاء" أو "متابعون". يتواصل معنا أشخاص نعرفهم من جميع مناحي حياتنا عبر منصة واحدة، أو على الأقل جهاز واحد؛ ما يؤثر في مفهومنا للمكان، ومن ثمّ في إحساسنا وفهمنا وممارستنا للذات من خلال تفاعلاتنا الاجتماعية. يتطلب هذا التجردُ العام من السياق أن نبذل جهدًا أكثر فأكثر في التنسيق والتفاوض بين جوانب حياتنا التي كانت في السابق منفصلة ومتمايزة مؤسسيًا. ولا يؤثر هذا التسطيح في كيفية تصورنا وتجربتنا للذات الأدائية المرتبطة بمكان أو سياق معيّن فحسب، بل يؤثر أيضًا في كيفية وصولنا إلى ما نعرفه وكيفية تقديمنا ادعاءات معرفته.

ارتباطًا بهذه النقطة، يعني التسطيح هنا أيضًا تجريد المحتوى من تراتبية الصدقية. في هذا السياق، يقول بروبيكر: "إن انفتاح البيئة الرقمية يعني أن جميع الادعاءات المعرفية، إلى جانب كل المحتوى الرقمي الآخر، تتدفق عبر القنوات نفسها وتنتشر بطريقة مجردة من السياق، مما يفرض تأثيرًا تجنيسيًا ومُسطِّحًا. إنه يضع الادعاءات الأكثر شططًا وغير المعقولة على المستوى نفسه وفي الإطار نفسه مع تلك التي تولدها المؤسسات السائدة المنتجة للمعرفة والناشرة لها" (ص 131).

يؤثر التسطيح، في بيئة إعلامية ذات تدفقات وفيرة من المحتوى، في "أنظمة المعرفة". ويجادل بروبيكر بأن أحد أعراض ذلك هو انتشار نظريات المؤامرة والزخم المتزايد منذ ظهور منصات التواصل الاجتماعي؛ ما يسمح لها بالمنافسة على قدم المساواة، وأحيانًا التفوق، مع المعرفة ذات الشرعية المؤسسية. لكن هذا الطرح لا يعني أن المستخدمين في بيئة إعلامية مسطحة ليسوا بالضرورة أكثر عرضة لتصديق المعلومات الكاذبة. توضح أليس مارويك[6] بأن مثل هذه الافتراضات تعكس نظرية "الرصاصة السحرية" Magic Bullet Theory التي تعرضت لانتقادات طويلة، وهي تفترض أن الأفراد يستوعبون أي محتوى إعلامي يواجهونه من دون تمحيص. في المقابل، تجادل بأن المعتقد والمشاركة في الحوارات العامة على وسائط التواصل الاجتماعي يتشكّلان بفعل ديناميات أخرى؛ وفي ذلك تقول إن المستخدمين لا "يُخدعون" ببساطة بالمعلومات المضللة، بل إن فعل مشاركة المعلومات غالبًا ما يرتبط بعمليات بناء الهوية وتقديم الذات. فعلى منصات التواصل الاجتماعي، حيث تسود ثقافة تشاركية، لا يستخدم الفرد المحتوى لإعلام الآخرين فحسب، بل للإشارة إلى انتماءاته وصياغة هوية تلائم تصوّره لهويةٍ جماعية معيّنة أيضًا.

ليست هذه الظاهرة جديدة تمامًا، بطبيعة الحال؛ إذ لطالما دمجت المؤسساتُ الإعلامية المعلوماتِ بإشارات هوياتية لجذب جماهير محددة، وهو منطق يشير إليه ريس بيك في تحليله لقناة **فوكس نيوز** *Fox News* باسم "الشعبوية الثقافية"[7]. لكن وسائط التواصل الاجتماعي تكشف هذا المنطق: فالمستخدمون لا يستهلكون المحتوى المرتبط بالهوية سلبيًا Passive، بل يعيدون تداوله بفاعلية بصفته طريقة لتأكيد هويتهم. فتصبح مشاركة المعلومات الإخبارية فعلًا أدائيًا. إن تداول محتوى من منفذ إخباري، مرتبط بفصيل سياسي معارض أو حتى تتبعه، يمكن أن يبدو بمنزلة تهديد للاصطفاف الاجتماعي ولهوية المستخدم. ففي بيئة إعلامية مسطحة، حيث يتدفق المحتوى من دون علامات أو تصفية مؤسسية، تنتشر الادعاءات المعرفية على نحوٍ متزايد ضمن إطار سياسة الهوية، وتصبح الحقيقة ثانوية بالنسبة إلى الاصطفاف الاجتماعي. ومن ثمّ، القول إن المقولة الشهيرة التي اتسمت بها ما لُقّب بـ "الموجة الثانية" من الحركة النسوية بأن "الشخصي هو سياسي" The Personal is Political تنقلب على رأسها وتصبح "السياسي هو شخصي" The Political Is Personal أو "مشخصن" Personalized في كيفية تشكّل الحوار والمشاركة السياسية على منصات التواصل الاجتماعي. وهذا ما يساهم بمرور الوقت في التفتت المعرفي؛ حيث يعيش الناس في عوالم معرفية متمايزة وغالبًا ما تكون غير متوافقة.

إضافة إلى تسطيح المعلومات، يشير بروبيكر إلى أن وفرتها في حالة الترابط الرقمي المفرط تفرض سمة ثالثة للبيئة الإعلامية بشأن الاتصال

6 Alice E. Marwick, "Why do People Share Fake News? A Sociotechnical Model of Media Effects," *Georgetown Law Technology Review*, vol. 2, no. 2 (2018), pp. 474-512.

7 Reece Peck, *Fox Populism: Branding Conservatism as Working Class* (Cambridge: Cambridge University Press, 2019).

المفرط، وهي "التصغير" Miniaturization؛ إذ إن إتاحات المنصات مثل القدرة على التنقل to scroll اللانهائي عبر صفحاتنا، التي تُغذى بمحتوى جديد على مدار اليوم، تشجع إنتاج محتوى أقصر وسريع الاستهلاك. ولا يقتصر التصغير على كيفية تعاملنا مع المعلومات الإخبارية، بل ينعكس أيضًا في تطور نوع من التفاعلات الاجتماعية الصغرى Micro-sociality وتمحور الاجتماعيات حول الالتزامات الصغرى Micro-obligations، وتحوّل الوظائف إلى مهمّات صغرى Micro-tasks، والثقافة إلى أشكال ثقافية مُصغَّرة Micro-culture؛ ما يؤدي إلى تقسيم وقتنا إلى وحدات أصغر فأصغر لتمتلئ بكل هذه الجوانب المُصغَّرة. ويجادل بروبيكر بأننا، في مثل هذا المشهد الإعلامي، "نصبح معالجين أكفاء، قادرين على استيعاب نطاق هائل من المحفزات الثقافية ومواكبة التشكيلات المتغيرة بالنسبة إلى المرجعيات؛ وهذا يساعدنا على إظهار نوع من الإلمام الثقافي بالعصر الرقمي، الذي يُبنى على الدراية أكثر مما يُبنى على المعرفة العميقة" (ص 84). ومن ثمّ، فإن وفرة المعلومات لا تعني بالضرورة دمقرطة المعرفة، حيث يتغير مفهومنا وتعاملنا مع المعرفة عندما نكتفي بمجرد "الدراية" بشيء ما من غير اكتساب المعرفة في جهد طويل ومتواصل، حتى نشعر بأننا قادرون على المساهمة عبر النشر على منصات تُمنح للجميع.

ثانيًا: نزع السياق والإحاطة والتنبؤ: آليات السيطرة في عصر الترابط الرقمي المفرط

على الرغم من أن بروبيكر لا يتناول "السيطرة" موضوعًا مستقلًا، فإنه يتكرر باستمرار في فصول الكتاب. ففيما يتعلق بفكرة "التسطيح" التي يطورها، يصف "نزع السياق" بأنه آلية سيطرة قوية في المشهد الإعلامي الذي غيّره الاتصال الرقمي المفرط. فالاتصال الرقمي المفرط يجعل من الصعب على الأفراد معرفة من يرى ماذا، ولأي غرض، وبأي نتيجة. ففي بيئته الإعلامية، تصبح المعلومات أكثر بقاءً ودوامًا، ويُرجَّح أن تستمر في الوجود على ملفات المستخدمين الشخصية، وتُحوَّل إلى بيانات، وتُخزَّن في مكان ما بعد أن يكونوا قد نسوها منذ زمن. ولذلك، يوسع الاتصال المفرط من نطاق المساءلة. ويمكن توجيه هذه المساءلة إلى الأعلى؛ إذ لا يمكّن هذا الاتصال من زيادة المراقبة فحسب، بل إنه يمكّن أيضًا من المراقبة العكسية Sousveillance[8]؛ وذلك لأن الأفراد في أسفل التسلسل الهرمي يمكن أن يراقبوا أولئك الموجودين في القمة؛ وكان لهذه الديناميكية تداعيات أخرى ساهمت في زيادة التركيز على سياسة الفضائح وما يشار إليه بـ "ثقافة الإلغاء" Cancel Culture. ولكنّ الاتصال الرقمي المفرط ساهم أيضًا، إلى حدٍّ بعيد، في تعزيز قدرة المؤسسات على تمحيص سلوك الأفراد، في سياقات كانت خارج نطاق صلاحياتها من قبلُ. وكان ذلك جزئيًا بوساطة "ثقافة الظهور" التي تطبّع مشاركة البيانات، وتجعل حياتنا الاجتماعية تتمحور حول مدى كشفنا لذواتنا؛ أي إننا نشعر بأننا أكثر ارتباطًا بالعالم وأكثر تفاعلًا اجتماعيًا مع متابعينا الذين يتمثلون لنا بأنهم دائرتنا الاجتماعية، كلما نشرنا المزيد عن حياتنا ليروها ويعجبوا بها ويعلقوا عليها[9].

ولا يوسّع هذا حلقة المراقبة الأفقية فحسب، بل الرأسية أيضًا. فمن ناحيةٍ، وخلافًا للتفاعلات وجهًا لوجه، نجد أن التفاعلات التي تحدث عبر الوسائط الرقمية "ليس لها حدود واضحة ولا مجموعة محددة من المشاركين" (ص 152). إنها باقية من خلال الآثار المُشيَّأة التي تخلفها وراءها؛ ما يجعلها عرضة لنزع السياق وإعادة الإحياء في أوقات لاحقة. ونشهد، على نحو متزايد، أمثلة على استخدام هذه البيانات لفحص الأفراد والتحقق منهم، سواء كان ذلك من سلطات الهجرة والحدود أو جزءًا من التدقيق في خلفية المتقدمين لوظيفةٍ ما[10]. ومن ناحية أخرى، تصبح المراقبة الأفقية أكثر تشاركية؛ إذ يُبلغ الأفراد عن الآخرين ويفضحونهم ويشهّرون بهم؛ ما يؤدي إلى إقصائهم المحتمل من جوانب مختلفة من المجالات العامة. وتتجلى أشكال التمحيص التشاركي بوضوح، من خلال انتشار منصات التشهير الإلكتروني Doxing، حيث تتحوّل المراقبة التي تمارسها الجماعات ذات النفوذ السياسي إلى نشاط تشاركي، يمكن أن ينخرط فيه أعضاء "المجتمع الدائم الانتشار" في عصر الاتصال المفرط. فعلى سبيل المثال، تفضح صفحات مثل "كناري ميشن" *Canary Mission* الأفراد وتُبلغ عنهم علنًا حتى بسبب أبسط الأنشطة المؤيدة للقضية الفلسطينية، وتستغلها المؤسسات الخاصة والحكومية التي تحاول

8 Steve Mann & Joseph Ferenbok, "New Media and the Power Politics of Sousveillance in a Surveillance-Dominated World," *Surveillance & Society*, vol. 11, no. 1-2 (2013), pp. 18-34.

9 ينظر أيضًا في السياق نفسه:

K. N. Hampton, "Persistent and Pervasive Community: New Communication Technologies and the Future of Community," *American Behavioral Scientist*, vol. 60, no. 1 (2016), pp. 101-124.

10 Faiza Patel et al., "Social Media Monitoring," *Research Report*, Brennan Center for Justice (22/5/2019), pp. 1-57; Btihaj Ajana, "Augmented Borders: Big Data and the Ethics of Immigration Control," *Journal of Information, Communication and Ethics in Society*, vol. 13, no. 1 (2015), pp. 58-78; Brenda L. Berkelaar & Millie A. Harrison, "Cybervetting," *The International Encyclopedia of Organizational Communication*, *Wiley Online Library*, 2017, pp. 1-7, accessed on 18/10/2025, at: https://acr.ps/1L9F2I9

إسكات النقد الموجه إلى إسرائيل والإبادة الجماعية التي ترتكبها في غزة معتمدة الترحيل والاستبعاد[11]. ومن ثمّ، فإن الحملة القمعية ضد الناشطين في هذه البيئة الإعلامية، لا تقتصر على أشكال السلطة القهرية التقليدية - مثل مهاجمة شرطة الدولة للاحتجاجات في الساحات العامة أو إجبار الجامعات الطلاب على تفكيك مخيمات اعتصاماتهم، وهي ممارسات أشد تقليدية في استبداديتها تستهدف فيها المؤسسات أعمال المعارضة ضمن حدودها - بل تمتدّ لتشمل أيضًا إجراءات عقابية على أعمال تضامنية خارج حدود المؤسسات الرسمية التي تتخذ هذه الإجراءات.

وتعتمد المنصات الرقمية أساسًا على مشاركة واسعة للبيانات مع أطراف ثالثة. وفي هذا السياق، اكتسب مفهوم هيلين نيسنباوم المتمثل في الخصوصية بوصفها "نزاهة سياقية" Contextual Integrity أهمية متجددة؛ إذ إنه يؤكد أن الخصوصية تتعلق بتقييد تدفق المعلومات إلى المؤسسات المناسبة وبين الأطراف المعنية ذات الصلة مؤسسيًا. وعلى الرغم من أن بروبيكر لا يستشهد بهذا المفهوم، فإنه يتعمق في مفهوم "انهيار السياق" Context Collapse[12] الذي يوضح كيف أن الاتصال الرقمي المفرط يمحو الحدودَ السياقية؛ ذلك أنّ مشاركة البيانات عبر مختلف المجالات تُعدّ جزءًا لا يتجزأ من بنيته التحتية.

وفي وقت تُحطم فيه المنصات هذه الحدود السياقية، تصبح جوانب من حياتنا منجذبة على نحوٍ متزايد ومحاصرة داخل "مُسوَّراتها" الخاصة؛ ما يوسع من سلطتها على مختلف مجالات حياتنا. ويؤكد بروبيكر أن "طبيعتها البنيوية التحتية العميقة هي التي تمنح الاتصال المفرط امتداده الشامل وقوته التحويلية" (ص 6). إن الوساطة الرقمية المرتبطة بمختلف جوانب حياتنا الاجتماعية تعني أنها أصبحت مقيدة على نحو متزايد بمجموعة معيّنة من الإمكانيات، وخاضعة لجمع منصات التواصل الاجتماعي للبيانات وفرزها. ولذلك، فإن المنصات تحكم بصفتها مؤسسات مهيمنة. ولهذا السبب، يجادل بروبيكر بأن التباين الذي عادة ما يُرسم بين ما يسمى مجتمع الانضباط الذي يفترض وجوده في المجتمع الحديث قبل ظهور الوسائط الرقمية، ومجتمع السيطرة الذي طرحه دولوز[13]، والذي يشير إلى التحوّلات التي تحصل مع إقدام الوسائط في كيفية ممارسة السلطة على الأفراد، هو تباين مرسوم بحدة أكثر من اللازم؛ فيقول: "لا تحلّ أنواع السيطرة 'التعديلية' Modulatory التي تمكّنها الرقمنة محلّ الانضباط، بل توسّعه وتعمّقه بجعله أشد مرونة وشمولية. وتعمل 'المسوَّرات الرقمية' Digital Enclosures بصفتها مساحات للانضباط تمامًا كما فعلت المسوَّرات المادية. ويمكن النظر إلى 'المنصنة' Platformization في كل مجال من مجالات الحياة [...] بصفتها حركة نحو 'المسوَّرات الرقمية': حركة لتطويق المزيد والمزيد من الحياة الاجتماعية في أحضان المنصة المراقبة والتعديلية" (ص 166).

إن سيطرة "المسوَّرات الرقمية" الشاملة تحوّل مجالات الحياة بجعلها أكثر انسجامًا مع منطق المنصات. ويوضح بروبيكر نوع هذه التحوّلات في كل فصوله؛ ففي فصل خصصه للذات، يسلط الضوء على الكيفية التي جعلت بها "المنصنة" تكوين الذات أكثر عرضة "للنظرة التكميمية" Quantification التي تحوّل الذات إلى كيان مناسب للتسويق. فنحن نُوكل لآليات هذه المنصات الخوارزمية مهمّة إنتاج ذاتٍ أصيلة فريدة "تساعدنا على أن نظل الذوات التي كشفنا عن أنفسنا بها" (ص 40). ولا يتأثر تكويننا الذاتي وتمثيلنا بمنطق المنصات فحسب، بل تتأثر به أيضًا تفاعلاتنا الاجتماعية التي تصبح كذلك قابلة لسيطرة المنصات. وتعيد المنصات تركيز التفاعلات حول الاستجابة لـ"تسويق الذات". فأنت تتواصل مع المستخدمين الآخرين، من خلال المشاركة في النظرة التكميمية التي يعرضون أنفسهم لها. وتتولّى المنصات التوفيق بينك وبين الآخرين في توجيه تفاعلاتك نحو أشخاص تعتقد أنهم أكثر ميلًا إلى جذب اهتمامك وتفاعلات منك. ويتجلى هذا خاصةً في تطبيقات المواعدة عبر الإنترنت، على سبيل المثال، ولكنه حاضر دائمًا في خلفية التفاعلات اليومية الرتيبة التي تجري عبر الوسائط الرقمية.

تتجلى السيطرة أيضًا في كيفية إعادة هيكلة المنصات وتنظيمها لعلاقات العمل، بطريقة تجعل العمالة أكثر عرضة للاستغلال والمراقبة. فالمنصات، مثل "أوبر" Uber و"أمازون ميكانيكال تورك" Amazon Mechanical Turk وخدمات التوصيل خاصةً، تحوّل تنسيق العمل وتوجيهه واستغلاله من خلال السيطرة الخوارزمية. ولا تقتصر المنصة على التوسط في العمل، بل إنها تفككه وتعيد تركيبه إلى وحدات يمكن مراقبتها وتسعيرها واستخلاصها بكفاءة أيضًا. وفي هذا السياق، تصبح صفة "المرونة" الممكنة التسويق تعبيرًا ملطّفًا عن عمل متجزئ ومتاح دائمًا.

وفي مناقشة بروبيكر للتحولات التي تجري في المجال الثقافي، يرى أنّ سيطرة المنصات تتحقق من خلال تكريس قياس الشعبية. ويشير

11 Ali Harb, "Canary Mission: How US Uses a Hate Group to Target Palestine Advocates," 11/7/2025, *Al Jazeera*, accessed on 11/10/2025, at: https://acr.ps/1L9F3bx

12 Alice E. Marwick & Danah Boyd, "I Tweet Honestly, I Tweet Passionately: Twitter Users, Context Collapse, and the Imagined Audience," *New Media & Society*, vol. 13, no. 1 (2011), pp. 114-133.

13 G. Deleuze, "Postscript on the Societies of Control," in: Dean Wilson & Clive Norris (eds.), *Surveillance, Crime and Social Control* (London/ New York: Routledge, 2017), pp. 35-39.

إلى أن المنصات "تُكرّس الشعبية بوصفها المقياس الوحيد للقيمة الثقافية"؛ ما يقوض المفاهيم التقليدية للإنتاج الثقافي ويشجع على تقليص المهارات. فتُجري المنصات فلترة السلع الثقافية وتشكيلها، وهي دومًا ما تحسب وتتنبأ بأي محتوى يمكّن من جذب مستخدمين أكثر وعند أي جمهور. وهذا يحفز المبدعين على تكييف المحتوى، ليتوافق مع الأفكار التي تقبل الرواج Virality؛ وهنا، ليس من الضروري أن يكون هذا المحتوى هو ذلك المحتوى الذي قد يثير مشاركة فكرية أو يعكس المهارة، وعادة لا يتطلب وقتًا للاستهلاك والتقدير. ويعترف بروبيكر بأن هذا النقد لإفساد منطق السوق لإنتاج ثقافي إبداعي ليس جديدًا، وقد جرت الإشارة إليه كلما أُحدثت تغييرات تكنولوجية سمحت لعدد أكبر من الناس بالانخراط الثقافي. ولكن مع منصات التواصل الاجتماعي ثمة بعد جديد؛ فهي تملك "سلطة فوقية"، لا تحدد من له الحق في أن تكون له منصة، ولكن تحدد من خلال تصميمها شكل السلع الثقافية على نحوٍ أكثر تطفلًا مما كانت صناعة الثقافة التقليدية قادرة عليه. فيضطر الفنانون مثلًا إلى نشر أعمالهم على شكل "ريلز" Reels تليق باقتصاد جذب الانتباه الذي يفرضه الاتصال الرقمي المفرط. وتتحكّم المنصات أيضًا في "أنماط هندسة الظهور" Architectures of Visibility، بحيث يكتسب الأفراد العاديون القدرة على النشر، إلا أنها هي التي تتحكم في مدى ظهور المحتوى للآخرين.

وتنعكس هذه السيطرة على المجال الثقافي أيضًا في السيطرة التي تمارسها المنصات في تقويض الخطاب السياسي. فبدلًا من أن تكون مجرد وسيط محايد، يجب أن تحاسب على أنها جهات منظِّمة للتعبير، تشكّل ما نقوله وكيف نقوله، ومن ثمّ تمارس السيطرة في المجال السياسي؛ حيث يكون تنظيم التعبير أحيانًا واضحًا مثل الرقابة الخوارزمية على محتوى معيّن. وهنا، كثيرًا ما تلتقي مصالح المنصات مع مصالح السلطات السياسية لتقرير ما يمكن قوله وكيف يمكن قوله. ولكن بصفة أكثر خفاءً، تتحكم المنصات في كيفية تفاعلنا مع الخطاب السياسي. وكما رأينا في أقسام سابقة، تعزز إمكانيات المنصات التفتت المعرفي وموجات السخط الأخلاقي. ثمّ إنها، كما هو الحال مع الثقافة، تعيد تركيز القيمة في الخطاب السياسي حول الشعبية؛ مما يولد الشعبوية. ومن المفارقة أنْ تشجع إمكانيات منصات التواصل الاجتماعي السياسة الشعبوية، في حين تفرض حوكمة المنصات حكمَ تكنوقراطيةِ نخبِ وادي السيليكون الذين لم ينتخبهم أحد، حتى يكونوا مديرين لمنصاتٍ أصبحت رئيسة ومهيمنة بالنسبة إلى انتشار المعلومات، وتكوين الآراء والمواقف السياسية، وتشكيل المجموعات السياسية والحركات الاجتماعية، وأنماط التواصل بين السياسيين والناخبين ومحتواه.

تُمارس المنصات السيطرة بناءً على التقييم والتنبؤ الخوارزمي، الذي "يعتمد على المراقبة الرقمية الشاملة" (ص 118). ويجادل كتاب بروبيكر بأن السلطة التي تمارسها البنى التحتية للاتصال الرقمي المفرط ليست "تنظيمية" Regulative فحسب، بل هي أيضًا "توليدية" Generative[14]. ويجري التحكم في السلوك أو توجيهه، مثل القطيع، من خلال أنظمة التنبؤ والتوصية الكامنة في الاتصال المفرط. ويجري "بناء الذات كموضوع للمعرفة والتنبؤ والسيطرة" (ص 46). ويكون هدف المنصة هو جعل تنبئها هذا حقيقة واقعة. فمثلًا، يُدفَع شاب نحو سلوك ماليٍّ محفوف بالمخاطر، مثل الاستثمار في العملات المشفرة، استنادًا إلى سيلٍ من الإعلانات الموجهة إليه التي تتشكل بناءً على عمره وجنسه وتاريخ بحثه وعاداته الرقمية.

وتُبنى سلطة هذه الأنظمة على علاقات غير تعاقدية؛ أي إنها لا تحتاج إلى عقود اجتماعية تعتمد على اتفاقٍ وثقة متبادلة لاحترامه[15]. فهي ببساطة تحاول استباق السلوك وتشكيله، من خلال جمع بيانات المستخدم وتحليلها والتصرف بناءً عليها باستمرار. فلا حاجة إلى التفاوض أو الموافقة عندما تنطوي إمكانيات هذه المنصات على توقع السلوك وتوجيهه. ويُمكّن التنبؤ من السيطرة على السلوك، بحيث لا يُحكم الأخير بناءً على التفاوض مع الجهات المهتمة عن مدى شرعية تطبيق القواعد في الحالة المعنية، بل يُساق عبر بنية الأنظمة الرقمية. والأمثلة الملموسة على ذلك كثيرة. ففي مجال العمل، يجب أن يحافظ عامل التوصيل على تقييمات عالية وأوقات استجابةٍ سريعة لتجنب إلغاء تفعيله تلقائيًا. وهنا، لا مجال للتفاوض مع مدير الشركة؛ فالأنظمة الخوارزمية هي المُوكلة باستنتاج عدم موثوقية العامل نتيجة التقلبات في مقاييس الأداء. وينتشر هذا المنطق من الحكم، كلما زاد حضور الأجهزة الذكية في الحيز العام والخاص.

ثالثًا: من الدمقرطة إلى "الشعبوية التكنوقراطية": أيديولوجيا الاتصال المفرط الرقمي

في كل فصل من فصول الكتاب، يتأمل بروبيكر كيف أنّ التفاؤل المبكر الذي أحاط بظهور الاتصال الرقمي المفرط متجذرًا في إمكاناته

14 Scott Lash, "Power after Hegemony: Cultural Studies in Mutation?" *Theory, Culture & Society*, vol. 24, no. 3 (2007), pp. 55-78.

15 Shoshana Zuboff, "Big Other: Surveillance Capitalism and the Prospects of an Information Civilization," *Journal of Information Technology*, vol. 30, no. 1 (2015), pp. 75-89.

الديمقراطية المتخيّلة. فقد تصوّر المتفائلون التكنوقراط Techno-optimist الذين كتبوا، في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، عن الشبكة بوصفها فضاءً يجعل الثقافة في متناول الجميع؛ ما يسمح للمستخدمين بتجاوز حراس البوابة من الشركات، ومن ثمّ دمقرطة الإنتاج والاستهلاك الإبداعي من خلال روح "المشاركة" التي يتبناها. وقيل إن الحيز الرقمي يفتح إمكانية الحوار والتضامن العابر للحدود الوطنية. وجرت الإشارة مرارًا إلى أبعاد تحررية أخرى، مثل إعادةِ تنظيمٍ للعمل تتمحور حول المرونة والاستقلالية، وإحداث تغيير في النظرة إلى العلامات الإثنية والطبقة والجنس التي تصبح سائلة على نحو أكثر، ويمكن أن تكون مجهولة في المجال الرقمي؛ وبذلك تحدّ من تأثير التحيزات الاجتماعية في التفاعلات عامةً. وفي كل هذه الموضوعات، من الهوية والتفاعل الاجتماعي والثقافة والاقتصاد والعمل إلى السياسة، قدّمت المنصات الرقمية نفسها بصفتها أدواتٍ لتمكين إلغاء الوساطة، واحتُفي بها بوصفها قوة للامركزية والانفتاح والتمكين. غير أن بروبيكر يشير إلى تكاليف استبدال الوسطاء التقليديين بمنصات تكرّس إتاحاتها أيديولوجيتان أساسيتان تشكلان خطرًا على الديمقراطية: الشعبوية، والتكنوقراطية.

يساهم الاتصال الرقمي المفرط في زيادة المشاركة الشعبية Popularization، من خلال تمكين وصولٍ أكبر وأوسع إلى المشاركة السياسية والثقافية؛ فهو يسمح بتجاوز الوسطاء الحاليين وإضعافهم، وإقامة اتصالات مباشرة وفورية على نحو متزايد. ويلاحظ بروبيكر كيف أن هذا التركيز على زيادة المشاركة الشعبية لا يشجع بالضرورة على الدمقرطة، بل على سياسات أكثر شعبوية. وهكذا، يصبح الاتصال المفرط، الذي يمكّن من التواصل بين السياسيين والمواطنين، أقل فلترة ووساطة مؤسسية مما كان عليه الحال سابقًا، وأكثر عرضة للتقييم بناءً على درجة شعبيته وإمكانية توسّعه. وإذا كان لاستطلاعات الرأي العام، تقليديًا، تأثير مهمّ في توجيه الحملات والسياسات، فإنّ وسائط التواصل الاجتماعي تُتيح للسياسيين قياس مواقف الجمهور في الوقت الفعلي والتأثير في الرأي العام والتلاعب به على نحو مباشر أكثر فأكثر. وفي هذا السياق، يصبح التتبع والحساب المستمر للشعبية عاملًا حاسمًا في الخطاب السياسي وذا أهمية قصوى تفوق اعتبارات أخرى، مثل الصدقية والسياق وإمكانية إلحاق الضرر. ومن ثمّ، لا يدفع الاتصال الرقمي المفرط إلى زيادة المشاركة الشعبية - بمعنى إتاحة وصول أوسع فحسب - بل أيضًا بمعنى إعادة تركيز الشعبية باعتبارها قيمةً عليا.

لا يجري تسطيح المعلومات ببساطة من جانب منصات التواصل الاجتماعي، كما رأينا سابقًا، بل يلفت بروبيكر الانتباه إلى إعادة ترتيبها الهرمي على أساس التتبع والقياس المستمر للشعبية. وهي مقاييس تعكس وتخدم منطق السوق لدى الشركات التي تدير هذه المنصات. فـ "زِرُّ الإعجاب" المرقم، ومقاييس مثل "الأكثر رواجًا" Trending، تجذبنا نحو المحتوى الشعبي. ومع تكليف هذه المنصات، أيضًا، بمهمّة استبدال نشرة الأخبار، التي كانت تنسق لنا أهم قصص اليوم، فإنها تحوّل الطريقة التي نقيّم بها ما يُعتبر مهمًّا. إن أولوية جذب أكبر قدر من المستخدمين والاحتفاظ بهم على المنصة، هي التي تحدد الأجندة Agenda-setting. وتتطلب الشعبية على وسائط التواصل الاجتماعي أن يكون المحتوى سهل الاستهلاك وجذابًا، من خلال شحنته العاطفية - الانفعالية. وهي خصائص ملائمة على نحو جيّد مع الخطاب الشعبوي، الذي يتجاوز التعقيد والفروق الدقيقة في رسم حدود حادة بين من ينتمي إلى تمثيلٍ اختزالي للشعب ومن لا ينتمي إليه.

ومع أن إتاحات المنصات تشجّع على الشعبوية، فإن مهندسيها ومصمميها يحكمون من خلال كونهم تكنوقراطيين. وتعزّز هذه التكنوقراطية التفكير القائم على الحلول Solutionist Thinking (ص 151)، الذي يعيد تأطير القضايا الاجتماعية على أنها مشكلات تقنية لها حلولها، تقتصر على بناء نماذج خوارزمية أكثر دقة في فهمها للعالم. فمن خلال تزايد دمج الأنظمة الخوارزمية في عمليات الإدارة والحوكمة، تعزّز حالة الاتصال الرقمي المفرط سلطة علماء البيانات والمهندسين، الذين كثيرًا ما تشكّل أحكامهم البنى التحتية التي نتواصل ونتفاعل من خلالها. وتُقدّم هذه الأنظمة بدائل فعّالة من "فوضى" المداولات العامة حول قضايا العدالة والشرعية والصالح العام، وتعزّز ما وصفه إفجني موروزوف[16] بأنه يوتوبيا تكنوقراطية ذات "سياسة من دون سياسة". ويحدد بروبيكر هذا بصفته جزءًا من منطق أوسع، قائمٍ على إيجاد حلول لمشكلات تقنية، منطق "يسعى لتحويل المشكلات الاجتماعية والسياسية والإدارية والقضائية إلى مشكلات تقنية لها حلول عقلانية تقنيًا" (ص 152).

تُبرز النقاشاتُ المعاصرة المتعلقة بحظر خطاب الكراهية، والجماعات التي تروّج له على وسائط التواصل الاجتماعي، عواقبَ هذا التحوّل. فالقرارات، بشأن ما يُعتبر تعبيرًا بغيضًا أو ضارًا، تتخذها على نحو متزايد مجموعة صغيرة من نخب الشركات. وغالبًا ما تُبرّر هذه القرارات باللجوء إلى الحياد والموضوعية، لكنها في الممارسة العملية تنطوي على تحيزات أولئك الذين يصممونها. والنتيجة هي أحد أشكال الحوكمة التي تنزع الصبغة الشعبية عن الخطاب العام، وتزيل الأسئلة المعيارية من نطاق النقاش العام، وتضعها في أيدي منصات مملوكة للقطاع الخاص. وهنا، كان من

16 Evgeny Morozov, "The Rise of Data and the Death of Politics," *The Guardian*, 14/7/2014, accessed on 14/10/2025, at: https://acr.ps/1L9F2EM

الممكن أن ينظر بروبيكر إلى الكيفية التي تخضع بها أحكام هؤلاء التكنوقراط وقراراتهم للمصالح الجيوسياسية الحاكمة. فمصالحهم الاقتصادية تعني أنهم يريدون تجنّب الصراع مع الدول والجهات السياسية الفاعلة القوية. فمثلًا، تعترف منصة "إكس" (تويتر سابقًا) علنًا بأنها تتعاون مع الحكومة الهندية لتقييد المحتوى الذي ينتقد حكومة رئيس الوزراء ناريندرا مودي[17]. وقد تعاونت منصة "ميتا" مع الحكومة الإسرائيلية، ووافقت على طلباتها لإزالة المحتوى المتعلق بفلسطين[18]. ومنذ بداية حرب الإبادة الإسرائيلية على غزة (بعد عملية طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023)، شهدنا توثيقًا واسعًا لكيفية قمع المحتوى المتعلق بالحرب على غزة، أو تعرضه للحظر الخفي Shadow-banning أو إزالته كليًا، بينما بقي المحتوى الذي يحرّض على العنف ضد الفلسطينيين أو يبرّره من دون مساس[19].

وعلى الرغم من أن كتاب بروبيكر نُشر قبل الاستخدام الواسع لأنظمة الذكاء الاصطناعي التوليدي، مثل "شات جي بي تي" ChatGPT وغيره، في الحياة اليومية، فإنها تؤكد أهمية تشبيهه لعصر الاتصال المفرط بالتكنوقراطية. وتكشف، على وجه الخصوص، النقاشات الأخيرة، حول تطوير نماذج لغوية ضخمة Large Language Models تأخذ في الحسبان "الاختلاف الثقافي" أو "القيم الثقافية"، وكيف أنّ المهندسين أنفسهم أصبحوا مكلفين بمهمّة تعريف الثقافة، على أساس تمثيلات اختزالية أو نمطية في أغلب الأحيان[20]. ولا تتجاهل هذه الجهود الطبيعة الخلافية والدينامية لـ "الثقافة" و"القيم" فحسب، فضلًا عن الأبعاد الأيديولوجية المتضمنة في تعريفها، بل تسعى أيضًا لتعزيز المعايير السائدة بذريعة الحياد التقني. إن التفكير من خلال منطق حلول المشكلات لا ينزع الطابع السياسي فحسب، كما يجادل بروبيكر، بل يقاوم أيضًا من يسعى للتغيير بفاعلية. فمن خلال التنبؤ بما هو مرجّح أو مرغوب فيه أو مناسب في سياق معيّن، إنما يرسّخ الوضع الراهن ويُغلق إمكانية التغيير.

خاتمة

يقدم كتاب بروبيكر، **الترابط المفرط وخيباته**، طرحًا شاملًا بشأن كيفية إعادة البنى التحتية الرقمية لتشكيل مجالات المجتمع. ويلتقط تحليله المفارقات التي تكمن في صميم بيئتنا الإعلامية الحالية. فمن ناحية، تقدم المنصات نفسها بصفتها أدواتٍ لتمكين الحرية، حيث إنها تربطنا بالفعل بأشخاص وفرص وسلع ثقافية ومجتمعات سياسية تتجاوز بيئاتنا المباشرة، والتي ربما لم نكن لنتصورها لولا وجودها. ومع ذلك، فإنها تطبق أيضًا آليات سيطرة جديدة أكثر اقتحامًا، تستبق استعداد المستخدمين لتوجهات فكرية أو سلوكية معيّنة، ومن خلال تنبؤاتها توجه السلوك؛ مما يحدّ من مجال الحكم الذاتي في اتخاذ القرارات، ويجعلنا أكثر عرضة لتلاعب الشركات التي تهدف إلى تحقيق أرباح.

من ناحية أخرى، فإن الإمكانات الديمقراطية التي يتيحها الاتصال المفرط الرقمي، من خلال تمكين المواطنين عبر تسهيل الوصول إلى المعلومات والمشاركة السياسية والثقافية، يقابلها التركيز على الشعبية على حساب اعتبارات أخرى، وتسطيح المعلومات وتجريدها من مقاييس شرعيتها ومن نطاقها، وتوسيع الوظائف التي تؤدّيها الشركات الخاصة في تقييد التعبير والخطاب وقدرة المؤسسات على مراقبة الأفراد وقمع الخطاب المعارض. وقد أضافت هذه المراجعة النقدية إلى الكتاب إشارة إلى كيفية التقاء مصالح شركات المنصات مع المصالح السياسية للدول التي تحتضنها، أو كيفية خضوعها لضغوط الحكومات التي تهدد بحظرها وتكبيدها خسائر مالية فادحة. فمع استمرار تطور الاتصال المفرط الرقمي، على نحو لا يتطلب فهمه الانتباه إلى إمكانيات المنصات فحسب، بل الانتباه إلى البنى السياسية التي تُستوعَب ضمنها، والتفاوتات التي تعيد إنتاجها أيضًا. فمن خلال دراسة تقاطع الإمكانيات التي تتيحها البنى التحتية الرقمية مع القوة الجيوسياسية، يمكننا أن نفهم التحوّل الذي يفرضه ذلك الاتصال المفرط الرقمي على حياتنا.

---

17 Ali.

18 "'ميتا' تحذف 90 ألف منشور بطلب من الحكومة الإسرائيلية"، **الجزيرة نت**، 2025/4/12، شوهد في 2025/10/10، في: https://tinyurl.com/ytwyyh85

19 "Meta's Broken Promises Systemic Censorship of Palestine Content on Instagram and Facebook," Human Rights Watch, 20/12/2023, accessed on 10/10/2025, at: https://tinyurl.com/yuvxkp9h

20 Julia Kharchenko et al., "How Well do LLMs Represent Values across Cultures? Empirical Analysis of LLM Responses based on Hofstede Cultural Dimensions," Cornell University, *arXiv Preprint,* arXiv:2406.14805, 2024, accessed on 10/10/2025, at: https://acr.ps/1L9F3d8; Cheng Li et al., "CultureLLM: Incorporating Cultural Differences into Large Language Models," *Advances in Neural Information Processing Systems*, vol. 37 (2024), pp. 84799-84838.

المراجع

Ajana, Btihaj. "Augmented Borders: Big Data and the Ethics of Immigration Control." *Journal of Information, Communication and Ethics in Society*. vol. 13, no. 1 (2015).

Al-Samarraie, Hosam et al. "Young Users' Social Media Addiction: Causes, Consequences and Preventions." *Information Technology & People*. vol. 35, no. 7 (2022).

Arnaudo, D. "Computational Propaganda in Brazil: Social Bots during Elections." *Working Paper*. no. 8. Oxford University Research Archive. 2017. at: https://acr.ps/1L9F2gp

Berkelaar, Brenda L. & Millie A. Harrison. "Cybervetting." *The International Encyclopedia of Organizational Communication. Wiley Online Library*. 2017. at: https://acr.ps/1L9F2I9

Bhargava, Vikram R. & Manuel Velasquez. "Ethics of the Attention Economy: The Problem of Social Media Addiction." *Business Ethics Quarterly*. vol. 31, no. 3 (2021).

Bucher, Taina & Anne Helmond. "The Affordances of Social Media Platforms." *The SAGE Handbook of Social Media*. vol. 1, no. 1 (2018).

Forelle, M. et al. "Political Bots and the Manipulation of Public Opinion in Venezuela." *arXiv. 2015*. at: https://acr.ps/1L9F2d4

Gibson, James J. et al. (eds.). *The People, Place, and Space Reader*. London/ New York: Routledge, 2014.

Hampton, K. N. "Persistent and Pervasive Community: New Communication Technologies and the Future of Community." *American Behavioral Scientist*. vol. 60, no.1 (2016).

Hutchby, Ian. "Technologies, Texts and Affordances." *Sociology*. vol. 35, no. 2 (2001).

Kharchenko, Julia et al. "How Well do LLMs Represent Values across Cultures? Empirical Analysis of LLM Responses Based on Hofstede Cultural Dimensions." *arXiv Preprint*. arXiv:2406.14805. 2024. at: https://acr.ps/1L9F3d8

Lash, Scott. "Power after Hegemony: Cultural Studies in Mutation?" *Theory, Culture & Society*. vol. 24, no. 3 (2007).

Li, Cheng et al. "CultureLLM: Incorporating Cultural Differences into Large Language Models." *Advances in Neural Information Processing Systems*. vol. 37 (2024).

Mann, Steve & Joseph Ferenbok. "New Media and the Power Politics of Sousveillance in a Surveillance-dominated World." *Surveillance & Society*. vol. 11, no. 1-2 (2013).

Marwick, Alice E. "Why do People Share Fake News? A Sociotechnical Model of Media Effects." *Georgetown Law Technology Review*. vol. 2, no. 2 (2018).

Marwick, Alice E. & Danah Boyd. "I Tweet Honestly, I Tweet Passionately: Twitter Users, Context Collapse, and the Imagined Audience." *New Media & Society*. vol. 13, no. 1 (2011).

Norman, Donald A. *The Design of Everyday Things*. New York: Basic Books, 2013.

Patel, Faiza et al. "Social Media Monitoring." *Brennan Center for Justice*. vol. 22 (2019).

Peck, Reece. *Fox Populism: Branding Conservatism as Working Class*. Cambridge: Cambridge University Press, 2019.

Stukal, Denis et al. "Why Botter: How Pro-government Bots Fight Opposition in Russia." *American Political Science Review*. vol. 116, no. 3 (2022).

Turkle, Sherry. *Social Theory Re-Wired*. New York/ London: Routledge, 2023.

Wilson, Dean & Clive Norris (eds.). *Surveillance, Crime and Social Control.* London/ New York: Routledge, 2017

Wolfers, Lara N. & Sonja Utz. "Social Media Use, Stress, and Coping." *Current Opinion in Psychology*. vol. 45 (2022).

Woolley, Samuel & Philip Howard. "Computational Propaganda Worldwide: Executive Summary." (2017).

Zuboff, Shoshana. "Big other: Surveillance Capitalism and the Prospects of an Information Civilization." *Journal Of Information Technology*. vol. 30, no. 1 (2015).

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

سياسات عربية هي دورية محكّمة تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ومعهد الدوحة للدراسات العليا، وتحمل الرقم الدولي المعياري ISSN: 2307-1583. صدر عددها الأول في آذار/ مارس 2013. تصدر مرة واحدة كلّ شهرين، ولها هيئة تحرير علمية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. تستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات ذات الصلة بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية كافة.

تُعنى الدورية بنشر الدراسات في مجموعة متنوعة من مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية؛ مثل الفكر السياسي، والنظرية السياسية، والسياسة المقارنة، ودراسات الدولة والنظم والمؤسسات السياسية، ودراسات الرأي العام، والاقتصاد السياسي، والسياسة الدولية، والنظم الإقليمية والدولية، والدراسات الاستراتيجية والأمنية، ودراسات النزاع، والاقتصاد السياسي الدولي، والدبلوماسية والسياسة الخارجية، والقانون الدولي، والحوكمة العالمية. ترحب الدورية بالدراسات النظرية والإمبريقية، وبالأبحاث التي توظف مناهج كيفية أو كمية أو تمزج بينها. وتهتم خاصةً بالتحولات السياسية، الوطنية والإقليمية، التي يشهدها العالم العربي، وما يتعلق بها من جوانب سياسية واجتماعية واقتصادية، إضافة إلى علاقات العالم العربي الدولية.

تعتمد الدورية المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة، وفقًا لما يلي:

- **أولًا:** أن يكون البحث أصيلًا معدًّا خصيصًا للدورية، وألّا يكون قد نشر جزئيًا أو كليًّا أو نُشر ما يشبهه في أيّ وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، أو قُدّم في أحد المؤتمرات العلمية من غير المؤتمرات التي يعقدها المركز، أو إلى أيّ جهة أخرى.
- **ثانيًا:** أن يرفق البحث بسيرة مختصرة للباحث.
- **ثالثًا:** يجب أن يشتمل البحث على العناصر التالية:
  - عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها وآخر إصداراته.
  - الملخّص باللغتين العربية والإنكليزية في نحو (250-300) كلمة لكل لغة، والكلمات المفتاحية Keywords. ويقدّم الملخص إشكالية البحث، وأطروحته الرئيسة، والمنهجية المتبعة في بحثها، والاستنتاجات التي توصّل إليها، وذلك بجمل قصيرة ودقيقة وواضحة.
  - تحديد إشكالية البحث، وأهداف الدراسة، وأهميتها، والمراجعة النقدية لما سبق أن كُتب عن الموضوع، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد أطروحة البحث والجديد الذي تضيفه إلى المعرفة الأكاديمية في الموضوع، ووضع تصوّر مفهومي وتحديد مؤشّراته الرئيسة، ووصف منهجية البحث، والتحليل والنتائج، والاستنتاجات، على أن يكون البحث مذيّلًا بقائمة ببيليوغرافية تتضمن أهم المصادر والمراجع التي استند إليها. وتذكر في القائمة بيانات المراجع بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.
  - أن يتقيد البحث بمواصفات التوثيق وفقًا لنظام الإحالات المرجعية المعتمد في المركز (ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع).

- لا تنشر الدورية مستلات أو فصولًا من رسائل جامعية أقرّت إلّا على نحو استثنائي، وبعد أن يعدّها الباحث من جديد للنشر في الدورية. وفي هذه الحالة، على الباحث أن يشير إلى ذلك، ويقدّم بيانات وافية عن عنوان الأطروحة وتاريخ مناقشتها والمؤسسة التي جرت فيها المناقشة.
- أن يقع البحث في مجال أهداف الدورية واهتماماتها البحثية.
- يراوح عدد كلمات البحث، بما في ذلك هوامشه ومراجعه وملحقاته، بين 8000-10000 كلمة. وللدورية أن تنشر، بحسب تقديراتها وبصورة استثنائية، بعض الأبحاث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد.
- في حال وجود مخططات أو أشكال أو معادلات أو رسوم بيانية أو جداول، ينبغي إرسالها بالطريقة التي أُعِدّت بها في الأصل بحسب برنامجَي إكسل Excel أو وورد Word ، ولا تُقبل الأشكال والرسوم والجداول التي ترسَل صورًا.
- تهتم الدورية بنشر مراجعات نقدية معمقة لأبرز الكتب الصادرة حديثًا في مجالات اختصاصها، بأيّ لغة من اللغات، شرط ألّا يكون قد مضى على صدورها أكثر من خمس سنوات. ويمكن هيئة التحرير، استثناءً، اعتماد مراجعات لكتب أقدم من ذلك إذا رأت فيها قيمة مضافة إلى الدورية. يراوح حجم المراجعة بين 4500-5000 كلمة، وتخضع لقواعد تحكيم الأبحاث في المركز العربي.

– **رابعًا:** يخضع كلّ بحث لتحكيم الأقران مع إغفال الهوية المزدوج، ويقوم به محكّمان من المحكّمين المختصين اختصاصًا دقيقًا في موضوع البحث، ومن ذوي الخبرة العلمية بما أنجز في مجاله، ومن المعتمدين في قائمة المحكّمين - القرّاء في المركز العربي. وفي حال تباين تقارير المحكّمَين، يحال البحث إلى محكّم مرجّح ثالث. وتلتزم هيئة تحرير الدورية، في حدود الإمكان، بموافاة الباحث بقرارها بالنشر أو النشر بعد إجراء تعديلات محددة أو الاعتذار عن عدم النشر في فترة لا تتجاوز أربعة أشهر من تاريخ استلام البحث.

– **خامسًا:** تلتزم الدورية ميثاقًا أخلاقيًا يشتمل على احترام الخصوصية والسرية والموضوعية وعدم إفصاح المحرّرين والمراجعين وأعضاء هيئة التحرير عن أيّ معلومات بخصوص البحث المحال إليهم إلى أيّ شخص آخر غير المؤلّف والمحكّمين وفريق التحرير (ملحق 2).

- تلتزم الدورية بجودة خدمات التحرير والتدقيق اللغوي والتحرير العلمي التي تقدّمها للبحث.
- يخضع ترتيب نشر البحوث لمقتضيات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث.
- لا تدفع الدورية مكافآت ماليّة عن الموادّ - من الدراسات ومراجعات الكتب - التي تنشرها؛ مثلما هو متَّبَعٌ في الدوريات العلمية في العالم. ولا تتقاضى الدورية أيّ رسوم على النشر فيها.

ملحق 1: أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع

1. الكتب

اسم المؤلّف، عنوان الكتاب، اسم المترجم أو المحرّر، الطبعة (مكان النشر: الناشر، تاريخ النّشر)، رقم الصّفحة.

- جيمس بيسكاتوري، **الإسلام في عالم الدُّول القوميّة** (بيروت: دار النّهضة، 1986)، ص 116-119.
- كيت ناش، **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**، ترجمة حيدر حاج إسماعيل (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013)، ص 116.

ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق الموالي مباشرةً على النّحو التالي: المرجع نفسه، ص 118.

ويُستشهد بالكتاب في الهامش اللاحق غير الموالي مباشرةً على النّحو التالي مثلًا: ناش، ص 117.

أما إن وُجد أكثر من مرجع واحد للمؤلّف نفسه، ففي هذه الحالة يجري استخدام العنوان مختصرًا: ناش، **السوسيولوجيا**، ص 117.

أمّا في قائمة المراجع فيرد الكتاب على النّحو التالي:

- ناش، كيت. **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة: العولمة والسياسة والسلطة**. ترجمة حيدر حاج إسماعيل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013.

وبالنسبة إلى الكتاب الذي اشترك في تأليفه أكثر من ثلاثة مؤلفين، فيُكتب اسم المؤلف الرئيس أو المحرر أو المشرف على تجميع المادة مع عبارة [وآخرون]. مثال:

- السيد ياسين [وآخرون]، **تحليل مضمون الفكر القوميّ العربيّ**، ط 4 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991)، ص 109.

ويُستشهد به في الهامش اللاحق كما يلي: ياسين [وآخرون]، ص 109.

أمّا في قائمة المراجع فيكون كالتالي:

- ياسين، السّيد [وآخرون]. **تحليل مضمون الفكر القوميّ العربيّ**. ط 4. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.

2. الدوريات

اسم المؤلّف، "عنوان الدّراسة أو المقالة"، **اسم الدورية**، المجلّد و/أو رقم العدد (سنة النّشر)، رقم الصّفحة. مثال:

- محمد حسن، "الأمن القوميّ العربيّ"، **إستراتيجيات**، مج 15، العدد 1 (2009)، ص 129.

أمّا في قائمة المراجع، فنكتب:

- حسن، محمد. "الأمن القوميّ العربي". **إستراتيجيات**. مج 15، العدد 1 (2009).

3. مقالات الجرائد

تكتب بالترتيب التالي (تُذكر في الهوامش فحسب، ومن دون قائمة المراجع). مثال:

- السيد ياسين، "من الحداثة إلى ما بعد الحداثة 2"، **الحياة**، 2016/8/21.

4. المنشورات الإلكترونية

عند الاقتباس من مواد منشورة في مواقع إلكترونية، يتعين أن تذكر البيانات جميعها ووفق الترتيب والعبارات التالية نفسها: اسم الكاتب إن وجد، "عنوان المقال أو التقرير"، **اسم السلسلة** (إن وُجد)، اسم الموقع الإلكتروني، تاريخ النشر (إن وُجد)، شوهد في 2016/8/9، في: http://www.....

ويتعين ذكر الرابط مختصرًا بالاعتماد على مُختصِر الروابط Bitly أو Google Shortner مثل:

- "ارتفاع عجز الموازنة المصرية إلى 4.5%"، **الجزيرة نت**، 2012/12/24، شوهد في 2012/12/25، في: http://bit.ly/2bAw2OB
- "معارك كسر حصار حلب وتداعياتها الميدانية والسياسية"، **تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016/8/10، شوهد في 2016/8/18، في: http://bit.ly/2b3FLeD

ملحق 2: أخلاقيات النشر في مجلات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

1. تعتمد مجلات المركز العربي قواعد السرية والموضوعية في عملية التحكيم بالنسبة إلى الباحث والمحكّمين على حدّ سواء، وتُحيل كل بحث قابل للتحكيم إلى محكّمين معتمديْن لديها من ذوي الخبرة والاختصاص الدقيق بموضوع البحث، لتقييمه وفق نقاط محددة. وفي حال تعارض التقييم بين المحكّمين، تُحيل الدورية البحث إلى قارئ مرجّح آخر.
2. تعتمد دوريات المركز محّكمين موثوقين ومن ذوي الخبرة بالجديد في اختصاصهم.
3. تعتمد دوريات المركز تنظيمًا داخليًا دقيقًا واضح الواجبات والمسؤوليات في عمل جهاز التحرير ومراتبه الوظيفية.
4. لا يجوز للمحرّرين والمحكّمين، باستثناء المسؤول المباشر عن عملية التحرير (رئيس التحرير أو من ينوب عنه)، أن يبحثوا الورقة البحثية المقدمة للدورية مع أيّ شخصٍ آخر، بما في ذلك المؤلّف. وينبغي الإبقاء على أيّ معلومةٍ أو رأيٍ جرى الحصول عليه من خلال التحكيم قيد السرّية، ولا يجوز استعمال أيٍّ منهما لاستفادةٍ شخصية.
5. تقدّم الدورية في ضوء تقارير المحكمين خدمة دعم فنّي ومنهجي ومعلوماتي للباحثين بحسب ما يستدعي الأمر ذلك ويخدم تجويد البحث.
6. تلتزم الدورية إعلام الباحث بالموافقة على نشر البحث من دون تعديل أو وفق تعديلات معينة، بناءً على ما يرد في تقارير التحكيم، أو الاعتذار عن عدم النشر، مع بيان أسبابه.
7. تلتزم دوريات المركز جودة الخدمات التدقيقية والتحريرية والطباعية والإلكترونية التي تقدمها للبحث.
8. احترام قاعدة عدم التمييز: يقيّم المحرّرون والمراجعون المادّة البحثية بحسب محتواها العلمي، مع مراعاة مبدأ عدم التمييز على أساس العرق أو الجنس الاجتماعي أو المعتقد الديني أو الفلسفة السياسية للكاتب.
9. قاعدة عدم تضارب المصالح بين المحررين والباحث، سواء كان ذلك نتيجة علاقة تنافسية أو تعاونية أو علاقات أخرى أو روابط مع أيّ مؤلّف من المؤلّفين، أو الشركات، أو المؤسّسات ذات الصّلة بالبحث.
10. تتقيد الدوريات بعدم جواز استخدام أيّ من أعضاء هيئتها أو المحررين المواد غير المنشورة التي يتضمنها البحث المُحال إلى الدورية في بحوثهم الخاصة.
11. النسخة النهائية للبحث والتعديلات: تعرض الدورية النسخة المحررة شبه النهائية من البحث بصيغة PDF على الباحث قبل النشر. وفي هذه المرحلة، لا تُقبل أيّ تعديلات مهمّة أو إضافات على البحث، إلّا ما كان من تصحيحاتٍ أو تصويبات أو تعديلات طفيفة؛ وذلك ضمن أمدٍ زمني وجيز جدًا تُحدّده رسالة الدورية إلى الباحث.
12. حقوق الملكية الفكرية: يملك المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات حقوق الملكية الفكرية بالنسبة إلى المقالات المنشورة في دورياته العلمية المحكّمة، ولا يجوز إعادة نشرها جزئيًّا أو كلّيًا، سواءٌ باللغة العربية أو ترجمتها إلى لغات أجنبية، من دون إذنٍ خطي صريح من المركز العربي.
13. تتقيد دوريات المركز في نشرها لمقالات مترجمة تقيّدًا كاملًا بالحصول على إذن الدورية الأجنبية الناشرة، وباحترام حقوق الملكية الفكرية.
14. المجانية. تلتزم دوريات المركز العربي بمجانية النشر، وتُعفي الباحثين والمؤلّفين من جميع رسوم النشر.

5. Based on reviewers' reports, the editorial board may offer researchers methodological, technical and other assistance in order to improve the quality of their submissions.

6. The journal editors commit to informing authors of the acceptance or otherwise of their manuscripts, based on the reviewers' report, or to notify in case of rejection, specifying the reasons.

7. The journal remains committed to providing a high standard of professional copy editing, proof reading, and production quality during the publication process.

8. Non-discrimination principle: Editors and reviewers evaluate submissions solely on their intellectual merit, without discrimination based on race, gender, religion, or the author's political philosophy.

9. Conflict of interests: Editors and peer-reviewers should not consider manuscripts in which they have conflict of interests resulting from competitive, collaborative or other relationships or affiliations with any of the authors, companies, or institutions connected to the research.

10. Confidentiality: unpublished data obtained through peer-review must be kept confidential and cannot be used for personal research.

11. Final version and revisions: Before publication, the journal sends the author a semi-final edited version of the article in PDF format. At this stage, only corrections or very minor amendments are allowed, within a short time frame specified in the journal's correspondence with the author.

12. Intellectual property and copyright: The ACRPS holds the intellectual property rights for articles published in its peer-reviewed journals. These articles may not be republished, in whole or in part, in Arabic or in translation into other languages, without the Center's explicit written permission.

13. For translated articles, the journals fully comply with the conditions of the original publisher and respect intellectual property rights.

14. The Center's journals are committed to free publication and exempt authors from all publication charges.

Newspaper articles

Author name (if available), "Article Title," *News Outlet,* 00/00/0000.

Only cited in footnotes, not listed in the bibliography.

- Ian Black, "Assad urges US to rebuild diplomatic road to Damascus," *The Guardian*, 17/02/2009.

Online Sources

Only cited in footnotes, not listed in the bibliography.

Author name (if available), "Article Title," series name (if any), *website name*, publication date, access date, and full URL (or shortened using reputable shortener).

Examples:

- Patrick Wintour "Israeli attempt to annex West Bank would be 'red line' for US, says Macron," *The Guardian*, 24/09/2025, accessed on 25/09/2025, at: https://acr.ps/1L9BORH
- Harith Hasan and Hazim Rahahleh, "Post-Liberalism: Trumpism and the Rise of Economic Nationalism," *Economic Papers*, Arab Center for Research and Policy Studies, 24/02/2025, accessed on 25/09/2025, at: https://acr.ps/1L9BPFF

Annex II: Ethical Guidelines for Publication in *Siyasat Arabiya*

1. *Siyasat Arabiya*'s editorial board maintains confidentiality and adheres to objectivity in the peer-reviewing process. It adopts an anonymized peer review process, where the editorial board selects two accredited reviewers with proven expertise, who evaluate it according to specific criteria. In case of a conflict between the reviewers regarding the publication assessment, a third reviewer will be selected.

2. *Siyasat Arabiya* relies on an accredited pool of experienced peer-reviewers who are up to date with the latest developments in their field.

3. *Siyasat Arabiya* follows a rigorous internal organization with clear duties and obligations to be fulfilled by the editorial board.

4. With the exception of the editor in charge (editor-in-chief or those standing in for the editor), neither the editors, nor the peer-reviewers, are allowed to discuss the manuscript with third parties, including the author. Information or ideas obtained in the course of the reviewing and editing processes and related to possible benefits must be kept confidential and cannot be used for obtaining personal gain.

Annex I: Footnotes and Bibliography

Books

In footnotes:

Author's name, *Book Titl*e, Translator or Editor's name, Edition (Place of publication: Publisher, Year of publication), page number.

For example:

- Michael Pollan, *The Omnivore's Dilemma: A Natural History of Four Meals* (New York: Penguin, 2006), pp. 99-100.
- Gabriel Garcia Marquez, *Love in the Time of Cholera,* Edith Grossman (trans.), (London: Cape, 1988), pp. 55-242.

Subsequent non-consecutive citations:

- Marquez, p. 117.
- If multiple works are cited by the same author: abbreviated title used, e.g. Marquez, *Cholera*, pp. 117.
- If immediately consecutive: Ibid., pp. 118.

The corresponding bibliographical entry:

- Garcia Marquez, Gabriel. *Love in the Time of Cholera,* Edith Grossman (trans.). London: Cape, 1988

If more than three authors: cite main author/editor plus "et al."

- Michael Gibbons et al.*, The New Production of Knowledge: The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies*, (London: Sage, 1994), pp. 109.
- In later quotes: Gibbons et al., pp.35.

The corresponding bibliographical entry:

- Gibbons, Michael et al., *The New Production of Knowledge: The Dynamics of Science and Research in Contemporary Societies*. London: Sage, 1994.

Journals

In footnotes:

Author's name, "Article Title," *Journal Title*, vol. and/or issue (Year), page number.

- Mohamed Hassan, "Arab National Security," *Strategies*, vol. 15, no. 1 (2009), p. 129.

Corresponding bibliographical entry:

- Hassan, Mohamed. "Arab National Security." *Strategies*. Vol. 15, no. 1 (2009).

- A statement of the research question, objectives, and significance, a critical review of relevant literature (including the most recent work), a clear research hypothesis, a conceptual framework with key indicators, description of methodology, analysis and findings, and conclusions. Each article must end with a bibliography listing the main sources and references, cited in their original language(s).
- Citations and references must follow the Arab Center's referencing style (Appendix 1: Footnote and Reference Style Guide).
- The journal does not normally publish excerpts or chapters from approved theses, except in exceptional cases and only once they have been revised by the author for publication in the journal. In such cases, the author must indicate this and provide full details of the thesis title, date of defence, and institution.
- The article must fall within the research scope of the journal.
- Articles should be between 8,000–10,000 words (including references, footnotes, tables, figures, and appendices). In exceptional cases, the journal may accept longer studies.
- Figures, charts, equations, or tables must be submitted in their original formats (Excel or Word). Images are not acceptable.
- The journal publishes in-depth critical reviews of significant recently published books in its fields of interest (in any language), provided they were published within the last five years. Exceptionally, the editorial board may accept reviews of older works if deemed valuable. Reviews should be 4,500–5,000 words and are subject to peer review.

– **Peer review:** All submissions are subject to a double-blind peer review by two anonymous reviewers who are recognized experts in the subject area, selected from the Arab Center's reviewer database. In case of conflicting reports, the article is referred to a third reviewer. The editorial board undertakes to notify authors of its decision (acceptance, acceptance conditional on revisions, or rejection) within four months of submission.

– **Ethical charter:** The journal upholds an ethical code of confidentiality, objectivity, and non-disclosure of research information by editors, reviewers, or board members to anyone other than the author, reviewers, and editorial team (Appendix 2).

- The journal provides expert language and academic editing.
- The order of publication is based on technical considerations and not on the author's academic standing.
- The journal does not provide financial compensation for published studies or book reviews, in line with international scholarly practice. Nor does it charge publication fees.

SIYASAT ARABIYA سياسات عربية

Siyasat Arabiya is a bi-monthly peer reviewed academic journal published by the Arab Center for Research and Policy Studies and Doha Institute for Graduate Studies (ISSN: 2307-1583). First published in March 2013, the journal is overseen by an academic editorial board and an actively engaged board of international advisers. It adheres to an ethical charter that governs its publishing standards and the relationship between the journal and researchers. It also relies on internal regulations to organize the peer-review process, as well as an approved list of reviewers specializing in all fields of political science and international relations.

Contributions in *Siyasat Arabiya* are drawn from all fields of political science and international relations, including political thought, political theory, comparative politics, studies of state, political systems and institutions, public opinion studies, political economy, international politics, regional and international systems, strategic and security studies, conflict studies, international political economy, diplomacy and foreign policy, international law, and global governance. The journal welcomes both theoretical and empirical studies, as well as research employing qualitative or quantitative methods, or a combination of both. Particular attention is paid to the contemporary political transformations in the Arab world, specifically in relation to political systems, political stability and regional relations.

Submission to and publication in *Siyasat Arabiya* must adhere to the following guidelines, in line with peer-reviewed international journals:

- **Originality:** The article must be original and prepared specifically for the journal. It must not have been published, in whole or in part, or in a similar form, in any print or digital medium; nor should it have been presented at any conference other than those organized by the Center or submitted elsewhere.
- **Author details**: The submission must be accompanied by a short biography of the author.
- **Article requirements**: Each article should include:
  - The title in both Arabic and English, a brief author bio that lists institutional affiliation, and the author's latest publications.
  - Abstracts in both Arabic and English (250–300 words each) and keywords. The abstract should clearly and concisely state the research question, main argument, methodology, and conclusions.

دعوة للكتابة

تدعو دورية **سياسات عربية** الباحثات والباحثين المهتمين بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية والحقول المعرفية ذات الصلة إلى تقديم أبحاثهم لنشرها في الدورية. تقبل **سياسات عربية** الأبحاث النظرية والإمبريقية الرصينة، المكتوبة باللغة العربية، ومراجعات الكتب النقدية المعمقة. وتخضع جميع المواد التي تصلها لتحكيم الأقران مع إغفال الهوية المزدوج، وذلك من قبل محكّمين مختصين اختصاصًا دقيقًا بموضوع البحث. وتتوقع الدورية من الباحثين الالتزام بمعاييرها، وبملاحظات المحكمين واقتراحاتهم، بهدف تجويد البحث. وتهدف الدورية إلى أن تكون طيعة الفهم لدى المختصين وغير المختصين من القراء، من دون التضحية برصانة ما تنشره.

ترسل كل الأوراق الموجهة للنشر باسم رئيس التحرير

على العنوان الإلكتروني الخاص بالمجلة:

siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

قسيمة الاشتراك

الاسم _____

العنوان البريدي _____

البريد الإلكتروني _____

عدد النسخ المطلوبة _____

طريقة الدفع ☐ تحويل بنكي ☐ شيك لأمر المركز

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

Invitation to submit papers

Siyasat Arabiya welcomes submissions from researchers interested in political science, international relations, and related fields. The journal publishes rigorous theoretical and empirical studies written in Arabic as well as in-depth critical book reviews. All submissions are subject to double-blind peer review, carried out by experts on the subject. Authors are therefore expected to adhere to the journal's standards and to adopt reviewers' comments and suggestions. *Siyasat Arabiya* seeks to be accessible to both specialists and non-specialist readers, without compromising the academic integrity of its publications.

All submissions intended for publication should be sent by email:

siyasat.arabia@dohainstitute.edu.qa

Address all correspondence to the Editor-in-Chief

سياسات عربية
SIYASAT ARABIYA

الاشتراكات السنوية

(ستة أعداد في السنة بما في ذلك أجور البريد المسجل)

35	دولارًا أميركيًا للأفراد في لبنان.
55	دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في لبنان.
55	دولارًا أميركيًا للأفراد في الدول العربية وأفريقيا.
75	دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في الدول العربية وأفريقيا.
95	دولارًا أميركيًا للأفراد في أوروبا.
120	دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في أوروبا.
120	دولارًا أميركيًا للأفراد في القارة الأميركية.
140	دولارًا أميركيًا للحكومات والمؤسسات في القارة الأميركية.

عنوان الاشتراكات:

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

جادة الجنرال فؤاد شهاب - بناية الصيفي 174 - مار مارون

ص.ب: 11-4965 رياض الصلح 1107-2180 بيروت - لبنان

عنوان التحويل البنكي:

ARAB CENTER FOR RESEARCH & POLICY STUDIES

Qatar National Bank

Account Number: 3804002-000072- (FOR US DOLLARS)

IBAN number: LB70 0136 0000 000 3804 000072 002 (FOR US DOLLARS)

SWIFT code: QNBA LB BE

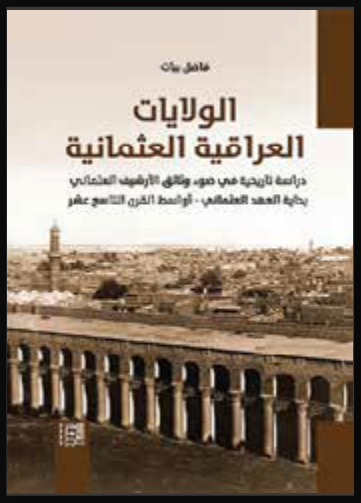

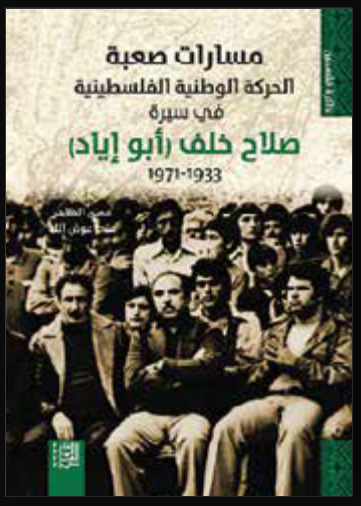

من إصدارات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

- للحصول على منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،
يرجى الاطلاع على قائمة موزّعي الكتب والمجلات على موقعنا الإلكتروني: www.dohainstitute.org
- بالنسبة إلى البلاد التي لا يوجد فيها موزعون إلى الآن، يرجى الاتصال مباشرة بقسم التوزيع في مكتب بيروت:
هاتف: 009611991837 أو على البريد الإلكتروني: distribution@dohainstitute.org

في هذا العدد

دراسات

محمد كلانتاري
معضلة أمن النفوذ: العقيدة الشيعية العابرة للحدود الوطنية وحدود السياسة الخارجية الإيرانية

عبد الله راشد المرسل
حرب غزة 2023 والتنافس الأميركي – الصيني في البحر الأحمر ومضيق باب المندب

يارا نصّار
الشتات فضاءً سياسيًا: فهم نشأة حركة فتح في بلدان الخليج العربية

فراس القواسمي
استراتيجيات نظام الاستعمار الاستيطاني في الضفة الغربية: بين الإزالة والإدارة

شيماء بركات
منظمات المجتمع المدني ودعم مشاركة الشباب في بناء السلام في اليمن

دراسة مترجمة

يوريس غورت
أليكس لوفتوس
ترجمة سجى طُرمان
نحو إيكولوجيا سياسية حضرية للشعبوية

التوثيق

محطات التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 2025/10/31-9/1

وثائق التحول الديمقراطي في الوطن العربي في المدة 2025/10/31-9/1

الوقائع الفلسطينية في المدة 2025/10/31-9/1

مراجعات الكتب

وجد بشارة
عن الترابط الرقمي المفرط وخيباته

جميع الحقوق محفوظة لمعهد الدوحة للدراسات العليا والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies
DOHA INSTITUTE FOR GRADUATE STUDIES

سعر النسخة

قطر	18 ريالًا	العـــراق	3500 دينار	الجزائر	150 دينارًا
السعودية	18 ريالًا	تونس	3 دنانير	المغرب	18 درهمًا
الإمارات	18 درهمًا	سوريـــا	150 ليرة	موريتانيا	500 أوقية
البحرين	ديناران	لبنان	100000 ليرة	ليبيا	3 دنانير
الكويت	1,5 دينار	الأردن	1,5 دينار	فلسطين	3 دولارات
عُمان	ريالان	اليمن	300 ريال	الصومال	2500 شلن
مصـــر	20 جنيهًا	السودان	10 جنيهات		

ISSN 2307-1583